

تأليف

الشيخالأ كبروا لكر يتالاً حم

محييا لد ين محمد بنا لعر بي

قدسالله سره

المتوفى سنة ٦٣٨ هـ

ق

اظامادناً الوى

ى

بيروت ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

يطلب مندارا لنشر كلاوس شفار تز بر لين

2 جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

٢٠١٤ م

3 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الشيخ الأ كبر في ديوا نه تر جمان الأ شواق:

بِاللّٰهِ قَوْلُ أَيْنَ هُمْ
فَهَلْ تُرِيْنِي عَيْنَهُمْ
وَكَمْ سَاءَ لْتُ بَيْنَهُمْ
وَمَا أَمِنْتُ بَيْنَهُمْ
بَيْنَ النَّوَى وَبَيْنَهُمْ
فَلَا أَقُولُ أَيْنَ هُمْ

أَحْبَابُ قَلْبِي أَيْنَ هُمْ
كَمَا رَأَيْتُ طَيْفَهُمْ
فَكَمْ وَكَمْ أَطْلُبُهُمْ
حَتَّى أَمِنْتُ بَيْنَهُمْ
لَعَلَّ سَعْدِي حَا ئِلُ
لِتَنْعَمَ الْعَيْنُ بِهِمْ

إلى

أستاذي عثمان يحيى

- ١- نماذج بعض الصفحات من مخطوط قونية ١٩٣٣.....أ
- ٢- عنوان كتاب فصوص الحكم وفصوص الكلم.....٦
- ٣- خطبة كتاب فصوص الحكم وفصوص الكلم.....٨
- ٤- [١] فصّ حكمة إلهية في كلمة آدمية.....١٤
- ٥- [٢] فصّ حكمة نفثية في كلمة شيثية.....٣٢
- ٦- [٣] فصّ حكمة سبوحية في كلمة نوحية.....٥٢
- ٧- [٤] فصّ حكمة قدوسية في كلمة إدرسية.....٧١
- ٨- [٥] فصّ حكمة مهيمية في كلمة إبراهيمية.....٨٤
- ٩- [٦] فصّ حكمة حقية في كلمة إسحاقية.....٩٥
- ١٠- [٧] فصّ حكمة عليّة في كلمة إسمايلية.....١١١
- ١١- [٨] فصّ حكمة روية في كلمة يعقوبية.....١٢١
- ١٢- [٩] فصّ حكمة نورية في كلمة يوسفية.....١٣٠
- ١٣- [١٠] فصّ حكمة أحديّة في كلمة هودية.....١٤٧
- ١٤- [١١] فصّ حكمة فاتحية في كلمة صالحية.....١٦٦
- ١٥- [١٢] فصّ حكمة قلبية في كلمة شعيبية.....١٧٣
- ١٦- [١٣] فصّ حكمة ملكية في كلمة لوطية.....١٨٩
- ١٧- [١٤] فصّ حكمة قدرية في كلمة عزيزية.....١٩٨
- ١٨- [١٥] فصّ حكمة نبوية في كلمة عيسوية.....٢١١
- ١٩- [١٦] فصّ حكمة رحمانية في كلمة سليمانية.....٢٤٢
- ٢٠- [١٧] فصّ حكمة وجودية في كلمة داودية.....٢٦٢
- ٢١- [١٨] فصّ حكمة نفسية في كلمة يونسية.....٢٧٨

- ٢٢- [١٩] فصّ حكمة غيبية في كلمة أيوبية..... ٢٨٧
- ٢٣- [٢٠] فصّ حكمة جلا لية في كلمة يخويية..... ٢٩٦
- ٢٤- [٢١] فصّ حكمة ما لكية في كلمة زكرياوية..... ٣٠١
- ٢٥- [٢٢] فصّ حكمة إينا سية في كلمة إليا سية..... ٣١١
- ٢٦- [٢٣] فصّ حكمة إحسا نية في كلمة لقما نية..... ٣٢٤
- ٢٧- [٢٤] فصّ حكمة إما مية في كلمة هارو نية..... ٣٣١
- ٢٨- [٢٥] فصّ حكمة علوية في كلمة موسوية..... ٣٤٢
- ٢٩- [٢٦] فصّ حكمة صمدية في كلمة خا لدية..... ٣٧٢
- ٣٠- [٢٧] فصّ حكمة فردية في كلمة محمدية..... ٣٧٥

٣٤- الملحقات..... ٤٠٨

- ٣٥- ملحق ١: تعليقات دا خل المخطوط..... ٤٠٩
- ٣٦- ملحق ٢: تحقيق في مسألة الذبيح..... ٤٢١
- ٣٧- ملحق ٣: تحقيق في خا لد بن سنان..... ٤٢٦
- ٣٨- ملحق ٤: تخريج حديث التحول..... ٤٣٣

[١ وجه]

6

كِتَابُ فَصُوصِ الْحِكْمِ وَخُصُوصِ الْكَلِمِ

إِنْشَاءُ سَيِّدِنَا وَشَيْخِنَا، الْإِمَامِ الْعَالِمِ الرَّاسِخِ، الْفَرْدِ الْمُحَقِّقِ مُحْيِي
الْمِلَّةِ وَالِدِّ بْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْعَرَبِيِّ الطَّائِبِيِّ الْحَاشِي
الْأَنْدُلُسِيِّ [٥٦٠ - ٦٣٨ هـ] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ.

رَوَاهُ صَدْرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ مُحَمَّدِ الْقُونَوِيِّ [٦٠٧ -
٦٧٣ هـ] عَنِّي.

قَرَأَ عَلَيَّ هَذَا الْكِتَابَ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ الْوَلِيُّ الْعَارِفُ الْمُحَقِّقُ
الْمَشْرُوعُ الصَّدْرُ الْمُنَوَّرُ الذَّاتُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ مُحَمَّدِ الْقُونَوِيِّ مَا لِكُ

هَذَا الْكِتَابِ، وَأُذِنَ لَهُ فِي الْحَدِيثِ بِهِ عَنِّي.

وَكَتَبَ مَنَشُؤُهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَرَبِيِّ، فِي عَشْرِ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ ثَلَاثِينَ
وَسِتِّمِائَةٍ [٦٣٠ هـ].

[١ ظهر]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَعَلَيْهِ أَتَوَّكَّلُ وَبِهِ أَسْتَعِينُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ.
رَبِّ يَسِّرْ وَتَمِّمْ.

قَالَ سَيِّدُنَا وَشَيْخُنَا إِلَهَ مَا أَلَمَ الرَّاسِخُ، الْفَرْدُ الْمُحَقَّقُ، مُحْيِي
الْمِلَّةِ وَالِدُ بَيْنِ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْعَرَبِيُّ الطَّائِبِيُّ الْحَاتِمِيُّ
الْأَنْدَلُسِيُّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

[خُطْبَةُ الْمُؤَلَّفِ]

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُنْزِلِ الْحِكْمِ عَلَى قُلُوبِ الْكَلِمِ بِأَحَدِيَّةِ الطَّرِيقِ الْأَمِّ مِنْ
الْمَقَامِ الْأَقْدَمِ وَإِنْ اخْتَلَفَتِ النَّحْلُ وَالْمِلَلُ لَخْتِلَافِ الْأُمَمِ.
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُمِدِّ الْهَمَمِ، مِنْ خَزَايِنِ الْجُودِ وَالْكَرَمِ، بِالْقِيلِ
الْأَقْوَمِ، مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّم.
أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم فِي مُبَشِّرَةٍ أُرِيَتْهَا
فِي الْعَشْرِ الْأَخْرِ مِنَ الْمُحَرَّمِ سَنَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ وَسِتِّمِائَةٍ [٦٢٧ هـ]
بِمَحَرُّو سَةِ دِمَشْقَ، وَبِيَدِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم كِتَابٌ.
فَقَالَ لِي: « هَذَا كِتَابُ فُصُوصِ الْحِكْمِ. خُذْهُ وَآخُذْ بِهِ إِلَى النَّاسِ
يَنْتَفِعُونَ بِهِ ».

فَقُلْتُ: « السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَأُوْلِي الْأَمْرِ مِنَّا، كَمَا أُمِرْنَا ». .
فَحَقَّقْتُ الْأُمْنِيَّةَ، وَأَخْلَصْتُ النِّيَّةَ، وَجَرَدْتُ الْقَصْدَ وَالْهِمَّةَ إِلَى إِبْرَازِ

هَذَا الْكِتَابِ كَمَا حَدَّثَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا نُقْصَانٍ.

وَسَاءَ لْتُ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَنِي فِيهِ وَفِي جَمِيعِ أَحْوَالِي مِنْ عِبَادِهِ الَّذِينَ لَيْسَ لِلشَّيْطَانِ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ، وَأَنْ يَخْصِنِي فِي جَمِيعِ مَا يَرُقُّهُ بَنَانِي، وَيَنْطِقُ بِهِ لِسَانِي، وَيَنْطَوِي عَلَيْهِ جَنَانِي، بِالْإِلْقَاءِ السُّبُوحِي وَالنَّفْثِ الرَّوْحِي فِي الرَّوْعِ النَّفْسِي بِإِلْتِئَانٍ يَبْدُ الْإِعْتِصَامِي، حَتَّى أَكُونَ مُتَرَجِّمًا لَا مُتَحَكِّمًا، لِيَتَحَقَّقَ مَنْ يَقِفُ عَلَيْهِ مِنْ أَهْلِ اللَّهِ، أَصْحَابِ الْقُلُوبِ، أَنَّهُ مِنْ مَقَامِ التَّقْدِيرِ نِسِ الْمُنْزَهَةِ عَنِ الْإِعْرَاضِ النَّفْسِيَّةِ الَّتِي يَدْخُلُهَا التَّلَبُّسُ.

وَأَرَجُو أَنْ يَكُونَ الْحَقُّ تَعَالَى لَمَّا سَمِعَ دُعَايِي، قَدْ أَجَابَ [٢ وجه] نِدَائِي، فَمَا أَلْقَى إِلَّا مَا يُلْقَى إِلَيَّ، وَلَا أُنْزِلُ فِي هَذَا الْمَسْطُورِ إِلَّا مَا يُنْزَلُ بِهِ عَلَيَّ. وَلَسْتُ بِنَبِيِّ وَلَا رَسُولٍ، وَلَكِنِّي وَارِثٌ، وَلَا خَرَتِي حَارِثٌ.

[مجزوء الخفيف]

- | | |
|--------------------------------|---------------------------------|
| ١- فَمِنْ اللَّهِ فَأَسْمَعُوا | وَأِلَى اللَّهِ فَأَرْجِعُوا |
| ٢- فَإِذَا سَمِعْتُمْ مَا | أَتَيْتُمْ بِهِ، فَعُودُوا |
| ٣- ثُمَّ بِالْفَهْمِ فَصَلُّوا | مُجْمَلِ الْقَوْلِ وَأَجْمَعُوا |
| ٤- ثُمَّ مَنُوا بِهِ عَلَى | طَائِفَتِهِ لَا تَمْنَعُوا |
| ٥- هَذِهِ الرَّحْمَةُ الَّتِي | وَسِعَتْكُمْ فَوَسَّعُوا |

وَمِنْ اللَّهِ أَرَجُو أَنْ أَكُونَ مِمَّنْ أَيْدٍ فَتَاءٍ يَدٍ، وَأُيَدٍ وَقِيدٍ بِالشَّرْعِ الْمُحَمَّدِيِّ الْمُطَهَّرِ فَتَقِيدَ وَقِيدَ. وَحَشَرَ نَا فِي زُمْرَتِهِ، كَمَا جَعَلْنَا مِنْ أُمَّتِهِ.

فَأَوَّلُ مَا أَلْقَاهُ الْمَالُ لَكَ عَلَى الْعَبْدِ مِنْ ذَلِكَ:

[بقية النص المكمل لهذه الصفحة في الصفحة التالية]

[١] ﴿فَصِرْ حِكْمَةً إِلَهِيَّةً فِي كَلِمَةٍ أَدْمِيَّةٍ﴾

لَمَّا شَاءَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ مِنْ حَيْثُ أَسْمَاؤُهُ الْحُسْنَى الَّتِي لَا يَبْلُغُهَا

إِلَّا حِصَاءٌ أَنْ يَرَىٰ أَعْيَا نَهَا، وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ: أَنْ يَرَىٰ عَيْنُهُ فِي كَوْنٍ

جَا مَعَ يَحْضُرُ الْأَمْرَ لِكُونِهِ مُتَّصِفًا بِأَلَوْجُودٍ، وَيُظْهِرُ بِهِ سِرَّهُ إِلَيْهِ.

15

فَإِنْ رُؤْيَا الشَّيْءِ نَفْسُهُ بِنَفْسِهِ، مَا هِيَ مِثْلُ رُؤْيَا نَفْسِهِ فِي أَمْرٍ آخَرَ،

يَكُونُ لَهُ كَأَمْرِ لِمِرَاةٍ، فَإِنَّهُ تَظْهَرُ لَهُ نَفْسُهُ فِي صُورَةِ يُعْطِيهَا الْمَحَلُّ الْمُنْظُورُ

فِيهِ، مِمَّا لَمْ يَكُنْ يَظْهَرُ لَهُ مِنْ غَيْرِ وُجُودِ هَذَا الْمَحَلِّ، وَلَا تَجَلِّيهِ لَهُ.

وَقَدْ كَانَ الْحَقُّ أَوْ جَدُّ الْعَالَمِ كُلُّهُ وُجُودَ شَبَحٍ مُسَوَّى، لَا رُوحَ فِيهِ،

فَكَانَ كَمِرَاةٍ غَيْرِ مَجْلُودَةٍ. وَمِنْ شَأْنِ الْحُكْمِ إِلَهِيٍّ أَنَّهُ مَا سَوَىٰ مَحَلًّا إِلَّا

16

وَلَا بُدَّ أَنْ يَقْبَلَ رُوحًا إِلَهِيًّا عَبَّرَ عَنْهُ بِأَلَنْفَخٍ فِيهِ، وَمَا هُوَ إِلَّا حُصُولُ

الْأَسْتِعْدَادِ مِنْ تِلْكَ الصُّورَةِ الْمُسَوَّاةِ [٢ ظهر] لِقَبُولِ الْفَيْضِ الْمُتَجَلِّيِّ

الدَّائِمِ الَّذِي لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ.

وَمَا بَقِيَ إِلَّا قَابِلٌ، وَاقْبَالٌ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ فَيْضِهِ الْأَقْدَسِ.

فَالْأَمْرُ كُلُّهُ :. مِنْهُ :. أَبْتَدَأُوهُ وَانْتَهَاؤُهُ — ﴿وَأِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾

[هود: ١٢٣] — كَمَا أَبْتَدَأَ مِنْهُ.

فَأَقْتَضَى الْأَمْرُ جَلَاءَ مِرَاةِ الْعَالَمِ؛ فَكَانَ آدَمُ عَيْنَ جَلَاءِ تِلْكَ الْمِرَاةِ،

وَرُوحَ تِلْكَ الصُّورَةِ.

وَكَا نَتِ الْمَلَايِكَةُ مِنْ بَعْضِ قُوَى تِلْكَ الصُّورَةِ الَّتِي هِيَ صُورَةُ الْعَالَمِ

الْمُعَبَّرِ عَنْهُ فِي أَصْطِلَاحِ الْقَوْمِ بِإِلَهِ نَسَانِ الْكَبِيرِ.

فَكَانَتْ الْمَلَايِكَةُ لَهُ كَأَلْقَاؤِ الرُّوحِ حَا نِيَّةٍ وَاحِسِيَّةٍ الَّتِي فِي النَّشْأَةِ

17

إِلَهِ نَسَانِيَّةٍ.

وَكُلُّ قُوَّةٍ مِنْهَا مَحْجُوبَةٌ بِنَفْسِهَا، لَا تَرَىٰ أَفْضَلَ مِنْ ذَاتِهَا، وَأَنَّ فِيهَا —

فِيمَا تَرُ عُمْ — الْأَهْلِيَّةَ لِكُلِّ مَنْصِبٍ عَالٍ، وَمَنْزِلَةٍ رَفِيعَةٍ عِنْدَ اللَّهِ، لِمَا

عِنْدَهَا مِنَ الْجَمْعِيَّةِ إِلَّا لِهَيْئَةٍ.

بَيْنَ مَا يَرْجَعُ مِنْ ذَلِكَ إِلَى الْجَنَابِ إِلَهِيٍّ، وَإِلَى جَانِبِ حَقِيقَةٍ

الْحَقَّ يَقِ، وَفِي النِّشَاءِ الْحَا مِلَّةٌ لِهَذِهِ الْأَوْ صَافٍ إِلَى مَا تَقْتَضِيهِ الطَّبِيعَةُ
لِلْكُلِّ الَّتِي حَصَرَتْ قَوَا بِلِ الْعَا لَمْ كُلُّهُ، أَعْلَاهُ وَأَسْفَلُهُ.

18

وَهَذَا لَا يَعْرِفُهُ عَقْلٌ، بِطَرِيقِ نَظَرٍ فِكْرِيٍّ، بَلْ هَذَا الْفَنُّ مِنَ الْإِدْرَاكِ
لَا يَكُونُ إِلَّا عَنْ كَشْفِ الْإِلَهِيِّ مِنْهُ: .يُعْرِفُ مَا أَصْلُ صُورِ الْعَا لَمْ الْقَا بِلَّةِ
لَا زَوْا حِهِ، فَسَمِّيَ هَذَا الْمَذْكُورَ إِنْسَانًا وَخَلِيفَةً؛ فَأَمَّا إِنْسَانُ نَبِيِّتِهِ فَلِعُمُومِ نَشَأَتِهِ،
وَحَصْرِهِ الْحَقَّ يَقِ كُلُّهَا، وَهُوَ لِلْحَقِّ بِمَنْزِلَةِ إِنْسَانِ الْعَيْنِ مِنَ الْعَيْنِ الَّذِي بِهِ
يَكُونُ النَّظَرُ، وَهُوَ الْمُعْبَرُ عَنْهُ بِاَلْبَصَرِ.

فَلِهَذَا سُمِّيَ إِنْسَانًا، فَأَنَّ نَهْ بِهِ نَظَرَ الْحَقِّ إِلَى خَلْقِهِ فَرَحِمَهُمْ.
فَهُوَ الْإِنْسَانُ الْحَادِثُ الْأَزَلِيِّ، وَالنَّشْءُ الدَّائِمُ الْأَبَدِيُّ، وَالْكَلِمَةُ الْقَا صِلَةُ
الْجَا مِعَةً. فَتَمَّ الْعَا لَمْ بِوُجُودِهِ.

فَهُوَ مِنَ الْعَا لَمْ كَفَصِ الْخَا تَمِّ مِنَ الْخَا تَمِّ، هُوَ مَحَلُّ النَّقْشِ: . وَالْعَلَامَةُ:
الَّتِي بِهَا يَخْتَمُ الْمَلِكُ عَلَى خِزَانَتِهِ. وَسَمَاهُ خَلِيفَةً مِنْ أَجْلِ هَذَا.

لَأَنَّ تَعَا لَى الْحَا فِظْ خَلْقَهُ كَمَا يَحْفَظُ الْخَتْمُ [٣ وَجْه] الْخَزَائِنَ. فَمَا دَامَ
خَتْمُ الْمَلِكِ عَلَيْهَا، لَا يَجْسُرُ أَحَدٌ عَلَى فَتْحِهَا إِلَّا بِإِذْنِهِ. فَأَسْتَخْلَفَهُ فِي
حِفْظِ الْعَا لَمْ، فَلَا يَزَالُ الْعَا لَمْ مَحْفُوظًا، مَا دَامَ فِيهِ هَذَا الْإِنْسَانُ الْكَامِلُ.
أَلَا تَرَاهُ إِذَا زَالَ، وَفَكَ مِنْ خِزَانَةِ الدُّنْيَا، لَمْ يَبْقَ فِيهَا مَا اخْتَرَنَهُ الْحَقُّ
فِيهَا، وَخَرَجَ مَا كَانَ فِيهَا، وَأَلْتَحَقَ بَعْضُهُ بِبَعْضِهِ، وَأَنْتَقَلَ الْأَمْرُ إِلَى
الْآخِرَةِ، فَكَانَ خَتْمًا عَلَى خِزَانَةِ الْآخِرَةِ خَتْمًا أَبَدِيًّا.

19

فَظَهَرَ جَمِيعُ مَا فِي الصُّورَةِ إِلَّا لِهَيْئَةٍ مِنَ الْأَسْمَاءِ فِي هَذِهِ النِّشَاءِ
الْإِنْسَانِيَّةِ. فَحَازَتْ رُتْبَةَ الْإِحَا طَةِ وَالْجَمْعِ، بِهَذَا الْوُجُودِ، وَبِهِ قَامَتِ الْحُجَّةُ
لِلَّهِ تَعَا لَى عَلَى الْمَلَأَةِ بِكَتَّةِ.

فَتَحَفَظْ، فَقَدْ وَعَظَكَ اللَّهُ بِغَيْرِكَ، وَأَنْظُرْ مِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ عَلَى مَنْ أَتَيْتَ
عَلَيْهِ. فَإِنَّ الْمَلَأَةَ بِكَتَّةِ لَمْ تَقِفْ مَعَ مَا تُعْطِيهِ نَشَأَةُ هَذَا الْخَلِيفَةِ، وَلَا

وَقَفَّتْ مَعَ مَا تَقْتَضِيهِ حُضْرَةُ الْحَقِّ مِنَ الْعِبَادَةِ الذَّا تِيَّةِ.

فَإِنَّهُ مَا يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنَ الْحَقِّ إِلَّا مَا تُعْطِيهِ ذَاتُهُ. وَلَيْسَ لِلْمَلَائِكَةِ جَمْعِيَّةٌ
أَدَمَ،

وَلَا وَقَفَّتْ مَعَ الْأَسْمَاءِ إِلَّا لِهَيْئَةِ الَّتِي تَخُصُّهَا، وَسَبَّحَتِ الْحَقَّ بِهَا
وَقَدْ سَتَّهُ، وَمَا عَلِمَتْ أَنَّ اللَّهَ أَسْمَاءً، مَا وَصَلَ عِلْمُهَا إِلَيْهَا، فَمَا سَبَّحَتْهُ بِهَا وَلَا
قَدْ سَتَّهُ، فَغَلَبَ عَلَيْهَا مَا ذَكَرَ نَاهُ، وَحَكَمَ عَلَيْهَا هَذَا الْحَالُ، فَقَالَتْ — مِنْ
حَيْثُ النِّشَاءُ — ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾، [سورة البقرة: ٣٠].
وَلَيْسَ إِلَّا النَّزَاعُ وَهُوَ عَيْنُ مَا وَقَعَ مِنْهُمْ، فَمَا قَالُوا فِي حَقِّ أَدَمَ، هُوَ عَيْنُ
مَا هُمْ فِيهِ مَعَ الْحَقِّ.

فَلَوْلَا أَنَّ نَشَأَ تَهُمْ تُعْطِي ذَٰلِكَ، مَا قَالُوا فِي حَقِّ أَدَمَ مَا قَالُوا لَهُ، وَهُمْ لَا
يَشْعُرُونَ. فَلَوْ عَرَفُوا نَفْسَهُمْ لَعَلِمُوا، وَلَوْ عَلِمُوا لَعَصِمُوا. ثُمَّ لَمْ يَقِفُوا مَعَ
التَّجَرُّيحِ، حَتَّى زَادُوا فِي الدَّعْوَى بِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ التَّقْدِيرِ وَالتَّسْبِيحِ.
وَعِنْدَ أَدَمَ مِنَ الْأَسْمَاءِ إِلَّا لِهَيْئَةِ مَا لَمْ تَكُنِ الْمَلَائِكَةُ عَلَيْهَا، [٣ ظهر] فَمَا
سَبَّحَتْ رَبَّهَا بِهَا، وَلَا قَدْ سَتَّهُ عَنْهَا تَقْدِيرُ أَدَمَ وَتَسْبِيحُهُ.

فَوَصَفَ الْحَقُّ لَنَا مَا جَرَى لِنَقِفَ عِنْدَهُ، وَنَتَعَلَّمَ الْأَدَبَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى،
فَلَا نَدَّ عِي — مَا أَنَا مُحَقَّقٌ بِهِ وَحَاوٍ عَلَيْهِ — بِا تَقْيِيدٍ. فَكَيْفَ أَنْ نُطْلِقَ فِي
الدَّعْوَى، فَنَعْمَ بِهَا مَا لَيْسَ لِي بِحَالٍ، وَلَا أَنَا مِنْهُ عَلَى عِلْمٍ فَتَفْتَضَحُ؟
فَهَذَا التَّعَرُّيفُ إِلَّا لِهَيْئَةِ مِمَّا أَدَّبَ الْحَقُّ بِهِ عِبَادَهُ الْأَدَبَاءَ الْأَمْنَاءَ
الْخُلَفَاءَ.

ثُمَّ نَرْجِعُ إِلَى الْحِكْمَةِ فَنَقُولُ:

أَعْلَمُ أَنَّ الْأُمُورَ الْكُلِّيَّةَ — وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَجُودٌ فِي عَيْنِهَا —
فَهِيَ مَعْقُولَةٌ مَعْلُومَةٌ بِلَا شَكٍّ فِي الدُّهْنِ، فَهِيَ بَاطِنَةٌ لَا تُزَالُ عَنِ الْوُجُودِ
الْعَيْنِيِّ. وَلَهَا الْحُكْمُ وَالْأَثَرُ فِي كُلِّ مَا لَهُ وَجُودٌ عَيْنِيٌّ. بَلْ هُوَ عَيْنُهَا لَا

غَيْرُهَا؛ أَغْنِي: أَعْيَانُ الْمَوْجُودَاتِ الْعَيْنِيَّةِ.

وَلَمْ تَزَلْ عَنْ كَوْنِهَا مَعْقُولَةً فِي نَفْسِهَا فَهِيَ الظَّاهِرَةُ مِنْ حَيْثُ أَعْيَانُ الْمَوْجُودَاتِ، كَمَا هِيَ الْبَاطِنَةُ مِنْ حَيْثُ مَعْقُولِيَّتُهَا.

22

فَأَسْتِنَادُ كُلِّ مَوْجُودٍ عَيْنِيٍّ لِهَذِهِ الْأُمُورِ الْكُلِّيَّةِ الَّتِي لَا يُمْكِنُ رَفْعُهَا عَنِ الْعَقْلِ، وَلَا يُمْكِنُ وُجُودُهَا فِي الْعَيْنِ وَجُودًا تَزُولُ بِهِ عَنْ أَنْ تَكُونَ مَعْقُولَةً.

وَسَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ الْمَوْجُودُ الْعَيْنِيُّ مَوْقِفًا أَوْ غَيْرَ مَوْقِفٍ، نِسْبَةُ الْمَوْقِفِ وَغَيْرِ الْمَوْقِفِ إِلَى هَذَا الْأَمْرِ الْكُلِّيِّ الْمَعْقُولِ نِسْبَةٌ وَاحِدَةٌ.

غَيْرَ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ الْكُلِّيَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ حُكْمٌ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ الْعَيْنِيَّةِ بِحَسَبِ مَا تَطْلُبُهُ حَقًّا بِقِيَّتِكَ الْمَوْجُودَاتِ الْعَيْنِيَّةِ، كَنِسْبَةِ الْعِلْمِ إِلَى الْعَالِمِ، وَالْحَيَاةِ إِلَى الْحَيِّ، فَالْحَيَاةُ حَقِيقَةُ مَعْقُولَةٍ، وَالْعِلْمُ حَقِيقَةُ مَعْقُولَةٍ مُتَمَيِّزَةٌ عَنِ الْحَيَاةِ، كَمَا هِيَ الْحَيَاةُ مُتَمَيِّزَةٌ عَنْهُ، ثُمَّ نَقُولُ فِي الْحَقِّ تَعَالَى: إِنَّ لَهُ عِلْمًا وَحَيَاةً، فَهُوَ الْحَيُّ الْعَالِمُ. وَنَقُولُ فِي الْمَلِكِ: إِنَّ لَهُ حَيَاةً وَعِلْمًا، فَهُوَ الْحَيُّ الْعَالِمُ. وَنَقُولُ فِي الْإِنْسَانِ: إِنَّ لَهُ حَيَاةً وَعِلْمًا، فَهُوَ الْحَيُّ الْعَالِمُ. وَحَقِيقَةُ الْعِلْمِ وَاحِدَةٌ. وَحَقِيقَةُ الْحَيَاةِ وَاحِدَةٌ. وَنَسْبَتُهَا إِلَى الْعَالِمِ وَالْحَيِّ نِسْبَةٌ وَاحِدَةٌ. [٤ وجه] وَنَقُولُ فِي عِلْمِ الْحَقِّ: إِنَّهُ قَدِيمٌ. وَفِي عِلْمِ الْإِنْسَانِ: إِنَّهُ مُحَدَّثٌ. فَانْظُرْ مَا أَحَدَثَتْهُ إِلَّا ضَافَةٌ مِنَ الْحُكْمِ فِي هَذِهِ الْحَقِيقَةِ الْمَعْقُولَةِ.

23

وَأَنْظُرْ إِلَى هَذَا اللَّزِّ تَبَاطُ بَيْنَ الْمَعْقُولَاتِ وَالْمَوْجُودَاتِ الْعَيْنِيَّةِ، فَكَمَا حَكَمَ الْعِلْمُ عَلَى مَنْ قَامَ بِهِ أَنْ يُقَالَ فِيهِ: «عَالِمٌ»، حَكَمَ الْمَوْصُوفُ بِهِ عَلَى الْعِلْمِ بِأَنَّهُ حَادِثٌ فِي حَقِّ الْحَادِثِ؛ قَدِيمٌ فِي حَقِّ الْقَدِيمِ. فَصَارَ كُلُّ وَاحِدٍ مَحْكُومًا بِهِ، مَحْكُومًا عَلَيْهِ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ الْكُلِّيَّةَ — وَإِنْ كَانَتْ مَعْقُولَةً — فَإِنَّهَا

مَعْدُو مَةِ الْعَيْنِ، مَوْ جُودَةُ الْحُكْمِ، كَمَا هِيَ مَحْكُومٌ عَلَيْهَا إِذَا نُسِبَتْ إِلَى
الْمَوْ جُودِ الْعَيْنِيِّ.

فَتَقَبَّلَ الْحُكْمَ فِي الْأَعْيَانِ الْمَوْ جُودَةَ، وَلَا تَقَبَّلُ التَّفْصِيلَ، وَلَا
التَّجْزِيَّ، فَإِنَّ ذَلِكَ مُحَالٌ عَلَيْهَا. فَإِنَّهَا بَذَا تَهَا فِي كُلِّ مَوْ صُوفٍ بِهَا،
كَأَلَا نَسَا نِيَّةً فِي كُلِّ شَخْصٍ، شَخْصٌ مِنْ هَذَا النَّوعِ الْخَاصِّ، لَمْ يَتَفَصَّلْ وَلَمْ
يَتَعَدَّدْ بِتَعَدُّدِ الْأَشْخَاصِ. وَلَا بَرِّ حَتَّ مَعْقُودَةٍ.

وَإِذَا كَانَ اللَّارُ تَبَاطُ بَيْنَ مَنْ لَهُ وَجُودٌ عَيْنِيٌّ، وَبَيْنَ مَنْ لَيْسَ لَهُ وَجُودٌ
عَيْنِيٌّ، قَدْ ثَبَتَ — وَهِيَ نَسَبٌ عَدَمِيٌّ — فَإِنَّ تَبَاطُ الْمَوْ جُودَاتِ بَعْضِهَا
بِبَعْضٍ أَقْرَبُ أَنْ يُعْقَلَ لِأَنَّهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ بَيْنَهَا جَا مِعٌ، وَهُوَ الْوُ جُودُ الْعَيْنِيِّ.
وَهُنَاكَ، فَمَا ثَمَّ جَا مِعٌ، وَقَدْ وَجِدَ اللَّارُ تَبَاطُ بَعْدَمِ الْجَا مِعِ، فَبِأَلَجَا مِعِ أَقْوَى
وَأَحَقُّ.

وَلَا شَكَّ أَنَّ الْمُحَدَّثَ قَدْ ثَبَتَ حُدُوثُهُ وَافْتِقَارُهُ إِلَى مُحَدِّثٍ أَحَدَ ثَمَّ
لَا مَكَانَ لَهُ لِنَفْسِهِ، فَوْ جُودُهُ مِنْ غَيْرِهِ، فَهُوَ يَرْتَبِطُ بِهِ أَوْ تَبَاطُ أَفْتِقَارٍ، وَلَا بُدَّ أَنْ
يَكُونَ الْمُسْتَنَدُ إِلَيْهِ وَاجِبُ الْوُ جُودِ لَذَا تَهَ غَنِيًّا فِي وَجُودِهِ بِنَفْسِهِ، غَيْرَ مُفْتَقِرٍ،
وَهُوَ الَّذِي أَعْطَى الْوُ جُودَ بَذَا تَهَ لِهَذَا الْحَادِثِ، فَأَنْتَسَبَ إِلَيْهِ، وَلَمَّا أَقْتَضَاهُ
لَذَا تَهَ كَانَ وَاجِبًا بِهِ.

وَلَمَّا كَانَ أَسْتِنَادُهُ إِلَى مَنْ [٤ ظهر] ظَهَرَ عَنْهُ لَذَا تَهَ، أَقْتَضَى أَنْ يَكُونَ
عَلَى صُورَةِ تَهَ فِيمَا يُنْسَبُ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ أَسْمٍ وَصِفَةٍ مَا عَدَا الْوُ جُوبَ
الذَّا تِيَّ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَصِحُّ فِي الْحَادِثِ، وَإِنْ كَانَ وَاجِبَ الْوُ جُودِ، وَلَكِنْ
وُجُوبُهُ بِغَيْرِهِ لَا بِنَفْسِهِ.

ثُمَّ لَتَعْلَمَ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى مَا قُلْنَاهُ مِنْ ظُهُورِهِ تَصَوُّرُ تَهَ، أَحَا لَنَا
تَعَا لَى فِي الْعِلْمِ بِهِ عَلَى النَّظَرِ فِي الْحَادِثِ، وَذَكَرَ أَنَّهُ أَرَانَا آيَا تَهَ فِيهِ.
فَأَسْتَدُّ لَنَا بِنَا عَلَيْهِ، فَمَا وَصَفْنَاهُ بِوَصْفٍ إِلَّا كُنَّا نَحْنُ ذَلِكَ الْوَصْفُ،

إِلَّا الْوُجُوبَ الْخَاصَّ الذَّا تِي.

فَلَمَّا عَلِمْنَاهُ بِنَا وَمِنَّا، نَسَبْنَا إِلَيْهِ كُلَّ مَا نَسَبْنَاهُ إِلَيْنَا. وَبِذَلِكَ وَرَدَتْ

إِلَّا خَبَارَاتُ إِلَّا لِهَيْئَةٍ عَلَى أَلْسِنَةِ التَّرَا جِمِ إِلَيْنَا.

فَوَصَفَ نَفْسَهُ لَنَا بِنَا، فَإِذَا شَهِدَ نَاهُ، شَهِدَ نَا نَفُو سَنَا، وَإِذَا شَهِدَ نَا، شَهِدَ نَفْسَهُ.

وَلَا نَشْكُ أَنَّا كَثِيرُونَ بِالشَّخْصِ وَالنَّوْعِ، وَأَنَا — وَإِنْ كُنَّا عَلَى حَقِيقَةٍ

وَأَجِدَةٍ تَجْمَعُنَا، — فَتَعْلَمُ قَطْعًا أَنَّ تَمَّ فَارِقًا بِهِ تَمَيَّزَتِ الْأَشْخَاصُ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ، وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا كَانَتْ الْكَثَرَةُ فِي الْوَا حِدِ.

فَكَذَلِكَ أَيْضًا، وَإِنْ وَصَفْنَاهُ بِمَا وَصَفَ نَفْسَهُ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ فَلَا بُدَّ مِنْ فَارِقٍ.

وَلَيْسَ إِلَّا أَفْتَقَارَ نَا إِلَيْهِ فِي الْوُجُودِ، وَتَوَقُّفَ وَجُودِ نَا عَلَيْهِ؛ لَا مَكَانَ نَا وَغِنَاهُ عَنْ مِثْلِ مَا أَفْتَقَرَ نَا إِلَيْهِ.

فَبِهَذَا صَحَّ لَهُ الْأَزَلُّ وَالْقِدَمُ الَّذِي أُنْتَفَتَّ عَنْهُ الْأَوَّلِيَّةُ الَّتِي لَهَا فَتِيحُ

الْوُجُودِ عَنْ عَدَمٍ، فَلَا يُنْسَبُ إِلَيْهِ مَعَ كَوْنِهِ «الْأَوَّلُ»، وَلِهَذَا قِيلَ فِيهِ

«الْأَخِرُ». فَلَوْ كَانَتْ أَوَّلِيَّتُهُ أَوْ لِيَّةُ وَجُودِ التَّقْيِيدِ، لَمْ يَصِحَّ أَنْ يَكُونَ الْآخِرُ

لِلْمَقْيَدِ، لِأَنَّهُ لَا آخِرَ لِلْمُمْكِنِ، لِأَنَّ الْمُمْكِنَاتِ غَيْرُ مُتَنَاهِيَةٍ، فَلَا آخِرَ لَهَا،

وَإِنَّمَا كَانَ آخِرًا لِرُجُوعِ الْأَمْرِ كُلِّهِ إِلَيْهِ، بَعْدَ نَسْبَةِ ذَلِكَ إِلَيْنَا، فَهُوَ الْآخِرُ

فِي عَيْنِ أَوَّلِيَّتِهِ، وَالْأَوَّلُ فِي عَيْنِ آخِرِيَّتِهِ.

ثُمَّ لِنَعْلَمَنَّ أَنَّ الْحَقَّ وَصَفَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ ظَاهِرٌ [هـ وجهه] بَا طِنٌ، فَأَوَّجَدَ

الْعَالَمَ؛ عَا لَمْ غَيْبٍ وَشَهَادَةٍ، لِنُدْرِكَ الْبَا طِنَ بَغِيْبِنَا، وَالظَّاهِرَ بِشَهَادَةِ تَنَا.

وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِالرِّضَا وَالْغَضَبِ.

وَأَوَّجَدَ الْعَالَمَ ذَا خَوْفٍ وَرَجَاءٍ، فَخَافُ غَضَبَهُ، وَنَرُجُو رِضَاهُ.

وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ جَمِيلٌ، وَدُوَّجَلَالٍ، فَأَوَّجَدَ نَا عَلَى هَيْبَةٍ وَأُنْسٍ،

وَهَكَذَا جَمِيعُ مَا يُنْسَبُ إِلَيْهِ تَعَالَى، وَيُسَمَّى بِهِ.

فَعَبَّرَ عَنْ هَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ بِـ«الْيَدَيْنِ»، اللَّتَيْنِ تَوَجَّهَتَا مِنْهُ عَلَى خَلْقِ

إِلَّا نَسَانِ الْكَامِلِ؛ لِكُونِهِ الْجَا مَعَ لِحَقًا يَقِي الْعَالَمَ وَمُفْرَدًا تَه.

26

فَالْعَالَمَ لَمْ شَهَادَةً، وَالْخَلِيفَةَ غَيْبًا، وَلِهَذَا يُحَجَّبُ السُّلْطَانُ.

وَوَصَفَ الْحَقُّ نَفْسَهُ بِالْحُجُبِ الظُّلُمَانِيَّةِ — وَهِيَ الْأَجْسَامُ الطَّبِيعِيَّةُ —

وَالنُّورِيَّةِ، وَهِيَ الْأَرْوَاحُ اللَّطِيفَةُ.

وَالْعَالَمَ لَمْ بَيْنَ كَثِيفٍ وَلَطِيفٍ، وَهُوَ عَيْنُ الْحِجَابِ عَلَى نَفْسِهِ.

فَلَا يُدْرِكُ الْحَقُّ إِدْرَا كُهُ نَفْسَهُ. فَلَا يَزَالُ فِي حِجَابٍ لَا يُرْفَعُ، مَعَ عِلْمِهِ

بِأَنَّهُ مُتَمَيِّزٌ عَنْ مُوجِدِهِ بِافْتِقَارِهِ، وَلَكِنْ لَا حَظَّ لَهُ فِي وُجُوبِ الْوُجُودِ

الَّذِي تَبَيَّنَ لَوُجُودِ الْحَقِّ. فَلَا يُدْرِكُهُ أَبَدًا، فَلَا يَزَالُ الْحَقُّ مِنْ هَذِهِ

الْحَقِيقَةِ غَيْرَ مَعْلُومٍ، عِلْمَ ذَوْقٍ وَشُهُودٍ؛ لِأَنَّهُ لَا قَدَمَ لِلْحَادِثِ فِي ذَلِكَ.

فَمَا جَمَعَ اللَّهُ لَادَمَ بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَّا تَشَرُّيفًا، وَلِهَذَا قَالَ لِإِبْلِيسَ: ﴿مَا مَنَعَكَ

أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي﴾، [سورة ص: ٧٥] وَمَا هُوَ إِلَّا عَيْنُ جَمْعِهِ بَيْنَ

الصُّورَتَيْنِ؛ صُورَةِ الْعَالَمِ، وَصُورَةِ الْحَقِّ، وَهُمَا يَدَا الْحَقِّ.

وَإِبْلِيسُ جُزْءٌ مِنَ الْعَالَمِ لَمْ تَحْصُلْ لَهُ هَذِهِ الْجَمْعِيَّةُ.

ولِهَذَا كَانَ آدَمُ خَلِيفَةً. فَإِنْ لَمْ يَكُنْ ظَاهِرًا بِصُورَةٍ مِنْ أَسْتَخْلَفَهُ فِيمَا

أَسْتَخْلَفَهُ فِيهِ، فَمَا هُوَ خَلِيفَةٌ. وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ جَمِيعُ مَا تَطْلُبُهُ الرَّعَايَا الَّتِي

أَسْتَخْلَفَ عَلَيْهَا — لِأَنَّ اسْتِنَادَهَا إِلَيْهِ — فَلَا بُدَّ أَنْ يَقُومَ بِجَمِيعِ مَا تَحْتَاجُ

إِلَيْهِ، وَإِلَّا، فَلَيْسَ بِخَلِيفَةٍ عَلَيْهِمْ.

فَمَا صَحَّتِ الْخِلَافَةُ إِلَّا لِلِإِنْسَانِ الْكَامِلِ.

27

فَأَنْشَأَ صُورَتَهُ الظَّاهِرَةَ مِنْ حَقَّا يَقِي الْعَالَمَ. وَصَوَّرَهُ، وَأَنْشَأَ صُورَتَهُ الْبَاطِنَةَ

عَلَى صُورَتِهِ تَعَالَى.

وَلِذَا لَكَ [هـ ظهر] قَالَ فِيهِ: «كُنْتُ سَمِعُهُ وَبَصَرَهُ»، مَا قَالَ: «كُنْتُ

عَيْنُهُ وَأَدُّ نَهْ». فَفَرَّقَ بَيْنَ الصُّورَ نَيْنِ.

وَهَكَذَا هُوَ فِي كُلِّ مَوْجُودٍ مِنَ الْعَالَمِ بِقَدْرِ مَا تَطْلُبُهُ حَقِيقَةُ ذَلِكَ
الْمَوْجُودِ.

لَكِنْ لَيْسَ لِأَحَدٍ مَجْمُوعٌ مَا لِلْخَلِيفَةِ.

فَمَا فَازَ إِلَّا بِاَلْمَجْمُوعِ.

وَلَوْلَا سَرَّ يَأْنِ الْحَقِّ فِي الْمَوْجُودَاتِ بِاَلصُّورَةِ، مَا كَانَ لِلْعَالَمِ وُجُودٌ، كَمَا
أَنَّهُ لَوْلَا تِلْكَ الْحَقَاقَةُ الْمَعْقُولَةُ الْكُلِّيَّةُ مَا ظَهَرَ حُكْمُ فِي الْمَوْجُودَاتِ
الْعَيْنِيَّةِ.

وَمِنْ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ كَانَ اَلْاَفْتِقَارُ مِنَ الْعَالَمِ إِلَى الْحَقِّ فِي وُجُودِهِ.

[البسيط]

28

هَذَا هُوَ الْحَقُّ قَدْ قُلْنَا هُ لَا نَكْنِي
فَقَدْ عَلِمْتَ الَّذِي يَقُولُنَا نَعْنِي

١- فَا لِكُلِّ مُفْتَقِرٍ مَا الْكُلُّ مُسْتَعْنٍ
٢- فَإِنْ ذَكَرْتَ غَنِيًّا لَا اَفْتِقَارَ بِهِ

٣- فَا لِكُلِّ بِاَلْكُلِّ مَرَّ بِوُطْ فَلَيْسَ لَهُ عَنْهُ اَنْفِصَالٌ خُذُوا مَا قُلْتُهُ عَنِّي
فَقَدْ عَلِمْتَ حِكْمَةَ نَشْأَةِ جَسَدِ اَدَمَ؛ اَعْنِي: صُورَتُهُ الظَّاهِرَةُ.

وَقَدْ عَلِمْتَ نَشْأَةَ رُوحِ اَدَمَ؛ اَعْنِي: صُورَتُهُ الْبَاطِنَةُ، فَهُوَ الْحَقُّ الْخَلْقُ.

وَقَدْ عَلِمْتَ نَشْأَةَ رُتْبَتِهِ؛ وَهِيَ الْمَجْمُوعُ الَّذِي بِهِ اُسْتَحَقَّ الْخِلَافَةُ.

فَاَدَمُ هُوَ النَّفْسُ الْوَالِدَةُ الَّتِي خُلِقَ مِنْهَا هَذَا النَّوْعُ اِلَّا نَسَا نِي.

وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ

وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾. [سورة النساء: ١]

فَقَوْلُهُ: ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾: [سورة النساء: ١] اجْعَلُوا مَا ظَهَرَ مِنْكُمْ، وَقَايَةَ

لِرَبِّكُمْ، وَاجْعَلُوا مَا بَطَنَ مِنْكُمْ — وَهُوَ رَبُّكُمْ — وَقَايَةَ لَكُمْ. فَإِنَّ الْأَمْرَ

ذَمٌّ وَحَمْدٌ. فَكُونُوا وَقَايَتَهُ فِي الذَّمِّ، وَاجْعَلُوهُ وَقَايَتَكُمْ فِي الْحَمْدِ، تَكُونُوا

أَدَبَاءً عَالِمِينَ.

29

ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى أَطْلَعَهُ عَلَى مَا أودَعَ فِيهِ، وَجَعَلَ ذَلِكَ فِي قَبْضَتَيْهِ: الْقَبْضَةُ
الْوَا حِدَةً فِيهَا الْعَالَمُ. وَالْقَبْضَةُ الْآخَرَى: أَدَمُ وَبَنُوهُ. وَبَيْنَ مَرَاتِبِهِمْ فِيهِ.

قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَلَمَّا أَطْلَعَنِي اللَّهُ — فِي سِرِّي — عَلَى مَا أودَعَ
فِي هَذَا الْإِمَامِ الْوَا لِذِي الْأَكْبَرِ، جَعَلْتُ فِي هَذَا الْكِتَابِ مِنْهُ مَا حَدَّثَ لِي، لَا مَا
وَقَفْتُ عَلَيْهِ. فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَسَعُهُ كِتَابٌ [٦ وجه] وَلَا الْعَالَمُ الْمَوْجُودُ الْآنَ.
فَمِمَّا شَهِدْتُهِ مِمَّا نُوِّدُ عَنْهُ فِي هَذَا الْكِتَابِ، كَمَا حَدَّثَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

[١] حِكْمَةُ الْإِلَهِيَّةِ فِي كَلِمَةِ آدَمِيَّةٍ. وَهُوَ هَذَا الْبَابُ.

[٢] ثُمَّ حِكْمَةُ نَفْثِيَّةٍ فِي كَلِمَةِ شَيْثَانِيَّةٍ.

[٣] ثُمَّ حِكْمَةُ سُبُو حِيَّةٍ فِي كَلِمَةِ نُوحِيَّةٍ.

[٤] ثُمَّ حِكْمَةُ قُدُّو سِيَّةٍ فِي كَلِمَةِ إِدْرِيسِيَّةٍ.

[٥] ثُمَّ حِكْمَةُ مُهَيْمِيَّةٍ فِي كَلِمَةِ إِبْرَاهِيمِيَّةٍ.

[٦] ثُمَّ حِكْمَةُ حَقِّيَّةٍ فِي كَلِمَةِ إِسْحَاقِيَّةٍ.

[٧] ثُمَّ حِكْمَةُ عَلِيَّةٍ فِي كَلِمَةِ إِسْمَاعِيلِيَّةٍ.

[٨] ثُمَّ حِكْمَةُ رُوحِيَّةٍ فِي كَلِمَةِ يَعْقُوبِيَّةٍ.

[٩] ثُمَّ حِكْمَةُ نُورِيَّةٍ فِي كَلِمَةِ يُوسُفِيَّةٍ.

[١٠] ثُمَّ حِكْمَةُ أَحَدِيَّةٍ فِي كَلِمَةِ هُودِيَّةٍ.

[١١] ثُمَّ حِكْمَةُ فَاتِحِيَّةٍ فِي كَلِمَةِ صَالِحِيَّةٍ.

[١٢] ثُمَّ حِكْمَةُ قَلْبِيَّةٍ فِي كَلِمَةِ شُعَيْبِيَّةٍ.

[١٣] ثُمَّ حِكْمَةُ مَلَكِيَّةٍ فِي كَلِمَةِ لُوطِيَّةٍ.

[١٤] ثُمَّ حِكْمَةُ قَدَرِيَّةٍ فِي كَلِمَةِ عِزْرِيَّةٍ.

[١٥] ثُمَّ حِكْمَةُ نَبَوِيَّةٍ فِي كَلِمَةِ عِيسَوِيَّةٍ.

[١٦] ثُمَّ حِكْمَةُ رَحْمَانِيَّةٍ فِي كَلِمَةِ سُلَيْمَانِيَّةٍ.

[١٧] ثُمَّ حِكْمَةٌ وَجُودِيَّةٌ فِي كَلِمَةِ دَاوُدَ يَّةٌ.

[١٨] ثُمَّ حِكْمَةٌ نَفْسِيَّةٌ فِي كَلِمَةِ يُوسُفَ يَّةٌ.

[١٩] ثُمَّ حِكْمَةٌ غَيْبِيَّةٌ فِي كَلِمَةِ أَيُّوبَ يَّةٌ.

[٢٠] ثُمَّ حِكْمَةٌ جَلَالِيَّةٌ فِي كَلِمَةِ يَحْيَى يَّةٌ.

[٢١] ثُمَّ حِكْمَةٌ مَا لِكِيَّةٌ فِي كَلِمَةِ زَكَرِيَّا يَّةٌ.

[٢٢] ثُمَّ حِكْمَةٌ إِنِنَا سِيَّةٌ فِي كَلِمَةِ إِلْيَا سِيَّةٌ.

[٢٣] ثُمَّ حِكْمَةٌ إِحْسَانِيَّةٌ فِي كَلِمَةِ لُقْمَا نِيَّةٌ.

[٢٤] ثُمَّ حِكْمَةٌ إِمَامِيَّةٌ فِي كَلِمَةِ هَارُونَ يَّةٌ.

[٢٥] ثُمَّ حِكْمَةٌ عُلُويَّةٌ فِي كَلِمَةِ مُوسَى يَّةٌ.

[٢٦] ثُمَّ حِكْمَةٌ صَمَدِيَّةٌ فِي كَلِمَةِ خَالِدِ يَّةٌ.

[٢٧] ثُمَّ حِكْمَةٌ فَرْدِيَّةٌ كُلِّيَّةٌ فِي كَلِمَةِ مُحَمَّدٍ يَّةٌ.

وَفَصُّ كُلِّ حِكْمَةٍ، الْكَلِمَةُ الَّتِي نُسِبَتْ إِلَيْهَا. فَأَقْتَصَرْتُ عَلَى مَا ذَكَرْتُه

مِنْ هَذِهِ الْحِكَمِ، فِي هَذَا الْكِتَابِ، عَلَى حَدِّ مَا ثَبَتَ فِي أَمِّ الْكِتَابِ.

فَأَمَّا مَثَلْتُ مَا رُسِمَ لِي، وَوَقَفْتُ عِنْدَ مَا حُدَّ لِي، وَلَوْ رُمْتُ زِيَادَةً عَلَى ذَلِكَ مَا

أَسْتَطَعْتُ، فَإِنَّ الْحَضْرَةَ تَمْنَعُ ذَلِكَ. وَاللَّهُ الْمُؤَفِّقُ لَا رَبَّ غَيْرُهُ.

[٦ ظهر]

وَمِنْ ذَلِكَ:

[بقية النص مكملة لهذه الصفحة في الصفحة التالية]

[٢] حِكْمَةٌ نَفْثِيَّةٌ فِي كَلِمَةِ شَيْثِيَّةٌ

أَعْلَمُ أَنَّ الْعَطَا يَا وَالْمِنْحَ الظَّاهِرَةَ فِي الْكَوْنِ — عَلَى أَيْدِي الْعِبَادِ وَعَلَى

غَيْرِ أَيْدِيهِمْ — عَلَى قِسْمَيْنِ: مِنْهَا، مَا تَكُونُ عَطَا يَا ذَاتِيَّةً وَعَطَا يَا أَسْمَاءِيَّةً،

وَيَتَمَيَّزُ عِنْدَ أَهْلِ الْأَذْوَاقِ.

كَمَا أَنَّ مِنْهَا مَا تَكُونُ عَنْ سُؤَالٍ فِي مُعَيَّنٍ، وَعَنْ سُؤَالٍ غَيْرِ مُعَيَّنٍ.

وَمِنْهَا: مَا لَا يَكُونُ عَنْ سُؤَالٍ، سَوَاءٌ كَأَنْتَ الْإِطْعِيَّةُ ذَا نِيَّةٍ أَوْ أَسْمَا نِيَّةٍ.

فَالْمُعَيَّنُ كَمَنْ يَقُولُ: « يَا رَبِّ أَعْطِنِي كَذَا ». فَيُعَيَّنُ أَمْرًا مَا، لَا يَخْطُرُ لَهُ سِوَاهُ. وَغَيْرُ الْمُعَيَّنِ كَمَنْ يَقُولُ: « يَا رَبِّ أَعْطِنِي مَا تَعْلَمُ فِيهِ مَصْلَحَتِي »، مِنْ غَيْرِ تَعْيِينٍ لِكُلِّ جُزْءٍ مِنْ ذَا تَبَيَّنَ، مِنْ لَطِيفٍ وَكَثِيفٍ.

33

وَالسَّائِلُونَ صِنْفَانِ: صِنْفٌ بَعَثَهُ عَلَى السُّؤَالِ الْإِسْتِعْجَالُ الطَّبِيعِيُّ. فَإِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ عَجُولًا.

وَالصَّنْفُ الْآخَرُ بَعَثَهُ عَلَى السُّؤَالِ، لَمَّا عَلِمَ أَنَّ تَمُّ أُمُورٍ عِنْدَ اللَّهِ قَدْ سَبَقَ الْعِلْمُ بِأَنَّهَا لَا تَنَالُ إِلَّا بَعْدَ سُؤَالٍ. فَنَقُولُ: فَلَعَلَّ مَا نَسَأَ لَهُ سُبْحًا نَهْ يَكُونُ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ، فَسُؤَالُهُ أَحْتِيَاطٌ لَمَّا هُوَ الْأَمْرُ عَلَيْهِ مِنَ الْإِمْكَانِ، وَهُوَ لَا يَعْلَمُ مَا فِي عِلْمِ اللَّهِ، وَلَا مَا يُعْطِيهِ اسْتِعْدَادُهُ فِي الْقَبُولِ؛ لِأَنَّهُ مِنْ أَعْمَاضِ الْمَعْلُومَاتِ، الْوُقُوفُ فِي كُلِّ زَمَانٍ فَرْدٍ عَلَى اسْتِعْدَادِ الشَّخْصِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ.

34

وَلَوْلَا مَا أَعْطَاهُ الْإِسْتِعْدَادُ، السُّؤَالُ مَا سَأَلَ.

فَعَايَةُ أَهْلِ الْحُضُورِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ هَذَا، أَنْ يَعْلَمُوهُ فِي الزَّمَانِ الَّذِي يَكُونُونَ فِيهِ، فَإِنَّهُمْ لِحُضُورِهِمْ يَعْلَمُونَ مَا أَعْطَاهُمْ الْحَقُّ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَأَنَّهُمْ مَا قَبِلُوهُ إِلَّا بِالْإِسْتِعْدَادِ.

وَهُمْ صِنْفَانِ: صِنْفٌ يَعْلَمُونَ مِنْ قَبْلِ لَهْمِ اسْتِعْدَادِهِمْ، وَصِنْفٌ يَعْلَمُونَ مِنْ اسْتِعْدَادِهِمْ مَا يَقْبَلُونَهُ.

هَذَا أَتَمُّ مَا يَكُونُ فِي مَعْرِفَةِ الْإِسْتِعْدَادِ، فِي هَذَا الصَّنْفِ.

وَمِنْ هَذَا الصَّنْفِ مَنْ يَسْأَلُ لَا لِلْإِسْتِعْجَالِ وَلَا لِلْإِمْكَانِ، وَإِنَّمَا يَسْأَلُ أَمْتِيًّا لِأَمْرِ اللَّهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَدْعُوْنِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [سورة غافر: ٦٠] فَهُوَ الْعَبْدُ الْمَحْضُ.

وَلَيْسَ لِهَذَا الدَّاعِي هِمَّةٌ مَتَعَلِّقَةٌ [٧وجهه] فِيمَا سَأَلَ فِيهِ مِنْ مُعَيَّنٍ أَوْ غَيْرِ

35

مُعِينٍ، وَإِنَّمَا هِمَّتْهُ فِي أَمْتِنَالِ أَوْ مِرِ سَيِّدِهِ.

فَإِذَا اقْتَضَى الْحَالُ السُّؤَالَ، سَأَلَ عُبُودَ يَهَّ. وَإِذَا اقْتَضَى التَّقْوِيضَ
وَالسَّكُوتَ، سَكَتَ.

فَقَدْ أَبْتَلَيْ أَيْوُبَ وَغَيْرُهُ، وَمَا سَأَلُوا رَفَعَ مَا بَنَلَا هُمُ اللَّهُ بِهِ. ثُمَّ اقْتَضَى
لَهُمُ الْحَالُ فِي زَمَانٍ آخَرَ، أَنْ يَسْأَلُوا رَفَعَ ذَلِكَ فَرَفَعَهُ اللَّهُ عَنْهُمْ.
وَأَلْتَعَجِيلُ بِاَلْمَسْئُولِ فِيهِ وَإِلَّا بَطَاءُ لِلْقَدَرِ الْمُعِينِ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ.

فَإِذَا وَافَقَ السُّؤَالُ الْوَقْتَ أَسْرَعَ بِالْإِجَابَةِ. وَإِذَا تَأَخَّرَ الْوَقْتُ — إِمَّا فِي
الدُّنْيَا وَمَا إِلَّا خَيْرَةً — تَأَخَّرَتِ الْإِجَابَةُ، أَيْ: الْمَسْئُولُ فِيهَا
إِلَّا جَابَةً الَّتِي هِيَ لَبَّيْكَ مِنَ اللَّهِ. فَا فَهُمْ هَذَا.

وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي وَهُوَ قَوْلُنَا: «وَمِنْهَا مَا لَا يَكُونُ عَنِ السُّؤَالِ»، فَالَّذِي
يَكُونُ عَنْ سُؤَالٍ، فَإِنَّمَا أُرِيدَ بِالسُّؤَالِ التَّلَفُّظُ بِهِ، فَإِنَّهُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ لَا بُدَّ
مِنْ سُؤَالٍ، إِمَّا بِاللَّفْظِ، أَوْ بِالْحَالِ، أَوْ بِالْاِسْتِعْدَادِ.

كَمَا أَنَّهُ لَا يَصِحُّ حَمْدُ مُطْلَقٍ قَطُّ، إِلَّا فِي اللَّفْظِ. وَأَمَّا فِي الْمَعْنَى، فَلَا
بُدَّ أَنْ يُقَيِّدَهُ الْحَالُ، فَالَّذِي يَبْعَثُكَ عَلَى حَمْدِ اللَّهِ هُوَ الْمُقَيِّدُ لَكَ بِاسْمِ
فِعْلٍ أَوْ بِاسْمِ تَنْزِيهِ.

وَالْاِسْتِعْدَادُ مِنَ الْعَبْدِ لَا يَشْعُرُ بِهِ صَاحِبُهُ، وَيَشْعُرُ بِالْحَالِ؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ
الْبَاطِنَ، وَهُوَ الْحَالُ. فَالْاِسْتِعْدَادُ أَخْفَى سُؤَالٍ.

وَإِنَّمَا يَمْنَعُ هَؤُلَاءِ مِنَ السُّؤَالِ، عِلْمُهُمْ بِأَنَّ اللَّهَ فِيهِمْ سَابِقَةٌ قَضَاءٍ. فَهُمْ قَدْ
هَيَّأُوا مَحَلَّهُمْ لِقَبُولِ مَا يَرِدُ مِنْهُ، وَقَدْ غَا بُوَا عَنْ نَفْسِهِمْ وَأَغْرَا ضِيَهُمْ.

وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ عِلْمَ اللَّهِ بِهِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ، هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ

فِي حَالِ ثُبُوتِ عَيْنِهِ، قَبْلَ وُجُودِهَا، وَيَعْلَمُ أَنَّ الْحَقَّ لَا يُعْطِيهِ إِلَّا مَا عَطَاهُ

عَيْنُهُ مِنَ الْعِلْمِ بِهِ، وَهُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ فِي حَالِ ثُبُوتِهِ، فَيَعْلَمُ عِلْمَ اللَّهِ بِهِ، مِنْ

أَيَّنَ حَصَلَ. وَمَا تَمَّ صِنْفُ مَنْ أَهْلِ اللَّهِ أَعْلَى وَأَكْشَفُ مِنْ هَذَا الصَّنْفِ. فَهُمْ

الْوَا قِفُونَ عَلَى سِرِّ الْقَدَرِ.

وَهُمْ عَلَى قِسْمَيْنِ: مِنْهُمْ مَنْ يَعْلَمُ ذَلِكَ مُجْمَلًا، [٧ ظهر] وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْلَمُهُ مُفَصَّلًا. وَالَّذِي يَعْلَمُهُ مُفَصَّلًا أَعْلَى وَأَتْمُّ مِنَ الَّذِي يَعْلَمُهُ مُجْمَلًا؛ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي عِلْمِ اللَّهِ فِيهِ، إِمَّا بِإِعْلَامِ اللَّهِ إِيَّاهُ، بِمَا أَعْطَاهُ عَيْنُهُ مِنَ الْعِلْمِ بِهِ.

37 وَإِذَا مَا أَنْ يَكْشِفَ لَهُ عَنْ عَيْنِهِ الثَّابِتَةَ، وَانْتِقَالَاتِ الْأَحْوَالِ عَلَيْهَا إِلَى مَا لَا يَتَنَا هِيَ وَهُوَ أَعْلَى، فَإِنَّهُ يَكُونُ فِي عِلْمِهِ بِنَفْسِهِ بِمَنْزِلَةِ عِلْمِ اللَّهِ بِهِ؛ لِأَنَّ الْأَخْذَ مِنْ مَعْدِنٍ وَاحِدٍ.

إِلَّا أَنَّهُ مِنْ جِهَةِ الْعَبْدِ عِنَايَةً مِنَ اللَّهِ سَبَقَتْ لَهُ، هِيَ مِنْ جُمْلَةِ أَحْوَالِ عَيْنِهِ، يَعْرِفُهَا صَاحِبُ هَذَا الْكَشْفِ إِذَا أَطْلَعَهُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ — أَيْ: عَلَى أَحْوَالِ عَيْنِهِ — فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي وَسْعِ الْمَخْلُوقِ إِذَا أَطْلَعَهُ اللَّهُ عَلَى أَحْوَالِ عَيْنِهِ الثَّابِتَةِ الَّتِي تَقَعُ صُورَةُ الْوُجُودِ عَلَيْهَا، أَنْ يَطَّلِعَ فِي هَذِهِ الْحَالِ عَلَى أَطْلَاعِ الْحَقِّ عَلَى هَذِهِ الْأَعْيَانِ الثَّابِتَةِ فِي حَالِ عَدَمِهَا؛ لِأَنَّهَا نَسَبُ ذَاتِ تَبَيُّهُ لَا صُورَةَ لَهَا.

فَبِهَذَا الْقَدَرِ نَقُولُ إِنَّ الْعِنَايَةَ إِلَّا لِهَيْئَةٍ سَبَقَتْ لِهَذَا الْعَبْدِ بِهَذِهِ الْمَسَاوَاةِ فِي إِفَادَةِ الْعِلْمِ.

38 وَمِنْ هُنَا نَقُولُ: «اللَّهُ»، ﴿حَتَّى نَعْلَمَ﴾ [سورة محمد: ٣١] وَهِيَ كَلِمَةٌ مُحَقَّقَةٌ الْمَعْنَى، مَا هِيَ كَمَا يَتَوَهَّمُ مَنْ لَيْسَ لَهُ هَذَا الْمَشْرَبُ.

وَعَايَةُ الْمُنْزَرِ أَنْ جَعَلَ ذَلِكَ الْحُدُوثَ فِي الْعِلْمِ لِلتَّعَلُّقِ وَهُوَ أَعْلَى وَجْهِهُ يَكُونُ لِلْمُتَكَلِّمِ بِعَقْلِهِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، لَوْلَا أَنَّهُ أَتَتْ الْعِلْمَ زَائِدًا عَلَى الذَّاتِ، فَجَعَلَ التَّعَلُّقَ لَهُ لَا لِلذَّاتِ، وَبِهَذَا أَنْفَصَلَ عَنِ الْمُحَقَّقِ مِنْ أَهْلِ اللَّهِ صَاحِبِ الْكَشْفِ وَالْوُجُودِ.

ثُمَّ نَرْجِعُ إِلَى الْأَعْطِيَّاتِ، فَنَقُولُ إِنَّ الْأَعْطِيَّاتِ إِمَّا ذَاتِ تَبَيُّهُ أَوْ أَسْمَاءَ تَبَيُّهُ.

فَأَمَّا الْمِنْحُ وَالْهَبَاتُ وَالْعَطَا يَا الذَّا تِيَّةَ فَلَا تَكُونُ أَبَدًا إِلَّا عَنْ تَجَلٍّ إِلَهِيٍّ،
وَالْتَجَلِّي مِنَ الذَّاتِ لَا يَكُونُ أَبَدًا إِلَّا بِصُورَةٍ أَسْتَعْدَادِ الْمُتَجَلِّي لَهُ؛ غَيْرُ ذَلِكَ
لَا يَكُونُ. فَإِذَا الْمُتَجَلِّي لَهُ مَا رَأَى سِوَى صُورَتِهِ فِي مِرَاةِ الْحَقِّ.

وَمَا رَأَى الْحَقَّ وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَرَاهُ، مَعَ عِلْمِهِ [٨ وجه] أَنَّهُ مَا رَأَى صُورَتَهُ
إِلَّا فِيهِ، كَمَا لِمِرَاةٍ فِي الشَّاهِدِ، إِذَا رَأَى الصُّورَ فِيهَا لَا تَرَاهَا، مَعَ عِلْمِكَ أَنَّكَ
مَا رَأَى يَتِ الصُّورَ، أَوْ صُورَتَكَ إِلَّا فِيهَا.

فَأَبْرَزَ اللَّهُ ذَلِكَ مِثَالًا نَصَبَهُ لِتَجَلِّيهِ الذَّا تِي لِيَعْلَمَ الْمُتَجَلِّي لَهُ مَا رَأَاهُ.
وَمَا تَمَّ مِثَالُ اقْتِرَابٍ وَلَا أَشْبَهُ بِالرُّؤْيَةِ وَالتَّجَلِّي مِنْ هَذَا. وَأَجْهَدُ فِي
نَفْسِكَ عِنْدَ مَا تَرَى الصُّورَةَ فِي الْمِرَاةِ، أَنْ تَرَى جِرْمَ الْمِرَاةِ، لَا تَرَاهُ أَبَدًا
الْبَتَّةَ، حَتَّى إِنْ بَعْضُ مَنْ أَدْرَكَ مِثْلَ هَذَا فِي صُورِ الْمِرَاةِ، ذَهَبَ إِلَى أَنَّ
الصُّورَةَ الْمَرْئِيَّةَ بَيْنَ بَصَرِ الرَّائِي، وَبَيْنَ الْمِرَاةِ.

39

هَذَا أَعْظَمُ مَا قَدَرَ عَلَيْهِ مِنَ الْعِلْمِ، وَالْأَمْرُ كَمَا قُلْنَا، وَذَهَبْنَا إِلَيْهِ. وَقَدْ بَيَّنَّا
هَذَا فِي الْفُتُوحَاتِ الْمَكِّيَّةِ.

وَإِذَا دُنِقَتْ هَذَا، دُنِقَتِ الْغَايَةُ الَّتِي لَيْسَ فَوْقَهَا غَايَةٌ فِي حَقِّ الْمَخْلُوقِ،
فَلَا تَطْمَعُ، وَلَا تُتَعَبُ نَفْسُكَ فِي أَنْ تَرْقَى فِي أَعْلَى مِنْ هَذَا الدَّرَجِ، فَمَا
هُوَ تَمَّ أَصْلًا، وَمَا بَعْدَهُ إِلَّا الْعَدَمُ الْمَحْضُ.

40

فَهُوَ مِرَاةٌ تَكُنْ فِي رُؤْيِكَ نَفْسَكَ وَأَنْتَ مِرَاةٌ فِي رُؤْيِيهِ أَسْمَاءُهُ، وَظُهُورُ
أَحْكَامِهَا.

وَلَيْسَتْ سِوَى عَيْنِهِ.

فَأَخْتَلَطَ الْأَمْرُ وَانْبَهَمَ: فَمِمَّا مَنْ جَهَلَ فِي عِلْمِهِ، فَقَالَ: «وَالْعَجْزُ عَنْ
دَرْكِ الْإِدْرَاكِ إِدْرَاكٌ». وَمِمَّا مَنْ عِلِمَ، فَلَمْ يَقُلْ مِثْلَ هَذَا، وَهُوَ أَعْلَى
الْقَوْلِ.

بَلْ أَعْطَاهُ الْعِلْمُ السُّكُوتَ، مَا أَعْطَاهُ الْعَجْزُ.

وَهَذَا هُوَ أَعْلَىٰ عَالِمٍ بِاللَّهِ، وَلَيْسَ هَذَا الْعِلْمُ إِلَّا لِخَاتَمِ الرُّسُلِ، وَخَاتَمِ
الْأَوْلِيَاءِ.

وَمَا يَرَاهُ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَالرُّسُلِ إِلَّا مِنْ مِشْكَاةِ الرَّسُولِ الْخَتَمِ.
وَلَا يَرَاهُ أَحَدٌ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ مِنْ مِشْكَاةِ الْوَلِيِّ الْخَاتَمِ — حَتَّىٰ إِنَّ الرُّسُلَ لَا
يَرَوْنَهُ مَتَىٰ رَأَوْهُ — إِلَّا مِنْ مِشْكَاةِ خَاتَمِ الْأَوْلِيَاءِ.

فَإِنَّ الرُّسُلَ سَالَةً وَالنُّبُوَّةَ — أَعْنِي: نُبُوَّةَ التَّشْرِيعِ وَرِسَالَتَهُ — تَنْقَطِعَانِ،
وَالْوَلَايَةُ لَا تَنْقَطِعُ أَبَدًا.

فَالرُّسُلُونَ مِنْ كَوْنِهِمْ أَوْلِيَاءٌ لَا يَرَوْنَ مَا ذَكَرْنَاهُ إِلَّا مِنْ مِشْكَاةِ خَاتَمِ
الْأَوْلِيَاءِ، فَكَيْفَ مِنْ دُونِهِمْ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ؟!

[٨ ظهر] وَإِنْ كَانَ خَاتَمُ الْأَوْلِيَاءِ تَابِعًا فِي الْحُكْمِ لِمَا جَاءَهُ بِهِ خَاتَمُ
الرُّسُلِ مِنَ التَّشْرِيعِ، فَذَلِكَ لَا يَقْدَحُ فِي مَقَامِهِ، وَلَا يُنَاقِضُ مَا ذَهَبْنَا إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ
مِنْ وَجْهِ يَكُونُ أَنْزَلَ، كَمَا أَنَّهُ مِنْ وَجْهِ يَكُونُ أَعْلَىٰ، وَقَدْ ظَهَرَ فِي ظَاهِرِ
شَرْعِنَا مَا يُؤَيِّدُ مَا ذَهَبْنَا إِلَيْهِ فِي فَضْلِ عُمَرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْوَلَدِ بِأَلْحُكْمِ فِيهِمْ،
وَفِي تَأْيِيدِ النَّخْلِ.

فَمَا يَلْزَمُ الْكَامِلَ أَنْ يَكُونَ لَهُ التَّقَدُّمُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَفِي كُلِّ مَرْتَبَةٍ،
وَإِنَّمَا نَظَرَ الرَّجُلُ جَالًّا إِلَى التَّقَدُّمِ فِي رُتَبِ الْعِلْمِ بِاللَّهِ: هُنَا لِكَ مَطْلَبُهُمْ.
وَأَمَّا حَوَادِثُ الْأَكْوَانِ، فَلَا تَعْلُقُ لِخَوَاتِمِهِمْ بِهَا، فَتَحَقِّقْ مَا ذَكَرْنَاهُ.
وَلَا مَثَلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّبُوَّةَ بِأَلْحَا بَطْنِ مِنَ اللَّيْنِ، وَقَدْ كَمَلَ
سَوَىٰ مَوْضِعِ لَبْنَةٍ، فَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِلْكَ اللَّبْنَةَ، غَيْرَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَرَاهَا إِلَّا كَمَا قَالَ: «لَبْنَةٌ وَاحِدَةٌ». وَأَمَّا خَاتَمُ الْأَوْلِيَاءِ،
فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ هَذِهِ الرُّوْيَا، فَيَرَىٰ مَا مَثَلُهُ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
وَيَرَىٰ فِي الْحَا بَطْنِ مَوْضِعِ لَبْنَتَيْنِ، وَاللَّيْنُ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ، فَيَرَىٰ اللَّيْنَتَيْنِ
الَّتَيْنِ يَنْقُصُ الْحَا بَطْنُ عَنْهُمَا وَيَكْمُلُ بِهِمَا لَبْنَةٌ فِضَّةٌ وَلَبْنَةٌ ذَهَبٌ، فَلَا بُدَّ أَنْ

يَرَى نَفْسَهُ تَنْطَبِعُ فِي مَوْضِعِ تَيْنِكَ اللَّيْتَيْنِ، فَيَكُونُ خَا تَمِ الْأَوَّلِيَاءِ تَيْنِكَ
اللَّيْتَيْنِ، فَيَكْمُلُ الْحَا بِطُ.

وَالسَّبَبُ الْمَوْجِبُ لِكَوْنِهِ يَرَاهَا لَيْتَيْنِ، أَنَّهُ تَابِعٌ لِشَرْعِ خَا تَمِ الرُّسُلِ فِي
الظَّاهِرِ، وَهُوَ مَوْضِعُ اللَّيْنَةِ الْفَضِيَّةِ، وَهُوَ ظَاهِرُهُ، وَمَا يَتَّبَعُهُ فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ،
كَمَا هُوَ أَخَذَ عَنِ اللَّهِ فِي السِّرِّ، مَا هُوَ بِأَلْصُورَةِ الظَّاهِرَةِ مُتَّبِعٌ فِيهِ لِأَنَّهُ يَرَى
الْأَمْرَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَرَاهُ هَكَذَا، وَهُوَ مَوْضِعُ اللَّيْنَةِ الذَّاهِبَةِ فِي
الْبَاطِنِ، فَإِنَّهُ أَخَذَ مِنَ الْمَعْدَنِ الَّذِي يَأْخُذُ مِنْهُ الْمَلِكُ الَّذِي يُوحِي بِهِ إِلَى
الرَّسُولِ، فَإِنْ فَهِمْتَ مَا شَرْتُ بِهِ، فَقَدْ حَصَلَ لَكَ الْعِلْمُ النَّافِعُ.

فَكُلُّ نَبِيٍّ مِنْ لَدُنْ آدَمَ [٩ وجه] إِلَى آخِرِ نَبِيِّ مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ يَأْخُذُ إِلَّا
مِنْ مِشْكَاتِ خَا تَمِ النَّبِيِّينَ، وَإِنْ تَأَخَّرَ وُجُودُ طِينَتِهِ، فَإِنَّهُ بِحَقِيقَتِهِ مَوْجُودٌ، وَهُوَ
قَوْلُهُ: «كُنْتُ نَبِيًّا، وَآدَمُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ»، وَغَيْرُهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَا كَانَ نَبِيًّا
إِلَّا حِينَ بُعِثَ.

وَكَذَلِكَ خَا تَمِ الْأَوَّلِيَاءِ، كَانَ وَلِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ، وَغَيْرُهُ مِنَ
الْأَوَّلِيَاءِ مَا كَانَ وَلِيًّا إِلَّا بَعْدَ تَحْصِيلِهِ شَرَا بَطِ الْوَلَايَةِ مِنَ الْخَلْقِ إِلَّا لِهَيْئَةٍ
فِيهَا تُصَافِ بِهَا مِنْ كَوْنِ اللَّهِ تَسْمَى بِـ«الْوَلِيِّ الْحَمِيدِ».

فَخَا تَمِ الرُّسُلِ مِنْ حَيْثُ وَلَا يَتُّهُ، نِسْبَتُهُ مَعَ الْخَنْمِ لِلْوَلَايَةِ نِسْبَةُ الْأَنْبِيَاءِ
وَالرُّسُلِ مَعَهُ، فَإِنَّهُ الْوَلِيُّ الرَّسُولُ النَّبِيُّ، وَخَا تَمِ الْأَوَّلِيَاءِ الْوَلِيُّ الْوَارِثُ
إِلَّا خِذْ عَنِ الْأَصْلِ الْمُشَاهِدِ لِلْمَرَاتِبِ.

وَهُوَ حَسَنَةٌ مِنْ حَسَنَاتِ خَا تَمِ الرُّسُلِ، مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُقَدَّمُ
الْجَمَاعَةِ، وَسَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ فِي فَتْحِ بَابِ الشَّفَاعَةِ.
فَعَيْنٌ حَالًا خَا صًّا، مَا عَمَمَ.

وَفِي هَذَا الْحَالِ الْخَاصِّ تَقَدَّمَ عَلَى الْأَسْمَاءِ إِلَّا لِهَيْئَةٍ. فَإِنَّ «الرَّحْمَنَ»،
مَا شَفَعَ عِنْدَ «الْمُنْتَقِمِ» فِي أَهْلِ الْبَلَاءِ، إِلَّا بَعْدَ شَفَاعَةِ الشَّا فَعَيْنَ، فَقَازَ مُحَمَّدٌ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِا لِسِّيَادَةِ فِي هَذَا الْمَقَامِ الْخَاصِّ. فَمَنْ فَهَمَ الْمَرَاتِبَ
وَالْمَقَامَاتِ، لَمْ يَعْسُرْ عَلَيْهِ قَبُولُ مِثْلِ هَذَا الْكَلَامِ.

وَأَمَّا الْمِنْحُ الْأَسْمَاءُ بَيِّنَةٌ: فَأَنَّ عِلْمَ أَنَّ مَنْحَ اللَّهِ تَعَالَى خَلَقَهُ رَحْمَةً مِنْهُمْ،
وَهِيَ كُلُّهَا مِنَ الْأَسْمَاءِ، فَإِنَّ رَحْمَةً خَاصَّةً، كَالطَّيِّبِ مِنَ الرِّزْقِ الَّذِي يَذِي فِي
الدُّنْيَا الْخَاصِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُعْطِي ذَلِكَ التَّاسِمُ «الرَّحْمَنُ»، فَهُوَ عَطَاءُ
رَحْمَانِيٍّ. وَإِنَّ رَحْمَةً مُمْتَزِجَةً، كَشُرْبِ الدَّوَاءِ الْكَرِهِ الَّذِي يَعْقُبُ شُرْبَهُ
الرَّاحَةُ، وَهُوَ عَطَاءُ إِلَهِيٍّ، فَإِنَّ الْعَطَاءَ إِلَّا إِلَهِيٍّ، لَا يَتِمَّكُنُ إِطْلَاقُ عَطَايِهِ مِنْهُ
مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ عَلَى يَدِ سَادِرٍ مِنْ سَدَنَةِ الْأَسْمَاءِ.

فَتَارَةً يُعْطِي اللَّهُ الْعَبْدَ عَلَى يَدَيْ «الرَّحْمَنِ»، فَيَخْلُصُ الْعَطَاءُ مِنَ
الشُّوْبِ الَّذِي لَا يُلَاقِي الطَّبْعَ فِي الْوَقْتِ [٩ ظهر] أَوْ لَا يُبَيِّنُ الْغَرَضَ وَمَا
أَشْبَهَ ذَلِكَ.

وَتَارَةً يُعْطِي اللَّهُ عَلَى يَدَيْ «الْوَاسِعِ» فَيَعْمُ.

أَوْ عَلَى يَدَيْ «الْحَكِيمِ» فَيَنْظُرُ فِي الْأَصْلَحِ فِي الْوَقْتِ.

أَوْ عَلَى يَدِ «الْوَاسِعِ» فَيُعْطِي لِيُنْعِمَ، لَا يَكُونُ مَعَ «الْوَاسِعِ» تَكْلِيفُ
الْمُعْطِي لَهُ بِعَوَضٍ عَلَى ذَلِكَ مِنْ شُكْرِ أَوْ عَمَلٍ.

أَوْ عَلَى يَدِ «الْجَبَّارِ» فَيَنْظُرُ فِي الْمَوْطِنِ وَمَا يَسْتَحِقُّهُ.

أَوْ عَلَى يَدِ «الْغَفَّارِ» فَيَنْظُرُ الْمَحَلَّ، وَمَا هُوَ عَلَيْهِ، فَإِنْ كَانَ عَلَى حَالٍ

يَسْتَحِقُّ الْعُقُوبَةَ فَيَسْتُرُهُ عَنْهَا، أَوْ عَلَى حَالٍ لَا يَسْتَحِقُّ الْعُقُوبَةَ فَيَسْتُرُهُ عَنْ

حَالٍ يَسْتَحِقُّ الْعُقُوبَةَ، فَيَسْمَى «مَعْصُومًا»، وَ«مُعْتَنَى بِهِ»، وَ«مَحْفُوظًا».

وَعَبَّرَ ذَلِكَ بِمَا يُشَاءُ كُلُّ هَذَا النَّوعِ.

وَالْمُعْطِي هُوَ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ مَا هُوَ خَازِنٌ لِمَا عِنْدَهُ فِي خَزَائِنِهِ، فَمَا

يُخْرِجُهُ ﴿إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [سورة الحجر: ٢١] عَلَى يَدَيْ أَسْمٍ خَاصٍّ بِذَلِكَ

الْأَمْرِ.

﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ [سورة طه: ٥٠] عَلَى يَدَيِ الْإِسْمِ «الْعَدَلِ»
وَإِخْوَانِهِ.

وَأَسْمَاءُ اللَّهِ وَإِنْ كَانَتْ لَا تَتَنَا هِيَ، لِأَنَّهَا تُعْلَمُ بِمَا يَكُونُ عَنْهَا — وَمَا
يَكُونُ عَنْهَا غَيْرُ مُتَنَاهٍ، وَإِنْ كَانَتْ تَرْجِعُ إِلَى أَصُولٍ مُتَنَاهٍ هِيَ — هِيَ أُمّهَاتُ
الْأَسْمَاءِ أَوْ حَضَرَاتُ الْأَسْمَاءِ.

وَعَلَى الْحَقِيقَةِ فَمَا تَمَّ إِلَّا حَقِيقَةُ وَاحِدَةٍ، تَقْبَلُ جَمِيعَ هَذِهِ النِّسَبِ
وَالْإِخْوَانِ فَاتِ التِّي يُكْنَى عَنْهَا بِالْأَسْمَاءِ إِلَّا لِهَيْئَةٍ.

وَالْحَقِيقَةُ تُعْطِي أَنْ يَكُونَ لِكُلِّ اسْمٍ يَظْهَرُ — إِلَى مَا لَا يَتَنَا هِيَ —
حَقِيقَةً يَتَمَيَّزُ بِهَا عَنْ اسْمٍ آخَرَ. تِلْكَ الْحَقِيقَةُ الَّتِي بِهَا يَتَمَيَّزُ هِيَ الْإِسْمُ
عَيْنُهُ، لَا مَا يَقَعُ فِيهِ الْإِسْمُ تَشْتَرَاكُ.

كَمَا أَنَّ الْأَعْطِيَّاتِ تَتَمَيَّزُ كُلُّ أُعْطِيَةٍ عَنْ غَيْرِهَا بِشَخْصِيَّتِهَا، وَإِنْ كَانَتْ
مِنْ أَصْلِ وَاحِدٍ، فَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذِهِ مَا هِيَ هَذِهِ الْآخَرَى، وَسَبَبُ ذَلِكَ تَمَيُّزُ
الْأَسْمَاءِ.

فَمَا فِي الْحَضَرَةِ إِلَّا لِهَيْئَةٍ لَا تُسَا عِهَا شَيْءٌ يَتَكَرَّرُ أَصْلًا. هَذَا هُوَ الْحَقُّ
الَّذِي يُعَوَّلُ عَلَيْهِ.

وَهَذَا الْعِلْمُ كَانَ عِلْمَ شَيْئٍ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — وَرَوْحُهُ هُوَ الْمِدُّ لِكُلِّ مَنْ
يَتَكَلَّمُ فِي مِثْلِ هَذَا مِنَ الْأَرْوَاحِ مَا عَدَا رُوحَ الْخَتَمِ، فَإِنَّهُ لَا تَأْتِيهِ الْمَادَّةُ إِلَّا
مِنْ اللَّهِ، لَا مِنْ رُوحٍ مِنَ الْأَرْوَاحِ، بَلْ مِنْ رُوحِهِ [١١ وجه] تُكُونُ الْمَادَّةُ
لِجَمِيعِ الْأَرْوَاحِ.

وَإِنْ كَانَ لَا يَعْقِلُ مِنْ نَفْسِهِ فِي زَمَانٍ تَرَى كَيْبَ جَسَدِهِ الْعُنْصُرِيِّ. فَهُوَ مِنْ
حَيْثُ حَقِيقَتُهُ وَرُبَّتُهُ عَالِمٌ بِذَلِكَ كُلِّهِ بِعَيْنِهِ، مِنْ حَيْثُ مَا هُوَ جَاهِلٌ بِهِ، مِنْ
جِهَةٍ تَرَى كَيْبَهُ الْعُنْصُرِيِّ.

فَهُوَ الْعَالِمُ الْجَاهِلُ، فَيَقْبَلُ الْإِتِّصَافَ بِالْأَضْدَادِ، كَمَا قَبِلَ الْإِتِّصَافُ

الَّا تَصَافَ بِذَلِكَ، كَ «الْجَلِيلِ»، وَكَ «الظَّاهِرِ»، وَ «الْبَاطِنِ»، وَ «الْأَوَّلِ»،
وَ «الْآخِرِ».

48

وَهُوَ عَيْنُهُ وَلَيْسَ غَيْرُهُ فَيَعْلَمُ لَا يَعْلَمُ، وَيَدْرِي لَا يَدْرِي، وَيَشْهَدُ لَا يَشْهَدُ.

وَبِهَذَا الْعِلْمُ سُمِّيَ «شَيْئًا»، لِأَنَّ مَعْنَاهُ: «هَبْهُ اللَّهُ».

فَبِيَدِهِ مِفْتَاحُ الْعَطَا يَا عَلَى اخْتِلَافِ أَصْنَافِهَا وَنَسَبِهَا.

فَإِنَّ اللَّهَ وَهَبَهُ لِأَدَمَ أَوَّلَ مَا وَهَبَهُ.

وَمَا وَهَبَهُ إِلَّا مِنْهُ، لِأَنَّ الْوَلَدَ سِرُّ أَبِيهِ، فَمِنْهُ خَرَجَ إِلَيْهِ وَعَادَ.

فَمَا آتَاهُ غَرِيبٌ لِمَنْ عَقَلَ عَنِ اللَّهِ.

وَكُلُّ عَطَاءٍ فِي الْكَوْنِ عَلَى هَذَا الْمَجْرَى.

فَمَا فِي أَحَدٍ مِنَ اللَّهِ شَيْءٌ، وَمَا فِي أَحَدٍ مِنْ سِوَى نَفْسِهِ شَيْءٌ، وَإِنْ

تَنَوَّعَتْ عَلَيْهِ الصُّوَرُ.

وَمَا كُلُّ أَحَدٍ يَعْرِفُ هَذَا، وَإِنْ الْأَمْرَ عَلَى ذَلِكَ، إِلَّا أَحَادٌ مِنْ أَهْلِ اللَّهِ.

فَإِذَا رَأَى يَتَمَنَّى أَنْ يَعْرِفَ ذَلِكَ فَأَعْتَمِدَ عَلَيْهِ.

فَذَلِكَ هُوَ عَيْنُ صَفَاءِ خَلَا صَةِ خَا صَةِ الْخَا صَةِ مِنْ عُمُومِ أَهْلِ اللَّهِ.

فَأَيُّ صَا حَبٍ كَشَفَ شَأْنَهُ صُورَةً تُلْقَى إِلَيْهِ مَا لَمْ يَكُنْ عَنْدهُ مِنْ

الْمَعَارِفِ وَتَمَنَّاهُ مَا لَمْ يَكُنْ قَبْلَ ذَلِكَ فِي يَدِهِ، فَتِلْكَ الصُّورَةُ عَيْنُهُ لَا غَيْرُ.

فَمِنْ شَجَرَةِ نَفْسِهِ جَنَى ثَمَرَةَ عِلْمِهِ.

كَأَنَّ لَصُورَةِ الظَّاهِرَةِ مِنْهُ فِي مَقَامِ بَلَةِ الْجِسْمِ الصَّقِيلِ لَيْسَ غَيْرُهُ، إِلَّا أَنَّ

الْمَحَلَّ أَوْ الْحَضْرَةَ الَّتِي رَأَى فِيهَا صُورَةَ نَفْسِهِ تُلْقَى إِلَيْهِ بِتَقَلُّبٍ مِنْ وَجْهِ

بِحَقِيقَةِ تِلْكَ الْحَضْرَةِ.

49

كَأَنَّهُ يَظْهَرُ الْكَبِيرُ فِي الْمِرَاةِ الصَّغِيرَةِ صَغِيرًا، وَالْمُسْتَطِيلَةُ مُسْتَطِيلًا،

وَالْمُتَحَرِّكَةُ مُتَحَرِّكًا. وَقَدْ تُعْطِيهِ أَنْتِكَاسُ صُورَتِهِ مِنْ حَضْرَةِ خَا صَةِ.

وَقَدْ تُعْطِيهِ عَيْنٌ مَا يَظْهَرُ مِنْهَا، فَيُقَافَى بِأَلِ الْيَمِينِ مِنْهَا، الْيَمِينُ مِنَ الرَّأْيِ.

وَقَدْ يُقَالُ بِلُ [١٠ ظهر] الْيَمِينِ، الْيَسَارَ، وَهُوَ الْغَالِبُ فِي الْمَرَايَا بِمَنْزِلَةِ الْعَادَةِ فِي الْعُمُومِ.

وَيَخْرُقُ الْعَادَةَ يُقَالُ بِلُ الْيَمِينِ الْيَمِينِ وَيُظْهَرُ اللَّائِي تَنَكَّاسُ.
وَهَذَا كُلُّهُ مِنْ أُعْطِيَاتِ حَقِيقَةِ الْحَضَرَةِ الْمُتَجَلِّي فِيهَا، الَّتِي أَنْزَلْنَا هَا مِنْزِلَةَ الْمَرَايَا.

فَمَنْ عَرَفَ اسْتِعْدَادَهُ، عَرَفَ قَبُولَهُ، وَمَا كُلُّ مَنْ عَرَفَ قَبُولَهُ، يَعْرِفُ اسْتِعْدَادَهُ، إِلَّا بَعْدَ الْقَبُولِ، وَإِنْ كَانَ يَعْرِفُهُ مُجْمَلًا.
إِلَّا أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ النَّظَرِ مِنْ أَصْحَابِ الْعُقُولِ الضَّعِيفَةِ يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ، لَمَّا ثَبَتَ عِنْدَهُ هُمْ أَنَّهُ فَعَالٌ لِمَا يَشَاءُ، جَوَّزُوا عَلَى اللَّهِ مَا يُنَاقِضُ الْحِكْمَةَ، وَمَا هُوَ إِلَّا مَرٌّ عَلَيْهِ فِي نَفْسِهِ.

وَلِهَذَا عَدَلَ بَعْضُ النَّظَّارِ إِلَى نَفْيِ الْإِمْكَانِ، وَإِثْبَاتِ الْوُجُوبِ بِالذَّاتِ وَبِالْغَيْرِ.

وَالْحَقُّ [أَوْ: وَالْمُحَقَّقُ] يُثَبِّتُ الْإِمْكَانَ وَيَعْرِفُ حَضَرَتَهُ، وَالْمُمْكِنُ مَا هُوَ الْمُمْكِنُ، وَمِنْ أَيْنَ هُوَ مُمْكِنٌ، وَهُوَ بَعِينُهُ وَاجِبٌ بِالْغَيْرِ، وَمِنْ أَيْنَ صَحَّ عَلَيْهِ اسْمُ «الْغَيْرِ» الَّذِي اقْتَضَى لَهُ الْوُجُوبَ، وَلَا يَعْلَمُ هَذَا التَّفْصِيلَ إِلَّا الْعُلَمَاءُ بِاللَّهِ خَاصَّةً.

وَعَلَى قَدَمِ شَيْئٍ يَكُونُ آخِرُ مَوْلُودٍ يُولَدُ مِنْ هَذَا النَّوعِ إِلَّا نَسَا نِيَّ. وَهُوَ حَا مِلْ أَسْرَارِهِ، وَلَيْسَ بَعْدَهُ وَلَدٌ فِي هَذَا النَّوعِ. فَهُوَ خَاتَمُ الْأَوْلَادِ، وَثَوَّلَ مَعَهُ أُخْتُ لَهُ فَتَخَرَّجَ قَبْلَهُ، وَيَخْرُجُ بَعْدَهَا، يَكُونُ رَأْسُهُ عِنْدَ رِجْلَيْهَا، وَيَكُونُ مَوْلِدُهُ بِالصَّيْنِ وَلُغَتُهُ لُغَةُ بَلَدِهِ. وَيَسْرِي الْعُقْمُ فِي الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ فَيَكْثُرُ النِّكَاحُ مِنْ غَيْرِ وَلَادَةٍ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ، فَلَا يُجَابُ فَإِذَا قَبَضَهُ اللَّهُ وَقَبَضَ مَوْلَاهُ مِنْ بَنِيهِ، بَقِيَ مَنْ بَقِيَ مِثْلَ الْبَهَائِمِ، لَا يُحِلُّونَ حَلَالًا، وَلَا يُحَرِّمُونَ حَرَامًا، يَتَصَرَّفُونَ بِحُكْمِ الطَّبِيعَةِ شَهْوَةً مُجَرَّدَةً عَنِ الْعَقْلِ وَالشَّرْعِ

فَعَلَيْهِمْ نَقُومُ السَّاعَةَ.

51

[٣] ﴿ فَصَّ حِكْمَةَ سُبُو حِيَّةٍ فِي كَلِمَةٍ نُوحِيَّةٍ ﴾

أَعْلَمَ أَنَّ التَّنَزُّيَةَ عِنْدَ أَهْلِ الْحَقِّ بَقِي فِي الْجَنَابِ إِلَّا لِهَيِّ عَيْنِ التَّحْدِيدِ
وَالْتَفْقِيدِ. فَالْمُنَزَّهَةُ إِمَّا جَاهِلٌ وَإِمَّا صَاحِبٌ سُوءِ أَدَبٍ.

وَلَكِنْ إِذَا أَطْلَقَاهُ [١١ وجه] وَقَالَا بِهِ، فَالْقَائِلُ بِالشَّرِّ بَعْدَ الْمُؤْمِنِ إِذَا
نَزَّهَ وَوَقَّفَ عِنْدَ التَّنَزُّيَةِ وَلَمْ يَرِ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ أَسَاءَ الْأَدَبَ، وَأَكْذَبَ
الْحَقَّ، وَالرُّسُلَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَهُوَ لَا يَشْعُرُ، وَيَتَخَيَّلُ أَنَّهُ فِي الْحَاصِلِ
وَهُوَ فِي الْفَاقَةِ. وَهُوَ كَمَنْ آمَنَ بِبَعْضٍ وَكَفَرَ بِبَعْضٍ.

52

وَلَا سِيَّمًا وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ أَلْسِنَةَ الشَّرِّ بَعْدَ إِلَّا لِهَيَّةٍ إِذَا نَطَقَتْ فِي الْحَقِّ تَعَالَى
بِمَا نَطَقَتْ بِهِ إِنَّمَا جَاءَتْ بِهِ فِي الْعُمُومِ عَلَى الْمَفْهُومِ الْأَوَّلِ، وَعَلَى
الْخُصُوصِ عَلَى كُلِّ مَفْهُومٍ يُفْهَمُ مِنْ وَجْهِ ذَلِكَ اللَّفْظِ بِأَيِّ لِسَانٍ كَانَ فِي
وَضَعِ ذَلِكَ اللَّسَانِ.

فَإِنَّ لِلْحَقِّ فِي كُلِّ خَلْقٍ ظُهُورًا.

فَهُوَ الظَّاهِرُ فِي كُلِّ مَفْهُومٍ، وَهُوَ الْبَاطِنُ عَنْ كُلِّ فَهْمٍ، إِلَّا عَنْ فَهْمٍ مَنْ
قَالَ إِنَّ الْعَالَمَ صُورَةٌ تَهْوِي وَهُوَ يَتَهْوَى.

وَهُوَ الِاسْمُ الظَّاهِرُ، كَمَا أَنَّهَ بِالْمَعْنَى رُوحٌ مَا ظَهَرَ فَهُوَ الْبَاطِنُ.

فَنِسْبَتُهُ لِمَا ظَهَرَ مِنْ صُورِ الْعَالَمِ نِسْبَةُ الرُّوحِ الْمَدْبُرِ لِلصُّورَةِ.

فَيُؤْخَذُ فِي حَدِّ الْإِنْسَانِ مَثَلًا بِأَطْنَهَ وَظَاهِرُهُ، وَكَذَلِكَ كُلُّ مَحْدُودٍ.

فَالْحَقُّ مَحْدُودٌ بِكُلِّ حَدٍّ.

وَصُورُ الْعَالَمِ لَا تَنْخَبِطُ وَلَا يُحَاطُ بِهَا وَلَا تُعْلَمُ حُدُودُ كُلِّ صُورَةٍ مِنْهَا،

إِلَّا عَلَى قَدَرِ مَا حَصَلَ لِكُلِّ عَالَمٍ مِنْ صُورٍ. فَكَذَلِكَ يُجْهَلُ حَدُّ الْحَقِّ فَإِنَّهُ لَا

يُعْلَمُ حَدُّهُ إِلَّا بِعِلْمِ حَدِّ كُلِّ صُورَةٍ، وَهَذَا مُحَالٌ حُصُولُهُ: فَحَدُّ الْحَقِّ مُحَالٌ.

وَكَذَلِكَ مَنْ شَبَّهَهُ وَمَا نَزَّ هُوَ فَقَدْ قَيَّدَهُ وَحَدَّدَهُ وَمَا عَرَفَهُ. وَمَنْ جَمَعَ فِي

مَعْرِفَتِهِ بَيْنَ التَّنَزُّيَةِ وَالتَّشْبِيهِ وَوَصْفِهِ بِأَوْصَافٍ عَلَى الْإِجْمَالِ — لِأَنَّهُ
يَسْتَحِيلُ ذَلِكَ عَلَى التَّفْصِيلِ لِغَدَمِ الْإِحَاطَةِ بِمَا فِي الْعَالَمِ مِنَ الصُّوَرِ —
فَقَدْ عَرَفَهُ مُجْمَلًا — لَا عَلَى التَّفْصِيلِ — كَمَا عَرَفَ نَفْسَهُ مُجْمَلًا لَا عَلَى
التَّفْصِيلِ.

53

وَلِذَا لَكَ رَبُّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعْرِفَةُ الْحَقِّ بِمَعْرِفَةِ النَّفْسِ
فَقَالَ: « مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ ».

وَقَالَ: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ ﴾ [سورة فصلت: ٥٣] وَهُوَ مَا خَرَجَ
عَنْكَ ﴿ وَفِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ [سورة فصلت: ٥٣] وَهُوَ عَيْنُكَ ﴿ حَتَّى يَتَبَيَّنَ
لَهُمْ ﴾ [سورة فصلت: ٥٣] أَيْ: النَّاطِرُ ﴿ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾. [سورة فصلت: ٥٣] [١١]
ظَهَرَ مِنْ حَيْثُ إِنَّكَ صُورَتُهُ وَهُوَ رُوحُكَ.

54

فَأَنَّتَ لَهُ كَالصُّورَةِ الْجِسْمِيَّةِ لَكَ، وَهُوَ لَكَ كَالرُّوحِ الْمُدَبَّرِ لِصُورَةِ
جَسَدِكَ.

وَالْحَدُّ يَشْمَلُ الظَّاهِرَ وَالْبَاطِنَ مِنْكَ، فَإِنَّ الصُّورَةَ الْبَاقِيَّةَ إِذَا زَالَ عَنْهَا
الرُّوحُ الْمُدَبَّرُ لَهَا لَمْ يَبْقَ إِنْسَانًا، وَلَكِنْ يُقَالُ فِيهَا إِنَّهَا صُورَةٌ تُشَبِّهُ صُورَةَ
الْإِنْسَانِ، فَلَا فَرْقَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ صُورَةٍ مِنْ خَشَبٍ أَوْ حِجَارَةٍ. وَلَا يُطْلَقُ عَلَيْهَا
أَسْمُ الْإِنْسَانِ إِلَّا بِالْمَجَازِ، لَا بِالْحَقِيقَةِ.

55

وَصُورُ الْعَالَمِ لَا يُمْكِنُ زَوَالُ الْحَقِّ عَنْهَا أَصْلًا.
فَحَدُّ الْأُلُوْهِيَّةِ لَهُ بِالْحَقِيقَةِ، لَا بِالْمَجَازِ، كَمَا هُوَ حَدُّ الْإِنْسَانِ إِذَا كَانَ
حَيًّا.

وَكَمَا أَنَّ ظَاهِرَ صُورَةِ الْإِنْسَانِ تُشَبِّهُ بِإِنْسَانٍ عَلَى رُوحِهَا وَنَفْسِهَا.
وَالْمُدَبَّرُ لَهَا، كَذَا لَكَ جَعَلَ اللَّهُ صُورَةَ الْعَالَمِ تَسْبِيحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا يَفْقَهُ
تَسْبِيحَهُمْ، لِأَنَّا لَا نُحِيطُ بِمَا فِي الْعَالَمِ مِنَ الصُّوَرِ.

فَالِكُلِّ أَلْسِنَةٍ الْحَقُّ نَاطِقٌ بِالنَّهَاءِ عَلَى الْحَقِّ. وَلِذَا لَكَ قَالَ: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ

رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿﴾، [سورة لفا تحة: ٢] أَي: إِلَيْهِ تُرْجَعُ عَوَا قِبُ الثَّنَاءِ، فَهُوَ الْمُثْنِي
وَالْمُثْنَى عَلَيْهِ:

56

[الطويل]

١- فَإِنْ قُلْتَ بِا لْتَنَزِرِ يَه كُنْتَ مُقَيِّدًا وَإِنْ قُلْتَ بِا لْتَشْبِيهِ كُنْتَ مُحَدِّدًا

٢- وَإِنْ قُلْتَ بِا لْمَرَيْنِ كُنْتَ مُسَدِّدًا
٣- فَمَنْ قَالَ بِا لَشَفَاعِ كَانَ مُشَرِّكًَا
٤- فَإِيَّاكَ وَا لْتَشْبِيهِ إِنْ كُنْتَ ثَا نِيًا
٥- فَمَا أَنْتَ ه بَلْ أَنْتَ هُوَ تَرَاهُ فِي

وَكُنْتَ إِمَّا مَا فِي الْمَعَارِفِ سَيِّدًا
وَمَنْ قَالَ بِا لْفَرَادِ كَانَ مُوَحِّدًا
وَإِيَّاكَ وَا لْتَنَزِرِ يَه إِنْ كُنْتَ مُفَرِّدًا
عَيْنِ الْأُمُورِ مُسَرِّحًا وَمُقَيِّدًا

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [سورة لشورى: ١١] فَنَزَهُ، ﴿وَهُوَ

السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة لشورى: ١١] فَشَبَّهَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾

57

[سورة لشورى: ١١] فَشَبَّهَهُ وَثَنَّى، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة لشورى: ١١]

فَنَزَهُ وَأَفْرَدَ.

لَوْ أَنَّ نُو حًا جَمَعَ لِقَوْمِهِ بَيْنَ الدَّعَوَتَيْنِ لَأَجَابُوهُ: فَدَعَا هُمْ ﴿جَهَارًا﴾ [سورة

نوح: ٨]، ثُمَّ دَعَا هُمْ ﴿إِسْرَارًا﴾ [سورة نوح: ٩]، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: ﴿أَسْتَغْفِرُكُمْ

رَبِّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾. [سورة نوح: ١٠] [١٢ وجه] وَقَالَ: ﴿دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا

وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءً إِلَّا فِرَارًا﴾. [سورة نوح: ٥-٦].

وَذَكَرَ عَنْ قَوْمِهِ أَنَّهُمْ تَصَا مَمُوا عَنْ دَعْوَتِهِ لِعِلْمِهِمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ

إِجَابَةِ دَعْوَتِهِ.

فَعَلِمَ الْعُلَمَاءُ بِا لله مَا أَشَارَ إِلَيْهِ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي حَقِّ قَوْمِهِ مِنَ الثَّنَاءِ

عَلَيْهِمْ بِلِسَانِ الذَّمِّ.

وَعَلِمَ أَنَّهُمْ إِنَّمَا لَمْ يُجِيبُوا دَعْوَتَهُ لِمَا فِيهَا مِنَ الْفُرْقَانِ، وَالْأَمْرُ قَرَأَنُ لَا

فُرْقَانُ.

وَمَنْ أَقِيمَ فِي الْقُرْآنِ، لَا يُصْغِي إِلَى الْفُرْقَانِ. وَإِنْ كَانَ فِيهِ.

فَإِنَّ الْقُرْآنَ يَتَضَمَّنُ الْفُرْقَانَ، وَالْفُرْقَانُ لَا يَتَضَمَّنُ الْقُرْآنَ. وَلِهَذَا مَا خُتِصَّ

58

بِالْقُرْآنِ إِلَّا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهَذِهِ الْأُمَّةُ الَّتِي هِيَ ﴿ خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [سورة البقرة: ١١٠] فَ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [سورة لشورى: ١١] فَجَمَعَ الْأَمْرَ [أَوْ: فَجَمَعَ الْأَمْرَ] فِي أَمْرٍ وَاحِدٍ.

فَلَوْ أَنَّ نُوْحًا يَأْتِي بِمِثْلِ هَذِهِ الْآيَةِ لَفُظًا أَجَابُوهُ، فَأَنَّ شَبَّهَ وَنَزَّهَ فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ، بَلْ فِي نِصْفِ آيَةٍ.

وَنُوْحٌ دَعَا قَوْمَهُ ﴿ لَيْلًا ﴾ [سورة نوح: ٥] مِنْ حَيْثُ عَقُّوا لَهُمْ وَرَوْحًا نَبَتْهُمْ فَأَيُّهَا غَيْبٌ. ﴿ وَنَهَارًا ﴾ [سورة نوح: ٥] دَعَا هُمْ أَيْضًا مِنْ حَيْثُ ظَاهِرُ صُورِهِمْ وَجَنَّتْهُمْ.

وَمَا جَمَعَ فِي الدَّعْوَةِ مِثْلُ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾، [سورة لشورى: ١١] فَفَرَّقَتْ بَيْنَ طَائِفَتِهِمْ لِهَذَا الْفَرْقَانِ، فَزَادَ هُمْ فِرَارًا. ثُمَّ قَالَ عَنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ دَعَا هُمْ لِيُغْفَرَ لَهُمْ، لَا لِيُكْشِفَ لَهُمْ. وَفَهَمُوا ذَلِكَ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. لِذَا لَكَ ﴿ جَعَلُوا أَصْبَعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ ﴾، [سورة نوح: ٧] وَهَذِهِ كُلُّهَا صُورَةُ السِّرِّ الَّتِي دَعَا هُمْ إِلَيْهَا، فَأَجَابُوا دَعْوَتَهُ بِالْفِعْلِ، لَا بِالْبَيِّنَةِ.

فَفِي ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [سورة لشورى: ١١] إِبْتِثَاتُ الْمِثْلِ وَنَفْيُهُ. وَلِهَذَا قَالَ عَنْ نَفْسِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ أَوْ تَيَّجُوا مَعَ الْكَلِمِ. فَمَا دَعَا مُحَمَّدٌ قَوْمَهُ لَيْلًا وَنَهَارًا، بَلْ دَعَا هُمْ لَيْلًا فِي نَهَارٍ، وَنَهَارًا فِي لَيْلٍ.

فَقَالَ نُوْحٌ فِي حُكْمَتِهِ لِقَوْمِهِ: ﴿ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴾ [سورة نوح: ١١] وَهِيَ الْمَعَارِفُ الْعَقْلِيَّةُ فِي الْمَعَانِي، وَالنَّظَرُ إِلَى غَيْبَاتِي،

﴿ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ ﴾ [سورة نوح: ١٢] أَيُّ: بِمَا يَمِيلُ بِكُمْ إِلَيْهِ، فَإِذَا مَالَ بِكُمْ إِلَيْهِ، رَأَيْتُمْ صُورَتَكُمْ فِيهِ.

فَمَنْ تَخَيَّلَ مِنْكُمْ أَنَّهُ رَأَاهُ، فَمَا عَرَفَ. وَمَنْ عَرَفَ مِنْكُمْ أَنَّهُ رَأَى نَفْسَهُ، فَهُوَ الْعَارِفُ. [١٢ ظهر] فَلِهَذَا أَنْفَسَمَ النَّاسُ إِلَى غَيْرِ عَالِمٍ، وَعَا لِمٍ.

وَوَلَدُهُ وَهُوَ مَا تَنْجَهُ لَهُمْ نَظَرُ هُمُ الْفِكْرِيُّ، وَالْأَمْرُ مَوْ قُوفُ عِلْمُهُ عَلَى
الْمُشَا هَدَةٍ، بَعِيدٌ عَنْ نَتَا بَحِ الْفِكْرِ، ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾، [سورة نوح: ٢١].

60

﴿فَمَا رِبِحَتْ تَجَرَّتُهُمْ﴾، [سورة البقرة: ١٦] فَرَأَى عَنْهُمْ مَا كَانَ فِي أَيْدِيهِمْ،
مِمَّا كَانُوا يَتَخَيَّلُونَ أَنَّهُ مِلْكٌ لَهُمْ، وَهُوَ فِي الْمَحْمَدِيِّينَ.

﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [سورة لحد يد: ٧].

وَفِي نُوْحٍ ﴿لَا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾، [سورة الإسراء: ٢] فَأَثْبَتَ

الْمَلِكُ لَهُمْ وَالْإِلَهُ لَهُمْ فِيهِ. فَهُمْ مُسْتَخْلَفُونَ فِيهِمْ. فَأَمْلَكَ اللَّهُ.

وَهُوَ وَكِيلُهُمْ، فَأَمْلَكَ لَهُمْ وَذَلِكَ مِلْكُ اللَّهِ سِتْخَلَفَ.

وَبِهَذَا كَانَ الْحَقُّ مَا لَكَ الْمَلِكُ، كَمَا قَالَ التَّوْمِذِيُّ.

﴿وَمَكْرُؤًا مَكْرًا كَبِيرًا﴾، [سورة نوح: ٢٢] لِأَنَّ الدَّعْوَةَ إِلَى اللَّهِ مَكْرٌ

بِالدَّعْوَةِ؛ لِأَنَّهُ مَا عُدِمَ مِنَ الْبِدَايَةِ، فَيُدْعَى إِلَى الْغَايَةِ، ﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾ [سورة

يوسف: ١٠٨] فَهَذَا عَيْنُ الْمَكْرِ، ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾. [سورة يوسف: ١٠٨] فَتَبَّهَ أَنَّ

الْأَمْرَ لَهُ كُلُّهُ، فَأَجَابُوهُ مَكْرًا كَمَا دَعَا هُمْ.

61

فَجَاءَ الْمُحَمَّدِيُّ وَعَلِمَ أَنَّ الدَّعْوَةَ إِلَى اللَّهِ، مَا هِيَ مِنْ حَيْثُ هُوَ يَتَّبِعُ، وَإِنَّمَا

هِيَ مِنْ حَيْثُ أَسْمَاؤُهُ فَقَالَ: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًا﴾، [سورة

مریم: ٨٥] فَجَاءَ بِحَرْفِ الْغَايَةِ، وَقَرَنَهَا بِالْأَسْمِ، فَعَرَفْنَا أَنَّ الْعَالَمَ كَانَ تَحْتَ

حِيطَةِ اسْمِ إِلَهِيٍّ، أَوْ جَبَّ عَلَيْهِمْ أَنَّ يَكُونُوا مُتَّقِينَ.

فَقَالُوا فِي مَكْرِهِمْ: ﴿لَا تَذَرُنَّ لِهُنَّ تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَا عَا

وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾، [سورة نوح: ٢٣] فَأَيُّهُمْ إِذَا تَرَكَوهُمْ، جَهَلُوا مِنْ

الْحَقِّ عَلَى قَدَرِ مَا تَرَكَوْا مِنْ هَوْلٍ، فَإِنَّ لِلْحَقِّ — فِي كُلِّ مَعْبُودٍ — وَجْهًا

يَعْرِفُهُ مِنْ عَرَفِهِ، وَيَجْهَلُهُ مِنْ جَهْلِهِ.

فِي الْمَحْمَدِيِّينَ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾، [سورة الإسراء: ٢٣]

أَيُّ: حَكَمَ. فَأَلْعَا لَمْ يَعْلَمْ مَنْ عُبِدَ وَفِي أَيِّ صُورَةٍ ظَهَرَ حَتَّىٰ عُبِدَ، وَأَنَّ

التَفَرِّيقَ وَكَثْرَةَ كَالاً غَضَاءٍ فِي الصُّورَةِ الْمَحْسُوسَةِ، وَكَأَ لَقَوَى الْمَعْنَوِيَّةِ فِي
الصُّورَةِ الرُّوحَانِيَّةِ.

فَمَا عُبِدَ غَيْرُ اللَّهِ فِي كُلِّ مَعْبُودٍ.

فَالْأَدْنَى مَنْ تَخَيَّلَ فِيهِ الْإِلَهِ، فَلَوْلَا هَذَا التَّخَيُّلُ مَا عُبِدَ الْحَجَرُ
وَلَا غَيْرُهُ.

62

وَلِهَذَا قَالَ: ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ [سورة لئ: ٣٣] فَلَوْ سَمَّوْهُمْ لَسَمَّوْهُمْ
حَجَرًا وَشَجَرًا وَكَوْكَبًا، وَلَوْ قِيلَ لَهُمْ: «مَنْ عُبِدَ تُمْ؟» لَقَالُوا: «إِلَهًا». مَا كَانُوا
يَقُولُونَ: «اللَّهُ»، وَلَا: «إِلَٰهَ».

وَالْأَعْلَى مَا تَخَيَّلَ، بَلْ قَالَ: «هَذَا مَجْلَى إِلَهِي، يَنْبَغِي تَعْظِيمُهُ فَلَا
يَقْتَصِرُ».

فَالْأَدْنَى صَاحِبُ [١٣ وجه] التَّخَيُّلِ يَقُولُ: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى
اللَّهِ زُلْفَى﴾. [سورة لئ: ٣] وَالْأَعْلَى الْعَالِمُ يَقُولُ: إِنَّمَا ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ
فَلَهُ اسْلِمُوا﴾ [سورة لئ: ٣٤] حَيْثُ ظَهَرَ.

﴿وَيُشِيرُ الْمُخَنَّثِينَ﴾ [سورة لئ: ٣٤] الَّذِينَ خَبَتْ نَارُ طَبِيعَتِهِمْ،
فَقَالُوا: «إِلَهًا». وَلَمْ يَقُولُوا: «طَبِيعَةً».

﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ [سورة نوح: ٢٤] أَيُّ: حَيَّرُوهُمْ فِي تَعْدَادِ الْوَا حِدِ
كَأَلَوْ جُوهٌ وَالنَّسَبِ.

﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة نوح: ٢٤] لِأَنفُسِهِمْ. «الْمُصْطَفَيْنَ الَّذِينَ
أُورِثُوا الْكِتَابَ أَوَّلَ الثَّلَاثَةِ فَقَدْ مَهَّ عَلَى الْمُقْتَصِدِ وَالسَّابِقِ».

63

﴿إِلَّا ضَلَالًا﴾ [سورة نوح: ٢٤] إِلَّا حَيْرَةً.

الْمُحَمَّدِيُّ: «زِدْ نِي فِيكَ تَحِيرًا».

﴿كَلَّمَآ أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾، [سورة بقره: ٢٠].

فَالْحَايِرُ لَهُ الدَّوْرُ، وَالْحَزَكَةُ الدَّوْرِيَّةُ حَوْلَ الْقُطْبِ فَلَا يَبْرَحُ مِنْهُ.

وَصَا حِبُّ الطَّرِيقِ الْمُسْتَطِيلِ مَا لَيْلٌ، خَارِجٌ عَنِ الْمَقْصُودِ، طَالِبٌ مَا هُوَ فِيهِ
صَا حِبُّ خَيَالٍ إِلَيْهِ غَايَتُهُ: فَلَهُ «مِنْ» وَ«إِلَى» وَمَا بَيْنَهُمَا، وَصَا حِبُّ
الْحَرَكَةِ الدَّوْرِيَّةِ لَا بَدْءَ، فَيُلْزِمُهُ «مِنْ»، وَلَا غَايَةَ فَيَحْكُمُ عَلَيْهِ «إِلَى».

64

فَلَهُ الْوُجُودُ الْأَتَمُّ. وَهُوَ الْمُؤْتَى جَوَا مِعَا لِكَلِمٍ وَاحِكَمٍ.
﴿مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ﴾ [سورة نوح: ٢٥] فَهِيَ الَّتِي خَطَّتْ بِهِمْ، فَغَرِقُوا
فِي بَحَارِ الْعِلْمِ بِاللهِ وَهُوَ الْحَيْرَةُ.
﴿فَأُذِ خُلُوهَا نَارًا﴾ [سورة نوح: ٢٥] فِي عَيْنِ الْمَاءِ.

فِي الْمُحَمَّدِيِّينَ: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾، [سورة التکویر: ٦] سَجَّرَتْ
التَّنُورَ إِذَا أَوْ قَدَّتْهُ.

65

﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾. [سورة نوح: ٢٥] فَكَانَ اللَّهُ
عَيْنَ أَنْصَارِهِمْ، فَهَلَكُوا فِيهِ إِلَى الْأَبَدِ.
فَلَوْ أَخْرَجَهُمْ إِلَى السَّيْفِ — سَيْفِ الطَّبِيعَةِ — لَنَزَلَ بِهِمْ عَنْ هَذِهِ
الدَّرَجَةِ الرَّفِيعَةِ.

وَإِنْ كَانَ الْكُلُّ لِلَّهِ وَبِاللهِ، بَلْ هُوَ اللهُ.
قَالَ نُوحٌ: «رَبِّ» مَا قَالَ: «إِلَهِي»؛ فَإِنَّ الرَّبَّ لَهُ التُّبُوتُ. وَالْإِلَهُ
يَتَنَوَّعُ بِأَلَا سَمَاءٍ. فَهُوَ ﴿كُلُّ يَوْمٍ فِي شَأْنٍ﴾، [اقتباس من سورة لرحمن: ٢٩] فَأَزَادَ
بِالرَّبِّ تُبُوتَ التَّلَوِينِ إِذْ لَا يَصِحُّ إِلَّا هُوَ.
﴿لَا تَذَرُ عَلَى الْأَرْضِ﴾ [سورة نوح: ٢٦] يَدٌ عُو عَلَيْهِمْ أَنْ يَصِيرُوا فِي
بَطْنِهَا.

الْمُحَمَّدِيُّ: «لَوْ دَلَّيْتُمْ بِحَبْلِ لَهَبٍ عَلَى اللهِ»، ﴿لَهُ مَا فِي السَّمُوتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾. (.)

66

وَإِذَا دُفِنَتْ فِيهَا، فَأَنْتَ فِيهَا وَهِيَ ظَرْفُكَ.
﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [سورة طه: ٥٥]

لِاِخْتِلَافِ الْوُجُوهِ. ﴿مِنْ أَلْكََا فِرْيَيْنَ﴾ [سورة نوح: ٢٦] الَّذِينَ ﴿أَسْتَغْفِرُوا
ثِيَابَهُمْ﴾ [سورة نوح: ٧].

﴿وَجَعَلُوا أَصْبِعَهُمْ فِىَ آذَانِهِمْ﴾. [سورة نوح: ٧] [١٣ ظهر] طَلَبًا
لِلسَّتْرِ؛ لِأَنَّهُ دَعَا هُمْ لِيُغْفِرَ لَهُمْ، وَ لَغَفَرُ السَّتْرِ.
﴿دِيَارًا﴾، [سورة نوح: ٢٦] أَحَدًا، حَتَّى تَعُمَّ الْمَنْفَعَةُ كَمَا عَمَّتِ الدَّعْوَةُ.
﴿إِنَّكَ إِن تَذَرَ هُمْ﴾ أَي: تَدَعُهُمْ وَتَتْرُكُهُمْ ﴿يُضِلُّوا عِبَادَكَ﴾ [سورة نوح
: ٢٧] أَي: يُحَيِّرُوهُمْ، فَيُخْرِجُوهُمْ مِنَ الْعُبُودِيَّةِ إِلَى مَا فِيهِمْ مِنْ أَسْرَارِ
الرُّبُوبِيَّةِ.

فَيَنْظُرُونَ أَنْفُسَهُمْ أَرْبَابًا بَعْدَ مَا كَانُوا عِنْدَ نَفْسِهِمْ عِبِيدًا.
فَهُمُ الْعَبِيدُ الْأَرْبَابُ.

وردت هذه الآية عدة مرات في القرآن الكريم: سورة البقرة: ٢٥٥؛ سورة النساء

﴿وَلَا يَلِدُوا﴾ أَي: مَا يُنْتَجُونَ، وَلَا يُظْهِرُونَ ﴿إِلَّا فَا جِرًا﴾ [سورة نوح:
٢٧] أَي: مُظْهِرًا مَا سَتَرَ.

﴿كَفَارًا﴾ [سورة نوح: ٢٧] أَي: سَا تَرًا مَا ظَهَرَ بَعْدَ ظُهُورِهِ.
فَيُظْهِرُونَ مَا سَتَرَ ثُمَّ يَسْتُرُونَ نَهْ بَعْدَ ظُهُورِهِ، فَيَحَارُّ النَّاسُ وَلَا يَعْرِفُ
قَصْدَ الْفَاعِلِ فِي فُجُورِهِ، وَلَا الْكَافِرِ فِي كُفْرِهِ، وَ لِشَخْصٍ وَاحِدٍ.
﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾ [سورة نوح: ٢٨] أَي: أَسْتَغْفِرُ نِي، وَأَسْتَغْفِرُ مِنْ أَجَلِي،
فَيُجْهِلُ مَقَامِي وَقَدْرِي كَمَا جُهِلَ قَدْرُكَ فِي قَوْلِكَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ
قَدْرِهِ﴾ [سورة الأنعام: ٩١].

﴿وَلَوْ لَدَى﴾ [سورة نوح: ٢٨] مَنْ كُنْتَ نَتِيجَةً عَنْهُمَا، وَهُمَا: الْعَقْلُ
وَاطِّبَعَةُ.

﴿وَلَمَّا دَخَلَ بُيُوتِي﴾ [سورة نوح: ٢٨] أَي: قَلْبِي.

﴿مُؤْمِنًا﴾، [سورة نوح: ٢٨] مُصَدِّقًا بِمَا يَكُونُ فِيهِ مِنَ الْإِخْبَارَاتِ

إِلَٰهِيَّةٌ. وَهُوَ «مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا».

﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة نوح: ٢٨] مِنَ الْعُقُولِ ﴿وَأَلْمُؤْمِنَاتُ﴾ [سورة نوح: ٢٨] مِنَ النُّفُوسِ.

﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ﴾: [سورة نوح: ٢٨] مِنَ الظُّلُمَاتِ أَي: أَهْلَ الْغَيْبِ
الْمُكْتَنِفِينَ خَلْفَ الْحُجُبِ الظُّلْمَا نِيَّةً. ﴿إِلَّا تَبَارًا﴾ [سورة نوح: ٢٨] أَي:
هَلَاكًا، فَلَا يَعْرِفُونَ نَفْسَهُمْ لِشُهُودِهِمْ وَجْهَ الْحَقِّ دُونَ نَفْسِهِمْ.
فِي الْمُحَمَّدِيِّينَ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَا لِكَ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [سورة لقاصص: ٨٨]
وَالْتَبَارُ الْهَلَاكُ.

وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَقِفَ عَلَى أَسْرَارِ نُوحٍ، فَعَلَيْهِ بِأَلْرُقِيِّ فِي فَلَكِ يُوحٍ.
وَهُوَ فِي «التَّنَزُّلَاتِ الْمَوْصِلِيَّةِ» لَنَا.

[٤] ﴿فَصِّحْكَمِ قُدُّو سِيَّةً فِي كَلِمَةٍ إِدْرِ يَسِيَّةً﴾
الْعُلُوُّ نِسْبَتَانِ، عُلُوُّ مَكَانٍ وَعُلُوُّ مَكَانَةٍ، فَعُلُوُّ الْمَكَانِ: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا
عَلِيًّا﴾ [سورة مريم: ٥٧].

وَأَعْلَى الْأَمْكَنَةِ الْمَكَانِ الَّذِي تَدُورُ عَلَيْهِ رَحَى عَالَمِ الْفَلَكَ وَهُوَ فَلَكُ
الشَّمْسِ، وَفِيهِ مَقَامُ رُوحَانِيَّةٍ إِدْرِ يَسَ.

وَحَتَّه سَبْعَةُ أَفْلَاقٍ، وَفَوْقَهُ سَبْعَةُ أَفْلَاقٍ وَهُوَ الْخَامِسَ عَشَرَ، فَإِلَٰهِي فَوْقَهُ
فَلَكَ الْأَحْمَرِ، وَفَلَكَ الْمُشْتَرِي، [١٤ وجه] وَفَلَكَ كَيُوانَ، وَفَلَكَ
الْمَنَازِلِ، وَفَلَكَ الْأَطْلَسُ: فَلَكُ الْبُرُوجِ، وَفَلَكَ الْكُرْسِيِّ، وَفَلَكَ
الْعَرْشِ.

وَالَّذِي دُونَهُ: فَلَكُ الزُّهْرَةِ، وَفَلَكَ الْكَاتِبِ، وَفَلَكَ الْقَمَرِ، وَأُكْرَةُ
الْأَثَرِ، وَأُكْرَةُ الْهَوَاءِ، وَأُكْرَةُ الْمَاءِ، وَأُكْرَةُ التُّرَابِ.

فَمِنْ حَيْثُ هُوَ قُطْبُ الْأَفْلَاقِ هُوَ رَفِيعُ الْمَكَانِ.
وَأَمَّا عُلُوُّ الْمَكَانَةِ فَهُوَ لَنَا، أَعْنِي: الْمُحَمَّدِيِّينَ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْتُمْ أَلَّا عُلُونَ وَأَلَّا اللَّهُ مَعَكُمْ﴾ [سورة محمد: ٣٥] فِي هَذَا
الْعُلُوِّ، وَهُوَ يَتَعَالَى عَنِ الْمَكَانِ لَا عَنِ الْمَكَانَةِ.

وَلَمَّا خَافَتْ أَنْفُسُ الْعُمَّالِ مِنْ أَنْ تَتَّبَعَ الْمَعِيَّةَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَنْ يَتَرَكُمْ
أَعْمَلُكُمْ﴾ [سورة محمد: ٣٥]، فَأَعْمَلُ يُطْلَبُ الْمَكَانَ. وَأَلَّا يَعْلَمُ يُطْلَبُ
الْمَكَانَةُ. فَجَمَعَ لَنَا بَيْنَ الرَّفْعَتَيْنِ: عُلُوُّ الْمَكَانِ بِأَعْمَلٍ، وَعُلُوُّ الْمَكَانَةِ بِأَلَّا يَعْلَمُ.
ثُمَّ قَالَ تَنْزِيهَا لِلَّهِ شَتْرَاكَ بِأَلَّا يَعْلَمُ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى
: ١]، عَنْ هَذَا الْأَلَّا شَتْرَاكَ الْمَعْنَوِيِّ.

وَمِنْ أَعْجَبِ الْأُمُورِ كَوْنِ الْإِنْسَانِ أَعْلَى الْمَوْجُودَاتِ، أَعْنِي: الْإِنْسَانَ
الْكَامِلَ، وَمَا نُسِبَ إِلَيْهِ الْعُلُوُّ إِلَّا بِالتَّبَعِيَّةِ، إِمَّا إِلَى الْمَكَانِ، وَإِمَّا إِلَى الْمَكَانَةِ،
وَهِيَ الْمَنْزِلَةُ.

فَمَا كَانَ عُلُوُّهُ إِذَا تَبِعَهُ، فَهُوَ الْعَلِيُّ بِعُلُوِّ الْمَكَانِ وَالْمَكَانَةِ. فَأَلَّا يَعْلَمُ لَهُمَا.
فَعُلُوُّ الْمَكَانِ: كَمَا لَرَّ حَمْنٍ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى [سورة طه: ٥]، وَهُوَ
أَعْلَى الْأَمَّا كِنْ. وَعُلُوُّ الْمَكَانَةِ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَا لِكُ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [سورة القصص
: ٨٨]، وَ﴿إِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ [سورة هود: ١٢٣]، ﴿أَلَّا لَهُ مَعَ اللَّهِ﴾ [سورة
النمل: ٦٠].

وَلَمَّا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [سورة مريم: ٥٧]، فَجَعَلَ
﴿عَلِيًّا﴾ نَعْتًا لِلْمَكَانِ.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاءُ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [سورة البقرة:
٣٠]، فَهَذَا عُلُوُّ الْمَكَانَةِ. وَقَالَ فِي الْمَلَأِ بَكَّةَ: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنْ
الْعَالِينَ﴾ [سورة ص: ٧٥]، فَجَعَلَ الْعُلُوُّ لِلْمَلَأِ بَكَّةَ فَلَوْ كَانَ لِكُونِهِمْ مَلَأُ بَكَّةَ
لَدَخَلَ الْمَلَأُ بَكَّةَ كُلُّهُمْ فِي هَذَا الْعُلُوِّ. فَلَمَّا لَمْ يَعْمُ، مَعَ أَشْتَرَا كِهِمْ فِي حَدِّ
الْمَلَكِيَّةِ، عَرَفْنَا أَنَّ هَذَا عُلُوُّ الْمَكَانَةِ عِنْدَ اللَّهِ. وَكَذَلِكَ الْخُلَفَاءُ مِنَ النَّاسِ،
لَوْ كَانَ عُلُوُّهُمْ بِأَلَّا خِلَافَةً عُلُوًّا ذَاتِيًّا لَكَانَ لِكُلِّ إِنْسَانٍ. فَلَمَّا لَمْ يَعْمُ، عَرَفْنَا أَنَّ

ذَلِكَ الْعُلُوُّ لِلْمَكَانَةِ.

وَمِنْ أَسْمَاءِ بِهِ الْحُسْنَى «الْعَلِيَّةُ»، عَلَى مَنْ؟ وَمَا تَمَّ إِلَّا هُوَ. فَهُوَ الْعَلِيُّ
لِذَا تِهِ.

أَوْ عَنْ مَاذَا؟ وَمَا هُوَ إِلَّا هُوَ. فَعُلُوُّهُ لِنَفْسِهِ.

[١٤ ظهر] وَهُوَ مِنْ حَيْثُ الْوُجُودُ عَيْنُ الْمَوْجُودَاتِ، فَا لِمُسَمَّى مُحَدَّثَاتُ
هِيَ الْعَلِيَّةُ لِذَا تَهَا، وَلَيْسَتْ إِلَّا هُوَ. فَهُوَ الْعَلِيُّ، لَا عُلُوٌّ إِضَافَةً، لِأَنَّ الْأَعْيَانَ —
الَّتِي لَهَا الْعَدَمُ — الثَّابِتَةُ فِيهِ، مَا شَمَّتْ رَأْيَ حَقِّهِ مِنَ الْوُجُودِ، فَهِيَ عَلَى حَالِهَا،
مَعَ تَعْدَادِ الصُّورِ فِي الْمَوْجُودَاتِ.

وَالْعَيْنُ وَاحِدَةٌ، مِنَ الْمَجْمُوعِ فِي الْمَجْمُوعِ.

فَوُجُودُ الْكَثْرَةِ فِي الْأَسْمَاءِ وَهِيَ النَّسَبُ، وَهِيَ أُمُورٌ عَدَمِيَّةٌ، وَلَيْسَ
شرح القيصري، ص ٥٤٩: «وقوله: (مَعَ تَعْدَادِ الصُّورِ) متعلق بـ (مَا شَمَّتْ)

إِلَّا الْعَيْنَ، الَّذِي هُوَ الذَّاتُ.

فَهُوَ الْعَلِيُّ لِنَفْسِهِ، لَا بِإِلَافَةِ ضَافَةٍ. فَمَا فِي الْعَالَمِ مِنْ هَذِهِ الْحَيْثِيَّةِ عُلُوٌّ
إِضَافَةً.

لَكِنَّ الْوُجُوهَ الْوُجُودِيَّةَ مُتَفَاوِضَةً، فَعُلُوُّ الْإِضَافَةِ مَوْجُودٌ فِي الْعَيْنِ
الْوَحِيدَةِ، مِنْ حَيْثُ الْوُجُوهُ الْكَثِيرَةُ.

لِذَا لَكَ نَقُولُ فِيهِ: «هُوَ لَا هُوَ، أَنْتَ لَا أَنْتَ».

قَالَ الْخَرَّازُ — وَهُوَ وَجْهٌ مِنْ وَجْهِ الْحَقِّ وَلِسَانٌ مِنَ أَلْسِنَتِهِ يَنْطِقُ عَنْ
نَفْسِهِ — بِأَنَّ اللَّهَ لَا يُعْرِفُ إِلَّا بِجَمْعِهِ بَيْنَ الْأَضْدَادِ فِي الْحُكْمِ عَلَيْهِ بِهَا،
فَهُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ، وَالْظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ، فَهُوَ عَيْنُ مَا ظَهَرَ، وَهُوَ عَيْنُ مَا بَطَنَ، فِي
حَالِ ظُهُورِهِ، وَمَا تَمَّ مِنْ يَرَاهُ غَيْرُهُ، وَمَا تَمَّ مِنْ يَبْطُنُ عَنْهُ، فَهُوَ ظَاهِرٌ لِنَفْسِهِ،
بِاطِنٌ عَنْهُ. وَاسْمُ أَبِي سَعِيدٍ الْخَرَّازِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَسْمَاءِ الْمُحَدَّثَاتِ.

فَيَقُولُ الْبَاطِنُ: «لَا»، إِذَا قَالَ الظَّاهِرُ: «أَنَا». وَيَقُولُ الظَّاهِرُ: «لَا»، إِذَا

قَالَ الْبَاطِنُ: «أَنَا». وَهَذَا فِي كُلِّ ضِدٍّ.

وَالْمُتَكَلِّمُ وَالْحَدُّ وَهُوَ عَيْنُ السَّامِعِ.

يَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَا حَدَّثْتُ بِهِ أَنْفُسَهَا».

فَهِيَ الْمُحَدَّثَةُ السَّامِعَةُ حَدِّ يَتَّهَا، الْعَالِمَةُ بِمَا حَدَّثْتُ بِهِ نَفْسَهَا، وَالْعَيْنُ

وَالْحَدَّةُ وَالْخَتْلَفَةُ الْأَحْكَامُ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى جَهْلٍ مِثْلِ هَذَا فَإِنَّهُ يَعْلَمُهُ كُلُّ

إِنْسَانٍ مِنْ نَفْسِهِ.

وَهُوَ صُورَةُ الْحَقِّ.

فَأَخْتَلَطَتِ الْأُمُورُ، وَظَهَرَتِ الْأَعْدَادُ بِالْوَا حِدٍ، فِي الْمَرَاتِبِ الْمُعْلُومَةِ،

فَأَوَّجَدَ الْوَا حِدَ الْعَدَدِ، وَفَصَّلَ الْعَدَدُ الْوَا حِدَ.

77

وَمَا ظَهَرَ حُكْمُ الْعَدَدِ إِلَّا بِالْمَعْدُودِ. وَالْمَعْدُودُ مِنْهُ عَدَمٌ، وَمِنْهُ وُجُودٌ،

فَقَدْ يُعَدُّ الشَّيْءُ مِنْ حَيْثُ الْحِسُّ، وَهُوَ مَوْجُودٌ مِنْ حَيْثُ الْعَقْلُ.

فَلَا بُدَّ مِنْ عَدَدٍ وَمَعْدُودٍ. وَلَا بُدَّ مِنْ وَاحِدٍ يُنْشِئُ ذَلِكَ. فَيُنْشَأُ بِسَبَبِهِ.

[١٥ وجه] فَإِنْ كَانَ كُلُّ مَرَّةٍ تَبَةٍ مِنَ الْعَدَدِ حَقِيقَةً وَاحِدَةً — كَمَا لَتَسْعَةُ

مَثَلًا وَالْعَشْرَةُ الْإِثْنَانِ، أَوْ الْإِثْنَانُ، إِلَى غَيْرِ نَهَايَةٍ — [ف] مَا هِيَ

مَجْمُوعٌ، وَلَا يَنْفَكُ عَنْهَا أَسْمُ جَمْعٍ إِلَّا حَادٍ. فَإِنَّ الْأَتْنَيْنِ حَقِيقَةً وَاحِدَةً،

وَالثَّلَاثَةُ حَقِيقَةً وَاحِدَةً، بَالِغًا مَا بَلَغَتْ هَذِهِ الْمَرَاتِبُ.

وَأِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَمَا عَيْنُ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ عَيْنَ مَا بَقِيَ.

فَالْجَمْعُ يَأْخُذُهَا، فَيَقُولُ: «بِهَا مِنْهَا»، وَيَحْكُمُ «بِهَا عَلَيْهَا».

قَدْ ظَهَرَ فِي هَذَا الْقَوْلِ عَشْرُونَ مَرَّةً تَبَةً، فَقَدْ دَخَلَهَا التَّرْكِيْبُ.

فَمَا تَنَفَّكَ تُثْبِتُ عَيْنَ مَا هُوَ مَنْفِيٌّ عِنْدَكَ إِذَا تَبَهُ.

وَمَنْ عَرَفَ مَا قَرَّرَ نَاهُ فِي الْأَعْدَادِ، وَأَنَّ نَفْيَهَا عَيْنُ ثَبَّتِهَا، عَلِمَ أَنَّ الْحَقَّ

78

الْمُنْزَهَ هُوَ الْخَلْقُ الْمُشَبَّهُ، وَإِنْ كَانَ قَدْ تَمَيَّزَ الْخَلْقُ مِنَ الْخَالِقِ.

فَالْأَمْرُ: الْخَالِقُ الْمَخْلُوقُ. وَالْأَمْرُ: الْمَخْلُوقُ الْخَالِقُ.

..

كُلِّ ذَلِكْ مِنْ عَيْنٍ وَاحِدَةٍ. لَا، بَلْ هُوَ الْعَيْنُ الْوَّاحِدَةُ، وَهُوَ الْعَيْنُ
الْكَثِيرَةُ.

فَأَنْظُرْ مَاذَا تَرَى؟ ﴿قَالَ يَا بَتِ افْعَلْ مَا تَأْمُرُ﴾ [الصافات: ١٠٢].

وَأَلَوْ لَدُ عَيْنٍ أَبِيهِ فَمَا رَأَى يَدَ بَحٍّ سِوَى نَفْسِهِ.

وَفَدَاهُ ﴿بِذِّ بَحٍّ عَظِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠٧].

فَظَهَرَ بِصُورَةٍ كَبِشٍ مَنْ ظَهَرَ بِصُورَةِ إِنْسَانٍ.

وَوَظَّهَرَ بِصُورَةٍ وَلَدٍ لَا، بَلْ بِحُكْمٍ وَلَدٍ، مَنْ هُوَ عَيْنُ الْوَّاحِدِ.

﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١]، فَمَا نَكَحَ سِوَى نَفْسِهِ، فَمِنْهُ الصَّا حِبَّةُ

وَأَلَوْ لَدُ. وَالْأَمْرُ وَاحِدٌ فِي الْعَدَدِ.

فَمِنْ الطَّبِيعَةِ وَمِنْ الظَّاهِرِ مِنْهَا، وَمَارَأً يَنَا هَا نَقَصْتُ بِمَا ظَهَرَ مِنْهَا، وَلَا

زَادَتْ بِعَدَمِ مَا ظَهَرَ. وَمَا الَّذِي ظَهَرَ غَيْرُهَا. وَمَا هِيَ عَيْنُ مَا ظَهَرَ، لِأَخْتِلَافِ

الصُّورِ بِأَحْكَمٍ عَلَيْهَا؛ فَهَذَا بَارِدٌ يَا بَسُّ، وَهَذَا حَارٌّ يَا بَسُّ، فَجَمَعَ بِأَلْيَسٍ،

وَأَبَانَ بِغَيْرِ ذَلِكَ.

وَأَلْجَا مَعَ الطَّبِيعَةِ؛ لَا بَلَّ الْعَيْنُ لَطَبِيعَةً.

79

فَعَا لَمْ الطَّبِيعَةُ صُورٌ فِي مِرَاةٍ وَاحِدَةٍ؛ لَا بَلَّ صُورَةٌ وَاحِدَةٌ فِي مِرَاةٍ

مُخْتَلَفَةٍ.

فَمَا تَمَّ إِلَّا حَيْرَةٌ لِنَفَرٍ النَّظَرِ.

وَمَنْ عَرَفَ مَا قُلْنَاهُ لَمْ يَحَرَّ. وَإِنْ كَانَ فِي مَزِيدٍ عِلْمٍ، فَلَيْسَ إِلَّا

مِنْ حُكْمِ الْمَحَلِّ، وَالْمَحَلُّ عَيْنُ الْعَيْنِ الثَّابِتَةِ.

فِيهَا يَتَنَوَّعُ الْحَقُّ فِي الْمَجْلَى، فَتَتَنَوَّعُ الْأَحْكَامُ عَلَيْهِ، فَيَقْبَلُ كُلُّ حُكْمٍ

[١٥ ظهر] وَمَا يَحْكُمُ عَلَيْهِ إِلَّا عَيْنٌ مَا تَجَلَّى فِيهِ. مَا تَمَّ إِلَّا هَذَا.

[البسيط]

وَلَيْسَ خَلْقًا بِذَلِكَ الْوَجْهِ فَادَّكَّرُوا

١- فَأَلْحَقْ خَلْقَ بِهَذَا الْوَجْهِ فَاعْتَبِرُوا

٢- مَنْ يَدْرِ مَا قُلْتُ لَمْ تَخْذَلْ بِصِيرَتِهِ
وَلَيْسَ يَدْرِ بِهِ إِلَّا مَنْ لَهُ بَصَرٌ
٣- جَمَعَ وَفَرَّقَ فَإِنَّ الْعَيْنَ وَاحِدَةٌ
وَهِيَ الْكَثِيرَةُ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ

80

فَا لِعَلِّي لِنَفْسِهِ هُوَ الَّذِي يَكُونُ لَهُ الْكَمَالُ الَّذِي يَسْتَعْرِقُ بِهِ جَمِيعَ الْأُمُورِ
الْوُجُودِيَّةِ، وَالنَّسَبِ الْعَدَمِيَّةِ بِحَيْثُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَفُوتَهُ نَعْتُ مِنْهَا. وَسَوَاءٌ
كَأَنْتَ مَحْمُودَةٌ عَزَّ فَا وَعَقْلًاو شَرُّ عَا، أَوْ مَذْمُومَةٌ عَزَّ فَا وَعَقْلًاو شَرُّ عَا.
وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لِاسْمَيْ «اللَّهِ» خَا صَّةً. وَأَمَّا غَيْرُ اسْمَيْ «اللَّهِ» خَا صَّةً،
مِمَّا هُوَ مَجْلَى لَهُ أَوْ صُورَةٌ فِيهِ. فَإِنْ كَانَ مَجْلَى لَهُ فَيَقَعُ التَّفَا ضُلٌّ — لَا بُدَّ
مِنْ ذَلِكَ — بَيْنَ مَجْلَى وَمَجْلَى. وَإِنْ كَانَ صُورَةً فِيهِ، فَلِتِلْكَ الصُّورَةُ عَيْنُ
الْكَمَالِ الذَّا تِي، لِأَنَّهَا عَيْنُ مَا ظَهَرَتْ فِيهِ.
فَا لَّذِي لِسْمَيْ «اللَّهِ» هُوَ الَّذِي لِتِلْكَ الصُّورَةِ. وَلَا يُقَالُ هِيَ هُوَ، وَلَا هِيَ
غَيْرُهُ.

وَقَدْ أَشَارَ أَبُو الْقَاسِمُ بْنُ قَاسِيٍّ فِي خَلْعِهِ إِلَى هَذَا بِقَوْلِهِ: أَنْ كُلَّ
اسْمٍ إِلَهِيٍّ يَتَسَمَّى بِجَمِيعِ الْأَسْمَاءِ إِلَّا لِهَيْئَةٍ وَيُنْعَتُ بِهَا، وَذَلِكَ هُنَاكَ أَنْ كُلَّ
اسْمٍ يَدُلُّ عَلَى الذَّاتِ وَعَلَى الْمَعْنَى الَّذِي سَبَقَ لَهُ وَيَطْلُبُهُ، فَمِنْ حَيْثُ
دَلَّاهُ عَلَى الذَّاتِ، لَهُ جَمِيعُ الْأَسْمَاءِ. وَمِنْ حَيْثُ دَلَّاهُ عَلَى الْمَعْنَى، الَّذِي
يَنْفَرِدُ بِهِ، يَتَمَيَّزُ عَنْ غَيْرِهِ كَالرَّبِّ، وَالْخَالِقِ، وَالْمُصَوِّرِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ. فَالْأَسْمَاءُ
الْمُسَمَّيَاتُ مِنْ حَيْثُ الذَّاتُ. وَالْأَسْمَاءُ غَيْرُ الْمُسَمَّيَاتُ مِنْ حَيْثُ مَا يَخْتَصُّ بِهِ مِنْ
الْمَعْنَى الَّذِي سَبَقَ لَهُ.

81

فَإِذَا فَهِمْتَ أَنَّ «الْعَلِيَّ» مَا ذَكَرْنَا، عَلِمْتَ أَنَّهُ لَيْسَ عُلوُّ الْمَكَانِ، وَلَا عُلوُّ
الْمَكَانَةِ. فَإِنَّ عُلوُّ الْمَكَانَةِ يَخْتَصُّهُ بَوْلَاةُ الْأَمْرِ، كَالسُّلْطَانِ، وَالْحُكَّامِ،
وَالْمُؤَرَّرِ، وَالْقَضَاةِ، وَكُلِّ مَنْ مَنَصَّبٍ سِوَاكَ كَانَتْ فِيهَا هَيْئَةٌ ذَلِكَ
الْمَنْصَبِ، أَوْ لَمْ يَكُنْ. وَالْعُلُوُّ بِالصِّفَاتِ لَيْسَ كَذَلِكَ.

82

فَإِنَّهُ قَدْ يَكُونُ أَعْلَمُ النَّاسِ يَتَحَكَّمُ فِيهِ مَنْ لَهُ [١٦ وجه] مَنْصِبُ التَّحَكُّمِ،

وَإِنْ كَانَ أَجْهَلَ النَّاسِ. فَهَذَا عَلَيَّ بِا لَمَّا نَ بَحْكَمِ التَّبَعِ، مَا هُوَ عَلَيَّ فِي
نَفْسِهِ، فَإِذَا عَزَلَ زَا لَتْ رَفَعْتُهُ، وَاعَا لِمَ لَيْسَ كَذَا لَكَ.

[٥] ﴿فَصَّ حِكْمَةً مُهَيِّمَةً فِي كَلِمَةٍ إِبْرَا هَيْمِيَّةً﴾

83

إِنَّمَا سُمِّيَ خَلِيلًا لِتَخَلُّلِهِ وَحَصْرِهِ جَمِيعَ مَا تَصَفَتْ بِهِ الذَّاتُ
إِلَّا لِهَيْئَةٍ. قَالَ الشَّاعِرُ: [الخفيف]

وَتَخَلَّلَتْ مَسْلَكَ الرُّوحِ مِنِّي وَبِهِ سُمِّيَ الْخَلِيلُ خَلِيلًا

كَمَا يَتَخَلَّلُ اللَّوْنُ الْمُتَلَوَّنُ، فَيُلَوِّنُ الْعَرْضَ بَحَيْثُ جَوْهَرُهُ مَا هُوَ
كَامَكَانٍ وَامْتَمَكَّنَ.

84

أَوْ لِتَخَلُّلِ الْحَقِّ وَجُودَ صُورَةِ إِبْرَا هَيْمٍ، وَكُلُّ حُكْمٍ يَصِحُّ مِنْ ذَلِكَ. فَإِنَّ
لِكُلِّ حُكْمٍ مَوْطِنًا يَظْهَرُ بِهِ، لَا يَتَعَدَّاهُ.

أَلَّا تَرَى الْحَقَّ يَظْهَرُ بِصِفَاتِ الْمُحْدَثَاتِ، وَأَخْبَرَ بِذَلِكَ عَنْ نَفْسِهِ،
وَبِصِفَاتِ النَّقْصِ، وَبِصِفَاتِ الذَّمِّ.

أَلَّا تَرَى الْمَخْلُوقَ يَظْهَرُ بِصِفَاتِ الْحَقِّ، مِنْ أَوْ لَهَا إِلَى آخِرِهَا، وَكُلُّهَا حَقٌّ
لَهُ.

كَمَا هِيَ صِفَاتُ الْمُحْدَثَاتِ حَقٌّ لِلْحَقِّ.

الْحَمْدُ لِلَّهِ، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ عَوَا قِبَ الثَّنَاءِ مِنْ كُلِّ حَا مِدٍّ وَمَحْمُودٍ. ﴿وَإِلَيْهِ
يُرْجَعُ أَلَا مَرْكَلُهُ﴾ [سورة هود: ١٢٣] فَعَمَّ مَا ذَمَّ وَحَمِدَ، وَمَا ثَمَّ إِلَّا مَحْمُودٌ
أَوْ مَذْمُومٌ.

أَعْلَمُ أَنَّهُ مَا تَخَلَّلَ شَيْءٌ شَيْئًا إِلَّا كَانَ مَحْمُولًا فِيهِ. فَا لِمُتَخَلَّلٍ، أَسْمُ
فَاعِلٍ مَحْجُوبٍ بَا لِمُتَخَلَّلٍ، أَسْمُ مَفْعُولٍ. فَا سَمُ الْمَفْعُولِ هُوَ الظَّا هِرُّ، وَأَسْمُ
الْفَاعِلِ هُوَ الْبَا طِنُ الْمَسْتَوْرٍ، وَهُوَ غِذَاءٌ لَهُ، كَمَا لِمَاءٍ يَتَخَلَّلُ الصُّوفَةُ فَتَرْبُو بِهِ
وَتَتَسَّعُ، فَإِنْ كَانَ الْحَقُّ هُوَ الظَّا هِرُّ، فَا لَخَلْقِ مَسْتَوْرٍ فِيهِ، فَيَكُونُ الْخَلْقُ جَمِيعَ
أَسْمَاءِ الْحَقِّ: سَمْعُهُ وَبَصَرُهُ، وَجَمِيعَ نِسْبِهِ وَإِذْرَا كَاتِهِ.

85

وَإِنْ كَانَ الْخَلْقُ هُوَ الظَّاهِرُ، فَأَلْحَقْ مَسْتَوْرُ بَا طِنٌ فِيهِ، فَأَلْحَقْ سَمْعُ الْخَلْقِ
وَبَصَرُهُ وَيَدُهُ وَرِجْلُهُ، وَجَمِيعُ قَوَاهُ، كَمَا وَرَدَ فِي الْخَبَرِ الصَّحِيحِ.

ثُمَّ إِنَّ الذَّاتَ لَوْ تَعَرَّتْ عَنْ هَذِهِ النَّسَبِ لَمْ تَكُنْ إِلَهًا.

وَهَذِهِ النَّسَبُ أَحَدُ نَتَائِهَا أَعْيَانًا، فَنَحْنُ جَعَلْنَاهُ بِمَا لِأَلُو هَيْتِنَا إِلَهًا.

فَلَا يُعْرِفُ حَتَّى نُعْرِفَ، قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ

رَبَّهُ» [١٦ ظهر] وَهُوَ أَعْلَمُ الْخَلْقِ بِاللهِ.

فَإِنَّ بَعْضَ الْحُكَمَاءِ، وَأَبَا حَا مِدِّ، أَدْعُوا إِنَّهُ يَعْرِفُ اللهُ مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ

فِي الْعَالَمِ؛ وَهَذَا غَلَطٌ.

نَعَمْ، تُعْرِفُ ذَاتُ قَدْرٍ يَمَّةٌ أَرْزَلِيَّةٌ، لَا يَعْرِفُ أَنَّهَا إِلَهٌ، حَتَّى يُعْرِفَ الْمَاءُ لَوْهُ،
فَهُوَ الدَّلِيلُ عَلَيْهِ.

ثُمَّ بَعْدَ هَذَا فِي ثَانِي حَالٍ يُعْطِيكَ الْكَشْفُ، أَنَّ الْحَقَّ نَفْسُهُ كَانَ عَيْنَ
الدَّلِيلِ عَلَى نَفْسِهِ، وَعَلَى أَلُو هَيْتِهِ.

وَأَنَّ الْعَالَمَ لَمْ يَلَيْسْ إِلَّا تَجَلِّيهِ، فِي صُورِ أَعْيَانِهِمُ النَّاتِيَةِ الَّتِي يَسْتَحِيلُ
وُجُودُهَا بِدُونِهِ.

وَأَنَّهُ يَتَنَوَّعُ [أَوْ: يَتَنَوَّعُ] وَيَتَصَوَّرُ [أَوْ: يَتَصَوَّرُ]، بِحَسَبِ حَقِّ بَقِي هَذِهِ

الْأَعْيَانِ وَأَحْوَالِهَا.

وَهَذَا بَعْدَ الْعِلْمِ بِهِ مِنَّا أَنَّهُ إِلَهٌ لَنَا.

ثُمَّ يَأْتِي الْكَشْفُ الْآخَرُ، فَيُظْهِرُ [أَوْ: فَيُظْهِرُ] لَكَ صُورَنَا فِيهِ فَيُظْهِرُ
بَعْضَنَا لِبَعْضٍ، فِي الْحَقِّ، فَيَعْرِفُ بَعْضُنَا بَعْضًا، وَيَتَمَيَّزُ بَعْضُنَا عَنْ
بَعْضٍ.

فَمِنَّا مَنْ يَعْرِفُ أَنَّ فِي الْحَقِّ، وَقَعَتْ هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ لَنَا بِنَا، وَمِنَّا مَنْ يَجْهَلُ

الْحَضْرَةَ الَّتِي وَقَعَتْ فِيهَا هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ بِنَا. ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ

الْجَاهِلِينَ﴾. [سورة البقرة: ١٧]

وَبَا لِكَشْفَيْنِ مَعَا مَا يَحْكُمُ عَلَيْنَا إِلَّا بِنَا.

لَا، بَلْ نَحْنُ نَحْكُمُ عَلَيْنَا بِنَا، وَلَكِنْ فِيهِ.

وَلِذَا لِكَ قَالَ: ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ﴾ [سورة الأ نعام: ١٤٩]، يَعْني عَلَى

الْمَحْجُوبِينَ، إِذَا قَا لُوا لِلْحَقِّ: «لِمَ فَعَلْتَ بِنَا كَذَا وَكَذَا؟» مِمَّا لَا يُؤَا فِيقُ

أَغْرَا ضَهُمْ، فَـ﴿يُكْشَفُ﴾ لَهُمْ ﴿عَنْ سَاقٍ﴾ [سورة القلم: ٤٢].

وَهُوَ الْأَمْرُ الَّذِي كَشَفَهُ الْعَارِ فُونَهُ هُنَا؛ فَيَرُونَ أَنَّ الْحَقَّ مَا فَعَلَ بِهِمْ

مَا أَدَّ عَوْهُ أَنَّهُ فَعَلَهُ. وَأَنَّ ذَلِكَ مِنْهُمْ. فَإِنَّهُ مَا عَلَّمَهُمْ إِلَّا عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ.

89

فَتَنَدَ حُضْرُ حُجَّتِهِمْ وَتَبَقَّى الْحُجَّةُ لِلَّهِ الْبَالِغَةُ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا فَا بَدَّةٌ قَوْلِهِ: ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [سورة الأ نعام

: ١٤٩]. قُلْنَا: ﴿لَوْ شَاءَ﴾: ﴿لَوْ﴾ حَرْفُ امْتِنَاعٍ أَلَا مِتْنَاعٍ. فَمَا شَاءَ إِلَّا

مَا هُوَ الْأَمْرُ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ عَيْنُ الْمُمَكِّنِ قَا بِلْ لِلشَّيْءِ وَنَقِضِهِ، فِي حُكْمِ دَلِيلِ

الْعَقْلِ. وَآيُ الْحُكْمَيْنِ الْمُعْفَوَيْنِ وَقَعَ. ذَلِكَ هُوَ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ الْمُمَكِّنُ فِي

حَالِ ثُبُوتِهِ.

وَمَعْنَى ﴿لَهَدَىٰكُمْ﴾: لَبَّيْنِ لَكُمْ. وَمَا كُلُّ مُمَكِّنٍ مِنَ الْعَالَمِ، فَتَحَ اللَّهُ عَيْنَ

بَصِيرَتِهِ، لِإِدْرَاكِ الْأَمْرِ فِي نَفْسِهِ، عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ؛ فَمِنْهُمْ الْعَالِمُ وَالْجَاهِلُ.

[١٧ وجه] فَمَا شَاءَ، فَمَا هَذَا هُمْ أَجْمَعِينَ، وَلَا يَشَاءُ.

وَكَذَا لِكَ «إِنْ يَشَاءَ»: فَهَلْ يَشَاءُ؟ هَذَا مَا لَا يَكُونُ.

فَمَشِيئَتُهُ أَحَدِيَّةُ التَّعْلُقِ، وَهِيَ نِسْبَةُ تَابِعَةٍ لِلْعِلْمِ، وَالْعِلْمُ نِسْبَةُ تَابِعَةٍ

لِلْمَعْلُومِ. وَالْمَعْلُومُ أَنْتَ وَأَحْوَا لِكَ. فَلَيْسَ لِلْعِلْمِ أَثَرٌ فِي الْمَعْلُومِ، بَلْ لِلْمَعْلُومِ

أَثَرٌ فِي الْعَالِمِ، فَيُعْطِيهِ مِنْ نَفْسِهِ، مَا هُوَ عَلَيْهِ فِي عَيْنِهِ.

وَإِنَّمَا وَرَدَ الْخِطَابُ إِلَّا لِهَيْئِ بِحَسَبِ مَا تَوَاتَرَ طَأً عَلَيْهِ الْمُخَاطَبُونَ، وَمَا

90

أَعْطَاهُ النَّظَرُ الْعَقْلِيُّ، مَا وَرَدَ الْخِطَابُ عَلَى مَا يُعْطِيهِ الْكَشْفُ. وَلِذَا لِكَ كَثُرَ

الْمُؤْمِنُونَ، وَقَلَّ الْعَارِ فُونُ أَصْحَابِ الْكُشُوفِ.

﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [سورة الصافات: ١٦٤].

وَهُوَ مَا كُنْتَ بِهِ فِي ثُبُوتِكَ، ظَهَرَتْ بِهِ فِي وُجُودِكَ.

هَذَا إِنْ ثَبَتَ أَنَّ لَكَ وُجُودًا.

فَإِنْ ثَبَتَ أَنَّ الْوُجُودَ لِلْحَقِّ، لَا لَكَ، فَالْحُكْمُ لَكَ بِلَا شَكٍّ فِي وُجُودِ

الْحَقِّ.

وَإِنْ ثَبَتَ أَنَّكَ الْمَوْجُودُ، فَالْحُكْمُ لَكَ بِلَا شَكٍّ.

وَإِنْ كَانَ الْحَاكِمُ الْحَقُّ، فَلَيْسَ لَهُ إِلَّا إِفَا ضَعُفُ الْوُجُودِ عَلَيْكَ، وَالْحُكْمُ لَكَ

عَلَيْكَ.

فَلَا تَحْمَدُ إِلَّا نَفْسَكَ، وَلَا تَذُمُّ إِلَّا نَفْسَكَ.

وَمَا يَبْقَى لِلْحَقِّ إِلَّا حَمْدُ إِفَا ضَعُفِ الْوُجُودِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَهُ، لَا لَكَ.

فَأَنْتَ غِذَاؤُهُ بِالْأَحْكَامِ، وَهُوَ غِذَاؤُكَ بِالْوُجُودِ.

فَتَعَيَّنَ عَلَيْهِ مَا تَعَيَّنَ عَلَيْكَ.

فَالأَمْرُ مِنْهُ إِلَيْكَ، وَمِنْكَ إِلَيْهِ.

غَيْرَ أَنَّكَ تُسَمِّي 'مُكَلَّفًا'.. وَمَا كَلَّفَكَ.: إِلَّا بِمَا قُلْتَ لَهُ: « كَلَّفَنِي

بِحَا لِكَ وَبِمَا أَنْتَ عَلَيْهِ. وَلَا تُسَمِّي 'مُكَلَّفًا'، أَسْمُ مَفْعُولٍ.

91

[مَجْزُوءُ الْوَا فِر]

١- فَيَحْمَدُنِي وَأَحْمَدُهُ وَيَعْبُدُنِي وَأَعْبُدُهُ

٢- فَفِي حَالٍ أَقْرَبُهُ وَفِي الْإِعْيَانِ أَجْحَدُهُ

٣- فَيَعْرِفُنِي وَأُنْكِرُهُ وَأَعْرِفُهُ فَأَشْهَدُهُ

٤- فَأَنْبِي بِلِغْنِي وَأَنَا

٥- لِذَاكَ الْحَقُّ أَوْ جَدَنِي

٦- بِذَا جَاءَ الْحَدِيثُ لَنَا

[١٧ ظهر] وَلَمَّا كَانَ لِلْخَلِيلِ هَذِهِ الْمَرْتَبَةُ، الَّتِي بِهَا سُمِّيَ خَلِيلًا؛

لِذَلِكَ سَنَّ الْقَرَى، وَجَعَلَهُ أَبْنُ مَسَرَّةٍ مَعَ مِيكَائِيلَ لِلْأَرْزَاقِ، وَبِالْأَرْزَاقِ
يَكُونُ تَغْذِي الْمَرْزُوقِينَ. فَإِذَا تَخَلَّلَ الرِّزْقُ ذَاتَ الْمَرْزُوقِ، بَحِيثٌ لَا يَبْقَى
فِيهِ شَيْءٌ إِلَّا تَخَلَّلَهُ، فَإِنَّ الْغِذَاءَ يَسْرِي فِي جَمِيعِ أَجْزَاءِ الْمُتَغَذِّي كُلِّهَا.
وَمَا هُنَا لِكَ أَجْزَاءٍ. فَلَا بُدَّ أَنْ يَتَخَلَّلَ جَمِيعُ الْمَقَامَاتِ إِلَّا لِهِئَةٍ، الْمَعْبَرِ عَنْهَا
بِالْأَسْمَاءِ فَتَظْهَرُ بِهَا ذَاتُهَا، جَلَّ وَعَلَا.

92

[مَجْزُوءُ الْوَا فِر]

- ١- فَنَحْنُ لَهُ كَمَا تَبَيَّنَتْ أَدِ لَتْنَا وَنَحْنُ لَنَا
- ٢- وَلَيْسَ لَهُ سِوَى كَوْنِي فَنَحْنُ لَهُ كَنَحْنُ بِنَا
- ٣- فَلِي وَجْهَانِ: «هُوَ» وَ«أَنَا» وَلَيْسَ لَهُ أَنَا بِأَنَا
- ٤- وَلَكِنْ فِي مَظْهَرِهِ فَنَحْنُ لَهُ كَمِثْلٍ إِنَّا

93

﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [سورة الأَحْزَاب: ٤].

[٦] ﴿فَصْ حِكْمَةً حَقِّيَّةً فِي كَلِمَةٍ إِسْحَاقِيَّةً﴾

94

[الطويل]

- ١- فِدَاءُ نَبِيِّ ذَبَحَ ذَبْحَ لِقْرِ بَانٍ
- وَأَيْنَ ثَوَاجُ الْكَبْشِ مِنْ نُوسِ إِنْسَانٍ
- ٢- وَعَظَمَةُ اللَّهِ الْعَظِيمِ عِنَايَةً بِنَا
- أَوْ بِهِ لَا أَدْرِي مِنْ أَيِّ مِيزَانٍ
- ٣- وَلَا شَكَّ أَنَّ الْبُذْنَ أَعْظَمُ قِيَمَةً
- وَقَدْ نَزَلَتْ عَنْ ذَبْحِ كَبْشٍ لِقْرِ بَانٍ
- ٥- فَيَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ نَابَ بِذَا تِهِ
- شُخَيْصٌ كُبَيْشٍ عَنْ خَلِيفَةِ رَحْمَانٍ
- ٦- أَلَمْ تَدْرِ أَنَّ الْأَمْرَ فِيهِ مُرَتَّبٌ

95

وَقَاءُ لَأَرْبَاحٍ وَنَقْصٌ لِحُسْرَانٍ

٧- فَلَا خَلْقَ أَعْلَى مِنْ جَمَادٍ وَبَعْدَهُ

نَبَاتٌ عَلَى قَدَرٍ يَكُونُ وَأَوْزَانِ

٨- وَذُو الْحِسِّ بَعْدَ النَّبْتِ وَالْكَلِّ

عَارِفٌ بِخَلَاقِهِ كَشْفًا وَإِضَاحٍ بِرِهَانِ

٩- وَأَمَّا الْمُسَمَّى «أَدَمًا» فَمُقَيَّدٌ

بِعَقْلِ وَفَكْرٍ أَوْ قِلَادَةِ إِيْمَانِ

١٠- بَدَأَ قَالَ سَهْلٌ وَالْمُحَقِّقُ مِثْلُنَا

لَا نَأَى وَإِيَّا هُمْ بِمَنْزِلِ إِحْسَانِ

١١- فَمَنْ شَهِدَ الْأَمْرَ الَّذِي قَدْ شَهِدَتْهُ

يَقُولُ يَقُولُ لِي فِي خَفَاءٍ وَإِغْلَانِ

[١٨ وجه] ١٢- وَلَا تَلْتَفِتْ قَوْلًا يُخَالِفُ قَوْلَنَا

وَلَا تَبْذُرِ السَّمَرَ فِي أَرْضِ عُمَيَّانِ

١٣- هُمُ الصُّمُّ وَالْبُكْمُ الَّذِينَ أَتَى بِهِمْ

لَا سَمَاءَ عِنَّا الْمَعْصُومُ فِي نَصِّ قُرْآنِ

أَعْلَمَ أَيَّدَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ، أَنَّ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ قَالَ لِأَبْنَيْهِ: ﴿إِنِّي أَرَى فِي

الْمَنَامِ أَنِّي أَذْ بَحْكَ﴾ [سورة لصافات: ١٠٢]، وَالْمَنَامُ حَضْرَةُ الْخِيَالِ، فَلَمْ

يُعْبَرْ هَا.

وَكَانَ كَبْشُ ظَهَرَ فِي صُورَةِ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْمَنَامِ، فَصَدَّقَ إِبْرَاهِيمَ

الرُّؤْيَا فَفَدَاهُ رَبُّهُ، مِنْ وَهْمِ إِبْرَاهِيمَ، بِأَنَّ لَدَى بَحِ الْعَظِيمِ؛ الَّذِي هُوَ تَعْبِيرُ رُؤْيَاهُ

عِنْدَ اللَّهِ، وَهُوَ لَا يَشْعُرُ.

فَا لَتَجَلَّى الصُّورِيُّ فِي حَضْرَةِ الْخِيَالِ، مُحْتَاجٌ إِلَى عِلْمٍ آخَرَ بِهِ يُدْرِكُ

مَا أَرَادَ اللَّهُ بِتِلْكَ الصُّورَةِ.

أَلَا تَرَى كَيْفَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي بَكْرٍ فِي

تَعْبِيرِهِ الرُّؤْيَا : «أَصَبْتَ بَعْضًا وَأَخْطَأْتَ بَعْضًا» فَسَأَلَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ أَنْ يُعْرِفَهُ

مَا صَابَ فِيهِ وَمَا خَطَأَ. فَلَمْ يَفْعَلْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ نَادَاهُ: ﴿أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ

صَدَقْتَ الرُّؤْيَا﴾ [سورة لصافات: ١٠٤-١٠٥]، وَمَا قَالَ لَهُ: «صَدَقْتَ فِي

الرُّؤْيَا» إِنَّهُ أَتَيْتُكَ؛ لِأَنَّهُ مَا عَبَّرَهَا، بَلْ أَخَذَ بِظَاهِرِ مَا رَأَى. وَالرُّؤْيَا تَطْلُبُ

التَّعْبِيرَ.

وَلِذَا لَكَ قَالَ الْعَزِيزُ: ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [سورة يوسف: ٤٣].

وَمَعْنَى التَّعْبِيرِ: الْجَوَازُ مِنْ صُورَةِ مَا رَأَاهُ إِلَى أَمْرٍ آخَرَ.

فَكَانَتْ الْبَقَرَةُ سِنِينَ فِي الْمَحَلِّ وَالْخَصْبِ. فَلَوْ صَدَقَ فِي الرُّؤْيَا،

لَذَبَحَ أَبْنَاهُ.

وَإِنَّمَا صَدَقَ الرُّؤْيَا فِي أَنَّ ذَلِكَ عَيْنٌ وَلَدِهِ، وَمَا كَانَ عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا

الَّذِي بَحَّ الْعَظِيمُ فِي صُورَةِ وَلَدِهِ.

فَفَدَاهُ لِمَا وَقَعَ فِي ذَهْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مَا هُوَ فِدَاءٌ فِي

نَفْسِ الْإِمْرِ عِنْدَ اللَّهِ.

فَصَوَّرَ الْحِسُّ الَّذِي بَحَّ، وَصَوَّرَ الْخَيَالُ أَبْنَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فَلَوْ رَأَى الْكَبْشَ فِي الْخَيَالِ لَعَبَّرَهُ بِأَبْنِهِ، أَوْ بِأَمْرٍ آخَرَ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ﴾ [سورة لصافات: ١٠٦] أَيْ: الْإِخْتِبَارُ،

﴿الْمُبْتَلَى﴾، أَيْ: الظَّاهِرُ. يَعْنِي: الْإِخْتِبَارُ فِي الْعِلْمِ. هَلْ يَعْلَمُ مَا يَقْتَضِيهِ مَوْطِنُ

الرُّؤْيَا مِنَ التَّعْبِيرِ [١٨ ظهر] أَمْ لَا؟ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ مَوْطِنَ الْخَيَالِ يَطْلُبُ

التَّعْبِيرَ. فَعَفَلَ فَمَا وَفَى الْمَوْطِنَ حَقَّهُ، وَصَدَقَ الرُّؤْيَا لِهَذَا السَّبَبِ.

كَمَا فَعَلَ بَقِيُّ بْنُ مَخْلَدٍ إِلَّا مَا صَاحِبُ الْمُسْنَدِ، سَمِعَ فِي الْخَبَرِ

الَّذِي ثَبَتَ عِنْدَهُ، أَنَّهُ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — قَالَ: «مَنْ رَأَى نَبِيَّ فِي النَّوْمِ، فَقَدْ

رَأَى نَبِيَّ فِي الْيَقَظَةِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتِمَثَّلُ عَلَى صُورَتِي»، فَرَأَاهُ بَقِيُّ بْنُ

مَخْلَدٍ، وَسَفَاهُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذِهِ الرُّؤْيَا لَبَنًا، فَصَدَقَ بَقِيُّ

بْنُ مَخْلَدٍ رُؤْيَاهُ، فَأَسْتَفَاءَ، فَقَاءَ لَبْنًا. وَلَوْ عَبَّرَ رُؤْيَاهُ لَكَانَ ذَلِكَ اللَّبَنُ عِلْمًا.
 فَحَرَمَهُ اللَّهُ عِلْمًا كَثِيرًا عَلَى قَدَرٍ مَا شَرِبَ. أَلَا تَرَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ، أَتَى فِي الْمَنَامِ بِقَدَحِ لَبْنٍ. قَالَ: « فَشَرِبْتُه حَتَّى خَرَجَ الرَّيُّ مِنْ
 أَظْفَارِي، ثُمَّ أُعْطِيتُ فَضْلِي عُمَرُ ». قِيلَ: مَا أَوْ لَتْهُ يَارَ سَوَّلَ اللَّهُ؟ قَالَ:
 « الْعِلْمُ », وَمَا تَرَكَهُ لَبْنًا عَلَى صُورَةِ مَا رَأَاهُ، لِعِلْمِهِ بِمَوَاطِنِ الرُّؤْيَا، وَمَا تَقْتَضِي
 مِنَ التَّعْيِيرِ.

وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ صُورَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي شَاءَ هَذِهِ هِيَ الْحِسُّ
 إِنَّهَا فِي الْمَدِينَةِ مَذْفُونَةٌ، وَأَنَّ صُورَةَ رُؤْيَاهُ وَلَطِيفَتُهُ، مَا شَاءَ هَذِهِ أَحَدٌ مِنْ
 أَحَدٍ وَلَا مِنْ نَفْسِهِ.
 كُلُّ رُوحٍ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ.

فَيَتَجَسَّدُ لَهُ رُوحُ النَّبِيِّ فِي الْمَنَامِ بِصُورَةِ جَسَدِهِ كَمَا مَاتَ عَلَيْهِ، لَا يَخْرِمُ
 مِنْهُ شَيْئًا. فَهُوَ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، الْمَرْبِيُّ مِنْ حَيْثُ رُؤْيَاهُ، فِي صُورَةِ
 جَسَدِيَّةٍ تُشَبِّهُ الْمَذْفُونَةَ، لَا يُمْكِنُ لِشَيْطَانٍ أَنْ يَتَّصِرَ بِصُورَةِ جَسَدِهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عِصْمَةً مِنَ اللَّهِ فِي حَقِّ الرَّأْيِيِّ.

وَلِهَذَا مَنْ رَأَاهُ بِهَذِهِ الصُّورَةِ يَأْخُذُ عَنْهُ جَمِيعَ مَا يَأْمُرُهُ بِهِ، أَوْ يَنْهَاهُ، أَوْ
 يُخْبِرُهُ، كَمَا كَانَ يَأْخُذُ عَنْهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْأَحْكَامِ عَلَى حَسَبِ
 مَا يَكُونُ مِنْهُ اللَّفْظُ الدَّالُّ عَلَيْهِ مِنْ نَصٍّ، أَوْ ظَاهِرٍ، أَوْ مُجْمَلٍ، أَوْ مَا كَانَ.
 فَإِنْ أَعْطَاهُ شَيْئًا، فَإِنَّ ذَلِكَ الشَّيْءَ هُوَ الَّذِي يَدْخُلُهُ التَّعْيِيرُ، فَإِنْ خَرَجَ فِي
 الْحِسِّ كَمَا كَانَ فِي الْخَيَالِ، فَتِلْكَ رُؤْيَا لَا تَعْيِيرَ لَهَا. وَبِهَذَا الْقَدَرِ وَعَلَيْهِ

أَعْنَمَدَ إِبْرَاهِيمَ [١٩ وجه] الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَبَقِيَ بَنُ مَخْلَدٍ.
 وَلَمَّا كَانَ لِلرُّؤْيَا هَذَانِ الْوَجْهَانِ، وَعَلَّمَنَا اللَّهُ فِيمَا فَعَلَ بِإِبْرَاهِيمَ،
 وَمَا قَالَ لَهُ الْأَدَبُ، لِمَا يُعْطِيهِ مَقَامُ النُّبُوَّةِ، عَلِمْنَا فِي رُؤْيَيْنَا الْحَقَّ تَعَالَى فِي
 صُورَةِ يَرُدُّ هَذَا الدَّلِيلُ الْعَقْلِيُّ أَنَّ نَعْبَرَ تِلْكَ الصُّورَةَ بِالْحَقِّ الْمَشْرُوعِ. إِمَّا فِي

حَقَّ حَالِ الرَّأْيِيِّ، أَوِ الْمَكَانِ الَّذِي رَأَاهُ فِيهِ، أَوْ هُمَا مَعًا. فَإِنْ لَمْ يَرُدَّ هَا الدَّ لَيْلِ
الْعُقْلِيِّ، أَبْقَيْنَا هَا عَلَى مَرَأً يَنَا هَا كَمَا نَرَى الْحَقَّ فِي الْآ خِرَةِ سَوَاءً.

[الطويل]

١- فَلِلَّوَا حِدِ الرَّ حُمْنِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ

مِنْ الصُّورِ مَا يَخْفَى وَمَا هُوَ ظَاهِرٌ

٢- فَإِنْ قُلْتَ: « هَذَا الْحَقُّ قَدْ تَكَّ صَادِقًا »

وَأِنْ قُلْتَ: « أَمْرٌ آخَرُ » أَنْتَ عَا بِرٌ

٣- وَمَا حُكْمُهُ فِي مَوْطِنٍ دُونَ مَوْطِنٍ

وَلَكِنَّهُ بِأَلْحَقِّ لِلْخَلْقِ سَا فِرٌ

٤- إِذَا مَا تَجَلَّى لِلْعُيُونِ تَرُدُّهُ

105

عُقُولُ بِرٍ هَانٍ عَلَيْهِ تَتَأْ بِرٌ

٥- وَيُقْبَلُ فِي مَجَلَى الْعُقُولِ وَفِي الَّذِي

يُسَمَّى خَيَالًا وَاصْصِحِّحُ النَّوَا ظِرٌ

يَقُولُ أَبُو يَزِيدٍ فِي هَذَا الْمَقَامِ: « لَوْ أَنَّ الْعَرْشَ وَمَا حَوَاهُ، مَا نَهَ أَلْفِ

أَلْفِ مَرَّةً، فِي زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَا قَلْبِ الْعَارِفِ، مَا أَحَسَّ بِهَا ».

وَهَذَا وَسُئِلَ أَبِي يَزِيدٍ فِي عَا لَمْ الْأَجْسَامِ.

بَلْ أَقُولُ: لَوْ أَنَّ مَا لَا يَتَنَا هَيَّ وَجُودُهُ، يَقْدِرُ أَنْتَهَاءُ وَجُودِهِ، مَعَ الْعَيْنِ

الْمُوجِدَةِ لَهُ، فِي زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَا قَلْبِ الْعَارِفِ، مَا أَحَسَّ بِذَلِكَ فِي عِلْمِهِ.

فَإِنَّهُ قَدْ ثَبَتَ أَنَّ الْقَلْبَ وَسِعَ الْحَقَّ، وَمَعَ ذَلِكَ مَا تَصَفَّ بِالرَّيِّ، فَلَوْ

أَمْتَلَا أَرْ نَوَى.

106

وَقَدْ قَالَ ذَلِكَ أَبُو يَزِيدٍ.

وَلَقَدْ نَبَّهْنَا عَلَى هَذَا الْمَقَامِ بِقَوْلِنَا:

[السريع]

١- يَا خَا لِقَ الْأَشْيَاءِ فِي نَفْسِهِ

أَنْتَ لِمَا تَخْلُقُهُ جَا مَعُ

٢- تَخْلُقُ مَا لَا يَنْتَهِي كَوْنُهُ فِيهِ

لَكَ فَأَنْتَ الضَّيِّقُ الْوَاسِعُ

٣- لَوْ أَنَّ مَا قَدْ خَلَقَ اللَّهُ مَا

لَا حَ بِقَلْبِي فَجَرُهُ السَّاطِعُ

٤- مَنْ وَسِعَ الْحَقُّ فَمَا ضَاقَ عَنْ

خَلْقٍ فَكَيْفَ الْأَمْرُ يَا سَا مَعُ

يَا لَوْ هُمْ يَخْلُقُ كُلُّ إِنْسَانٍ فِي قُوَّةِ خَيَالِهِ، مَا لَا وُجُودَ لَهُ إِلَّا فِيهَا، وَهَذَا هُوَ
الْأَمْرُ الْعَامُّ.

[١٩ ظهر] وَالْعَارِفُ يَخْلُقُ بِأَلْهَمَةٍ مَا يَكُونُ لَهُ وُجُودٌ مِنْ خَارِجِ مَحَلِّ

الْهَمَّةِ.

وَلَكِنْ لَا تَزَالُ الْهَمَّةُ تَحْفَظُهُ. وَلَا يَوُودُ هَا حِفْظُهُ، أَي: حِفْظُ مَا خَلَقْتَهُ.

فَمَتَى طَرَأَ عَلَى الْعَارِفِ غَفْلَةٌ عَنْ حِفْظِ مَا خَلَقَ عَدِمَ ذَلِكَ الْمَخْلُوقُ، إِلَّا أَنْ

107

يَكُونُ الْعَارِفُ قَدْ ضَبَطَ جَمِيعَ الْحَضَرَاتِ، وَهُوَ لَا يَغْفُلُ مُطْلَقًا، بَلْ لَا بُدَّ لَهُ

مِنْ حَضَرَةٍ يَشْهَدُ هَا، فَإِذَا خَلَقَ الْعَارِفُ بِهَمَّتِهِ مَا خَلَقَ، وَلَهُ هَذِهِ الْإِحَاطَةُ، ظَهَرَ

ذَلِكَ الْخَلْقُ بِصُورَتِهِ فِي كُلِّ حَضَرَةٍ، وَصَارَتْ الصُّورُ تَحْفَظُ بَعْضَهَا بَعْضًا،

فَإِذَا غَفَلَ الْعَارِفُ عَنْ حَضَرَةٍ مَا، أَوْ عَنْ حَضَرَاتٍ، وَهُوَ شَا هِدُ حَضَرَةٍ مَا

مِنْ الْحَضَرَاتِ، حَا فِظُ لِمَا فِيهَا مِنْ صُورَةِ خَلْقِهِ، أُنْحَفَظَتْ جَمِيعُ الصُّورِ،

بِحِفْظِهِ تِلْكَ الصُّورَةَ الْوَاحِدَةَ فِي الْحَضَرَةِ الَّتِي مَا غَفَلَ عَنْهَا.

لِأَنَّ الْغَفْلَةَ مَا تَعُمُّ قَطُّ، لَا فِي الْعُمُومِ وَلَا فِي الْخُصُوصِ.

وَقَدْ أَوْضَحْتُ هُنَا سِرًّا لَمْ يَزَلْ أَهْلُ اللَّهِ يَغَارُونَ — عَلَى مِثْلِ هَذَا —

أَنْ يَظْهَرَ.

لَمَّا فِيهِ مِنْ رَدِّ دَعْوَا هُمْ أَنَّهُمُ الْحَقُّ، فَإِنَّ الْحَقَّ لَا يَغْفُلُ. وَالْعَبْدُ لَا بُدَّ لَهُ أَنْ يَغْفُلَ عَنْ شَيْءٍ دُونَ شَيْءٍ، فَمِنْ حَيْثُ الْحِفْظُ لَمَّا خُلِقَ لَهُ، أَنْ يَقُولَ: «أَنَا الْحَقُّ». وَلَكِنْ مَا حِفْظُهُ لَهَا حِفْظَ الْحَقِّ، وَقَدْ بَيَّنَّا الْفَرْقَ.

108

وَمِنْ حَيْثُ مَا غَفَلَ عَنْ صُورَةٍ مَا وَحَضَرَ تَهَا، فَقَدْ تَمَيَّزَ الْعَبْدُ مِنَ الْحَقِّ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَتَمَيَّزَ مَعَ بَقَاءِ الْحِفْظِ لِجَمِيعِ الصُّوَرِ، بِحِفْظِهِ صُورَةَ وَاحِدَةٍ مِنْهَا فِي الْحَضَرَةِ، الَّتِي مَا غَفَلَ عَنْهَا. فَهَذَا حِفْظٌ بِاَلتَّضَمُّنِ. وَحِفْظَ الْحَقِّ مَا خَلَقَ لَيْسَ كَذَا لِكَ، بَلْ حِفْظُهُ لِكُلِّ صُورَةٍ عَلَى التَّعْيِينِ. وَهَذِهِ مَسْأَلَةٌ أُخْبِرْتُ أَنَّهُ مَا سَطَرَ هَا أَحَدُ فِي كِتَابٍ، لَا أَنَا وَلَا غَيْرِي، إِلَّا فِي هَذَا الْكِتَابِ. فَهِيَ يَتِيمَةُ الْوَقْتِ، فَرِيدَةٌ. فَإِنَّ يَأْكُ أَنْ تَغْفُلَ عَنْهَا. فَإِنَّ تِلْكَ الْحَضَرَةَ الَّتِي تُبْقِي لَكَ الْحُضُورَ فِيهَا مَعَ الصُّورَةِ، مِثْلُهَا مِثْلُ الْكِتَابِ الَّذِي قَالَ اللَّهُ فِيهِ: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [سورة الأ نعام: ٣٨].

فَهُوَ الْجَا مَعَ لِلْوَا قِعِ وَغَيْرِ الْوَا قِعِ. [٢٠ وجه]
وَلَا يَعْرِفُ مَا قُلْنَاهُ إِلَّا مَنْ كَانَ قَرَأَ نَا فِي نَفْسِهِ.
فَإِنَّ الْمُتَّقِي ﴿اللَّهُ يَجْعَلُ لَهُ فُرْقَانًا﴾ [سورة الأ نفال: ٢٩].
وَهُوَ مِثْلُ مَا ذَكَرْنَا فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، فِيمَا يَتَمَيَّزُ بِهِ الْعَبْدُ مِنَ الرَّبِّ.
وَهَذَا الْفُرْقَانُ أَرَفُ فُرْقَانٍ.

[الطويل]

١- فَوَقْتًا يَكُونُ الْعَبْدُ رَبًّا بِلَا شَكٍّ

وَوَقْتًا يَكُونُ الْعَبْدُ عَبْدًا بِلَا إِفْكَ

109

٢- فَإِنْ كَانَ عَبْدًا كَانَ بِالْحَقِّ وَاسِعًا

وَإِنْ كَانَ رَبًّا كَانَ فِي عَيْشَةٍ ضَنْكٍ

٣- فَمِنْ كَوْنِهِ عَبْدًا يَرَى عَيْنَ نَفْسِهِ

وَتَتَّسِعُ إِلَّا مَالٌ مِنْهُ بِإِلَا شَكٍّ

٤- وَمَنْ كَوَّنَهُ رَبًّا يَرَى الْخَلْقَ كُلَّهُ

يُطَا لِبُهُ مِنْ حَضْرَةِ الْمَلِكِ وَالْمَلِكِ

٥- وَيَعْجَزُ عَمَّا طَا لِبُوهُ بِذَا تِهِ

لِذَا تَرَّ بَعْضَ الْعَارِ فِينَ بِهِ يَبْكِي

٦- فَكُنْ عَبْدَ رَبِّ، لَا تَكُنْ رَبَّ عَبْدِهِ

فَنَدَّ هَبَ بِاِ لَتَعْلِيْقِ فِي النَّارِ وَالسَّبْكِ

[٧] ﴿ فَصَّ حِكْمَةَ عَلَيْهِ فِي كَلِمَةٍ إِسْمًا عَلَيْهِ ﴾

110

أَعْلَمَ أَنَّ مَسْمَى «الله» أَحَدِي بِاِ لَذَاتِ، كُلُّ بِاِ لَأَسْمَاءِ.

وَكُلُّ مَوْجُودٍ فَمَا لَهُ مِنَ اللَّهِ إِلَّا رَبُّهُ خَا صَةً، يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ لَهُ الْكُلُّ.

وَأَمَّا الْأَحَدِيَّةُ إِلَّا لِهَيْئَةٍ، فَمَا لَوْ أَحَدٍ فِيهَا قَدَمٌ؛ لِأَنَّهُ لَا يُقَالُ لَوْ أَحَدٍ مِنْهَا

شَيْءٌ، وَلَا خَرَّ مِنْهَا شَيْءٌ؛ لِأَنَّهُ لَا تَقْبَلُ التَّبْعِيضَ.

فَأَحَدِيَّتُهُ مَجْمُوعٌ كُلُّهُ بِاِ لِقُوَّةٍ.

وَالسَّعِيدُ مَنْ كَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا، وَمَا تَمَّ إِلَّا مَنْ هُوَ مَرْضِيٌّ عِنْدَ رَبِّهِ؛

لِأَنَّهُ الَّذِي يُبْقِي عَلَيْهِ رُبُّهُ بَيْتَهُ، فَهُوَ عِنْدَهُ مَرْضِيٌّ، فَهُوَ سَعِيدٌ.

وَلِهَذَا قَالَ سَهْلٌ: «إِنَّ لِلرُّبُوبِيَّةِ سِرًّا وَهُوَ أَنْتَ» — يُخَا طِبُ كُلِّ عَيْنٍ —

111

«لَوْ ظَهَرَ لَبَطَلَتِ الرُّبُوبِيَّةُ»، فَادَّ خَلَّ عَلَيْهِ «لَوْ» وَهُوَ حَرْفُ امْتِنَاعٍ

الْمُتِنَاعِ.

وَهُوَ لَا يَظْهَرُ، فَلَا تَبْطُلُ الرُّبُوبِيَّةُ؛ لِأَنَّهُ لَا وُجُودَ لِعَيْنٍ إِلَّا بِرَبِّهِ، وَالْعَيْنُ

مَوْجُودَةٌ دَائِمًا. فَا لِرُّبُوبِيَّةٍ لَا تَبْطُلُ دَائِمًا.

وَكُلُّ مَرْضِيٍّ مَحْبُوبٌ، وَكُلُّ مَا يَفْعَلُ الْمَحْبُوبُ مَحْبُوبٌ.

فَكُلُّهُ مَرْضِيٌّ، لِأَنَّهُ لَا فِعْلَ لِلْعَيْنِ، بَلِ الْفِعْلُ لِرَبِّهَا فِيهَا، فَا طُمَأْنَنَتِ الْعَيْنُ

112

أَنَّ يُضَافَ إِلَيْهَا فِعْلٌ، [٢٠ ظهر] فَكَانَتْ «رَأْيِيَّةً» بِمَا يَظْهَرُ فِيهَا وَعَنْهَا، مِنْ

أَفْعَالِ رَبِّهَا، ﴿مَرَّ ضِيَّةٌ﴾ تِلْكَ الْأَفْعَالُ؛ لِأَنَّ كُلَّ فَا عِلِّ وَصَا نِعِ رَاضٍ عَنْ فِعْلِهِ
وَصَنَعْتِهِ، فَا نَهْ وَفَى فِعْلُهُ وَصَنَعْتُهُ حَقٌّ مَا هِيَ عَلَيْهِ.

﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [سورة طه: ٥٠]، أَي: بَيَّنَّ أَنَّهُ أَعْطَى
كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، فَلَا يَقْبَلُ النِّقْصَ وَلَا الزِّيَادَةَ.

فَكَانَ إِسْمًا عِيلٌ بِعُثُورِهِ عَلَى مَا ذَكَرْنَا عَنْهُ عِنْدَ رَبِّهِ مَرَّ ضِيًّا.
وَكَذًا كُلُّ مَوْجُودٍ عِنْدَ رَبِّهِ مَرَّ ضِيًّا، وَلَا يَلْزَمُ إِذَا كَانَ كُلُّ مَوْجُودٍ عِنْدَ رَبِّهِ
مَرَّ ضِيًّا. :. عَلَى مَا بَيَّنَّاهُ: أَنَّ يَكُونُ مَرَّ ضِيًّا عِنْدَ رَبِّ عَبْدٍ آخَرَ؛ لِأَنَّهُ مَا
أَخَذَ الرَّبُّ بُوَيْيَّةً إِلَّا مِنْ كُلِّ، لَا مِنْ وَاحِدٍ.

فَمَا تَعَيَّنَ لَهُ مِنَ الْكُلِّ إِلَّا مَا يُنَا سَبَبُهُ فَهُوَ رَبُّهُ.

وَلَا يَأْخُذُهُ أَحَدٌ مِنْ حَيْثُ أَحَدٍ يَتُّهُ.

113

وَلِهَذَا مُنِعَ أَهْلُ اللَّهِ التَّجَلِّيَ فِي الْأَحْدِيَّةِ.

فَا نَكَ إِنَّ «نَظَرْتَهُ» بِهِ، فَهُوَ النَّا ظِرُّ نَفْسِهِ، فَمَا زَالَ نا ظِرًّا نَفْسُهُ بِنَفْسِهِ،
وَإِنْ «نَظَرْتَهُ» بِكَ فَرَا لَتِ الْأَحْدِيَّةُ بِكَ.

وَإِنْ «نَظَرْتَهُ» بِهِ وَبِكَ فَرَا لَتِ الْأَحْدِيَّةُ أَيُّضًا؛ لِأَنَّ ضَمِيرَ «التَّاءِ» فِي

«نَظَرْتَهُ»، مَا هُوَ عَيْنُ الْمَنْظُورِ، فَلَا بُدَّ مِنْ وُجُودِ نِسْبَةٍ مَا، أَقْتَضَتْ أَمْرَيْنَ:

نا ظِرًّا وَمَنْظُورًا، فَرَا لَتِ الْأَحْدِيَّةُ. وَإِنْ كَانَ لَمْ يَرَ إِلَّا نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ، وَمَعْلُومٌ

أَنَّهُ فِي هَذَا الْوَصْفِ نا ظِرُّ مَنْظُورٍ، فَا لَمَزَ ضِيًّا لَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ مَرَّ ضِيًّا
مُطْلَقًا.

إِلَّا إِذَا كَانَ جَمِيعُ مَا يَظْهَرُ بِهِ مِنْ فِعْلِ الرَّا ضِيٍّ فِيهِ.

فَفَضَّلَ إِسْمًا عِيلٌ غَيْرُهُ مِنَ الْأَعْيَانِ، بِمَا نَعْنَاهُ الْحَقُّ بِهِ، مِنْ كَوْنِهِ عِنْدَ رَبِّهِ
مَرَّ ضِيًّا

وَكَذًا لِكَ كُلِّ نَفْسٍ مُطْمَئِنَّةٍ، قِيلَ لَهَا: ﴿أَرْجِعِي إِلَى رَبِّكِ﴾ [سورة الفجر:

٢٨] فَمَا أَمَرَ هَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَّا إِلَى رَبِّهَا، الَّذِي دَعَا هَا، فَعَرَفَتْهُ مِنَ الْكُلِّ.

114

﴿رَا ضِيَّةَ مَرْ ضِيَّةَ فَأَدْ خَلَى فِي عَبْدِي﴾ [سورة فجر: ٢٨-٢٩] مِنْ حَيْثُ
مَا لَهُمْ هَذَا الْمَقَامُ. فَا لِعِبَادُ الْمَذْ كُورُونَ هُنَا، كُلُّ عَبْدٍ عَرَفَ رَبَّهُ تَعَالَى،
وَأَقْتَصَرَ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَنْظُرْهُ إِلَى رَبِّ غَيْرِهِ، مَعَ أَحَدٍ يَّةِ الْعَيْنِ. لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ.
﴿وَأَدْ خَلَى جَنَّتِي﴾ [سورة فجر: ٢٩] الَّتِي هِيَ سِتْرِي.

وَلَيْسَتْ جَنَّتِي سِوَاكَ، فَأَنْتَ تَسْتُرُنِي بِذَا تِكَ.

فَلَا أَعْرِفُ إِلَّا بِكَ. كَمَا أَنَّكَ لَا تَكُونُ إِلَّا بِي.

فَمَنْ عَرَفَكَ [٢١ وجه] عَرَفَنِي. وَأَنَا لَا أَعْرِفُ، فَأَنْتَ لَا تَعْرِفُ.

فَإِذَا دَخَلْتَ جَنَّتَهُ، دَخَلْتَ نَفْسَكَ. فَتَعْرِفُ نَفْسَكَ مَعْرِفَةً أُخْرَى. غَيْرَ

الْمَعْرِفَةِ الَّتِي عَرَفْتَهَا حِينَ عَرَفْتَ رَبَّكَ، بِمَعْرِفَتِكَ إِيَّاهَا، فَتَكُونُ صَاحِبَ

مَعْرِفَتَيْنِ: مَعْرِفَةً بِهِ، مِنْ حَيْثُ أَنْتَ. وَمَعْرِفَةً بِهِ بِكَ، مِنْ حَيْثُ هُوَ، لَا مِنْ

حَيْثُ أَنْتَ.

[مُخْلَعُ الْبَسِيطِ]

- | | |
|-----------------------------------|---------------------------------|
| ١- فَأَنْتَ عَبْدٌ وَأَنْتَ رَبٌّ | لَنْ لَهُ فِيهِ أَنْتَ عَبْدٌ |
| ٢- وَأَنْتَ رَبٌّ وَأَنْتَ عَبْدٌ | لَنْ لَهُ فِي الْخِطَابِ عَهْدٌ |
| ٣- فَكُلُّ عَقْدٍ عَلَيْهِ شَخْصٌ | يُحِلُّهُ مَنْ سِوَاهُ عَقْدٌ |

فَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ عِبِيدِهِ، فَهُمْ مَرْ ضِيُونَ. وَرَضُوا عَنْهُ فَهُوَ مَرْ ضِيٌّ. فَتَقَا بَلَتْ

الْحَضَرَ تَانِ تَقَا بُلَ الْأَمْثَالِ، وَالْأَمْثَالُ أَضْدَادُ؛ لِأَنَّ الْمُتَلِينَ حَقِيقَةٌ لَا

يَجْتَمِعَانِ إِذْ لَا يَتَمَيَّزَانِ.

وَمَا تَمَّ إِلَّا مَتَمَيَّرٌ؛ فَمَا تَمَّ مِثْلٌ. فَمَا فِي الْوُجُودِ مِثْلٌ. فَمَا فِي الْوُجُودِ

ضِدٌّ. فَإِنَّ الْوُجُودَ حَقِيقَةٌ وَاحِدَةٌ. وَالشَّيْءُ لَا يُضَادُّ نَفْسَهُ.

[الطويل]

١- فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْحَقُّ، لَمْ يَبْقَ كَا بِنٌ

فَمَا تَمَّ مَوْصُولٌ، وَمَا تَمَّ بَا بِنٌ

٢- بَدَأَ جَاءَ بُرْ هَانِ الْعِيَانِ، فَمَا أَرَى

بِعَيْنَيَّ إِلَّا عَيْنَهُ إِذْ أَعَا يَنْ

﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [سورة لبينة: ٨] أَنْ يَكُونَ لَهُ لِعَلِّهِ بِا لَتَمْيِيزِ.

دَلَّنَا عَلَى ذَلِكَ جَهْلُ أَعْيَانٍ فِي الْوُجُودِ بِمَا أَنَا بِهِ عَا لِمُ.

فَقَدْ وَقَعَ التَّمْيِيزُ بَيْنَ الْعَبِيدِ. فَقَدْ وَقَعَ ١١ لَتَمْيِيزُ بَيْنَ الْأَرْبَابِ.

وَلَوْ لَمْ يَقَعِ التَّمْيِيزُ، لَفُسِّرَ الْأَسْمُ الْوَاحِدُ إِلَّا لِهَيٍّ، مِنْ جَمِيعِ وُجُوهِهِ،

بِمَا يُفَسَّرُ بِهِ الْآخَرُ: وَ«الْمُعَزُّ» لَا يُفَسَّرُ بِتَفْسِيرِ «الْمُذِلُّ»، إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ. 117

لَكِنَّهُ هُوَ مِنْ وَجْهِهِ الْآخَرِ يَتَى، كَمَا تَقُولُ فِي كُلِّ اسْمٍ، إِنَّهُ دَلِيلٌ عَلَى

الذَّاتِ، وَعَلَى حَقِيقَتِهِ مِنْ حَيْثُ هُوَ، فَا لِمُسَمًّى وَاحِدٌ. فَ«الْمُعَزُّ» هُوَ

«الْمُذِلُّ»، مِنْ حَيْثُ الْمُسَمًّى. وَ«الْمُعَزُّ» لَيْسَ «الْمُذِلُّ»، مِنْ حَيْثُ نَفْسُهُ

وَحَقِيقَتُهُ. فَإِنَّ الْمَفْهُومَ يَخْتَلِفُ فِي الْفَهْمِ، فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا.

[مَجْزُوءُ الْوَاحِدِ]

[٢١ ظهر]

وَتُعْرِِيهِ عَنِ الْخَلْقِ
وَتَكْسُوهُ سِوَى الْحَقِّ
وَقُمْ فِي مَقْعَدِ الصِّدْقِ
وَأِنْ شِئْتَ فَفِي الْفَرْقِ
تَبْدِي قَصَبِ السَّبْقِ
وَلَا تُفْنِي وَلَا تُبْقِي
فِي غَيْرٍ وَلَا تُلْقِي

١- فَلَا تَنْظُرْ إِلَى الْحَقِّ
٢- وَلَا تَنْظُرْ إِلَى الْخَلْقِ
٣- وَنَزَّ هُوَ وَشَبَّهَهُ
٤- وَكُنْ فِي الْجَمْعِ إِنْ شِئْتَ
٥- تَحْزَنْ بِأَكْلِ كُلِّ
٦- فَلَا تُفْنِي وَلَا تُبْقِي
٧- وَلَا يُلْقَى عَلَيْكَ الْوَحْيُ

الْتَّاءُ بِصِدْقِ الْوَعْدِ، لَا بِصِدْقِ الْوَعِيدِ. وَاحْضَرَةُ إِلَّا لِهَيْئَةٍ تَطْلُبُ التَّاءَ

الْمَحْمُودَ بِا لَذَاتِ. فَيُنْتَبِئُ عَلَيْهَا بِصِدْقِ الْوَعْدِ، لَا بِصِدْقِ الْوَعِيدِ، بَلْ

بِا لَتَجَاوُزِ. ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلَفًا وَعْدَهُ رَسُولُهُ﴾ [سورة برا هيم: ٤٧]. لَمْ

يَقُلْ: «وَوَعْدِهِ»، بَلْ قَالَ: ﴿وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ [سورة الأحقاف: ١٦]

مَعَ أَنَّهُ تَوَعَّدَ عَلَى ذَلِكَ.

فَأَثْنَىٰ عَلَىٰ إِسْمَاعِيلَ بِأَنَّهُ ﴿كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ [سورة مريم: ٥٤]. وَقَدْ
زَالَ إِلَّا مَكَانُ فِي حَقِّ الْحَقِّ، لِمَا فِيهِ مِنْ طَلَبِ الْمَرْجِحِ.

119

[الطويل]

١- فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صَادِقَ الْوَعْدِ وَحْدَهُ

وَمَا لَوْ عِيدَ الْحَقِّ عَيْنُ تَعَايُنٍ

٢- وَإِنْ دَخَلُوا دَارَ الشَّقَاءِ فَإِنَّهُمْ

عَلَىٰ لَذَّةٍ فِيهَا نَعِيمٌ مَبَايِنُ

٣- نَعِيمَ جَنَّاتِ الْخُلْدِ فَلَا مَرُءٌ وَاحِدٌ

وَبَيْنَهُمَا عِنْدَ التَّجَلِّي تَبَايُنُ

٤- يُسَمَّىٰ عَذَابًا مِنْ عَذَابِ طَعْمِهِ

وَذَلِكَ لَهُ كَالْقَشْرِ وَالْقَشْرِ صَايِنُ

[٨] ﴿فَصِّ حِكْمَةً رَوْحِيَّةً فِي كَلِمَةٍ يَعْقُوبِيَّةً﴾

120

الدِّينُ دِينَانِ: دِينُ عِنْدَ اللَّهِ، وَعِنْدَ مَنْ عَرَفَهُ الْحَقُّ تَعَالَى، وَمَنْ عَرَفَهُ؛

مَنْ عَرَفَهُ الْحَقُّ. وَدِينُ عِنْدَ الْخَلْقِ، وَقَدْ أَعْتَبَرَهُ اللَّهُ.

فَالَّذِي عِنْدَ اللَّهِ هُوَ الَّذِي أَصْطَفَاهُ اللَّهُ، وَأَعْطَاهُ الرُّتْبَةَ الْعَلِيَّةَ عَلَىٰ

دِينِ الْخَلْقِ. فَقَالَ تَعَالَى: [٢٢ وجه] ﴿وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَبْنِيَّ

إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة البقرة:

121

١٣٢]، أَي: مُنْقَادُونَ إِلَيْهِ.

وَجَاءَ «الدِّينُ» بِالْأَلِفِ وَاللَّامِ لِلتَّعْرِيفِ وَالْعَهْدِ، فَهُوَ دِينٌ مَعْلُومٌ

مَعْرُوفٌ. وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [سورة آل عمران:

١٩]، وَهُوَ النَّقِيَادُ. فَالَّذِي عِبَارَةٌ عَنْ أَنْقِيَادِكَ، وَالَّذِي مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ

الشَّرْعُ، الَّذِي أَنْقَدْتَ أَنْتَ إِلَيْهِ.

فَالَّذِي النَّقِيَادُ. وَالنَّاسُ مُوسَى هُوَ الشَّرْعُ الَّذِي شَرَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى. فَمَنْ

أَتَصَفَّ بِالْأَنْقِيَادِ لِمَا شَرَّعَهُ اللَّهُ لَهُ، فَذَلِكَ الَّذِي قَامَ بِهِ لَدَيْنَ، وَأَقَامَهُ أَيُّ:
 أَنْشَأَهُ، كَمَا تُقِيمُ الصَّلَاةَ. فَأَلْعَبْدُ هُوَ الْمُنْشِئُ لَدَيْنَ، وَالْحَقُّ هُوَ الْوَاضِعُ
 لِلْأَحْكَامِ. فَالْأَنْقِيَادُ عَيْنُ فِعْلِكَ، فَأَلَدَيْنُ مِنْ فِعْلِكَ، فَمَا سَعِدْتَ إِلَّا بِمَا كَانَ
 مِنْكَ.

فَكَمَا أُثْبِتَ السَّعَادَةَ لَكَ، مَا كَانَ فِعْلُكَ كَذَا لَكَ، مَا أُثْبِتَ الْأَسْمَاءَ إِلَّا لِهَيْئَةٍ
 إِلَّا أَفْعَا لَهُ. وَهِيَ أَنْتَ. وَهِيَ الْمُحَدَّثَاتُ.

فَبِأَثَرِهِ سُمِّيَ إِلَهًا. وَبِأَثَرِكَ سُمِّيتَ سَعِيدًا .

فَأَنْزَلَكَ تَعَالَى مَنْزِلَتَهُ، إِذَا أَقَمْتَ الدِّينَ، وَأَنْقَدْتَ إِلَى مَا شَرَّعَهُ لَكَ.

وَسَاءَ بَسِطُ فِي ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَقَعُ بِهِ الْفَأَيُّدَةُ، بَعْدَ أَنْ نُبَيِّنَ الدِّينَ
 الَّذِي عِنْدَ الْخَلْقِ، الَّذِي أَعْتَبَرَهُ اللَّهُ.

فَالدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ. وَكُلُّهُ مِنْكَ لَا مِنْهُ، إِلَّا بِحُكْمِ الْأَصَالَةِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوا﴾ [سورة لحد يد: ٢٧]. وَهِيَ النَّوَامِيسُ

الْحُكْمِيَّةُ الَّتِي لَمْ يَجِئِ الرَّسُولُ الْمَعْلُومُ بِهَا — فِي الْعَامَّةِ — مِنْ عِنْدِ

اللَّهِ، بِأَلَطَرِيقَةِ الْخَاصَّةِ الْمَعْلُومَةِ فِي الْعُرْفِ.

فَلَمَّا وَافَقَتِ الْحِكْمَةُ وَالْمَصْلَحَةُ الظَّاهِرَةَ فِيهَا، الْحُكْمُ إِلَّا لِهَيْئَةٍ فِي

الْمَقْصُودِ بِأَلَوْضَعِ الْمَشْرُوعِ إِلَّا لِهَيْئَةٍ، أَعْتَبَرَهَا اللَّهُ أَعْتِبَارَ مَا شَرَّعَهُ مِنْ عِنْدِهِ

تَعَالَى وَمَا كَتَبَهَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ.

وَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قُلُوبِهِمْ بَابَ الْعِنَايَةِ وَالرَّحْمَةِ مِنْ حَيْثُ لَا

يَشْعُرُونَ، جَعَلَ فِي قُلُوبِهِمْ تَعْظِيمَ مَا شَرَّعُوهُ — يَطْلُبُونَ بِذَلِكَ رِضْوَانَ

اللَّهِ — عَلَى غَيْرِ الطَّرِيقَةِ النَّبَوِيَّةِ الْمَعْرُوفَةِ لِتَعْرِيفِ إِلَّا لِهَيْئَةٍ.

فَقَالَ: ﴿فَمَا رَعَوْهَا﴾ [سورة لحد يد: ٢٧] [٢٦ ظهر] هَؤُلَاءِ الَّذِينَ

شَرَّعُوا هَؤُلَاءِ، وَشَرَّعَتْ لَهُمْ ﴿حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [سورة لحد يد: ٢٧] ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ

رِضْوَنِ اللَّهِ﴾ [سورة لحد يد: ٢٧].

وَكَذَلِكَ أَعْتَقَدُوا ﴿فَأَتَيْنَا آلَ زَيْنَ عًا مَنُوا﴾ [سورة لحد يد: ٢٧] بِهَا
 ﴿مِنْهُمْ أَجْرٌ هُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ [سورة لحد يد: ٢٧] أَي: مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ شَرَعَ
 فِيهِمْ هَذِهِ الْعِبَادَةُ ﴿فَسَقُون﴾ [سورة لحد يد: ٢٧]، أَي: خَارِ جُون عَنْ
 الْإِنْقِيَادِ إِلَيْهَا، وَالْإِقْيَامِ بِحَقِّهَا. وَمَنْ لَمْ يَنْقُدْ إِلَيْهَا، لَمْ يَنْقُدْ إِلَيْهِ مُشَرِّعُهُ بِمَا
 يُرْضِيهِ، لَكِنْ الْأَمْرُ يَقْتَضِي الْإِنْقِيَادَ.
 وَبَيَّنَّا نَهْ: أَنَّ الْمَكْلَفَ إِمَّا مُنْقَادٌ بِأَمْرٍ مُفَقَّ، وَإِمَّا مُخَالَفٌ. فَأَمَّا الْمُطِيعُ
 لَا كَلَامَ فِيهِ لِبَيِّانِهِ. وَأَمَّا الْمُخَالَفُ فَإِنَّهُ يَطْلُبُ — بِخِلَافِهِ الْحَاكِمَ عَلَيْهِ —
 مِنَ اللَّهِ أَحَدَ أَمْرَيْنِ: إِمَّا التَّجَاوُزَ وَالْعَفْوَ، وَإِمَّا مَا أَخَذَ عَلَى ذَلِكَ. وَلَا بُدَّ مِنْ
 أَحَدِهِمَا؛ لِأَنَّ الْأَمْرَ حَقٌّ فِي نَفْسِهِ. فَعَلَى كُلِّ حَالٍ قَدْ صَحَّ انْقِيَادُ الْحَقِّ إِلَى
 عِبْدِهِ لِأَفْعَالِهِ، وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَالِ.
 فَأَلْحَالُ هُوَ الْمُؤَثَّرُ.

فَمِنْ هُنَا كَانَ الدِّينُ جَزَاءً، أَي: مُعَاوَضَةً، بِمَا يَسُرُّ أَوْ بِمَا لَا يَسُرُّ.
 فَبِمَا يَسُرُّ ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ هَذَا جَزَاءٌ بِمَا يَسُرُّ
 ﴿وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نَذْفُهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ [سورة لفرقان: ١٩]؛ هَذَا جَزَاءٌ بِمَا لَا
 يَسُرُّ ﴿وَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ [سورة الأحقاف: ١٦]، هَذَا جَزَاءٌ.
 فَصَحَّ أَنَّ الدِّينَ هُوَ الْجَزَاءُ. وَكَمَا أَنَّ الدِّينَ هُوَ إِلَّا سَلَامٌ، وَإِلَّا سَلَامٌ عَيْنُ
 الْإِنْقِيَادِ، فَقَدْ انْقَادَ إِلَى مَا يَسُرُّ، وَإِلَى مَا لَا يَسُرُّ، وَهُوَ الْجَزَاءُ.
 هَذَا لِسَانُ الظَّاهِرِ فِي هَذَا الْبَابِ.

وَأَمَّا سِرُّهُ وَبَاطِنُهُ فَإِنَّهُ تَجَلَّى فِي مِرَاةِ وُجُودِ الْحَقِّ، فَلَا يَعُودُ عَلَى
 الْمُمَكِّنَاتِ مِنَ الْحَقِّ، إِلَّا مَا تُعْطِيهِ دَوَا تُهُمْ فِي أَحْوَالِهَا، فَإِنَّ لَهُمْ فِي كُلِّ حَالٍ
 صُورَةً، فَتَخْتَلِفُ صُورُهُمْ لِمَا خْتَلَفَ أَحْوَالُهُمْ، فَيَخْتَلِفُ التَّجَلِّيُ لِمَا خْتَلَفَ
 الْحَالِ، فَيَقَعُ الْأَثَرُ فِي الْعَبْدِ بِحَسَبِ مَا يَكُونُ، فَمَا أَعْطَاهُ الْخَيْرَ سِوَاهُ، وَلَا
 أَعْطَاهُ ضِدَّ الْخَيْرِ غَيْرُهُ، بَلْ هُوَ مُنْعَمٌ ذَاتُهُ وَمُعْذَّبٌ بِهَا، فَلَا يَدُّ مَنْ إِلَّا نَفْسَهُ، وَلَا

يَحْمَدَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ ﴿ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ ﴾ [سورة الأ نعام: ١٤٩] فِي عِلْمِهِ بِهِمْ، إِذِ الْعِلْمُ يَتَّبِعُ الْمَعْلُومَ.

ثُمَّ السِّرُّ الَّذِي فَوْقَ هَذَا فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ أَنَّ الْمُمَكِّنَاتِ عَلَى أَصْلِهَا مِنْ الْعَدَمِ وَلَيْسَ وُجُودٌ إِلَّا وُجُودَ الْحَقِّ، بِصُورِ أَحْوَالٍ مَا هِيَ عَلَيْهِ [٢٣] وَجْهٍ] الْمُمَكِّنَاتِ فِي أَنْفُسِهَا وَأَعْيَانِهَا. فَقَدْ عَلِمْتَ مَنْ يَلْتَذُّ وَمَنْ يَتَأَلَّمُ. وَمَا يَعْقُبُ كُلَّ حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ.

وَبِهِ سُمِّيَ عَقُوبَةً وَعَقَابًا.

وَهُوَ سَائِلٌ فِي الْخَيْرِ وَالْشَّرِّ، غَيْرَ أَنَّ الْعُرْفَ سَمَّاهُ فِي الْخَيْرِ ثَوَابًا، وَفِي الشَّرِّ: عِقَابًا.

125

وَبِهَذَا سُمِّيَ أَوْ شُرِّحَ الدِّينُ بِالْعَادَةِ؛ لِأَنَّهُ عَادَ عَلَيْهِ مَا يَقْتَضِيهِ وَيَطْلُبُهُ حَالُهُ، فَالِدِّينُ الْعَادَةُ.

قَالَ الشَّاعِرُ:

[الطويل]

كَدَّ يَنْكَ مِنْ أُمَّ الْحَوَارِثِ قَبْلَهَا

أَي: عَادَتْكَ. وَمَعْقُولُ الْعَادَةِ أَنَّ يَعُودَ الْأَمْرَ بِعَيْنِهِ إِلَى حَالِهِ. وَهَذَا لَيْسَ ثُمَّ فَإِنَّ الْعَادَةَ تَكَرَّرُ.

لَكِنَّ الْعَادَةَ حَقِيقَةٌ مَعْقُولَةٌ، وَالتَّشَابُهُ فِي الصُّورِ مَوْجُودٌ، فَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ زَيْدًا عَيْنُ عَمْرٍو، فِي الْإِنْسَانِيَّةِ، وَمَا عَادَتْ الْإِنْسَانِيَّةُ، إِذْ لَوْ عَادَتْ تَكَثَّرَتْ، وَهِيَ حَقِيقَةٌ وَاحِدَةٌ. وَالْوَحْدُ لَا يَتَكَثَّرُ فِي نَفْسِهِ، وَنَعْلَمُ أَنَّ زَيْدًا لَيْسَ عَيْنُ عَمْرٍو، فِي الشَّخْصِيَّةِ. فَشَخْصٌ زَيْدٌ لَيْسَ شَخْصٌ عَمْرٍو، مَعَ تَحْقِيقِ وُجُودِ الشَّخْصِيَّةِ بِمَا هِيَ شَخْصِيَّةٌ فِي الْاِثْنَيْنِ، فَنَقُولُ فِي الْحِسِّ عَادَتْ لِهَذَا الشَّبَهِ. وَنَقُولُ فِي الْحُكْمِ الصَّحِيحِ، لَمْ تَعُدْ.

126

فَمَا تَمَّ عَادَةُ بَوَاجِهِ، وَتَمَّ عَادَةُ بَوَاجِهِ، كَمَا أَنَّ تَمَّ جَزَاءُ بَوَاجِهِ، وَمَا تَمَّ

جَزَاءُ بَوْجِهِ، فَإِنَّ الْجَزَاءَ أَيْضًا حَالٌ فِي الْمُمْكِنِ، مِنْ أَحْوَالِ الْمُمْكِنِ. وَهَذِهِ
مَسْأَلَةٌ أَغْفَلَهَا عُلَمَاءُ هَذَا الشَّانِ، أَيُّ: أَغْفَلُوا أَيْضًا حَهَا عَلَى مَا يَنْبَغِي، لِأَنَّهُمْ
جَهَلُوا هَا، فَإِنَّهَا مِنْ سِرِّ الْقَدَرِ الْمُتَحَكِّمِ فِي الْخَلَاِيقِ.

وَأَعْلَمَ أَنَّهُ كَمَا يُقَالُ فِي الطَّبِيبِ إِنَّهُ خَادِمُ الطَّبِيعَةِ. كَذَا لِكَ يُقَالُ فِي
الرُّسُلِ وَالْوَرَثَةِ إِنَّهُمْ خَادِمُوا الْأَمْرِ الْإِلَهِيِّ فِي الْعُمُومِ، وَهُمْ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ
خَادِمُوا أَحْوَالِ الْمُمْكِنَاتِ، وَخِذْ مَتْنَهُمْ مِنْ جُمْلَةِ أَحْوَالِهِمْ، الَّتِي هُمْ عَلَيْهَا فِي
حَالِ ثُبُوتِ أَعْيَانِهِمْ.
فَا نَظُرْ مَا أَعْجَبَ هَذَا!

إِلَّا أَنَّ الْخَادِمَ الْمَطْلُوبَ هُنَا، إِنَّمَا هُوَ وَقَفٌ عِنْدَ مَرُ سُوْمٍ مَخْدُومٍ؛ إِمَّا
بِالْحَالِ أَوْ بِالْقَوْلِ. فَإِنَّ الطَّبِيبَ إِنَّمَا يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ فِيهِ خَادِمُ الطَّبِيعَةِ، لَوْ
مَشَى بِحُكْمِ الْمَسَاءِ عِدَّةَ لَهَا، فَإِنَّ الطَّبِيعَةَ [٢٣ ظهر] قَدْ أَعْطَتْ فِي جِسْمِ
الْمَرِيضِ مِرَا جًا خَا صًا، بِهِ سُمِّيَ مَرِيضًا، فَلَوْ سَا عَدَا هَا الطَّبِيبُ خِدْمَةً، لَزَادَ
فِي كِمِّيَّةِ الْمَرَضِ بِهَا أَيْضًا. وَإِنَّمَا يَرِدُ عَنْهَا طَلَبًا لِلصِّحَّةِ، وَالصِّحَّةُ مِنَ
الطَّبِيعَةِ أَيْضًا، بِإِنْشَاءِ مِرَا جٍ آخَرَ، يُخَالِفُ هَذَا الْمِرَا جَ. فَإِذَنْ لَيْسَ الطَّبِيبُ
بِخَادِمٍ لِلطَّبِيعَةِ.

وَإِنَّمَا هُوَ خَادِمٌ لَهَا مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ لَا يُصْلِحُ جِسْمَ الْمَرِيضِ، وَلَا يُغَيِّرُ
ذَلِكَ الْمِرَا جَ إِلَّا بِالطَّبِيعَةِ أَيْضًا، فَفِي حَقِّهَا يَسْعَى مِنْ وَجْهِ خَاصٍّ غَيْرِ عَامٍّ؛
لِأَنَّ الْعُمُومَ لَا يَصِحُّ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، فَا لَطَّبِيبُ خَادِمٌ لَا خَادِمٌ؛ أَعْنَى:
لِلطَّبِيعَةِ.

كَذَا لِكَ الرُّسُلُ وَالْوَرَثَةُ فِي خِدْمَةِ الْحَقِّ. وَالْحَقُّ عَلَى وَجْهَيْنِ فِي الْحُكْمِ
فِي أَحْوَالِ الْمُكَلَّفِينَ. فَيَجْرِي الْأَمْرُ مِنَ الْعَبْدِ بِحَسَبِ مَا تَقْتَضِيهِ إِرَادَةُ
الْحَقِّ، وَتَتَعَلَّقُ إِرَادَةُ الْحَقِّ بِهِ، بِحَسَبِ مَا يَقْتَضِي بِهِ عِلْمُ الْحَقِّ. وَيَتَعَلَّقُ عِلْمُ
الْحَقِّ بِهِ عَلَى حَسَبِ مَا أَعْطَاهُ الْمَعْلُومُ مِنْ ذَاتِهِ.

فَمَا ظَهَرَ إِلَّا بِصُورَتِهِ.

فَا لَرَّ سُولُ وَآ لَوَارِثُ خَادِمُ الْإِلَهِ بِالْإِرَادَةِ، لَا خَادِمَ الْإِرَادَةِ.

فَهُوَ يَرُدُّ عَلَيْهِ بِهِ، طَلَبًا لِسَعَادَةِ الْمُكَلَّفِ. فَلَوْ خَدَمَ الْإِرَادَةَ إِلَّا لِهَيْتِهِ،

مَا نَصَحَ. وَمَا نَصَحَ إِلَّا بِهَا؛ أَعْنِي: بِالْإِرَادَةِ.

فَا لَرَّ سُولُ وَآ لَوَارِثُ، طَبِيبُ أَخْرَاطِي لِلنُّفُوسِ، مُنْقَادٌ لَأَمْرِ اللَّهِ حِينَ أَمَرَهُ،

فَيَنْظُرُ فِي أَمْرِهِ تَعَالَى، وَيَنْظُرُ فِي إِرَادَتِهِ تَعَالَى، فَيَرَاهُ قَدْ أَمَرَهُ بِمَا يُخَالِفُ

إِرَادَتَهُ، وَلَا يَكُونُ إِلَّا مَا يُرِيدُ. وَلِهَذَا كَانَ الْأَمْرُ. فَأَزَادَ الْأَمْرَ فَوْقَ. وَمَا أَرَادَ

وُقُوعَ مَا أَمَرَ بِهِ بِأَمْرٍ مُورٍ، فَلَمْ يَقَعْ مِنَ الْمَأْمُورِ، فَسُمِّيَ: مُخَالَفَةً وَمَعْصِيَةً.

فَا لَرَّ سُولُ مُبْلَغٌ، وَلِهَذَا قَالَ: «شَيَّبْتَنِي هُوْدُ وَأَخَوَاتُهَا» لِمَا تَحْوِي عَلَيْهِ

مِنْ قَوْلِهِ ﴿فَا سَتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتُ﴾، فَشَيَّبَتْهُ ﴿كَمَا أُمِرْتُ﴾ [سورة هود: ١١٢]،

فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي هَلْ أَمَرَ بِمَا يُؤَا فِقَ الْإِرَادَةَ فَيَقَعْ، أَوْ بِمَا يُخَالِفُ الْإِرَادَةَ فَلَا

يَقَعْ.

وَلَا يَعْرِفُ أَحَدُ حُكْمِ الْإِرَادَةِ، إِلَّا بَعْدَ وَقُوعِ الْمُرَادِ، إِلَّا مَنْ كَشَفَ اللَّهُ

عَنْ بَصِيرَتِهِ، فَادْرَكَ أَعْيَانَ الْمُمَكِّنَاتِ، فِي حَالِ ثُبُوتِهَا عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ،

فَيَحْكُمُ عِنْدَ ذَلِكَ بِمَا يَرَاهُ. وَهَذَا [٢٤ وجه] قَدْ يَكُونُ لِحَادِ النَّاسِ، فِي

أَوْقَاتٍ لَا يَكُونُ مُسْتَضْحَبًا.

قَالَ: ﴿مَا أَدْرِي مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ [سورة الأحقاف: ٩]، فَصَرَّحَ

بِالْحِجَابِ. وَلَيْسَ الْمَقْصُودُ إِلَّا أَنْ يَطَّلِعَ فِي أَمْرٍ خَاصٍّ، لَا غَيْرَ.

[٩] ﴿فَصْرَّ حِكْمَةً نُورِيَّةً فِي كَلِمَةٍ يُوسُفِيَّةً﴾

هَذِهِ الْحِكْمَةُ النُّورِيَّةُ أَنْبَسَاطُ نُورِهَا عَلَى حَضْرَةِ الْخِيَالِ.

وَهُوَ أَوَّلُ مَبَادِيءِ الْوَحْيِ الْإِلَهِيِّ فِي أَهْلِ الْعِنَايَةِ.

تَقُولُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّادِقَةُ... فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا خَرَجَتْ مِثْلَ

131 فَلَقِ الصَّبْحَ»، تَقُولُ: «لَا خَفَاءَ بِهَا» — وَإِلَى هُنَا بَلَغَ عِلْمُهَا لَا غَيْرُ —

«وَكَا نَتِ الْمُدَّةَ لَهُ فِي ذَلِكَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ. ثُمَّ جَاءَهُ الْمَلِكُ، وَمَا عَلِمَتْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَالَ: «إِنَّ النَّاسَ نِيَامٌ فَإِذَا مَا تُوَا أَنْتَبَهُوا».

132 وَكُلُّ مَا يُرَى فِي حَالِ النَّوْمِ، فَهُوَ مِنْ ذَلِكَ الْقَبِيلِ، وَإِنْ اخْتَلَفَتْ الْأَحْوَالُ.

فَمَضَى قَوْلُهَا: «سِتَّةَ أَشْهُرٍ»، بَلْ عُمُرُهُ كُلُّهُ فِي الدُّنْيَا يَتَلَكَّ الْمَتَابَةَ. إِنَّمَا هُوَ مَنَامٌ فِي مَنَامٍ.

وَكُلُّ مَا وَرَدَ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ، فَهُوَ الْمُسَمَّى «عَا لُمُ الْخِيَالِ».

وَلِهَذَا يُعَبَّرُ أَيُّ: الْأَمْرُ الَّذِي هُوَ فِي نَفْسِهِ عَلَى صُورَةٍ كَذَا، ظَهَرَ فِي صُورَةٍ غَيْرِهَا. فَيَجُوزُ الْعَا بِرُ مِنْ هَذِهِ الصُّورَةِ الَّتِي أَبْصَرَهَا النَّاسُ إِلَى صُورَةٍ مَا هُوَ الْأَمْرُ عَلَيْهِ، إِنْ أَصَابَ. كَظُهُورِ الْعِلْمِ فِي صُورَةِ اللَّبَنِ. فَعَبَّرَ فِي التَّأْوِيلِ مِنْ صُورَةِ اللَّبَنِ إِلَى صُورَةِ الْعِلْمِ. فَتَأَوَّلَ، أَيُّ قَالَ: مَا لُ هَذِهِ الصُّورَةِ اللَّبَنِيَّةِ إِلَى صُورَةِ الْعِلْمِ.

133 ثُمَّ إِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أُوحِيَ إِلَيْهِ أَخَذَ عَنِ الْمَحْسُوسَاتِ

الْمُعْتَادَةِ فَسَجَّيَ وَغَابَ عَنِ الْحَاضِرِينَ عِنْدَهُ، فَإِذَا سُرِّي عَنْهُ، رُدَّ.

فَمَا أَدْرَكَهُ إِلَّا فِي حَضْرَةِ الْخِيَالِ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يُسَمَّى نَائِمًا.

وَكَذَا لِكَ إِذَا تَمَثَّلَ لَهُ الْمَلِكُ رَجُلًا، فَذَا لِكَ مِنْ حَضْرَةِ الْخِيَالِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بِرَجُلٍ، وَإِنَّمَا هُوَ مَلِكٌ، فَدَخَلَ فِي صُورَةِ إِنْسَانٍ، فَعَبَّرَهُ النَّاسُ طَرِيقَ الْعَارِفِ حَتَّى وَصَلَ [٢٤ ظهر] إِلَى صُورَتِهِ الْحَقِيقِيَّةِ. فَقَالَ: «هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ

134 دِينَكُمْ». وَقَدْ قَالَ لَهُمْ: «رُدُّوْا عَلَى الرَّجُلِ»، فَسَمَّاهُ بِ«الرَّجُلِ» مِنْ

أَجْلِ الصُّورَةِ الَّتِي ظَهَرَ لَهُمْ فِيهَا. ثُمَّ قَالَ: «هَذَا جِبْرِيلُ». فَا عَنَبَرَ الصُّورَةَ

الَّتِي مَالَ هَذَا الرَّجُلِ الْمُتَخَيَّلِ إِلَيْهَا. وَهُوَ صَادِقٌ فِي الْمَقَاتِلَيْنِ: صِدْقُ اللَّعِينِ

فِي الْعَيْنِ الْحَسِّيَّةِ، وَصِدْقُ فِي أَنَّ هَذَا جَبْرِ يَلْ، فَأِنَّهُ جَبْرِ يَلْ بِلَا شَكٍّ.

وَقَالَ يُوْسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ

وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [سورة يوسف: ٤] فَرَأَى إِخْوَتَهُ فِي صُورَةِ

135

الْكَوَاكِبِ. وَرَأَى أَبَاهُ وَخَالَتَهُ فِي صُورَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ. هَذَا مِنْ جِهَةِ

يُوْسُفَ.

وَلَوْ كَانَ مِنْ جِهَةِ الْمَرْبِيِّ، لَكَانَ ظُهُورُ إِخْوَتِهِ فِي صُورِ الْكَوَاكِبِ،

وَوُجُوهُ أَبِيهِ وَخَالَتِهِ فِي صُورَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ. مُرَادًا لَهُمْ. فَلَمَّا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ

عِلْمٌ بِمَا رَأَاهُ يُوْسُفُ، كَانَ الْإِدْرَاكُ مِنْ يُوْسُفَ فِي خَزَائِنِ خِيَالِهِ، وَعِلْمُ ذَلِكَ

يَعْقُوبُ حِينَ قَصَّهَا عَلَيْهِ، فَقَالَ: ﴿يَبْنَئِي لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ

فَيَكِيدُوا لَكَ﴾ [سورة يوسف: ٥].

ثُمَّ بَرَأَ بَنِيهِ عَنْ ذَلِكَ الْكَيْدِ، وَأَلْحَقَهُ بِالشَّيْطَانِ، وَلَيْسَ إِلَّا عَيْنَ الْكَيْدِ،

فَقَالَ: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [سورة يوسف: ٥]، أَيُّ: ظَاهِرُ

الْعَدَاوَةِ.

ثُمَّ قَالَ يُوْسُفُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي آخِرِ الْأَمْرِ: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ

جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ [سورة يوسف: ١٠٠]، أَيُّ: أَظْهَرَ هَا فِي الْحِسِّ بَعْدَ مَا كَانَتْ

فِي صُورَةِ الْخَيَالِ. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «النَّاسُ

نِيَامٌ».

فَكَانَ قَوْلُ يُوْسُفَ: ﴿قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ [سورة يوسف: ١٠٠]، بِمَنْزِلَةِ

136

مَنْ رَأَى فِي نَوْمِهِ أَنَّهُ قَدْ أُسْتَيْقِظَ مِنْ رُؤْيَا رَأَاهَا ثُمَّ عَبَّرَهَا، وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ فِي

النَّوْمِ عَيْنُهُ مَا بَرَحَ.

فَإِذَا أُسْتَيْقِظَ يَقُولُ: «رَأَيْتُ كَذَا، وَرَأَيْتُ كَذَا نِيًّا أُسْتَيْقِظْتُ، وَأَوَّلْتُهَا بِكَذَا،

هَذَا مِثْلُ ذَلِكَ».

فَأَنْظُرْ كَمْ بَيْنَ إِدْرَاكِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبَيْنَ إِدْرَاكِ يُوْسُفَ

عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي آخِرِ أَمْرِهِ حِينَ قَالَ: ﴿ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾ [سورة يوسف: ١٠٠] [٢٥ وجه] مَعْنَاهُ: حِسًّا أَيْ: مَحْسُوسًا، وَمَا كَانَ إِلَّا مَحْسُوسًا، فَإِنَّ الْخَيَالَ لَا يُعْطِي أَبَدًا إِلَّا الْمَحْسُوسَاتِ، غَيْرُ ذَلِكَ لَيْسَ لَهُ. فَأَنْظُرْ مَا أَشْرَفَ عِلْمٌ وَرَثَةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَسَاءَ بَسِطُ مِنَ الْقَوْلِ فِي هَذِهِ الْحَضْرَةِ بِلِسَانِ يُوْسُفَ الْمُحَمَّدِيِّ مَا أَنْقَضْتُ عَلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

137

فَنَقُولُ: أَعْلَمُ أَنَّ الْمَقُولَ عَلَيْهِ «سِوَى الْحَقِّ» أَوْ مُسَمًّى «الْعَالِمِ» هُوَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْحَقِّ كَالظِّلِّ لِلشَّخْصِ، فَهُوَ ظِلُّ اللَّهِ. فَهُوَ عَيْنُ نِسْبَةِ الْوُجُودِ إِلَى الْعَالِمِ؛ لِأَنَّ الظِّلَّ مَوْجُودٌ بِلَا شَكٍّ فِي الْحِسِّ، وَلَكِنْ إِذَا كَانَ ثَمَّ مَنْ يَظْهَرُ فِيهِ ذَلِكَ الظِّلُّ حَتَّى لَوْ قَدَّرْتَ عَدَمَ مَنْ يَظْهَرُ فِيهِ ذَلِكَ الظِّلُّ، كَانَ الظِّلُّ مَعْقُولًا غَيْرَ مَوْجُودٍ فِي الْحِسِّ، بَلْ يَكُونُ بِالقُوَّةِ فِي ذَاتِ الشَّخْصِ الْمُنْسُوبِ إِلَيْهِ الظِّلُّ. فَمَحَلُّ ظُهُورِ هَذَا الظِّلِّ إِلَّا لِهِيَ الْمُسَمًّى بِالْعَالِمِ إِنَّمَا هُوَ أَعْيَانُ الْمُمَكِّنَاتِ عَلَيْهَا أَمْتَدَّ هَذَا الظِّلُّ، فَيُدْرِكُ مِنْ هَذَا الظِّلِّ بِحَسَبِ مَا أَمْتَدَّ عَلَيْهِ مِنْ وُجُودِ هَذِهِ الذَّاتِ.

وَلَكِنْ بِأَسْمِهِ «النُّورِ» وَقَعَ الْإِدْرَاكُ، وَأَمْتَدَّ هَذَا الظِّلُّ عَلَى أَعْيَانِ الْمُمَكِّنَاتِ فِي صُورَةِ الْغَيْبِ الْمَجْهُولِ.

138

أَلَّا تَرَى الظَّلَالَ تَضْرِبُ إِلَى السَّوَادِ تُشِيرُ إِلَى مَا فِيهَا مِنَ الْخَفَاءِ لِبُعْدِ الْمَنَّا سَبَبَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَشْخَاصٍ مِنْ هِيَ ظِلُّ لَهُ. وَإِنْ كَانَ الشَّخْصُ أَبْيَضَ فَظِلُّهُ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ، أَلَّا تَرَى الْجِبَالَ إِذَا بَعُدَتْ عَنْ بَصَرِ النَّاسِ تَظْهَرُ سَوْدَاءَ، وَقَدْ تَكُونُ فِي أَعْيَانِهَا عَلَى غَيْرِ مَا يُدْرِكُهَا الْحِسُّ مِنَ اللَّوْنِيَّةِ، وَلَيْسَ ثَمَّ عِلَّةٌ إِلَّا الْبُعْدُ. وَكَرَّرُ قَةِ السَّمَاءِ. فَهَذَا مَا نَتَجَّهُ الْبُعْدُ فِي الْحِسِّ فِي الْأَجْسَامِ غَيْرِ النَّيِّرَةِ.

وَكَذَلِكَ أَعْيَانُ الْمُتَلَكَّاتِ، لَيْسَتْ نَيِّرَةً؛ لِأَنَّهَا مَعْدُومَةٌ، وَإِنْ اتَّصَفَتْ
بِالْتُّبُوتِ، لَكِنْ لَمْ تَتَّصِفْ بِالْوُجُودِ. إِذْ الْوُجُودُ نُورٌ.

غَيْرَ أَنَّ الْأَجْسَامَ النَّيِّرَةَ يُعْطِي فِيهَا الْبُعْدُ فِي الْحِسِّ صِغَرًا. فَهَذَا تَأْثِيرُ
آخَرُ لِلْبُعْدِ، فَلَا يُدْرِكُهَا الْحِسُّ إِلَّا صَغِيرَةَ الْحَجْمِ، وَهِيَ فِي أَعْيَانِهَا كَبِيرَةٌ
عَنْ ذَلِكَ الْقَدْرِ. وَأَكْثَرُ كَمِّيَّاتٍ كَمَا يُعْلَمُ بِأَنَّ لَيْلًا أَنَّ الشَّمْسَ مِثْلَ الْأَرْضِ
[٢٥ ظهر] فِي الْجَرْمِ مَا تَهُ وَسِتَيْنِ وَرُبْعًا وَثُمْنَ مَرَّةٍ. وَهِيَ فِي الْحِسِّ عَلَى

139

قَدْرِ جَرْمِ التُّرْسِ مِثْلًا، فَهَذَا أَثَرُ الْبُعْدِ أَيْضًا.

فَمَا يُعْلَمُ مِنَ الْعَالَمِ إِلَّا قَدَرُ مَا يُعْلَمُ مِنَ الظَّلَالِ. وَيُجْهَلُ مِنَ الْحَقِّ عَلَى
قَدْرِ مَا يُجْهَلُ مِنَ الشَّخْصِ الَّذِي عَنْهُ كَانَ ذَلِكَ الظِّلُّ.

فَمِنْ حَيْثُ هُوَ ظِلٌّ لَهُ يُعْلَمُ، وَمِنْ حَيْثُ مَا يُجْهَلُ مَا فِي ذَاتِ ذَلِكَ

الظِّلِّ، مِنْ صُورَةِ شَخْصٍ مَنْ أُمْتَدَّ عَنْهُ يُجْهَلُ مِنَ الْحَقِّ.

فَلِذَا لَكَ نَقُولُ: إِنَّ الْحَقَّ مَعْلُومٌ لَنَا مِنْ وَجْهِ، مَجْهُولٌ لَنَا مِنْ وَجْهِ. ﴿أَلَمْ تَرَ

إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ [سورة لقمان: ٤٥]، أَي:

يَكُونُ فِيهِ بِالقُوَّةِ.

نَقُولُ: مَا كَانَ الْحَقُّ لِيَتَجَلَّى لِلْمُمْكِنَاتِ، حَتَّىٰ يَظْهَرَ الظِّلُّ، فَيَكُونُ

كَمَا بَقِيَ مِنَ الْمُمْكِنَاتِ الَّتِي مَا ظَهَرَ لَهَا عَيْنٌ فِي الْوُجُودِ.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ [سورة لقمان: ٤٥]، وَهُوَ أَسْمُهُ

140

«النُّور» الَّذِي قُلْنَا. وَيَشْهَدُ لَهُ الْحِسُّ. فَإِنَّ الظَّلَالَ لَا يَكُونُ لَهَا عَيْنٌ بَعْدَ

النُّورِ.

﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ [سورة لقمان: ٤٦]. وَإِنَّمَا قَبَضَهُ إِلَيْهِ لِأَنَّهُ

ظِلُّهُ، فَمِنْهُ ظَهَرَ ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ [سورة هود: ١٢٣]. فَهُوَ هُوَ، لَا

غَيْرُهُ.

فَكُلُّ مَا نُدْرِكُهُ فَهُوَ وَجُودُ الْحَقِّ فِي أَعْيَانِ الْمُمْكِنَاتِ، فَمِنْ حَيْثُ هُوَ يَهْ

الْحَقُّ، هُوَ وَجُودُهُ. وَمِنْ حَيْثُ اخْتَلَفَ الصُّورُ فِيهِ، هُوَ أَعْيَانُ الْمَمَكِّنَاتِ.
فَكَمَا لَا يَزُولُ عَنْهُ بِأَخْتِلَافِ الصُّورِ أَسْمُ «الظِّلِّ»، كَذَلِكَ لَا يَزُولُ عَنْهُ
بِأَخْتِلَافِ الصُّورِ أَسْمُ «الْعَالِمِ» أَوْ أَسْمُ «سَوَى الْحَقِّ»، فَمِنْ حَيْثُ أَحَدِيَّةُ
كَوْنِهِ ظِلًّا، هُوَ الْحَقُّ؛ لِأَنَّهُ الْوَا حِدُ الْأَحَدُ. وَمِنْ حَيْثُ كَثْرَةُ الصُّورِ هُوَ الْعَالِمُ.
فَتَقَطَّنْ وَتَحَقَّقْ مَا أَوْ ضَحْنَهُ لَكَ.

وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى مَا ذَكَرْتَهُ، لَكَ، فَالْعَالِمُ مَتَوَهَّمٌ مَا لَهُ وَجُودٌ حَقِيقِيٌّ.
وَهَذَا مَعْنَى الْخَيَالِ؛ أَيُّ: خَيْلَ لَكَ أَنَّهُ أَمْرٌ زَائِدٌ قَائِمٌ بِنَفْسِهِ، خَارِجٌ عَنِ
الْحَقِّ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ.

141

أَلَا تَرَاهُ فِي الْحِسِّ مُتَّصِلًا بِالشَّخْصِ الَّذِي أَمْتَدَّ عَنْهُ؟ يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ
الْأَنْفِكَاءُ عَنْ ذَلِكَ الْأَتِّصَالِ؛ لِأَنَّهُ يَسْتَحِيلُ عَلَى الشَّيْءِ الْأَنْفِكَاءُ عَنْ ذَاتِهِ.
فَأَعْرِفْ عَيْنَكَ. وَمَنْ أَنْتَ؟ وَمَا هُوَ يَتَّكَ؟ وَمَا نَسَبَتُكَ إِلَى الْحَقِّ؟ وَبِمَا
أَنْتَ حَقٌّ؟ وَبِمَا أَنْتَ عَالِمٌ، وَسَوَى، وَغَيْرُ؟ وَمَا شَأْنُ كُلِّ هَذِهِ الْأَلْفَافِ.
وَفِي هَذَا يَتَّقَا ضَلَّ الْعُلَمَاءُ: فَعَالِمٌ وَأَعْلَمٌ.

فَالْحَقُّ بِالنَّسَبَةِ إِلَى ظِلٍّ خَاصٍّ [٢٦ وجه] صَغِيرٌ وَكَبِيرٌ، وَصَافٍ
وَأَصْفَى؛ كَمَا لِنُورٍ بِالنَّسَبَةِ إِلَى حِجَابٍ بِهِ عَنِ النَّاطِرِ بِأَلْزُجَاجٍ يَتَلَوَّنُ بِلَوْنِهِ، وَفِي
نَفْسِ الْأَمْرِ لَا لَوْنَ لَهُ. وَلَكِنْ هَكَذَا تَرَاهُ، ضَرْبَ مِثَالٍ لِحَقِيقَتِكَ
بِرَبِّكَ.

142

فَإِنْ قُلْتَ: «إِنَّ النُّورَ أَخْضَرَ»، لِحُضْرَةِ الزُّجَاجِ صَدَقْتَ، وَشَأْنُ هَذَا
الْحِسِّ.

وَإِنْ قُلْتَ: «إِنَّهُ لَيْسَ بِأَخْضَرَ وَلَا ذِي لَوْنٍ»، كَمَا أَعْطَاهُ لَكَ الدَّلِيلُ
صَدَقْتَ، وَشَأْنُ هَذَا النَّظَرِ الْعَقْلِيِّ الصَّحِيحِ.

فَهَذَا نُورٌ مُمْتَدُّ عَنْ ظِلٍّ. وَهُوَ عَيْنُ الزُّجَاجِ فَهُوَ ظِلُّ نُورِيٍّ لِصَفَايِهِ.
كَذَلِكَ الْمُتَحَقِّقُ مِنَّا بِالْحَقِّ، تَظْهَرُ صُورَةُ الْحَقِّ فِيهِ أَكْثَرَ مِمَّا تَظْهَرُ فِي غَيْرِهِ.

فَمِنْ مَنْ يَكُونُ الْحَقَّ سَمْعُهُ وَبَصَرُهُ وَجَمِيعُ قَوَاهُ وَجَوَارِحُهُ بِعَلَا مَاتٍ قَدْ
أَعْطَاهَا الشَّرْعُ الَّذِي يُخْبِرُ عَنِ الْحَقِّ، وَمَعَ هَذَا عَيْنُ الظِّلِّ مَوْجُودٌ. فَإِنَّ
الضَّمِيرَ مِنْ «سَمْعُهُ» يَعُودُ عَلَيْهِ، وَغَيْرُهُ مِنَ الْعَبِيدِ لَيْسَ كَذَا لَكَ، فَنِسْبَةُ
هَذَا الْعَبْدِ، أَقْرَبُ إِلَى وُجُودِ الْحَقِّ، مِنْ نِسْبَةِ غَيْرِهِ مِنَ الْعَبِيدِ.

143

وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى مَا قَرَّرْنَا هُنا.
فَمَا عَلِمَ أَنَّكَ خَيَالٌ. وَجَمِيعُ مَا تُدْرِكُهُ مِمَّا تَقُولُ فِيهِ: «لَيْسَ أَنَا، خَيَالٌ».
فَمَا لَوْ جُودَ كُلُّهُ خَيَالٌ فِي خَيَالٍ. وَالْوُجُودُ الْحَقُّ إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ خَا صَةً، مِنْ
حَيْثُ ذَا تَهْ وَعَيْنُهُ، لَا مِنْ حَيْثُ أَسْمَاؤُهُ.
لَأَنَّ أَسْمَاءَهُ لَهَا مَدَ لَوْلَانِ: الْمَدَ لَوْلِ الْوَاحِدِ عَيْنُهُ، وَهُوَ عَيْنُ الْمُسَمَّى.
وَالْمَدَ لَوْلِ الْآخَرِ مَا يَدُلُّ مِمَّا يَنْفَصِلُ الْأَسْمُ بِهِ عَنْ هَذَا الْأَسْمِ الْآخَرَ
وَيَتَمَيَّزُ.

فَأَيُّ «الْغَفُورِ» مِنْ «الظَّاهِرِ»، وَمِنْ «الْبَاطِنِ»؟ وَأَيُّ «الْأَوَّلِ» مِنْ
الْآخَرِ؟ فَقَدْ بَانَ لَكَ بِمَا هُوَ كُلُّ أَسْمٍ عَيْنُ الْأَسْمِ الْآخَرِ. وَبِمَا هُوَ غَيْرُ الْأَسْمِ
الْآخَرِ، فَبِمَا هُوَ عَيْنُهُ هُوَ الْحَقُّ. وَبِمَا هُوَ غَيْرُهُ، هُوَ الْحَقُّ الْمُتَخَيَّلُ. الَّذِي كُنَّا
بِصَدْرِهِ.

فَسُبْحَانَ مَنْ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ دَلِيلٌ، سِوَى نَفْسِهِ. وَلَا ثَبَتَ كَوْنُهُ إِلَّا بِعَيْنِهِ.
فَمَا فِي الْكَوْنِ إِلَّا مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْأَحْدِيَّةُ. وَمَا فِي الْخَيَالِ إِلَّا مَا دَلَّتْ
عَلَيْهِ الْكَثْرَةُ.

144

فَمَنْ وَقَفَ مَعَ الْكَثْرَةِ كَانَ مَعَ الْعَالَمِ، وَمَعَ الْأَسْمَاءِ إِلَّا لِهِيَةِ، وَأَسْمَاءِ
الْعَالَمِ.
وَمَنْ وَقَفَ مَعَ الْأَحْدِيَّةِ، كَانَ مَعَ الْحَقِّ، مِنْ حَيْثُ ذَا تَهْ الْغَنِيَّةُ عَنِ
الْعَالَمِينَ.

وَإِذَا كَانَتْ غَنِيَّةً عَنِ الْعَالَمِينَ فَهُوَ عَيْنٌ غَنَاهَا عَنْ نِسْبَةِ [٢٦ ظهر]

الْأَسْمَاءَ لَهَا؛ لِأَنَّ الْأَسْمَاءَ لَهَا كَمَا تَدُلُّ عَلَيْهَا، تَدُلُّ عَلَى مُسَمِّيَاتٍ أُخَرَ تَحَقُّقُ ذَلِكَ أَثَرُهَا.

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص: ١] مِنْ حَيْثُ عَيْنُهُ. ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾

[سورة الإخلاص: ٢] مِنْ حَيْثُ أَسْتِنَادُ نَا إِلَيْهِ. ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ [سورة الإخلاص: ٣]

مِنْ حَيْثُ هُوَ يَتَّهَمُ، وَنَحْنُ. ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ [سورة الإخلاص: ٣] كَذَا لَكَ. ﴿وَلَمْ

يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص: ٤] كَذَا لَكَ.

فَهَذَا نَعْنُهُ، فَأَفْرَدَ ذَا تَه بِقَوْلِهِ: ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص: ١] وَظَهَرَتْ

145

الكَثْرَةُ بِنَعْوَتِهِ الْمَعْلُومَةِ عِنْدَ نَا، فَنَحْنُ نَلِدُ وَنُولَدُ، وَنَحْنُ نَسْتَنِدُ إِلَيْهِ، وَنَحْنُ

أَكْفَاءُ، بَعْضُنَا لِبَعْضٍ. وَهَذَا الْوَا حِدٌ مُنَزَّهٌ عَنْ هَذِهِ النُّعُوتِ، فَهُوَ غَنِيٌّ عَنْهَا،

كَمَا هُوَ غَنِيٌّ عَنَّا.

وَمَا لِلْحَقِّ نَسَبٌ إِلَّا هَذِهِ السُّورَةُ، سُورَةُ الْإِخْلَاصِ. وَفِي ذَلِكَ

نَزَلَتْ.

فَأَحَدِيَّةُ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ الْأَسْمَاءُ إِلَّا لِهَيْئَةِ الَّتِي تَطْلُبُنَا، أَحَدِيَّةُ الْكَثْرَةِ.

وَأَحَدِيَّةُ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ الْغِنَى عَنَّا، وَعَنِ الْأَسْمَاءِ، أَحَدِيَّةُ الْعَيْنِ. وَكَلاهُمَا

يُطْلَقُ عَلَيْهِ اسْمُ «الْأَحَدِ». فَا عِلْمُ ذَلِكَ.

فَمَا أَوْ جَدَ الْحَقُّ الظَّلَالِ، وَجَعَلَهَا سَا جِدَةً مُتَفَيِّئَةً عَنِ الشَّمَالِ وَالْيَمِينِ،

146

إِلَّا دَلَالَةً لَكَ عَلَيْكَ وَعَلَيْهِ، لِتَعْرِفَ مَنْ أَنْتَ؟ وَمَا نِسْبَتُكَ إِلَيْهِ؟ وَمَا نِسْبَتُهُ

إِلَيْكَ؟

حَتَّى تَعْلَمَ مِنْ أَيْنَ، أَوْ مِنْ أَيِّ حَقِيقَةِ الْهَيْئَةِ اتَّصَفَ مَا سِوَى اللَّهِ بِالْفَقْرِ

الْكُلِّيِّ إِلَى اللَّهِ. وَبِالْفَقْرِ النَّسْبِيِّ بِأَفْتَقَارِ بَعْضِهِ إِلَى بَعْضٍ.

وَحَتَّى تَعْلَمَ مِنْ أَيْنَ، أَوْ مِنْ أَيِّ حَقِيقَةِ اتَّصَفَ الْحَقُّ بِالْغِنَى عَنِ النَّاسِ،

وَالْغِنَى عَنِ الْعَالَمِينَ، وَأَتَّصَفَ الْعَالَمُ بِالْغِنَى أَيُّ: بِغِنَى بَعْضِهِ عَنْ بَعْضٍ، مِنْ

وَجْهِ مَا هُوَ عَيْنُ مَا أَفْتَقَرَ إِلَى بَعْضِهِ بِهِ.

فَإِنَّ الْعَالَمَ لَمُ مُفْتَقِرٌ إِلَى الْأَسْبَابِ بِلَا شَكٍّ أَفْتَقَارًا ذَاتِيًّا، وَأَعْظَمُ الْأَسْبَابِ
لَهُ سَبَبِيَّةُ الْحَقِّ، وَلَا سَبَبِيَّةَ لِلْحَقِّ يَفْتَقِرُ الْعَالَمُ إِلَيْهَا، سِوَى الْأَسْمَاءِ إِلَّا لِهَيْئَةٍ —
وَالْأَسْمَاءِ إِلَّا لِهَيْئَةٍ كُلُّ أَسْمٍ يَفْتَقِرُ الْعَالَمُ إِلَيْهِ مِنْ عَالَمٍ مِثْلِهِ — أَوْ عَيْنِ الْحَقِّ
فَهُوَ اللَّهُ لَا غَيْرُهُ. وَلِذَا لَكَ قَال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ
الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [سورة فاطر: ١٥]. وَمَعْلُومٌ أَنَّ لَنَا أَفْتَقَارًا مِنْ بَعْضِنَا لِبَعْضِنَا،
فَأَسْمَاؤُنَا أَسْمَاءُ اللَّهِ تَعَالَى، إِذْ إِلَيْهِ الْاَفْتَقَارُ بِلَا شَكٍّ.

147

وَأَعْيَانُنَا فِي نَفْسِ الْأَمْرِ ظِلُّهُ لَا غَيْرُهُ. فَهُوَ هُوَ يَتَنَا، لَا هُوَ يَتَنَا. وَقَدْ [٢٧]
وَجْهٍ] مَهْدُنَا لَكَ السَّبِيلَ، فَأَنْظُرْ.

[١٠] ﴿فَصُ حِكْمَةً أَحَدِيَّةً فِي كَلِمَةِ هُودِيَّةٍ﴾

148

[الرَّ مَل]

١- إِنَّ اللَّهَ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ
٢- فِي كَبِيرٍ وَصَغِيرٍ عَيْنُهُ
٣- وَلِهَذَا وَسِعَتْ رَحْمَتُهُ
ظَالِمٌ غَيْرُ خَفِيٍّ فِي الْعُمُومِ
وَجَهْلٌ بِأُمُورٍ وَعَلِيمٌ
كُلُّ شَيْءٍ مِنْ حَقِيرٍ وَعَظِيمٍ

﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَّتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

[سورة هود: ٥٦].

فَكُلُّ مَا شِ فَعَلَى صِرَاطِ الرَّبِّ الْمُسْتَقِيمِ فَهُمْ ﴿غَيْرُ مَغْضُوبٍ عَلَيْهِمْ﴾،

149

مِنْ هَذَا الْوَجْهِ ﴿وَلَا ضَالِّينَ﴾ [اقتباس من سورة الفاتحة: ٧].

فَكَمَا كَانَ الضَّالُّ عَارِضًا كَذَا لِكَ الْغَضَبِ إِلَّا لِهَيْئَةٍ عَارِضٍ، وَالْمَالُ إِلَى

الرَّحْمَةِ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَهِيَ السَّابِقَةُ.

وَكُلُّ مَا سِوَى الْحَقِّ دَابَّةٌ، فَإِنَّهُ ذُو رُوحٍ.

وَمَا تَمَّ مَنْ يَدُبُّ بِنَفْسِهِ، وَإِنَّمَا يَدُبُّ بِغَيْرِهِ، فَهُوَ يَدُبُّ بِحُكْمِ التَّبَعِيَّةِ

لِلَّذِي هُوَ عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.

فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ صِرَاطًا إِلَّا بِاَلْمَشْيِ عَلَيْهِ.

- ١- إِذَا دَانَ لَكَ الْخَلْقُ
- ٢- وَإِنْ دَانَ لَكَ الْحَقُّ
- ٣- فَحَقَّقْ قَوْلَنَا فِيهِ
- ٤- فَمَا فِي الْكَوْنِ مَوْجُودٌ
- ٥- وَمَا خَلَقَ تَرَاهُ الْعَيْنُ
- ٦- وَلَكِنْ مُودَعٌ فِيهِ
- فَقَدْ دَانَ لَكَ الْحَقُّ
- فَقَدْ لَا يَتَّبِعُ الْخَلْقُ
- فَقَوْلِي كُلَّهُ الْحَقُّ
- تَرَاهُ مَا لَهُ نَطَقٌ
- إِلَّا عَيْنُهُ حَقُّ
- لِهَذَا صُورُهُ حَقُّ

150

أَعْلَمَ أَنَّ الْعُلُومَ إِلَّا لِهَيْئَةِ الذَّوْقِيَّةِ الْحَا صِلَةَ لَا هَلِ اللَّهُ مُخْتَلَفَةٌ بِأَخْتِلَافِ

الْقُوَى الْحَا صِلَةَ مِنْهَا مَعَ كَوْنِهَا تَرَجُّعٌ إِلَى عَيْنٍ وَاحِدَةٍ.

فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: «كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يَبْصُرُ بِهِ

وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرَجْلَهُ الَّتِي يَسْعَى بِهَا».

فَذَكَرَ أَنَّ هُوَ يَتَّهَى عَيْنُ الْجَوَارِحِ الَّتِي هِيَ عَيْنُ الْعَبْدِ، فَالْهُوِيَّةُ وَاحِدَةٌ

وَالْجَوَارِحُ مُخْتَلَفَةٌ.

وَلِكُلِّ جَارِحَةٍ عِلْمٌ مِنْ عُلُومِ الْأَذْوَاقِ يَخْصُصُهَا [٢٧ ظهر] مِنْ عَيْنٍ

وَاحِدَةٍ، تَخْتَلِفُ بِأَخْتِلَافِ الْجَوَارِحِ، كَمَا لَمَاءُ حَقِيقَةٍ وَاحِدَةٍ، تَخْتَلِفُ فِي

الطَّعْمِ بِأَخْتِلَافِ الْبِقَاعِ، فَمِنْهُ ﴿عَذْبُ فُرَاتٍ﴾ [سورة لفر قان: ٥٣؛ سورة فاطر

: ١٢]، وَمِنْهُ ﴿مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [سورة لفر قان: ٥٣؛ سورة فاطر: ١٢]، وَهُوَ مَاءٌ

151

فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ، لَا يَتَغَيَّرُ عَنْ حَقِيقَتِهِ، وَإِنْ اخْتَلَفَتْ طُغْمُهُ.

وَهَذِهِ الْحِكْمَةُ مِنْ عِلْمِ الْأَرْجُلِ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فِي الْأَكْلِ﴾ [سورة

الرعد: ٤] لِمَنْ أَقَامَ، كُتِبَ: ﴿وَمَنْ تَحْتَ أَرْجُلِهِمْ﴾ [سورة لما ندة: ٦٦].

فَإِنَّ الطَّرِيقَ الَّذِي هُوَ الصِّرَاطُ، هُوَ لِلْسُّلُوكِ عَلَيْهِ، وَالْمَشْيِ فِيهِ، وَالسَّعْيِ

لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْأَرْجُلِ.

فَلَا يُنْتِجُ هَذَا الشُّهُودَ — فِي أَخْذِ النَّوَا صِي بِيَدٍ مَنْ هُوَ عَلَى صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ — إِلَّا هَذَا الْفَنَالْخَاصُّ مِنْ عُلُومِ الْأَذْوَاقِ. ﴿فَيَسْئَلُ

الْجَبْرِ مِينَ ﴿[سورة مريم: ٨٦] وَهُمْ الَّذِينَ اسْتَحَقُّوا الْمَقَامَ الَّذِي سَأَقَهُمْ إِلَيْهِ
بِرِيحِ الدُّبُورِ الَّتِي أَهْلَكَهُمْ عَنْ نُفُوسِهِمْ بِهَا. فَهُوَ يَأْخُذُ بَنَوَا صِيهِمْ وَالرَّيْحُ
يَسُوقُهُمْ — وَهِيَ عَيْنُ الْأَهْوَاءِ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا — إِلَى جَهَنَّمَ، وَهِيَ الْبُعْدُ
الَّذِي كَانُوا يَتَوَهَّمُونَهُ.

فَلَمَّا سَأَقَهُمْ إِلَى ذَلِكَ الْمَوْطِنِ حَصَلُوا فِي عَيْنِ الْقُرْبِ، فَزَالَ الْبُعْدُ، فَزَالَ
مُسَمًى جَهَنَّمَ فِي حَقِّهِمْ، فَفَارَزُوا بِنَعِيمِ الْقُرْبِ، مِنْ جِهَةِ اللَّاسِتِحْقَاقِ لَأَنَّهُمْ
مُجَرِّمُونَ.

فَمَا أُعْطِيَ هُمْ هَذَا الْمَقَامَ الذَّوْقِيَّ الَّذِي يَذُوقُونَ مِنْ جِهَةِ الْمِنَّةِ، وَإِنَّمَا أَخَذُوهُ بِمَا
اسْتَحَقَّتْهُ حَقًّا نَفْسُهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا، وَكَانُوا فِي السَّعْيِ فِي
أَعْمَالِهِمْ عَلَى صِرَاطِ الرَّبِّ الْمُسْتَقِيمِ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا صِيهِمْ كَانَتْ بِيَدِ مَنْ لَهُ هَذِهِ
الْصِّفَةُ.

فَمَا مَشَوْا بِنُفُوسِهِمْ، وَإِنَّمَا مَشَوْا بِحُكْمِ الْجَبْرِ، إِلَى أَنْ وَصَلُوا إِلَى عَيْنِ
الْقُرْبِ، ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [سورة لؤي: ٨٥]
وَإِنَّمَا هُوَ يُبْصِرُ؛ فَإِنَّهُ مَكْشُوفُ الْغِطَاءِ ﴿فَبَصَرُهُ حَدِيدٌ﴾ [اقتباس من سورة ق
:٢٢].

وَمَا خَصَّ مَبِيتًا مِنْ مَبِيتِ أَيٍّ: مَا خَصَّ سَعِيدًا فِي الْعُرْفِ مِنْ شَقِيٍّ
﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [سورة ق: ١٦] وَمَا خَصَّ إِنْسَانًا مِنْ
إِنْسَانٍ.

فَا لِقُرْبِ إِلَّا لِهَيِّ مِنَ الْعَبْدِ لَا خَفَاءَ بِهِ فِي الْإِخْبَارِ إِلَّا لِهَيِّ، فَلَا قُرْبَ
أَقْرَبُ مِنْ أَنْ تَكُونَ هُوَ يَتَنَّهُ عَيْنَ أَعْضَاءِ الْعَبْدِ وَقُوَاهُ، وَلَيْسَ الْعَبْدُ سِوَى هَذِهِ
الْأَعْضَاءِ وَالْقُوَى، فَهُوَ حَقُّ مَشْهُودٍ [٢٨ وجه] فِي خَلْقِ مُتَوَهِّمٍ.
فَا لَخَلْقِ مَعْقُولٍ، وَاحَقِّ مَحْسُوسٍ مَشْهُودٍ، عِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَهْلِ الْكَشْفِ
وَالْوُجُودِ.

وَمَا عَدَا هَذَا بَيْنَ الصَّنَفَيْنِ، فَالْحَقُّ عِنْدَ هُم مَعْفُولٌ، وَالْخَلْقُ مَشْهُودٌ، فَهُمْ
بِمَنْزِلَةِ الْمَاءِ «الْمِلْحُ الْأَجَاجِ». [إشارة لى سورة لقمان: ٥٣؛ سورة فاطر: ١٢].
وَالطَّائِفَةُ الْأُولَى بِمَنْزِلَةِ الْمَاءِ «الْعَذْبُ الْفُرَاتُ، السَّائِغُ لِشَارِبِهِ» [إشارة لى
سورة لقمان: ٥٣؛ سورة فاطر: ١٢].

فَالنَّاسُ عَلَى قِسْمَيْنِ: مِنَ النَّاسِ مَنْ يَمْشِي عَلَى طَرِيقٍ يَعْرِفُهَا، وَيَعْرِفُ
غَايَتَهَا، فَهِيَ فِي حَقِّهِ صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ. وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَمْشِي عَلَى طَرِيقٍ
يَجْهَلُهَا، وَلَا يَعْرِفُ غَايَتَهَا، وَهِيَ عَيْنُ الطَّرِيقِ الَّتِي عَرَفَهَا الصَّنْفُ الْآخَرُ.
فَالْعَارِفُ يَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ، وَغَيْرِ الْعَارِفِ يَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى
التَّقْلِيدِ وَالْجَهَالَةِ.

فَهَذَا عِلْمٌ خَاصٌّ يَأْتِي مِنَ الْأَسْفَلِ سَافِلِينَ، لِأَنَّ الْأَرْضَ جُلُّ هِيَ السُّفْلُ مِنَ
الشَّخْصِ، وَالْأَسْفَلُ مِنْهَا مَا تَحْتَهَا، وَلَيْسَ إِلَّا الطَّرِيقُ.
فَمَنْ عَرَفَ الْحَقَّ عَيْنَ الطَّرِيقِ، عَرَفَ الْأَمْرَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ. فَإِنَّ فِيهِ
جَلًّا وَعَلَا تَسْلُكٌ وَتُسَا فِرُّ.

إِذْ لَا مَعْلُومَ إِلَّا هُوَ. وَهُوَ عَيْنُ السَّائِلِ وَالْمُسَائِرِ. فَلَا عَا لِمَ إِلَّا هُوَ. 154

فَمَنْ أَنْتَ؟

فَاعْرِفْ حَقِيقَتَكَ وَطَرِيقَتَكَ، فَقَدْ بَانَ لَكَ أَلَمُ عَلَى لِسَانِ
التَّرْجُمَانِ — إِنَّ فَهْمَتَ — وَهُوَ لِسَانُ حَقٍّ، فَلَا يَفْهَمُهُ إِلَّا مَنْ فَهَمَهُ
حَقًّا.. فَإِنَّ لِلْحَقِّ نِسْبًا كَثِيرَةً، وَوُجُوهًا مُخْتَلِفَةً.
أَلَا تَرَى عَادًا قَوْمَ هُودٍ كَيْفَ ﴿قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا﴾ [سورة الأحقاف
: ٢٤] فَظَنُّوا خَيْرًا بِاللَّهِ، وَهُوَ عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِهِ بِهِ.

فَأَضْرَبَ لَهُمُ الْحَقُّ عَنْ هَذَا الْقَوْلِ، فَأَخْبَرَ هُمْ بِمَا هُوَ أَنْتُمْ وَأَنَا عَلَى فِي
الْقُرْبِ، فَإِنَّهُ إِذَا أَمْطَرَ هُمْ فَذَلِكَ حَظُّ الْأَرْضِ، وَسَقْيُ الْحَبَّةِ، فَمَا يَصِلُونَ إِلَى
نَتِيجَةِ ذَلِكَ الْمَطَرِ إِلَّا عَنْ بُعْدٍ، فَقَالَ لَهُمْ: ﴿بَلْ هُوَ مَا سَتَعَجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا

عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿ [سورة الأحقاف: ٢٤]، فَجَعَلَ الرِّيحَ إِشَارَةً إِلَىٰ مَا فِيهَا مِنَ
الرَّاحَةِ لَهُمْ؛ فَإِنَّ بِهِذِهِ الرِّيحِ أَرَأَاهُمْ مِنْ هَذِهِ الْهَيَاكِلِ الْمُظْلَمَةِ وَالْمَسَاكِلِ
الْوَعْرِ وَالسُّدُفِ الْمُدْ لِهَمَّةٍ. وَفِي هَذِهِ الرِّيحِ عَذَابٌ. أَي: أَمْرٌ يَسْتَعْذِرُ بُونَهُ
إِذَا ذَا قُوهُ؛ إِلَّا أَنَّهُ يُوجِعُهُمْ لِفَرْقَةِ الْمَاءِ لُوفٍ، فَبَا شَرَهُمُ الْعَذَابُ [٢٨ ظهر]
فَكَانَ الْأَمْرُ إِلَيْهِمْ أَقْرَبَ مِمَّا تَخَيَّلُوهُ، فَدَمَّرَتْ ﴿ كُلَّ شَيْءٍ بَا مَرِّ رَبِّهَا
فَأَصْبَحُوا ﴾ [سورة الأحقاف: ٢٥]، لَا تُرَى إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ. وَهِيَ جُسُثُهُمُ الَّتِي
عَمَّرَتْهَا أَرَوَاهُمْ الْحَقِيقَةُ، فَرَأَتْ لَتْ حَقِيقَةُ هَذِهِ النَّسَبَةِ الْخَاصَّةِ، وَبَقِيَتْ عَلَى
هَيَاكِلِهِمُ الْحَيَاةُ الْخَاصَّةُ بِهِمْ مِنَ الْحَقِّ، الَّتِي تَنْطِقُ بِهَا الْجُلُودُ وَالْأَيْدِي
وَالْأَرْجُلُ، وَعَذَابَاتُ الْأَسْوَاطِ وَالْأَفْخَاذِ.

وَقَدْ وَرَدَ النَّصُّ إِلَّا لِهَيِّ بِهَذَا كُلِّهِ، إِلَّا أَنَّهُ تَعَالَى وَصَفَ نَفْسَهُ بِا لْغَيْرَةِ

وَمِنْ غَيْرِ تِه ﴿ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ ﴾ [اقتباس من سورة الأعراف: ٣٣].

156

وليس الْفُحْشُ إِلَّا مَا ظَهَرَ، وَأَمَّا فَحْشُ مَا بَطَنَ، فَهُوَ لِمَنْ ظَهَرَ لَهُ. فَلَمَّا
حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ؛ مَنَعَ أَنْ تُعْرَفَ حَقِيقَةُ مَا ذَكَرْنَاهُ، وَهِيَ أَنَّهُ عَيْنُ الْأَشْيَاءِ،
فَسَتَرَ هَا بِا لْغَيْرَةِ، وَهُوَ أَنْتَ، مِنَ الْغَيْرِ.

فَا لْغَيْرِ يَقُولُ: السَّمْعُ سَمْعٌ زَيْدٌ. وَاعْلَامُ يَقُولُ: السَّمْعُ عَيْنُ الْحَقِّ،
وَهَكَذَا مَا بَقِيَ مِنَ الْقَوَى وَالْأَعْضَاءِ.

فَمَا كُلُّ أَحَدٍ عَرَفَ الْحَقَّ. فَتَفَا ضَلَّ النَّاسُ وَتَمَيَّزَتِ الْمَرَاتِبُ، فَبَانَ
الْفَا ضِلَّ وَالْمَفْضُولُ.

وَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَمَّا أَطْلَعَنِي الْحَقُّ وَأَشْهَدَنِي أَعْيَانَ رُسُلِهِ — عَلَيْهِمُ السَّلَامُ —
وَأَنْبِيَاءَ بِهِ كُلُّهُمْ الْبَشَرِيِّينَ مِنْ آدَمَ إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ،
فِي مَشْهَدٍ أَقَمْتُ فِيهِ بِقُرْطُبَةِ سَنَةِ سِتٍّ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ [٥٨٦ هـ].

مَا كَلَّمَنِي أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الطَّائِفَةِ إِلَّا هُوْدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّهُ أَخْبَرَ نِي
بِسَبَبِ جَمْعِيَّتِهِمْ.

157

وَرَأَىٰ يَنْتُهُ رَجُلًا ضَخْمًا فِي الرَّجَالِ، حَسَنَ الصُّورَةِ، لَطِيفَ الْمَحَاوِرَةِ عَارِفًا
بِالْأُمُورِ، كَأَنَّ شَيْفًا لَهَا؛ وَدَلِيلِي عَلَى كَشْفِهِ لَهَا قَوْلُهُ: ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ
بِنَاصِيَّتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [سورة هود: ٥٦]،

وَأَيُّ بَشَارَةٍ لِلْخَلْقِ أَعْظَمُ مِنْ هَذِهِ؟ ثُمَّ مِنْ أَمْتِنَانِ اللَّهِ عَلَيْنَا، أَنْ أَوْصَلَ
إِلَيْنَا هَذِهِ الْمَقَالَةَ عَنْهُ فِي الْقُرْآنِ.

ثُمَّ تَمَمَّهَا الْجَا مَعُ لِلْكَلِّ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنِ
الْحَقِّ، بِأَنَّهُ عَيْنُ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْيَدِ وَالرَّجُلِ وَاللِّسَانِ؛ أَيُّ: هُوَ عَيْنُ الْحَوَاسِّ
وَالْقُوَى الرَّوْحَانِيَّةِ، أَقْرَبُ مِنَ الْحَوَاسِّ. فَأَكْتَفَى بِالْأَبْعَدِ الْمَحْدُودِ، عَنِ
الْأَقْرَبِ الْمَجْهُولِ الْحَدِّ.

فَتَرَجَمَ الْحَقُّ لَنَا عَنْ نَبِيِّهِ هُودٍ مَقَالَاتَهُ لِقَوْمِهِ، بُشِّرَى لَنَا [٢٩ وجه] وَتَرَجَمَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ اللَّهِ مَقَالَاتَهُ بُشِّرَى، فَكَمُلَ الْعِلْمُ فِي
صُدُورِ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ، ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ [سورة لعنكبت
٤٧:]، فَإِنَّهُمْ يَسْتَرْوْنَهَا، وَإِنْ عَرَفُوهَا حَسَدًا مِنْهُمْ وَنَفَا سَةً وَظُلْمًا.

وَمَا رَأَيْنَا قَطُّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فِي حَقِّهِ تَعَالَى فِي آيَةٍ أَنْزَلَ لَهَا أَوْ إِخْبَارٍ
عَنْهُ أَوْ صَلَهِ إِلَيْنَا فِيمَا يُرْجَعُ إِلَيْهِ إِلَّا بِالتَّحْدِيدِ، تَنْزِيلُهَا كَانَ أَوْ غَيْرَ تَنْزِيلٍ.

158

«أَوَّلُهُ الْعَمَاءُ الَّذِي مَا فَوْقَهُ هَوَاءٌ»، وَمَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ، فَكَانَ الْحَقُّ فِيهِ
قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ، ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُ ﴿أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ فَهَذَا أَيْضًا
تَحْدِيدٌ.

ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَهَذَا تَحْدِيدٌ.

ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُ فِي السَّمَاءِ، وَأَنََّّهُ فِي الْأَرْضِ، وَأَنََّّهُ مَعَنَا أَيْنَمَا كُنَّا، إِلَى أَنْ
أَخْبَرََنَا أَنَّهُ عَيْنُنَا. وَنَحْنُ مَحْدُودُونَ.

159

فَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ إِلَّا بِالْحَدِّ. وَقَوْلُهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [سورة لشورى:
١١] حَدٌّ أَيْضًا، إِنْ أَخَذْنَا الْكَافَ زَائِدَةً لِغَيْرِ الصِّفَةِ.

وَمَنْ تَمَيَّزَ عَنِ الْمَحْدُودِ فَهُوَ مَحْدُودٌ، بِكَوْنِهِ لَيْسَ عَيْنَ هَذَا الْمَحْدُودِ.
فَالِإِ طَلَّاقُ عَنِ التَّقْيِيدِ تَقْيِيدٌ. وَالْمُطْلَقُ مُقَيَّدٌ بِالِإِ طَلَّاقِ، لَمَنْ فَهَمَ.
وَإِنْ جَعَلْنَا الْكَافَ لِلصِّفَةِ؛ فَقَدْ حَدَدْنَا هَا.

160 وَإِنْ أَخَذْنَا ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [سورة لشمورى: ١١] عَلَى نَفْيِ الْمِثْلِ،
تَحَقَّقْنَا بِإِلْفَهُمْ، وَبِإِلْ خَبَارِ الصَّحِيحِ؛ أَنَّهُ عَيْنُ الْأَشْيَاءِ، وَالْأَشْيَاءُ مَحْدُودَةٌ،
وَإِنْ اخْتَلَفَتْ حُدُودُهَا، فَهُوَ مَحْدُودٌ بِحَدِّ كُلِّ مَحْدُودٍ. فَمَا يُحَدُّ شَيْءٌ إِلَّا
وَهُوَ حَدٌّ لِلْحَقِّ، فَهُوَ السَّارِي فِي مُسَمَّي الْمَخْلُوقَاتِ وَالْمُبْدِعَاتِ.
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا مَرُّ كَذَا لِكَ، مَا صَحَّ الْوُجُودُ. فَهُوَ عَيْنُ الْوُجُودِ.
فَهُوَ ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيطٌ﴾ [سورة هود: ٥٧] بِذَاتِهِ. وَلَا يُؤَدُّهُ حِفْظُ
شَيْءٍ.

فَحِفْظُهُ تَعَالَى لِلْأَشْيَاءِ كُلِّهَا، حِفْظُهُ لِصُورَتِهِ.
أَنْ يَكُونَ الشَّيْءُ غَيْرَ صُورَتِهِ، وَلَا يَصِحُّ إِلَّا هَذَا.
فَهُوَ الشَّأْنُ هِدْمِ الشَّأْنِ هِدْمِ. وَالْمَشْهُودُ مِنَ الْمَشْهُودِ.
فَالْعَا لَمْ صُورَتُهُ. وَهُوَ رُوحُ الْعَالَمِ، الْمُدَبِّرُ لَهُ. فَهُوَ الْإِنْسَانُ الْكَبِيرُ.
[مَجْزُوءُ الْخَفِيفِ]

١- فَهُوَ الْكَوْنُ كُلُّهُ وَهُوَ الْوَالِدُ الَّذِي

[٢٩ ظهر]

٢- قَامَ كَوْنِي بِكَوْنِهِ
٣- فَوُجُودِي غِذَاؤُهُ
٤- فِيهِ مِنْهُ إِنْ نَظَرُ
وَلِذَا قُلْتُ يَغْتَدِي
وَبِهِ نَحْنُ نَحْتَدِي
تَبَوَّجُهُ تَعَوُّدِي

161

وَلِهَذَا الْكَرْبِ تَنَفَّسَ، فَتَنَسَبَ النَّفْسَ إِلَى الرَّحْمَنِ، لِأَنَّهُ رَجَمَ بِهِ مَا طَلَبَتْهُ
النَّسَبُ إِلَّا لِهَيْئَةٍ مِنْ إِيْجَادِ صُورِ الْعَالَمِ الَّتِي قُلْنَا هِيَ ظَاهِرُ الْحَقِّ.
إِذْ هُوَ الظَّاهِرُ وَهُوَ بِأَطْنَحِهَا، إِذْ هُوَ الْبَاطِنُ وَهُوَ الْأَوَّلُ، إِذْ كَانَ وَلَا هِيَ،

وَهُوَ الْآخِرُ. إِذْ كَانَ عَيْنُهَا عِنْدَ ظُهُورِهَا.

فَالَا خِرَ عَيْنُ الظَّاهِرِ، وَابَا طِنُ عَيْنِ الْأَوَّلِ. ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة: ٢٩]، لِأَنَّهُ بِنَفْسِهِ عَلِيمٌ.

فَلَمَّا أَوْجَدَ الصُّورَ فِي النَّفْسِ وَظَهَرَ سُلْطَانُ النَّسَبِ الْمُعْبَرِ عَنْهَا بِالْأَسْمَاءِ،، صَحَّ النَّسَبُ إِلَّا لِلهِ لِلْعَالَمِ. فَا نَتَسَبَّأُ إِلَيْهِ تَعَالَى فَقَالَ: «الْيَوْمَ أَضَعُ نَسَبَكُمْ وَأَرْفَعُ نَسَبِي» أَي: أَخَذُ عَنْكُمْ أَنْتَسَا بِكُمْ إِلَى أَنْفُسِكُمْ، وَأَرَدُكُمْ إِلَى أَنْتَسَا بِكُمْ إِلَيَّ.

162 أَيْنَ الْمُتَّقُونَ؟ أَي: الَّذِينَ اتَّخَذُوا اللَّهَ وَقَايَةً، فَكَانَ الْحَقُّ ظَاهِرًا هُمْ؛ أَي: عَيْنُ صُورِهِمْ الظَّاهِرَةُ. وَهُوَ أَعْظَمُ النَّاسِ، وَأَحَقُّهُ وَأَقْوَاهُ عِنْدَ الْجَمِيعِ. وَقَدْ يَكُونُ الْمُتَّقِي، مَنْ جَعَلَ نَفْسَهُ وَقَايَةً لِلْحَقِّ بِصُورَتِهِ، إِذْ هُوَ يَهُ الْحَقُّ قُوَى الْعَبْدِ، فَجَعَلَ مُسَمًى الْعَبْدِ وَقَايَةً لِمُسَمًى الْحَقِّ — عَلَى الشُّهُودِ — حَتَّى يَتَمَيَّزَ الْعَالَمُ مِنْ غَيْرِ الْعَالَمِ.

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [سورة الزمر: ٩]، وَهُمْ النَّاطِرُونَ فِي لُبِّ الشَّيْءِ، الَّذِي هُوَ الْمَطْلُوبُ مِنَ الشَّيْءِ، فَمَا سَبَقَ مُقَصِّرٌ مُجِدًّا. كَذَلِكَ لَا يَمَّا ثَلَّ أَجِيرٌ عَبْدًا. وَإِذَا كَانَ الْحَقُّ وَقَايَةً لِلْعَبْدِ بِوَجْهِهِ، وَالْعَبْدُ وَقَايَةً لِلْحَقِّ بِوَجْهِهِ. فَقُلْ فِي الْكَوْنِ مَا شِئْتَ.

إِنْ شِئْتَ، قُلْتَ: «هُوَ الْخَلْقُ».

وَإِنْ شِئْتَ، قُلْتَ: «هُوَ الْحَقُّ».

وَإِنْ شِئْتَ، قُلْتَ: «هُوَ الْحَقُّ الْخَلْقُ».

وَإِنْ شِئْتَ، قُلْتَ: «لَا حَقٌّ مِنْ كُلِّ وَجْهِ، وَلَا خَلْقٌ مِنْ كُلِّ وَجْهِ».

وَإِنْ شِئْتَ، قُلْتَ: «بِالْحَيْرَةِ فِي ذَلِكَ».

[٣٠ وجهه] فَقَدْ بَا نَتِ الْمَطَا لِبُ بَتَعْيِينِكَ الْمَرَاتِبَ، وَلَوْلَا التَّحْدِيدُ

مَا خَبَرْتَ الرُّسُلَ بِتَحَوُّلِ الْحَقِّ فِي الصَّوْرِ، وَلَا وَصَفَتَهُ بِخَلْعِ الصَّوْرِ عَنْ
نَفْسِهِ.

163

[الْمُتْقَارِبُ]

١- فَلَا تَنْظُرُ الْعَيْنُ إِلَّا إِلَيْهِ وَلَا يَقَعُ الْحُكْمُ إِلَّا عَلَيْهِ

٢- فَنَحْنُ لَهُ وَبِهِ فِي يَدَيْهِ وَفِي كُلِّ حَالٍ فَإِنَّا لَدَيْهِ

لِهَذَا يُنْكِرُ وَيُعَرِّفُ، وَيُنْزِعُهُ وَيُوصِفُهُ.

فَمَنْ رَأَى الْحَقَّ مِنْهُ فِيهِ بِعَيْنِهِ، فَذَلِكَ الْعَارِفُ.

وَمَنْ رَأَى الْحَقَّ مِنْهُ فِيهِ بِعَيْنِ نَفْسِهِ، فَذَلِكَ غَيْرُ الْعَارِفِ.

وَمَنْ لَمْ يَرَ الْحَقَّ مِنْهُ، وَلَا فِيهِ، وَآ نَتَنَظَّرُ أَنْ يَرَاهُ بِعَيْنِ نَفْسِهِ، فَذَلِكَ

الْجَاهِلُ.

وَبِالْجُمْلَةِ فَلَا بُدَّ لِكُلِّ شَخْصٍ مِنْ عَقِيدَةٍ فِي رَبِّهِ، يَرْجِعُ بِهَا إِلَيْهِ،

وَيَطْلُبُهُ فِيهَا؛ فَإِذَا تَجَلَّى لَهُ الْحَقُّ فِيهَا عَرَفَهُ وَأَقْرَبَهُ. وَإِنْ تَجَلَّى لَهُ فِي

غَيْرِهَا نَكِرَهُ وَتَعَوَّدَ مِنْهُ، وَأَسَاءَ الْأَدَبَ عَلَيْهِ — فِي نَفْسِ الْأَمْرِ — وَهُوَ عِنْدَ

نَفْسِهِ أَنَّهُ قَدْ تَأَدَّبَ مَعَهُ.

فَلَا يَعْتَقِدُ مُعْتَقِدُ الْإِلَهِ، إِلَّا بِمَا جَعَلَ فِي نَفْسِهِ.

164

فَالِإِلَهِ فِي الْأَعْتِقَادَاتِ بِالْجَعْلِ. فَمَا رَأَوْا إِلَّا نُفُوسَهُمْ، وَمَا جَعَلُوا فِيهَا.

فَمَا نَظَرُوا مَرَاتِبَ النَّاسِ فِي الْعِلْمِ بِاللَّهِ، هُوَ عَيْنٌ مَرَاتِبِهِمْ فِي الرُّؤْيَا يَوْمَ

الْقِيَامَةِ.

وَقَدْ أَعْلَمْتُكَ بِالسَّبَبِ الْمَوْجِبِ لَذَلِكَ.

فَإِنَّ يَأْكُنَّ أَنْ تَتَّقِيْدَ بِعَقْدٍ مَخْصُوصٍ، وَتَكْفُرَ بِمَا سِوَاهُ، فَيَفُوتُكَ خَيْرٌ

كَثِيرٌ؛ بَلْ يَفُوتُكَ الْعِلْمُ بِالْأَمْرِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ.

فَكُنْ فِي نَفْسِكَ هَيُولَى لِصُورِ الْمُعْتَقَدَاتِ كُلِّهَا، فَإِنَّ الْإِلَهِ لَهُ تَعَالَى

أَوْ سَعًى وَأَعْظَمُ أَنْ يَحْصُرَهُ عَقْدٌ دُونَ عَقْدٍ؛ فَإِنَّهُ يَقُولُ: ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُهُ

اللَّهُ ﴿سُورَةُ الْبَقَرَةِ: ١١٥﴾. وَمَا ذَكَرْنَا مِنْ آيَةٍ.

وَذَكَرْنَا أَنْ تَمَّ وَجْهُ اللَّهِ. وَوَجْهُ الشَّيْءِ حَقِيقَتُهُ.

فَنَبَّهَ بِهَذَا قُلُوبَ الْعَالَمِينَ لِئَلَّا تَشْغَلَهُمُ الْعَوَارِضُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، عَنِ

أَسْتِحْضَارِ مِثْلِ هَذَا.

165

فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي الْعَبْدُ فِي أَيِّ نَفْسٍ يُقْبَضُ، فَقَدْ يُقْبَضُ فِي وَقْتِ غَفْلَةٍ،

فَلَا يَسْتَوِي مَعَ مَنْ قُبِضَ عَلَى حُضُورٍ.

ثُمَّ إِنَّ الْعَبْدَ الْكَامِلَ مَعَ عِلْمِهِ بِهَذَا — يَلْزَمُ فِي الصُّورَةِ الظَّاهِرَةِ وَالْحَالِ

الْمُقَيَّدَةِ — التَّوَجُّهُ بِالصَّلَاةِ إِلَى شَطْرِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ [٣٠ ظهر] وَيَعْتَقِدُ أَنَّ

اللَّهُ فِي قِبْلَتِهِ، حَالِ صَلَاتِهِ.

وَهُوَ بَعْضُ مَرَاتِبِ وَجْهِ الْحَقِّ مِنْ ﴿أَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [سُورَةُ الْبَقَرَةِ

: ١١٥]. فَشَطْرُ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ مِنْهَا، فَفِيهِ وَجْهُ اللَّهِ.

وَلَكِنْ لَا تَقُلْ: هُوَ هُنَا فَقَطْ. بَلْ قِفْ عِنْدَ مَا أَدْرَكَتْ، وَأَلْزَمِ الْأَدَبَ فِي

الْاِسْتِقْبَالِ شَطْرِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ. وَأَلْزَمِ الْأَدَبَ فِي عَدَمِ حَصْرِ الْوَجْهِ فِي

تِلْكَ الْاَيِّنَةِ الْخَاصَّةِ، بَلْ هِيَ مِنْ جُمْلَةِ اَيِّنَاتِ ﴿مَا تَوَلَّيْ﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ:

١١٥] مُتَوَلِّ إِلَيْهَا.

فَقَدْ بَانَ لَكَ عَنِ اللَّهِ أَنَّهُ فِي اَيِّنَةٍ كُلِّ وَجْهَةٍ.

وَمَا تَمَّ إِلَّا الْاِعْتِقَادَاتُ. فَا لِكُلِّ مُصِيبٍ.

وَكُلُّ مُصِيبٍ مَأْجُورٌ. وَكُلُّ مَأْجُورٍ سَعِيدٌ. وَكُلُّ سَعِيدٍ مَرْضِيٌّ عَنْهُ، وَإِنْ

شَقِيَّيَ زَمَانًا مَا فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ. فَقَدْ مَرَضَ وَتَأَلَّمَ أَهْلُ الْعِنَايَةِ مَعَ عَلَمِنَا

بِأَنَّهُمْ سُعْدَاءُ، أَهْلُ حَقِّ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

فَمِنْ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ تُدْرِكُهُمْ تِلْكَ الْاَلَامُ فِي الْحَيَاةِ الْآخِرَةِ فِي دَارٍ

تُسَمَّى جَهَنَّمَ.

166

وَمَعَ هَذَا لَا يَقْطَعُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ — الَّذِينَ كَشَفُوا الْأَمْرَ عَلَى مَا هُوَ

عَلَيْهِ — أَنَّهُ لَا يَكُونُ لَهُمْ فِي تِلْكَ الدَّارِ نَعِيمٌ خَاصٌّ بِهِمْ. إِمَّا بِفَقْدِ أَلَمِ
كَأَنَّا يَجِدُونَهُ، فَأَزْ تَفَعَّ عَنْهُمْ.

فَيَكُونُ نَعِيمُهُمْ رَأً حَتَّهُمْ عَنْ وَجْدَانِ ذَلِكَ الْأَلَمِ. أَوْ يَكُونُ نَعِيمٌ مُسْتَقِلٌّ
رَأً يَدُ كُنْعِيمِ أَهْلِ الْجَنَانِ فِي الْجَنَانِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

[١١] ﴿فَصَّ حِكْمَةً فُتُو حِيَّةً فِي كَلِمَةٍ صَا لِحِيَّةً﴾

167

[الْوَا فِرُ]

١- مِنَ الْآيَاتِ آيَاتُ الرَّكَائِبِ وَذَلِكَ لِأَخْتِلَافٍ فِي الْمَذَاهِبِ
٢- فَمِنْهُمْ قَوْمٌ بِهَا بِحَقٍّ

٣- فَأَمَّا الْقَائِمُونَ فَأَمَّا هَلْ عَيْنٌ وَأَنَّ الْقَائِمِينَ هُمُ الْجَنَانِ

٤- وَكُلٌّ مِنْهُمْ تَأْتِيهِ مِنْهُ فُتُو غُيُوبِهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ

أَعْلَمُ — وَفَقَّكَ اللَّهُ — أَنَّ الْأَمْرَ مَبْنِيٌّ فِي نَفْسِهِ عَلَى الْفَرْدِيَّةِ.

وَلَهَا التَّثْلِيثُ، فَهِيَ مِنَ الثَّلَاثَةِ فَصَا عِدًّا، فَأَمَّا لثَلَاثَةُ أَوَّلِ الْفَرَادِ، وَعَنْ هَذِهِ

الْحَضْرَةِ إِلَّا لِهَيْئَةِ وَجَدِ الْعَالَمِ.

168

فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [سورة

النحل: ٤٠] فَهَذِهِ ذَاتُ إِرَادَةٍ وَقَوْلٍ. فَلَوْلَا هَذِهِ الذَّاتُ وَإِرَادَتُهَا —

وَهِيَ نَسْبَةُ التَّوَجُّهِ بِالتَّخْصِصِ [٣١ وجه] لِتَكْوِينِ أَمْرٍ — مَا تَمَّ قَوْلُهُ عِنْدَ

هَذَا التَّوَجُّهِ: «كُنْ» لِذَلِكَ الشَّيْءِ، مَا كَانَ ذَلِكَ الشَّيْءِ.

ثُمَّ ظَهَرَتْ الْفَرْدِيَّةُ الثَّلَاثِيَّةُ أَيْضًا فِي ذَلِكَ الشَّيْءِ.

وَبِهَا مِنْ جِهَتِهِ صَحَّ تَكْوِينُهُ، وَأَتَّصَا فُهُ بِأَلْوَجُودِهِ. وَهِيَ شَيْئِيَّةٌ وَسَمَاءٌ

وَأَمَّا مُتَبَاتٌ لَهُ أَمْرٌ مُكُونٌ بِهِ بِإِلَاجَادِهِ.

فَقَالَ بَلْ ثَلَاثَةٌ بِثَلَاثَةٍ: ذَاتُ الثَّلَاثَةِ فِي حَالِ عَدَمِهَا فِي مُوَازَنَةِ ذَاتِ

مُوجِدِهَا. وَسَمَاءٌ فِي مُوَازَنَةِ إِرَادَةِ مُوجِدِهِ. وَقَبُولُهُ بِأَلَا مُتَبَاتٍ لِمَا أَمَرَهُ بِهِ مِنَ

التَّكْوِينِ فِي مُوَازَنَةِ قَوْلِهِ: «كُنْ» فَكَانَ هُوَ.

فَنَسَبَ التَّكْوِينَ إِلَيْهِ، فَلَوْلَا أَنَّهُ فِي قَوِّهِ التَّكْوِينَ مِنْ نَفْسِهِ — عِنْدَ
هَذَا الْقَوْلِ — مَا تَكُونُ.

فَمَا أَوْ جَدَ هَذَا الشَّيْءَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ — عِنْدَ الْأَمْرِ بِاَلتَّكْوِينَ — إِلَّا
نَفْسُهُ.

فَأُثْبِتَ الْحَقُّ تَعَالَى أَنَّ التَّكْوِينَ لِلشَّيْءِ نَفْسِهِ لَا لِلْحَقِّ. وَالَّذِي لِلْحَقِّ
فِيهِ أَمْرُهُ خَاصَّةٌ.

169

وَكَذَلِكَ خَبَرَ عَنْ نَفْسِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ
فَيَكُونُ﴾ [سورة يس: ٨٢]، فَنَسَبَ التَّكْوِينَ لِنَفْسِ الشَّيْءِ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ.
وَهُوَ الصَّادِقُ فِي قَوْلِهِ. وَهَذَا هُوَ الْمَعْقُولُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، كَمَا يَقُولُ
الْأَمْرُ — الَّذِي يُخَافُ فَلَا يُعْصِي — لِعَبْدِهِ: «قُمْ». فَيَقُومُ الْعَبْدُ أَمْتِنًا لَا
لِأَمْرِ سَيِّدِهِ. فَلَيْسَ لِلْسَيِّدِ فِي قِيَامِ هَذَا الْعَبْدِ سِوَى أَمْرِهِ لَهُ بِاَلْقِيَامِ. وَاقِيَامُ
مِنْ فِعْلِ الْعَبْدِ، لَا مِنْ فِعْلِ السَّيِّدِ.

فَقَامَ أَصْلُ التَّكْوِينَ عَلَى التَّثْلِيثِ، أَي: مِنَ الثَّلَاثَةِ، مِنَ الْجَانِبَيْنِ: مِنَ
جَانِبِ الْحَقِّ، وَمِنْ جَانِبِ الْخَلْقِ.

ثُمَّ سَرَى ذَلِكَ فِي إِيجَادِ الْمَعَانِي بِالْأَدِلَّةِ: فَلَا بُدَّ مِنَ الدَّلِيلِ أَنْ يَكُونَ
مُرَكَّبًا مِنْ ثَلَاثَةٍ، عَلَى نِظَامٍ مَخْصُوصٍ، وَشَرْطٍ مَخْصُوصٍ. وَحِينَئِذٍ يُنْتِجُ.
لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ.

وَهُوَ أَنْ يُرَكَّبَ النَّاطِقُ دَلِيلُهُ مِنْ مُقَدَّمَتَيْنِ، كُلُّ مُقَدَّمَةٍ تَحْوِي عَلَى
مُفْرَدَيْنِ، فَيَكُونُ أَرْبَعَةً. وَاجِدٌ مِنْ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ يَتَكَرَّرُ فِي الْمُقَدَّمَتَيْنِ لِإِبْطَالِ
إِحْدَاهُمَا بِالْأُخْرَى، كَمَا لِنِكَاحِ.

فَيَكُونُ ثَلَاثَةً لَا غَيْرَ، لِتَكَرَّرِ الْوَاحِدِ فِيهِمَا، فَيَكُونُ الْمَطْلُوبُ، إِذَا وَقَعَ

170

هَذَا التَّرْتِيبُ — عَلَى هَذَا الْوَجْهِ الْمَخْصُوصِ — وَهُوَ رِبْطُ إِحْدَى
الْمُقَدَّمَتَيْنِ بِالْأُخْرَى، بِتَكَرَّرِ ذَلِكَ الْوَجْهِ الْمُفْرَدِ، الَّذِي بِهِ صَحَّاهُ التَّثْلِيثُ.

وَالشَّرْطُ الْمَخْصُوصُ أَنْ يَكُونَ الْحُكْمُ أَعَمَّ مِنَ الْعِلَّةِ [٣١ ظهر] أَوْ
مُسَاوٍ يَأْ لَهَا، وَحِينَئِذٍ يَصْدُقُ. وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ، فَإِنَّهُ يُنْتِجُ نَتِيجَةً غَيْرَ
صَادِقَةٍ.

وَهَذَا مَوْجُودٌ فِي الْعَالَمِ، مِثْلُ إِضَافَةِ الْفِعَالِ إِلَى الْعَبْدِ، مُعْرَاةً عَنْ
نِسْبَتِهَا إِلَى اللَّهِ. أَوْ إِضَافَةِ التَّكْوِينِ الَّذِي نَحْنُ بِصَدَدِهِ إِلَى اللَّهِ مُطْلَقًا.
وَأَلْحَقْ مَا أَضَافَهُ إِلَّا إِلَى الشَّيْءِ الَّذِي قِيلَ لَهُ: «كُنْ».

وَمِثْلًا لَهُ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَدُلَّ أَنْ وُجُودَ الْعَالَمِ عَنْ سَبَبٍ.
فَنَقُولُ: كُلُّ حَادِثٍ فَلَهُ سَبَبٌ. فَمَعْنَى الْحَادِثِ وَالسَّبَبِ.
ثُمَّ نَقُولُ فِي الْمَقْدَمَةِ الْآخَرَى: وَالْعَالَمُ حَادِثٌ.

فَتَكَرَّرَ الْحَادِثُ فِي الْمَقْدَمَتَيْنِ.

وَالثَّالِثُ قَوْلُنَا: الْعَالَمُ.

فَأَنْتِجَ أَنْ الْعَالَمَ لَهُ سَبَبٌ.

وظَهَرَ فِي النَّتِيجَةِ مَا ذَكَرَ فِي الْمَقْدَمَةِ الْوَأَحَدَةِ. وَهُوَ السَّبَبُ. فَأَلَوْجُهُ
الْخَاصُّ هُوَ تَكَرُّارُ الْحَادِثِ.

وَالشَّرْطُ الْخَاصُّ عُمُومُ الْعِلَّةِ؛ لِأَنَّ الْعِلَّةَ فِي وُجُودِ الْحَادِثِ، السَّبَبُ.

وَهُوَ عَامٌّ فِي حَدُوثِ الْعَالَمِ عَنِ اللَّهِ.

أَعْنِي: الْحُكْمَ، فَيَحْكُمُ عَلَى كُلِّ حَادِثٍ أَنْ لَهُ سَبَبًا. سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ

171

السَّبَبُ مُسَاوٍ يَأْ لِلْحُكْمِ، أَوْ يَكُونُ الْحُكْمُ أَعَمَّ مِنْهُ، فَيَدُخُلُ تَحْتَ حُكْمِهِ.
فَتَصْدُقُ النَّتِيجَةُ.

فَهَذَا أَيْضًا قَدْ ظَهَرَ حُكْمُ التَّثْلِيثِ، فِي إِجَارِ الْمَعَانِي الَّتِي
تُقْتَنَصُ بِالْأَلَةِ.

فَأَصْلُ الْكَوْنِ التَّثْلِيثُ، وَلِهَذَا كَانَتْ حِكْمَةُ صَالِحٍ عَلَيْهَا لِسَلَامِ الَّتِي
أَظْهَرَ اللَّهُ فِي نَأْ خَيْرٍ أَخَذَ قَوْمَهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَعَدًا. ﴿غَيْرَ مَكْذُوبٍ﴾

فَأَنْتَجَ صِدْقًا وَهُوَ الصَّيْحَةُ الَّتِي أَهْلَكَهُمْ بِهَا، ﴿ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ

جَثِمِينَ ﴾، [سورة هود: ٦٧].

172

فَأَوَّلَ يَوْمٍ مِنَ الثَّلَاثَةِ، أَصْفَرَتْ وُجُوهُ الْقَوْمِ. وَفِي النَّارِ نِي أَحْمَرَتْ. وَفِي
الثَّلَاثَةِ لَيْثٌ أَسْوَدَتْ. فَلَمَّا كَمَلَتِ الثَّلَاثَةُ، صَحَّ النَّاسُ سِتْعَادًا، فَظَهَرَ كَوْنُ الْفَسَادِ
فِيهِمْ، فَسَمِّيَ ذَلِكَ الظُّهُورُ هَلَاكًا.

فَكَانَ أَصْفَرَارُ وُجُوهِ الْأَشْقِيَاءِ، فِي مُوَازَنَةِ وُجُوهِ السُّعْدَاءِ، فِي قَوْلِهِ
تَعَالَى: ﴿ وَجُوهُ يَوْمَ مَبْنِيٍّ مُسْفِرَةٌ ﴾ [سورة عبس: ٣٨]، مِنَ السُّفُورِ، وَهُوَ الظُّهُورُ.
كَمَا كَانَ النَّاسُ صَفَرَارًا فِي أَوَّلِ يَوْمٍ، ظَهَرُوا عَلَامَةَ الشَّقَاءِ فِي قَوْمِ صَالِحٍ، ثُمَّ
جَاءَ فِي مُوَازَنَةِ النَّاسِ حَمَرَارِ الْقَائِمِ بِهِمْ، قَوْلُهُ تَعَالَى فِي السُّعْدَاءِ: ﴿ ضَا حِكَّةٌ ﴾
[سورة عبس: ٣٩] فَإِنَّ الضَّحِكَ مِنَ الْأَسْبَابِ الْمَوْلَدَةِ لِلْحَمَرَارِ الْوُجُوهِ، فَهِيَ
فِي السُّعْدَاءِ أَحْمَرَارُ الْوَجَنَاتِ.

ثُمَّ جَعَلَ فِي مُوَازَنَةِ تَغْيِيرِ [٣٢ وجه] بَشَرَةِ الْأَشْقِيَاءِ بِالسَّوَادِ، قَوْلُهُ
تَعَالَى: ﴿ مُسْتَبْشِرَةٌ ﴾ [سورة عبس: ٣٩] وَهُوَ مَا أَثَرَهُ السُّرُورُ فِي بَشَرَتِهِمْ، كَمَا
أَثَرُ السَّوَادِ فِي بَشَرَةِ الْأَشْقِيَاءِ.

وَلِهَذَا قَالَ فِي الْفَرِيقَيْنِ بِالْبُشْرَى، أَيُّ: يَقُولُ لَهُمْ قَوْلًا يُؤَثِّرُ فِي بَشَرَتِهِمْ،
فَيَعْدِلُ بِهَا إِلَى لَوْنٍ لَمْ تَكُنْ الْبَشَرَةُ تَتَّصِفُ بِهِ قَبْلَ هَذَا. فَقَالَ فِي حَقِّ
السُّعْدَاءِ: ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ ﴾ [التوبة: ٢١]. وَقَالَ فِي حَقِّ
الْأَشْقِيَاءِ: ﴿ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [التوبة: ٣٤].

173

فَأَثَرُ فِي بَشَرَةِ كُلِّ طَائِفَةٍ مِمَّا حَصَلَ فِي نَفْسِهِمْ مِنْ أَثَرِ هَذَا الْكَلَامِ،
فَمَا ظَهَرَ عَلَيْهِمْ فِي ظَاهِرِهِمْ إِلَّا حُكْمٌ مَا سَتَقَرَّ فِي بَوَائِنِهِ مِنَ الْمَفْهُومِ.
فَمَا أَثَرُ فِيهِمْ سِوَا هُمْ. كَمَا لَمْ يَكُنْ التَّكْوِينُ إِلَّا مِنْهُمْ. ﴿ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ
الْبَلِغَةُ ﴾ [سورة الأنعام: ١٤٩].

فَمَنْ فَهَمَ هَذِهِ الْحِكْمَةَ، وَقَرَّرَ مَا فِي نَفْسِهِ، وَجَعَلَهَا مَشْهُودَةً لَهُ، أَرَاخَ
 نَفْسَهُ مِنَ التَّعَلُّقِ بِغَيْرِهِ. وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يُؤْتَى عَلَيْهِ بِخَيْرٍ وَلَا بِشَرٍّ، إِلَّا مِنْهُ.
 وَأَعْنِي بِالْخَيْرِ: مَا يُؤَا فِقُ غَرَضُهُ، وَيُلَا بِمُ طَبَعُهُ وَمِزَاجُهُ.
 وَأَعْنِي بِالشَّرِّ: مَا لَا يُؤَا فِقُ غَرَضُهُ، وَلَا يُلَا بِمُ طَبَعُهُ وَلَا مِزَاجُهُ.
 وَيُقِيمُ صَاحِبُ هَذَا الشُّهُودِ، مَعَاذِيرَ الْمَوْجُودَاتِ كُلِّهَا عَنْهُمْ، وَإِنْ لَمْ
 يَعْتَذِرُوا. وَيَعْلَمُ أَنَّهُ مِنْهُ كَانَ كُلُّ مَا هُوَ فِيهِ — كَمَا ذَكَرْنَا أَوَّلًا فِي أَنَّ
 الْعِلْمَ — تَابِعٌ لِلْمَعْلُومِ. فَيَقُولُ لِنَفْسِهِ إِذَا جَاءَهُ مَا لَا يُؤَا فِقُ غَرَضُهُ: «يَدَاكَ
 أَوْ كَتَا وَفُوكَ نَفَخَ». ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [سورة الأَحْزَابِ
 ٤:].

[١٢] ﴿فَصِرْ حِكْمَةً قَلْبِيَّةً فِي كَلِمَةٍ شُعْبِيَّةٍ﴾

174

أَعْلَمَانِ الْقَلْبِ — أَعْنِي قَلْبَ الْعَارِفِ بِاللَّهِ — هُوَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَهُوَ
 أَوْ سَعٍ مِنْهَا، فَإِنَّهُ وَسِعَ الْحَقَّ جَلَّ جَلَالُهُ، وَرَحْمَتُهُ لَا تَسَعُهُ.
 هَذَا لِسَانُ عُمُومٍ مِنْ بَابِ الْإِشَارَةِ، فَإِنَّ الْحَقَّ رَأَى جَمًّا لَيْسَ بِمَرُ حُومٍ، فَلَا
 حُكْمَ لِلرَّحْمَةِ فِيهِ.
 وَأَمَّا الْإِشَارَةُ مِنْ لِسَانِ الْخُصُوصِ، فَإِنَّ اللَّهَ وَصَفَ نَفْسَهُ بِالْإِنْفَاسِ
 وَهُوَ مِنَ التَّنْفِيسِ.
 وَأَنَّ الْأَسْمَاءَ إِلَّا لِهَيْئَةِ عَيْنِ الْمُسَمَّى، وَلَيْسَ إِلَّا هُوَ. وَأَنَّهَا طَائِلَةٌ مَا تُعْطِيهِ
 مِنَ الْحَقِّ يَقِي، وَلَيْسَتْ الْحَقَّا يَقِي الَّتِي تَطْلُبُهَا الْأَسْمَاءُ إِلَّا الْعَالِمَ. فَالْأُلُوهُةُ
 تَطْلُبُ الْمَأْلُوهُةَ، [٣٢ ظهر] وَالرُّبُوبِيَّةُ تَطْلُبُ الْمَرْبُوبَ، وَإِلَّا فَلَا عَيْنَ لَهَا إِلَّا بِهِ،
 وَجُودًا وَنَقْدَ يَرَأَى.

وَالْحَقُّ مِنْ حَيْثُ ذَاتُهُ، غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ. وَالرُّبُوبِيَّةُ مَا لَهَا هَذَا الْحُكْمُ.

175

فَبَقِيَ الْأَمْرُ بَيْنَ مَا تَطْلُبُهُ الرُّبُوبِيَّةُ وَبَيْنَ مَا تَسْتَحِقُّهُ الذَّاتُ، مِنَ الْغِنَى عَنِ
 الْعَالَمِ. وَلَيْسَتْ الرُّبُوبِيَّةُ عَلَى الْحَقِيقَةِ وَالْأَنْصَافِ، إِلَّا عَيْنُ هَذِهِ الذَّاتِ.

فَلَمَّا تَعَارَضَ الْأَمْرُ، بِحُكْمِ النَّسَبِ، وَرَدَّ فِي الْخَبَرِ مَا وَصَفَ الْحَقُّ بِهِ
نَفْسَهُ، مِنْ الشَّفَقَةِ عَلَى عِبَادِهِ.

فَأَوَّلُ مَا نَفَسَ عَنِ الرَّبِّ بُوَيْيَّةٌ بِنَفْسِهِ الْمُنْسُوبِ إِلَى الرَّحْمَنِ بِإِيجَادِهِ
الْعَالِمَ الَّذِي تَطْلُبُهُ الرَّبُّ بُوَيْيَّةٌ بِحَقِيقَتِهَا. وَجَمِيعُ الْأَسْمَاءِ إِلَّا لِهَيْيَّةِ.
فَيَثْبُتُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ أَنَّ رَحْمَتَهُ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، فَوَسِعَتْ الْحَقُّ،
فَهِيَ أَوْ سَعَتْ مِنَ الْقَلْبِ، أَوْ مُسَاوِيَةٌ لَهُ فِي السَّعَةِ. هَذَا مَضَى.
ثُمَّ لِنَعْلَمَ أَنَّ الْحَقَّ تَعَالَى كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ يَتَحَوَّلُ فِي الصُّورِ
عِنْدَ التَّجَلِّي. وَأَنَّ الْحَقَّ تَعَالَى إِذَا وَسِعَهُ الْقَلْبُ، لَا يَسَعُ مَعَهُ غَيْرُهُ مِنَ
الْمَخْلُوقَاتِ، فَكَأَنَّهُ يَمْلُؤُهُ.

وَمَعْنَى هَذَا أَنَّهُ إِذَا نَظَرَ إِلَى الْحَقِّ عِنْدَ تَجَلِّيهِ لَهُ، لَا يُمْكِنُ أَنْ يَنْظُرَ مَعَهُ
إِلَى غَيْرِهِ.

176

وَقَلْبُ الْعَارِفِ مِنَ السَّعَةِ كَمَا قَالَ أَبُو يَزِيدٍ الْبِسْطَامِيُّ: «لَوْ أَنَّ
الْعَرْشَ وَمَا حَوَاهُ مَا نَهَّ أَلْفَ لَفٍ مَرَّةً فِي زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَا قَلْبِ الْعَارِفِ، مَا
أَحْسَّ بِهِ».

وَقَالَ الْجُنَيْدُ فِي هَذَا الْمَعْنَى: «إِنَّ الْمُحَدَّثَ إِذَا قُرِنَ بِالْقَدِيمِ لَمْ يَبْقَ
لَهُ أَثَرٌ، وَقَلْبٌ يَسَعُ الْقَدِيمَ، كَيْفَ يَحْسُ بِالْمُحَدَّثِ مَوْجُودًا؟».
وَإِذَا كَانَ الْحَقُّ يَتَنَوَّعُ تَجَلِّيهِ فِي الصُّورِ، فَبِالضَّرُورَةِ يَتَّسِعُ الْقَلْبُ وَيَضِيقُ
بِحَسَبِ الصُّورَةِ الَّتِي يَقَعُ فِيهَا التَّجَلِّيُ إِلَّا لِهَيْيَّةِ، فَإِنَّهُ لَا يَفْضُلُ مِنَ الْقَلْبِ
شَيْءٌ عَنْ صُورَةٍ مَا يَقَعُ فِيهَا التَّجَلِّيُ، فَإِنَّ الْقَلْبَ مِنَ الْعَارِفِ أَوْ الْإِنْسَانِ
الْكَامِلِ، بِمَنْزِلَةِ مَحَلِّ فَصِّ الْخَاتَمِ مِنَ الْخَاتَمِ، لَا يَفْضُلُ؛ بَلْ يَكُونُ عَلَى
قَدْرِهِ وَشَكْلِهِ مِنَ الْإِسْتِدَارَةِ، إِنْ كَانَ الْفَصُّ مُسْتَدِيرًا، أَوْ مِنَ التَّرْبِيعِ،

وَالنَّسْدِ يَسِ، وَالتَّثْمِينِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَشْكَالِ [٣٣ وجه] إِنْ كَانَ الْفَصُّ

177

مُرَبَّعًا، أَوْ مُسَدَّسًا، أَوْ مُثَمَّنًا، أَوْ مَا كَانَ مِنَ الْأَشْكَالِ، فَإِنَّ مَحَلَّهُ مِنَ الْخَاتَمِ

يَكُونُ مِثْلَهُ لَا غَيْرَ.

وَهَذَا عَكْسُ مَا تُشِيرُ إِلَيْهِ الطَّا بْفُهُ، مِنْ أَنَّ الْحَقَّ يَتَجَلَّى عَلَى قَدَرٍ
أَسْتَعْدَادِ الْعَبْدِ.

وَهَذَا لَيْسَ كَذَا لِكَ. فَإِنَّ الْعَبْدَ يَظْهَرُ لِلْحَقِّ عَلَى قَدَرِ الصُّورَةِ الَّتِي يَتَجَلَّى
لَهُ فِيهَا الْحَقُّ.

وَتَحْرِيْرُ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ: أَنَّ اللَّهَ تَجَلِّيَيْنِ: تَجَلَّى غَيْبٍ، وَتَجَلَّى شَهَادَةٍ، فَمِنْ
تَجَلَّى الْغَيْبِ يُعْطَى الَّا سْتَعْدَادُ، الَّذِي يَكُونُ عَلَيْهِ الْقَلْبُ. وَهُوَ التَّجَلَّى
الَّذَا تَبَيَّنَ، الَّذِي الْغَيْبُ حَقِيقَتُهُ. وَهُوَ الْهُوِيَّةُ الَّتِي يَسْتَحِقُّهَا بِقَوْلِهِ عَنْ نَفْسِهِ:
«هُوَ»، فَلَا يَزَالُ «هُوَ» لَهُ دَائِمًا أَبَدًا.

فَإِذَا حَصَلَ لَهُ — أَعْنِي لِلْقَلْبِ — هَذَا الَّا سْتَعْدَادُ، تَجَلَّى لَهُ التَّجَلَّى
الشَّهَوْدِيُّ فِي الشَّهَادَةِ، فَرَأَهُ فَظَهَرَ بِصُورَةٍ مَا، تَجَلَّى لَهُ كَمَا ذَكَرْنَا، فَهُوَ
تَعَالَى أَعْطَاهُ الَّا سْتَعْدَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ [سورة طه: ٥٠].
ثُمَّ رَفَعَ الْحِجَابَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَبْدِهِ، فَرَأَاهُ فِي صُورَةٍ مُعْتَقَدِهِ، فَهُوَ عَيْنُ أَعْتِقَادِهِ،
فَلَا يَشْهَدُ الْقَلْبُ وَلَا الْعَيْنُ أَبَدًا إِلَّا صُورَةَ مُعْتَقَدِهِ فِي الْحَقِّ.
فَالْحَقُّ الَّذِي فِي الْمُعْتَقَدِ، هُوَ الَّذِي وَسِعَ الْقَلْبَ صُورَتَهُ. وَهُوَ الَّذِي
يَتَجَلَّى لَهُ فَيَعْرِفُهُ. فَلَا تَرَى الْعَيْنُ إِلَّا الْحَقَّ الَّا عِتْقَادِي.
وَلَا خَفَاءَ بِتَنَوُّعِ عِتْقَادَاتِ.

فَمَنْ قَيَّدَهُ أَنْكَرَهُ فِي غَيْرِ مَا قَيَّدَهُ بِهِ، وَأَقَرَّ بِهِ فِيمَا قَيَّدَهُ بِهِ، إِذَا تَجَلَّى.

178

وَمَنْ أَطْلَقَهُ عَنِ التَّقْيِيدِ لَمْ يُنْكِرْهُ، وَأَقَرَّ لَهُ فِي كُلِّ صُورَةٍ يَتَحَوَّلُ فِيهَا.
وَيُعْطِيهِ مِنْ نَفْسِهِ قَدْرَ صُورَةٍ مَا تَجَلَّى لَهُ فِيهَا إِلَى مَا لَا يَتَنَا هَيَّ، فَإِنَّ صُورَ
التَّجَلَّى مَا لَهَا نَهَا يَتَقَفُّ عِنْدَهَا.

وَكَذَا لِكَ الْعِلْمِ بِاللَّهِ. مَا لَهُ غَايَةٌ فِي الْعَارِ فَيَنْتَقِفُ عِنْدَهَا بَلْ هُوَ الْعَارِفُ
فِي كُلِّ زَمَانٍ يَطْلُبُ الزِّيَادَةَ مِنَ الْعِلْمِ بِهِ، ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾، ﴿رَبِّ زِدْنِي

عِلْمًا، ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [سورة طه: ١١٤] قَالَ مُرُّ لَا يَتَنَا هِيَ مِنْ
الطَّرَفَيْنِ.

هَذَا إِذَا قُلْتَ: «حَقٌّ وَخَلَقٌ». فَإِذَا نَظَرْتَ فِي قَوْلِهِ: «كُنْتُ رَجُلَهُ الَّتِي
يَسْعَى بِهَا، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَلِسَانَهُ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ» إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ
مِنَ الْقَوَى وَمَحَالِّهَا الَّتِي هِيَ الْأَعْضَاءُ، لَمْ تَفَرِّقْ.

فَقُلْتَ: «الْأَمْرُ حَقٌّ كُلُّهُ» [٣٣ ظهر] أَوْ خَلَقٌ كُلُّهُ. فَهُوَ خَلَقٌ بِنِسْبَةِ، وَهُوَ
حَقٌّ بِنِسْبَةِ. وَالْعَيْنُ وَالْحَدَّةُ. فَعَيْنُ صُورَةٍ مَا تَجَلَّى، عَيْنُ صُورَةٍ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ
التَّجَلِّي. فَهُوَ الْمُتَجَلَّى وَالْمُتَجَلَّى لَهُ.

فَمَا نَظَرُ مَا عَجَبَ أَمَرَ اللَّهِ! مِنْ حَيْثُ هُوَ يَتَّه، وَمِنْ حَيْثُ نَسَبَتْهُ إِلَى
الْعَالَمِ، فِي حَقِّهَا يَقِي أَسْمَاءُ بِهِ الْحُسْنَى.

[مَجْزُوءُ الْوَا فِر]

- | | |
|-------------------------------|-----------------------------|
| ١- فَمَنْ تَمَّ وَمَا تَمَّ | وَعَيْنٌ تَمَّ هُوَ تَمَّ |
| ٢- فَمَنْ قَدْ عَمَّه خَصَّهُ | وَمَنْ قَدْ خَصَّهُ عَمَّه |
| ٣- فَمَا عَيْنٌ سِوَى عَيْنٍ | فَنُورٌ عَيْنُهُ ظُلُمَهُ |
| ٤- فَمَنْ يَغْفُلُ عَنْ هَذَا | يَجِدُ فِي نَفْسِهِ غَمَّهُ |
| ٥- وَلَا يَعْرِفُ مَا قُلْنَا | سِوَى عَبْدٍ لَهُ هَمَّهُ |

180

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ [سورة ق: ٣٧] لِنَقْلِهِ فِي

أَنْوَاعِ الصُّوَرِ وَالصِّفَاتِ. وَلَمْ يَقُلْ لِمَنْ كَانَ لَهُ عَقْلٌ. فَإِنَّ الْعَقْلَ قَيْدٌ. فَيَحْصُرُ
الْأَمْرَ فِي نَعْتٍ وَاحِدٍ. وَالْحَقِيقَةُ تَأْبَى الْحَصْرَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ.

فَمَا هُوَ ذِكْرِي لِمَنْ كَانَ لَهُ عَقْلٌ، وَهُمْ أَصْحَابُ الْأَعْتِقَادَاتِ الَّذِينَ
يُكْفَرُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، وَيَلْعَنُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ [سورة آل
عمران: ٢٢]، فَإِنَّ إِلَهَ الْمُعْتَقِدِ مَا لَهُ حُكْمٌ فِي إِلَهِ الْمُعْتَقِدِ الْآخَرِ.

فَصَا حِبُّ الْأَعْتِقَادِ يَذُبُّ عَنْهُ، أَي: عَنِ الْأَمْرِ الَّذِي أَعْتَقَدَهُ فِي إِلَهِهِ،
وَيَنْصُرُهُ. وَذَلِكَ الَّذِي فِي أَعْتِقَادِهِ لَا يَنْصُرُهُ.

فَلِهَذَا لَا يَكُونُ لَهُ أَثَرٌ فِي اعْتِقَادِ الْمُنَازَعِ لَهُ، وَلَا الْمُنَازَعِ مَا لَهُ نَصْرَةٌ مِنْ
إِلَهِهِ الَّذِي فِي اعْتِقَادِهِ فَ﴿مَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرٍ يَنْ﴾ [سورة آل عمران: ٢٢].
فَنَفَى الْحَقُّ النَّصْرَةَ عَنِ إِلَهَةِ الْاَعْتِقَادَاتِ، عَلَى أَنْفِرَادِ كُلِّ مُعْتَقِدٍ
عَلَى حَدِّ تِهِ.

181

وَالْمَنْصُورُ الْمَجْمُوعُ، وَانَّا صِرُ الْمَجْمُوعِ.
فَا لِحَقُّ عِنْدَ الْعَارِفِ هُوَ الْمَعْرُوفُ الَّذِي لَا يُنْكَرُ.
فَأَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا، هُمْ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الْآخِرَةِ.
فَلِهَذَا قَالَ: ﴿لَمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ [سورة ق: ٣٧].
فَعَلِمَ تَقْلِيْبُ الْحَقِّ فِي الصُّوْرِ، بِتَقْلِيْبِهِ فِي الْأَشْكَالِ. فَمِنْ نَفْسِهِ عَرَفَ
نَفْسَهُ.

وَلَيْسَتْ نَفْسُهُ بِغَيْرِ لِهَوِيَّةِ الْحَقِّ، وَلَا شَيْءٍ مِنَ الْكَوْنِ [٣٤ وجه] مِمَّا هُوَ
كَائِنْ وَيَكُونُ بِغَيْرِ لِهَوِيَّةِ الْحَقِّ، بَلْ هُوَ عَيْنُ الْهَوِيَّةِ، فَهُوَ الْعَارِفُ وَالْعَا لِمَ
وَالْمُقَرَّرُ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ، وَهُوَ الَّذِي لَا عَارِفَ وَلَا عَا لِمَ، وَهُوَ الْمُنْكَرُ فِي
هَذِهِ الصُّورَةِ الْاُخْرَى.

هَذَا حَظٌّ مَنْ عَرَفَ الْحَقَّ مِنَ التَّجَلِّيِّ وَالشُّهُودِ، فِي عَيْنِ الْجَمْعِ.
فَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿لَمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ [سورة ق: ٣٧]، يَتَنَوَّعُ فِي
تَقْلِيْبِهِ.

182

وَأَمَّا أَهْلُ الْإِيْمَانِ، فَهُمْ الْمُقَلَّدَةُ الَّذِينَ قَلَّدُوا الْأَنْبِيَاءَ وَالرُّسُلَ فِيمَا
أَخْبَرُوا بِهِ عَنِ الْحَقِّ، لَا مَنْ قَلَّدَ أَصْحَابَ الْأَفْكَارِ وَامْتَأَوَّ لَيْنَ الْأَخْبَارِ
الْوَارِدَةِ، بِحَمْلِهَا عَلَى أَدِلَّتِهِمُ الْعَقْلِيَّةِ، فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَلَّدُوا الرُّسُلَ —
صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ — هُمُ الْمُرَادُونَ بِقَوْلِهِ: ﴿أَوَلَمْ يَلْقَ السَّمْعُ﴾ [سورة ق: ٣٧]
لَمَّا وَرَدَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ إِلَّا لِهَيِّئَةِ عَلَى السِّنَةِ لَأَنْبِيَاءٍ، عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ.

وَهُوَ يَعْنِي هَذَا الَّذِي أَلْقَى السَّمْعَ، شَهِيدٌ.

يُنَبِّهُ عَلَى حَضْرَةِ الْخَيَالِ وَاسْتِعْمَالِهَا.

وَهُوَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْإِحْسَانِ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ»

وَاللَّهُ فِي قِبْلَةِ الْمُصَلِّي فَلِذَا لَكَ هُوَ شَهِيدٌ.

183

وَمَنْ قَلَّدَ صَاحِبَ نَظَرٍ فِكْرِيٍّ وَتَقَيَّدَ بِهِ، فَلَيْسَ هُوَ الَّذِي أَلْقَى السَّمْعَ.

فَإِنَّ هَذَا الَّذِي أَلْقَى السَّمْعَ، لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ شَهِيدًا لِمَا ذَكَرَ نَاهُ.

وَمَتَى لَمْ يَكُنْ شَهِيدًا — لِمَا ذَكَرَ نَاهُ — فَمَا هُوَ الْمُرَادُ بِهَذِهِ الْآيَةِ، فَهِيَ

أَوْ لَيْكَ هُمُ الَّذِي قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾،

[البقرة: ١٦٦].

وَالرُّسُلُ لَا يَتَّبِعُونَ مِنْ أَتْبَاعِهِمُ الَّذِينَ اتَّبَعُوا هُمْ.

فَحَقِّقْ — يَا وَلِيٌّ — مَا ذَكَرْتَهُ لَكَ فِي هَذِهِ الْحِكْمَةِ الْقَلْبِيَّةِ.

وَأَمَّا اخْتِصَاصُهَا بِشُعَيْبٍ، لِمَا فِيهَا مِنَ التَّشْعِيبِيَّاتِ: شُعْبُهَا لَا تَنْحَصِرُ؛

لَأَنَّ كُلَّ اعْتِقَادٍ شُعْبَةٌ، فَهِيَ شُعْبٌ كُلُّهَا. أَعْنِي: الْأَعْتِقَادَاتِ.

فَإِذَا أُنْكَشِفَ الْغِطَاءُ، أُنْكَشِفَ لِكُلِّ أَحَدٍ بِحَسَبِ مُعْتَقَدِهِ. وَقَدْ يَنْكَشِفُ

بِخِلَافِ مُعْتَقَدِهِ فِي الْحُكْمِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا

يَحْتَسِبُونَ﴾ [سورة الزمر: ٤٧] فَأَكْثَرُهَا فِي الْحُكْمِ كَمَا لُغِزَ لِي، يَعْتَقِدُ

184

فِي اللَّهِ نُفُودَ الْوَعْدِ فِي الْعَاصِي إِذَا مَاتَ عَلَى غَيْرِ تَوْبَةٍ، فَإِذَا مَاتَ

وَكَانَ مَرْحُومًا عِنْدَ اللَّهِ قَدْ سَبَقَتْ لَهُ عِنَايَةٌ بِأَنَّهُ لَا يُعَاقَبُ، وَجَدَ اللَّهُ غَفُورًا

رَحِيمًا، فَبَدَا لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُنْ يَحْتَسِبُهُ.

[٣٤ ظهر] وَأَمَّا فِي الْهُدْيَةِ فَإِنَّ بَعْضَ الْعِبَادِ يَجْزِمُ فِي اعْتِقَادِهِ أَنَّ اللَّهَ

كَذَا وَكَذَا، فَإِذَا أُنْكَشِفَ الْغِطَاءُ، رَأَى صُورَةَ مُعْتَقَدِهِ، وَهِيَ حَقٌّ فَاعْتَقَدَ هَا،

وَأَنْحَلَّتِ الْعُقْدَةُ، فَزَالَ الْأَعْتِقَادُ. وَعَادَ عِلْمًا بِأَلْمُشَا هَدًى، وَبَعْدَ احْتِدَادِ

الْبَصْرِ لَا يَزُجُّ كَلِيلَ النَّظَرِ.

فَيَبْدُو لِبَعْضِ الْعَبِيدِ بِأَخْتَلَاكِ التَّجَلِّي فِي الصُّورِ عِنْدَ الرُّؤْيَةِ، لِأَنَّهُ لَا يَتَكَرَّرُ، فَيَصْدُقُ عَلَيْهِ فِي الْهُوِّيَّةِ ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ فِي هُوِّيَّتِهِ ﴿مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [سورة لُزُوم: ٤٧] فِيهَا قَبْلَ كَشْفِ الْغِطَاءِ.

185

وَقَدْ ذَكَرْنَا صُورَةَ التَّرَقِّي بَعْدَ الْمَوْتِ فِي الْمَعَارِفِ إِلَّا لِهَيْئَةٍ فِي كِتَابِ التَّجَلِّيَّاتِ لَنَا، عِنْدَ ذِكْرِ نَا مَنْ جُتِمَعْنَا بِهِ مِنَ الطَّائِفَةِ فِي الْكَشْفِ، وَمَا أَفَدْنَا هُمْ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، مِمَّا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ. وَمِنْ أَعْجَبِ الْأَمْرِ، أَنَّهُ فِي التَّرَقِّي دَائِمًا، وَلَا يَشْعُرُ بِذَلِكَ لِلطَّائِفَةِ وَالْحِجَابِ وَرِقَّتِهِ، وَتَشَابُهٍ الصُّورِ، مِثْلَ قَوْلِهِ: ﴿وَأَتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا﴾ [سورة البقرة: ٢٥].

وَلَيْسَ هُوَ الْوَا حِدُ عَيْنِ الْآخَرِ، فَإِنَّ الشَّيْبَيْنِ عِنْدَ الْعَارِفِ إِنَّهُمَا شَيْبَاهَانِ غَيْرَانِ.

186

وَصَاحِبُ التَّحْقِيقِ يَرَى الْكَثْرَةَ فِي الْوَا حِدِ. كَمَا نَعْلَمُ أَنَّ مَدُّ لَوْلَا الْأَسْمَاءِ إِلَّا لِهَيْئَةٍ، وَإِنْ اخْتَلَفَتْ حَقًّا بِقُهَا وَكَثُرَتْ، أَنَّهَا عَيْنٌ وَاحِدَةٌ. فَهَذِهِ كَثْرَةٌ مَعْقُولَةٌ، فِي الْوَا حِدِ الْعَيْنِ، فَتَكُونُ فِي التَّجَلِّي كَثْرَةٌ مَشْهُودَةٌ فِي عَيْنٍ وَاحِدَةٍ،

كَمَا أَنَّ الْهَيُولَى تُؤْخَذُ فِي حِدِّ كُلِّ صُورَةٍ، مَعَكْثَرَةِ الصُّورِ

وَأَخْتَلَاكِ فِيهَا، تَرَجُّعٌ — فِي الْحَقِيقَةِ — إِلَى جَوْهَرٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ هَيُولَا هَا. «فَمَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ» بِهَذِهِ الْمَعْرِفَةِ، «فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ». فَإِنَّهُ عَلَى صُورَتِهِ خَلَقَهُ، بَلْ هُوَ عَيْنُ هُوِّيَّتِهِ وَحَقِيقَتِهِ.

187

وَلِهَذَا مَا عَثَرَ أَحَدُ مِنَ الْعُلَمَاءِ عَلَى مَعْرِفَةِ النَّفْسِ وَحَقِيقَتِهَا؛ إِلَّا لِإِلَهِيُونَ مِنَ الرُّسُلِ وَالصُّوْفِيَّةِ.

وَأَمَّا أَصْحَابُ النَّظَرِ، وَأَرْبَابُ الْفِكْرِ مِنَ الْقَدَمَاءِ، وَامْتِكَلِمِينَ فِي كَلَامِهِمْ فِي النَّفْسِ وَمَا هِيَ، فَمَا مِنْهُمْ مَنْ عَثَرَ عَلَى حَقِيقَتِهَا. وَلَا يُعْطِيهَا النَّظَرُ

الْفِكْرِيِّ أَبَدًا.

فَمَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ بِهَا مِنْ طَرِيقِ النَّظَرِ الْفِكْرِيِّ، فَقَدْ أُسْتَسْمِنَ ذَا وَرَمٍ،
وَنَفَخَ فِي غَيْرِ ضَرِمٍ [٣٥ وجه] لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ مِنْ ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [سورة الكهف: ١٠٤]، فَمَنْ
طَلَبَ الْأَمْرَ مِنْ غَيْرِ طَرِيقِهِ، فَمَا ظَفَرَ بِتَحْقِيقِهِ.

وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ اللَّهُ فِي حَقِّ الْعَالَمِ وَتَبَدُّلِهِ مَعَ الْأَنْفَاسِ فِي ﴿خَلَقَ
جَدِيدًا﴾ [سورة ق: ١٥]. فِي عَيْنٍ وَاحِدَةٍ، فَقَالَ فِي حَقِّ طَائِفَةٍ بَلْ أَكْثَرَ
الْعَالَمِ: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [سورة ق: ١٥]. فَلَا يَعْرِفُونَ
تَجْدِيدَ الْأَمْرِ مَعَ الْأَنْفَاسِ.

لَكِنْ قَدْ عَثَرْتُ عَلَيْهِ الْأَشْأَاءَ عَرَةً فِي بَعْضِ الْمَوْجُودَاتِ وَهِيَ الْأَعْرَاضُ.
وَعَثَرْتُ عَلَيْهِ الْحُسْبَا نِيَّةً فِي الْعَالَمِ كُلِّهِ، وَجَهْلُهُمْ أَهْلُ النَّظَرِ بِأَجْمَعِهِمْ.
وَلَكِنْ أَخْطَأَ الْفَرِيقَانِ:

أَمَّا خَطَأُ الْحُسْبَا نِيَّةً، فَبِكَوْنِهِمْ مَا عَثَرُوا مَعَ قَوْلِهِمْ بِاتِّبَادٍ فِي الْعَالَمِ بِأَسْرِهِ
عَلَى أَحَدِيَّةِ عَيْنِ الْجَوْهَرِ الْمُعْقُولِ، الَّذِي قَبْلَ هَذِهِ الصُّورَةِ، وَلَا يُوجَدُ إِلَّا
بِهَا، كَمَا لَا تُعْقَلُ إِلَّا بِهِ. فَلَوْ قَالُوا بِذَلِكَ فَازُوا بِدَرَجَةِ التَّحْقِيقِ فِي الْأَمْرِ.
وَأَمَّا الْأَشْأَاءُ عَرَةً، فَمَا عَلِمُوا أَنَّ الْعَالَمَ كُلَّهُ مَجْمُوعُ أَعْرَاضٍ، فَهُوَ يَتَبَدَّلُ
فِي كُلِّ زَمَانٍ إِذِ الْعَرَضُ لَا يَبْقَى زَمَانًا.

وَيُظْهِرُ ذَلِكَ فِي الْحُدُودِ لِلْأَشْيَاءِ، فَإِنَّهُمْ إِذَا حَدُّوا الشَّيْءَ، يَبِينُ فِي
حَدِّهِمْ كَوْنُ الْأَعْرَاضِ، وَأَنَّ هَذِهِ الْأَعْرَاضَ الْمَذْكُورَةَ فِي حَدِّهِ، عَيْنُ هَذَا
الْجَوْهَرِ وَحَقِيقَتُهُ، الْقَائِمُ بِنَفْسِهِ، وَمِنْ حَيْثُ هُوَ عَرَضٌ لَا يَقُومُ بِنَفْسِهِ.
فَقَدْ جَاءَ مِنْ مَجْمُوعٍ مَا لَا يَقُومُ بِنَفْسِهِ، مَنْ يَقُومُ بِنَفْسِهِ كَمَا لَتَحْيِزُ فِي حَدِّ
الْجَوْهَرِ الْقَائِمِ بِنَفْسِهِ الذَّاتِي، وَقَبُولِهِ لِلْأَعْرَاضِ حَدُّ لَهُ ذَاتِيٌّ.

وَلَا شَكَّ أَنَّ الْقَبُولَ عَرَضٌ، إِذْ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي قَائِلٍ؛ لِأَنَّهُ لَا يَقُومُ

بِنَفْسِهِ، وَهُوَ ذَا تِيٍّ لِلْجَوْهَرِ. وَالتَّحْيِيزُ عَرْضٌ، وَلَا يَكُونُ إِلَّا فِي مُتَحَيِّزٍ، فَلَا يَقُومُ بِنَفْسِهِ.

وَلَيْسَ التَّحْيِيزُ وَالْقَبُولُ بِأَمْرٍ زَايِدٍ عَلَى عَيْنِ الْجَوْهَرِ الْمَحْدُودِ، لِأَنَّ الْحُدُودَ الذَّا تِيَّةَ هِيَ عَيْنُ الْمَحْدُودِ وَهُوَ يَتَّه. فَقَدْ صَارَ مَا لَا يَبْقَى زَمًا نَيْنٍ، يَبْقَى زَمًا نَيْنٍ وَأَزْ مِنْهُ. وَعَادَ مَا لَا يَقُومُ بِنَفْسِهِ، يَقُومُ بِنَفْسِهِ.

وَلَا يَشْعُرُونَ لِمَا هُمْ عَلَيْهِ [٣٥ ظهر] وَهُوَ لَا هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ.

وَأَمَّا أَهْلُ الْكَشْفِ، فَإِنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ يَتَجَلَّى فِي كُلِّ نَفْسٍ، وَلَا يُكْرَرُ التَّجَلِّي. وَيَرَوْنَ أَيْضًا شُهُودًا، أَنَّ كُلَّ تَجَلٍّ يُعْطِي خَلْقًا جَدِيدًا، وَيَذْهَبُ بِخَلْقٍ. فَذَ هَا بُهُ هُوَ الْفَنَاءُ عِنْدَ التَّجَلِّي، وَالْبَقَاءُ لِمَا يُعْطِيهِ التَّجَلِّي الْآخِرُ. فَا فَهَمُ.

[١٣] ﴿فَصْرَ حِكْمَةٍ مَلَكِيَّةٍ فِي كَلِمَةٍ لَوْ طِيَّةٌ﴾ 190

الْمَلِكُ الشَّدَّةُ. وَالْمَلِكُ الشَّدِيدُ: يُقَالُ مَلَكْتُ الْعَجِينَ إِذَا شَدَّدْتَ عَجْنَهُ.

قَالَ قَيْسُ بْنُ الْخَطِيمِ يَصِفُ طَعْنَهُ:

[الطويل]

مَلَكْتُ بِهَا كَفِّي فَأَنْهَرْتُ فَتَقَّهَا
يَرَى قَا يَمُ مِنْ دُونِهَا مَاوَرَاءَ هَا
أَي: شَدَّدْتُ بِهَا كَفِّي، يَعْنِي: الطَّعْنَةُ.

فَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَنِ لُوطٍ: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾

[سورة هود: ٨٠] فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَرْحَمُ اللَّهُ أَخِي

لُوطًا، لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ». فَتَبَّهَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ

كَانَ مَعَ اللَّهِ مِنْ كَوْنِهِ شَدِيدًا. 191

وَالَّذِي قَصَدَ لَوْطٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَبِيلَةَ بَا لِرُكْنِ الشَّدِيدِ، وَالْمَقَاوِمَةِ،
بَقَوْلِهِ: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾ [سورة هود: ٨٠]، وَهِيَ الْهَمَّةُ هُنَا مِنَ الْبَشَرِ
خَاصَّةً.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَمِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ» يَعْنِي: مِنْ
الزَّمَنِ الَّذِي قَالَ فِيهِ لَوْطٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أَوْءَاوَى إِلَيَّ رُكْنٌ شَدِيدٌ﴾ [سورة هود
: ٨٠]، مَا بُعِثَ نَبِيٌّ بَعْدَ ذَلِكَ، إِلَّا فِي مَنَعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ.

فَكَانَ يَحْمِيهِ قَبِيلُهُ، كَأَبِي طَالِبٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
فَقَوْلُهُ: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾ [سورة هود: ٨٠]، لِكُونِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَمِعَ
اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾ [سورة لروم: ٥٤]
بِالْأَصْلَةِ.

﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ [سورة لروم: ٥٤] فَعَرَضَتْ الْقُوَّةُ 192
بِالْجَعْلِ، فَهِيَ قُوَّةٌ عَرَضِيَّةٌ. ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [سورة لروم
: ٥٤]، فَا لْجَعْلُ تَعْلَقُ بِالشَّيْبَةِ.

وَأَمَّا الضَّعْفُ فَهُوَ رُجُوعٌ إِلَى أَصْلِ خَلْقِهِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ
ضَعْفٍ﴾ [سورة لروم: ٥٤]، فَارْدَّه [٣٦ وجه] لِمَا خَلَقَهُ مِنْهُ كَمَا قَالَ: ثُمَّ
﴿يُرْدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ [سورة الحج: ٥] فَذَكَرَ
أَنَّهُ رَدُّ إِلَى الضَّعْفِ الْأَوَّلِ، فَحُكْمُ الشَّيْخِ حُكْمُ الطِّفْلِ فِي الضَّعْفِ.
وَمَا بُعِثَ نَبِيٌّ إِلَّا بَعْدَ تَمَامِ الْأَرْبَعِينَ. وَهُوَ زَمَانًا خَذَهُ فِي النَّقْصِ
وَالضَّعْفِ.

فَلِذَا قَالَ: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾ [سورة هود: ٨٠] مَعَ كَوْنِ ذَلِكَ يَطْلُبُ
هِمَّةً مُؤَثَّرَةً.

فَإِنْ قُلْتَ: وَمَا يَمْنَعُهُ مِنَ الْهِمَّةِ الْمُؤَثَّرَةِ، وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِي السَّالِكِينَ مِنَ
الْأَتْبَاعِ، فَا لِرُّسُلًاو لِي بِهَا؟

قُلْنَا: صَدَقْتَ، وَلَكِنْ نَقَصَكَ عِلْمٌ آخَرٌ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمَعْرِفَةَ لَا تَتْرُكُ لِلْهَمَّةِ
تَصَرُّفًا، فَكُلَّمَا عَلَتْ مَعْرِفَتُهُ، نَقَصَ تَصَرُّفُهُ بِأَلْهَمَةٍ. وَذَلِكَ لِوَجْهَيْنِ: الْوَجْهُ
الْوَحْدُ لِتَحَقُّقِهِ بِمَقَامِ الْعُبُودِيَّةِ، وَنَظَرِهِ إِلَى أَصْلِ خَلْقِهِ الطَّبِيعِيِّ.
وَالْوَجْهُ الْآخَرُ أَحَدِيَّةُ الْمُتَصَرِّفِ وَالْمُتَصَرَّفِ فِيهِ، فَلَا يُرَى عَلَى مَنْ
يُرْسَلُ هِمَّتُهُ فَيَمْنَعُهُ ذَلِكَ.

193

وَفِي هَذَا الْمَشْهَدِ يَرَى أَنَّ الْمُنَازِعَ لَهُ مَا عَدَلَ عَنْ حَقِيقَتِهَا لِتِي هُوَ
عَلَيْهَا، فِي حَالِ ثُبُوتِ عَيْنِهِ، وَحَالِ عَدَمِهِ. فَمَا ظَهَرَ فِي الْوُجُودِ إِلَّا مَا كَانَ
لَهُ، فِي حَالِ الْعَدَمِ، فِي الثُّبُوتِ، فَمَا تَعَدَّى حَقِيقَتَهُ، وَلَا أَخْلَ بِطَرِيقَتِهِ.
فَتَسْمِيَةُ ذَلِكَ نِزَا عًا، إِنَّمَا هُوَ أَمْرٌ عَرَضِيٌّ، أَظْهَرَهُ الْحِجَابُ. الَّذِي عَلَى
أَعْيُنِ النَّاسِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿يَعْلَمُونَ
ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَا فُلُونَ﴾ [سورة لروم: ٦-٧].
وَهُوَ مِنَ الْمَقْلُوبِ؛ فَإِنَّهُ مِنْ قَوْلِهِمْ ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ [سورة لبقرة: ٨٨؛ سورة لنساء
: ١٥٥]، أَي: فِي غِلَافٍ، وَهُوَ الْكِتَابُ الَّذِي سَتَرَهُ عَنْ إِدْرَاكِ الْأَمْرِ عَلَى مَا هُوَ
عَلَيْهِ.

فَهَذَا وَاقِعًا لَهُ يَمْنَعُ الْعَارِفَ مِنَ التَّصَرُّفِ فِي الْعَالَمِ.
قَالَ الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَائِدٍ لِلشَّيْخِ أَبِي السُّعُودِ بْنِ الشُّبَلِّ:
«لِمَ لَا تَتَصَرَّفُ؟». فَقَالَ أَبُو السُّعُودِ: «تَرَكَتُ الْحَقَّ يَتَصَرَّفُ لِي، كَمَا
يَشَاءُ»، يُرِيدُ قَوْلَهُ تَعَالَى أَمْرًا: ﴿فَا تَخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [سورة لمزمل: ٩]، فَا لَوَكِيلُ
هُوَ الْمُتَصَرِّفُ.

194

وَلَا سِيِّمًا، وَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ يَقُولُ: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾
[سورة لحد يد: ٧]، فَعَلِمَ أَبُو السُّعُودِ [٣٦ ظهر] وَالْعَارِفُونَ أَنَّ الْأَمْرَ الَّذِي
بِيَدِهِ لَيْسَ لَهُ، وَأَنََّّهُ مُسْتَخْلَفٌ فِيهِ. ثُمَّ قَالَ لَهُ الْحَقُّ: «هَذَا الْأَمْرُ الَّذِي
أَسْتَخْلَفْتُكَ فِيهِ وَمَلَكَتْكَ إِيَّاهُ. أَجْعَلْنِي وَاقِعًا وَتَّخِذْ نِي وَكِيلًا» فِيهِ.

فَأَمَّا مَثَلُ أَبِي السُّعُودِ أَمَرَ اللَّهُ، ﴿فَا تَخَذَهُ وَكَيْلًا﴾ [سورة المزمل: ٩].
 فَكَيْفَ بَقِيَ لِمَنْ يَشْهَدُ مِثْلَ هَذَا الْأَمْرِ، هِمَّةٌ يَتَصَرَّفُ بِهَا. وَالْهِمَّةُ لَا تَفْعُلُ
 إِلَّا بِالْجَمْعِيَّةِ الَّتِي لَا مُتَّسَعٍ لَهَا حَبِهَا إِلَى غَيْرِ مَا جُتَمَعَ عَلَيْهِ.
 وَهَذِهِ الْمَعْرِفَةُ تُفَرِّقُهُ عَنْ هَذِهِ الْجَمْعِيَّةِ، فَيُظْهِرُ الْعَارِفُ التَّامُّ الْمَعْرِفَةَ
 بِغَايَةِ الْعَجْزِ وَالضَّعْفِ.

195 قَالَ بَعْضُ الْأَبْدَالِ لِلشَّيْخِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قُلْ لِلشَّيْخِ أَبِي
 مَدُودٍ بَعْدَ السَّلَامِ عَلَيْهِ: «يَا أَبَا مَدُودٍ! لِمَ لَا يَعْتَاصُ عَلَيْنَا شَيْءٌ، وَأَنْتَ
 تَعْتَاصُ عَلَيْكَ الْأَشْيَاءُ؟ وَنَحْنُ نَرَى غَيْبُ فِي مَقَامِكَ، وَأَنْتَ لَا تَرَى غَيْبُ فِي
 مَقَامِنَا؟»

وَكَذَلِكَ كَانَ مَعَ كَوْنِ أَبِي مَدُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَانَ عِنْدَهُ ذَلِكَ الْمَقَامُ
 وَغَيْرُهُ، وَنَحْنُ أَتَمُّ فِي مَقَامِ الضَّعْفِ وَالْعَجْزِ مِنْهُ، وَمَعَ هَذَا قَالَ لَهُ هَذَا
 الْبَدَلُ مَا قَالَ. وَهَذَا مِنْ ذَلِكَ الْقَبِيلِ أَيْضًا.

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الْمَقَامِ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ لَهُ بِذَلِكَ: ﴿مَا
 أَدْرَى مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ﴾ [سورة الأحقاف: ٩].
 فَا لِرَّ سَوْلٍ بِحُكْمِ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْهِ بِهِ، مَا عِنْدَهُ غَيْرُ ذَلِكَ.

فَإِنْ أُوْحِيَ إِلَيْهِ بِالْتَّصَرُّفِ بِجَزْمٍ تَصَرَّفَ. وَإِنْ مُنِعَ أَمْتَنَعَ. وَإِنْ خُيِّرَ
 اخْتَارَ تَرَكَ التَّصَرُّفَ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ نَا قَصِ الْمَعْرِفَةِ.
 قَالَ أَبُو السُّعُودِ لِصَاحِبِ الْمَوْمِنِينَ بِهِ: «إِنَّ اللَّهَ أَعْطَانِي التَّصَرُّفَ مِنْذُ
 خَمْسَ عَشْرَةِ سَنَةٍ، وَتَرَكْنَاهُ تَنْظَرُ فَأَ». هَذَا لِسَانُ إِدْلَالٍ.

196 وَأَ مَا نَحْنُ فَمَا تَرَ كُنَاهُ تَنْظَرُ فَأَ. وَهُوَ تَرَ كَهْ إِثْنَارًا. وَإِنْ نَمَا تَرَ كُنَاهُ لِكَمَالِ
 الْمَعْرِفَةِ، فَإِنَّ الْمَعْرِفَةَ لَا تَقْتَضِيهِ بِحُكْمِ الْاِخْتِيَارِ. فَمَتَى تَصَرَّفَ الْعَارِفُ
 بِالْهِمَّةِ فِي الْعَالَمِ، فَعَنْ أَمْرِ إِلَهِيٍّ، وَجَبَرِ لَا بِاِخْتِيَارٍ. وَلَا نَشْكُ أَنَّ مَقَامَ
 الرَّسَالَةِ يَطْلُبُ التَّصَرُّفَ لِقَبُولِ الرَّسَالَةِ الَّتِي جَاءَ بِهَا، فَيُظْهِرُ عَلَيْهِ مَا يُصَدِّقُهُ

عِنْدَ أُمَّتِهِ وَقَوْمِهِ، لِيُظْهِرَ دِينَ اللَّهِ.

وَأَلَوْ لِي لَيْسَ كَذَلِكَ. وَمَعَ هَذَا فَلَا يَطْلُبُهُ الرَّسُولُ فِي الظَّاهِرِ، لِأَنَّ

لِلرَّسُولِ الشَّفَقَةَ عَلَى قَوْمِهِ، فَلَا يُرِيدُ أَنْ يُبَا لِعَ فِي ظُهُورِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، [٣٧]

وَجِهَ] فَإِنَّ فِي ذَلِكَ هَلَاكَهُمْ: فَيُبْقِي عَلَيْهِمْ.

وَقَدْ عَلِمَ الرَّسُولُ أَيْضًا، أَنَّ الْأَمْرَ الْمُعْجِزَ إِذَا ظَهَرَ لِلْجَمَاعَةِ، مِنْهُمْ: مَنْ

يُؤْمِنُ عِنْدَ ذَلِكَ. وَمِنْهُمْ: مَنْ يَعْرِفُهُ وَيَجْحَدُهُ. وَلَا يُظْهِرُ التَّصَدِيقَ بِهِ ظُلْمًا

وَعُلُوًّا وَحَسَدًا. وَمِنْهُمْ: مَنْ يُلْحِقُ ذَلِكَ بِالسَّحْرِ وَالْإِيْهَامِ.

فَلَمَّا رَأَتْ الرُّسُلُ ذَلِكَ، وَأَنَّه لَا يُؤْمِنُ إِلَّا مَنْ أَنَارَ اللَّهُ قَلْبَهُ بِنُورِ الْإِيمَانِ،

وَمَتَى لَمْ يَنْظُرِ الشَّخْصُ بِذَلِكَ النُّورِ الْمُسَمَّى إِيْمَانًا، وَإِلَّا فَلَا يَنْفَعُ فِي حَقِّهِ

الْأَمْرَ الْمُعْجِزَ. فَفُصِّرَتِ الْهَمَمُ عَنْ طَلَبِ الْأُمُورِ الْمُعْجِزَةِ، لَمَّا لَمْ يَعْمَ أَتْرُهَا

فِي النَّظَرِ بَيْنَ، وَلَا فِي قُلُوبِهِمْ.

كَمَا قَالَ فِي حَقِّ اكْتِمَالِ الرُّسُلِ، وَأَعْلَمَ الْخَلْقِ وَأَصْدَقِهِمْ فِي الْحَالِ:

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [سورة لقصص: ١٩٧]

[٥٦].

وَلَوْ كَانَ لِلْهَمَّةِ أَتْرُ وَلَا بُدَّ، لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ اكْتَمَلَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا أَعْلَى وَأَقْوَى هِمَّةً مِنْهُ، وَمَا أَثَرَتْ فِي إِسْلَامِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ،

وَفِيهِ نَزَلَتِ الْآيَةُ الَّتِي ذَكَرْنَا هَا، وَلِذَا لَكَ قَالَ فِي الرَّسُولِ إِنَّهُ مَا عَلَيْهِ إِلَّا

الْبَلَاغُ، وَقَالَ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة:

[٢٧٢].

وَزَادَ فِي سُورَةِ الْقَصَصِ: ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِأَلْهَتَدِينَ﴾ [سورة لقصص: ٥٦]،

أَيْ: بِأَلْذِينَ أَعْطَوْهُ الْعِلْمَ بِهَدَايَتِهِمْ فِي حَالِ عَدَمِهِمْ بِأَعْيَانِهِمُ التَّائِبَةِ. فَأَثْبَتَ

أَنَّ الْعِلْمَ تَابِعٌ لِلْمَعْلُومِ. فَمَنْ كَانَ مَوْمِنًا فِي ثُبُوتِ عَيْنِهِ، وَحَالِ عَدَمِهِ، ظَهَرَ

بِتِلْكَ الصُّورَةِ فِي حَالِ وُجُودِهِ. وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْهُ، أَنَّهُ هَكَذَا يَكُونُ.

فَلِذَا لِكَ قَالَ: ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا لَمْ يَهْتَدِ إِلَيْهِ﴾ [سورة لقاصص: ٥٦]. فَلَمَّا قَالَ مِثْلَ هَذَا، قَالَ أَيْضًا: ﴿مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ﴾ [سورة ق: ٢٩] لِأَنَّ قَوْلِي عَلَى حَدِّ عِلْمِي فِي خَلْقِي: ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [سورة ق: ٢٩]، أَيْ: مَا قَدَرْتُ عَلَيْهِمُ الْكَفْرَ الَّذِي يُشْقِيهِمْ، ثُمَّ طَلَبْتُهُمْ بِمَا لَيْسَ فِيهِمْ وَسُوءِهِمْ، أَنَّ يَأْتُوا بِهِ. بَلْ مَا عَا مَلْنَا هُمْ إِلَّا بِحَسَبِ مَا عَلَّمْنَا هُمْ، وَمَا عَلَّمْنَا هُمْ إِلَّا بِمَا أَعْطَوْنَا مِنْ نَفْسِهِمْ، مِمَّا هُمْ عَلَيْهِ. فَإِنْ كَانَ ظُلْمٌ، فَهُمْ الظَّالِمُونَ. وَلِذَا لِكَ قَالَ: ﴿وَلَكِنْ كَا نُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٦٠] فَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ.

كَذَا لِكَ مَا قُلْنَا لَهُمْ إِلَّا مَا أَعْطَيْنَاهُ ذَا تَنَا أَنْ نَقُولَ لَهُمْ، وَذَا تَنَا مَعْلُومَةٌ لَنَا بِمَا هِيَ عَلَيْهِ، مِنْ أَنْ نَقُولَ كَذَا، وَلَا نَقُولَ كَذَا. [٣٧ ظهر] فَمَا قُلْنَا إِلَّا مَا عَلَّمْنَا أَنَّا نَقُولُ. فَلَنَا الْقَوْلُ مِنَّا. وَلَهُمُ اللَّامُ مِثَالُ وَعَدَمِ اللَّامِ مِثَالِ، مَعَ السَّمَاعِ مِنْهُمْ. [الْمُجْتَنَّبُ]

١- فَالْكَلُّ مِنَّا وَمِنْهُمْ
٢- إِنْ لَمْ يَكُونُوا مِنَّا

وَالْأَخْذُ عَنَّا وَعَنْهُمْ
فَنَحْنُ لَا شَكَّ مِنْهُمْ

فَتَحَقَّقْ — يَا وَلِيٌّ — هَذِهِ الْحِكْمَةُ الْمَلَكِيَّةُ مِنَ الْكَلِمَةِ اللَّوْطِيَّةِ، فَإِنَّهَا لِبَابُ الْمَعْرِفَةِ.

[مَجْزُوءُ الْوَاوِ فِي]

١- فَقَدْ بَانَ لَكَ السِّرُّ
٢- وَقَدْ أُدْرِجَ فِي الشَّفْعِ

وَقَدْ اتَّضَحَ الْأَمْرُ
الَّذِي قِيلَ هُوَ الْوَاتِرُ

[١٤] ﴿فَصِرْ حِكْمَةً قَدَرِيَّةً فِي كَلِمَةٍ عَزِيزِيَّةً﴾

أَعْلَمُ أَنَّ الْقَضَاءَ حُكْمُ اللَّهِ فِي الْأَشْيَاءِ، وَحُكْمُ اللَّهِ فِي الْأَشْيَاءِ عَلَى حَدِّ عِلْمِهِ بِهَا وَفِيهَا، وَعِلْمُ اللَّهِ فِي الْأَشْيَاءِ عَلَى مَا أَعْطَيْنَاهُ الْمَعْلُومَاتُ مِمَّا هِيَ عَلَيْهِ فِي نَفْسِهَا.

وَالْقَدَرُ تَوْقِيتُ مَا هِيَ عَلَيْهَا الْأَشْيَاءُ فِي عَيْنِهَا، مِنْ غَيْرِ مَزِيدٍ.

فَمَا حَكَمَ الْقَضَاءُ عَلَى الْأَشْيَاءِ إِلَّا بِهَا.

وَهَذَا هُوَ عَيْنُ سِرِّ الْقَدَرِ ﴿لَمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾

[سورة ق: ٣٧]، ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ﴾ [سورة الأ نعام: ١٤٩].

فَا لِحَا كِمُ فِي التَّحْقِيقِ تَا بَعُ لِعَيْنِ الْمَسْأَلَةِ الَّتِي يَحْكُمُ فِيهَا، بِمَا تَقْتَضِيهِ
ذَا تُّهَا.

فَا لِمَحْكُومٍ عَلَيْهِ بِمَا هُوَ فِيهِ، حَا كِمُ عَلَى الْحَا كِمُ أَنَّ يَحْكُمَ عَلَيْهِ بِذَا لِكَ.

فَكُلُّ حَا كِمُ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ بِمَا حَكَمَ بِهِ وَفِيهِ. كَانَ الْحَا كِمُ مَنْ كَانَ.

فَتَحَقَّقْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ فَإِنَّ الْقَدَرَ مَا جُهِلَ إِلَّا لِشِدَّةِ ظُهُورِهِ. فَلَمْ يُعْرِفْ.

وَكَثُرَ فِيهِ الطَّلَبُ وَالْإِلْحَاحُ.

وَأَعْلَمَ أَنَّ الرُّسُلَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ حَيْثُ هُمْ رُسُلٌ، لَا مِنْ حَيْثُ

هُمْ أَوْ لِيَاءٍ وَعَارِ فُورٍ، عَلَى مَرَاتِبٍ مَا هِيَ عَلَيْهِ أُمَمُهُمْ، فَمَا عِنْدَ هُمْ مِنَ الْعِلْمِ

الَّذِي أُرْسِلُوا بِهِ إِلَّا قَدَرَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ أُمَّةٌ ذَلِكَ الرَّسُولُ، لَا زَا بَدُ وَلَا نَا قِصُّ.

وَالْأَمُّ مُتَقَا ضِلَّةً، يَزِيدُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، فَتَنَقَّا ضُلَّ الرُّسُلِ فِي عِلْمِ

الْإِرْسَالِ بِتَفَا ضُلِّ أُمَمِهَا. وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿تِلْكَ أَلُورُ سُلِّ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى

بَعْضٍ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٣].

كَمَا هُمْ أَيْضًا فِيمَا يَزِجُ إِلَى ذَوَاتِهِمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مِنَ الْعُلُومِ

وَالْأَحْكَامِ إِلَّا لِهَيْئَةٍ مُتَقَا ضِلُّونَ بِحَسَبِ اسْتِعْدَادَاتِهِمْ. وَهُوَ قَوْلُهُ [٣٨ وجه]

﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ [سورة الإسراء: ٥٥].

وَقَالَ تَعَالَى فِي حَقِّ الْخَلْقِ: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي

الرِّزْقِ﴾ [سورة النحل: ٧١]. وَالرِّزْقُ مِنْهُ مَا هُوَ رُوحَانِيٌّ كَالْعُلُومِ، وَحِسِّيٌّ

كَالْأَغْذِيَّةِ، وَمَا يُنَزَّلُ لَهُ الْحَقُّ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ، وَهُوَ اللَّاسْتِحْقَاقُ الَّذِي يَطْلُبُهُ

الْخَلْقُ.

فَإِنَّ اللَّهَ ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ [سورة طه: ٥٠]، فَيُنَزَّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ.

وَمَا يَشَاءُ إِلَّا مَا عَلِمَ فَحَكَمَ بِهِ. وَمَا عَلِمَ كَمَا قُلْنَا، إِلَّا بِمَا أَعْطَاهُ الْمَعْلُومُ.
فَا لَتَوَقَّيْتُ فِي الْأَصْلِ لِلْمَعْلُومِ. وَالْقَضَاءُ، وَالْعِلْمُ، وَالْإِرَادَةُ، وَالْمُشِيئَةُ، تَبَعُ
لِلْقَدَرِ.

فَسِرُّ الْقَدَرِ مِنْ أَجْلِ الْعُلُومِ. وَمَا يُفْهَمُهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَّا لِمَنْ اخْتَصَّه
بِالْمَعْرِفَةِ التَّامَّةِ.

فَا لِعِلْمٍ بِهِ يُعْطِي الرَّاحَةَ الْكُلِّيَّةَ لِلْعَالِمِ بِهِ. وَيُعْطِي الْعَذَابَ الْأَلِيمَ لِلْعَالِمِ
بِهِ أَيْضًا. فَهُوَ يُعْطِي النِّقِیْضَيْنِ.

وَبِهِ وَصَفَ الْحَقُّ نَفْسَهُ بِالْغَضَبِ وَبِالْزُخَا، وَبِهِ تَقَابَلَتِ الْأَسْمَاءُ إِلَّا لِهَيْئَةٍ.
فَحَقِيقَةُ تَحَكُّمِ الْمَوْجُودِ الْمُطْلَقِ وَالْمَوْجُودِ الْمُقَيَّدِ، لَا يُمْكِنُ أَنْ
يَكُونَ شَيْءٌ أَوْ أَنَّ مِنْهَا، وَلَا أَقْوَى، وَلَا أَعْظَمَ، لِعُمُومِ حُكْمِهَا، الْمُتَعَدِّي وَغَيْرِ
الْمُتَعَدِّي.

وَلَا كَانَتْ إِلَّا نَبِيَاءُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ لَا تَأْخُذُ عَنْهَا إِلَّا مِنْ
الْوَحْيِ الْخَاصِّ إِلَّا لِهَيْئَةٍ، فَقُلُوبُهُمْ سَادَجَةٌ مِنَ النَّظَرِ الْعَقْلِيِّ لِعِلْمِهِمْ بِقُصُورِ
الْعَقْلِ مِنْ حَيْثُ نَظَرُهُ الْفِكْرِيُّ، عَنْ إدْرَاكِ الْأُمُورِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ، وَإِلَّا خُبَارِ
أَيْضًا يَقْصُرُ عَنْ إدْرَاكِ مَا لَا يُنَالُ إِلَّا بِالذَّوْقِ. فَلَمْ يَبْقَ الْعِلْمُ الْكَامِلُ إِلَّا فِي
التَّجَلِّيِ إِلَّا لِهَيْئَةٍ. وَمَا يَكْشِفُ الْحَقُّ عَنْ أَعْيُنِ الْبَصَائِرِ وَالْأَبْصَارِ مِنَ
الْأَغْطِيَةِ، فَتُدْرِكُ الْأُمُورَ قَدِيمَهَا وَحَدِيثَهَا، وَعَدَمَهَا وَوُجُودَهَا، وَمُحَالَهَا
وَوَاجِبَهَا وَجَائِزَهَا، عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ فِي حَقِّهَا وَأَعْيَانِهَا.
فَلَمَّا كَانَ مَطْلَبُ الْعَزَائِرِ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْخَاصَّةِ، لِذَاكَ وَقَعَ الْعَتَبُ عَلَيْهِ،
كَمَا وَرَدَ فِي الْخَبَرِ. فَلَوْ طَلَبْنَا لِكَشْفِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ، رُبَّمَا مَا كَانَ يَقَعُ عَلَيْهِ
عَتَبٌ فِي ذَلِكَ.

وَالِدُّ لَيْلٌ عَلَى سَدَا جَةِ قَلْبِهِ، قَوْلُهُ فِي بَعْضِ الْوُجُوهِ: ﴿أَنْتَى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ
بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [سورة البقرة: ٢٥٩].

وَأَمَّا عِنْدَنَا فَمُصَوَّرَةٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ هَذَا، كَصُورَةِ إِبْرَاهِيمَ: ﴿أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ [سورة البقرة: ٢٦٠]، وَيَقْتَضِي ذَلِكَ الْجَوَابَ [٣٨ ظهر] بِأَلْفَعِلِ الَّذِي أَظْهَرَهُ الْحَقُّ فِيهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَأَمَّا تَهَ اللَّهُ مَا تَهَ عَامٌ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٩]، فَقَالَ لَهُ: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ [سورة البقرة: ٢٥٩]، فَعَايَنَ كَيْفَ تَنْبُتُ الْأَجْسَامُ، مُعَايِنَةً تَحْقِيقًا، فَأَرَاهُ الْكَيْفِيَّةَ.

فَسَأَلَ عَنِ الْقَدْرِ الَّذِي لَا يُدْرِكُ إِلَّا بِاَلْكَشْفِ لِلْأَشْيَاءِ فِي حَالِ ثُبُوتِهَا فِي عَدَمِهَا، فَمَا أُعْطِيَ ذَلِكَ. فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ خَصَائِصِ الْإِلَهِ. فَمِنْ الْمُحَالِ أَنْ يَعْلَمَهُ إِلَّا هُوَ. فَإِنَّهَا الْمَفَاتِحُ الْأُولَى، أَعْنِي: مَفَاتِيحَ الْغَيْبِ الَّتِي لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ. وَقَدْ يُطْلَعُ اللَّهُ مِنْ شَاءٍ مِنْ عِبَادِهِ عَلَى بَعْضِ الْأُمُورِ مِنْ ذَلِكَ.

وَأَعْلَمَ أَنَّهَا لَا تُسَمَّى مَفَاتِحَ إِلَّا فِي حَالِ الْفَتْحِ. وَحَالُ الْفَتْحِ هُوَ حَالُ تَعَلُّقِ التَّكْوِينِ بِالْأَشْيَاءِ. أَوْ قُلْ إِنَّ شَيْئًا: حَالُ تَعَلُّقِ الْقُدْرَةِ بِالْمَقْدُورِ. وَلَا ذَوْقَ لِغَيْرِ اللَّهِ فِي ذَلِكَ.

فَلَا يَقَعُ فِيهَا تَجَلُّلٌ وَلَا كَشْفٌ. إِذْ لَا قُدْرَةَ وَلَا فِعْلَ إِلَّا لِلَّهِ خَاصَّةً. إِذْ لَهُ الْوُجُودُ الْمُطْلَقُ الَّذِي لَا يَتَقَيَّدُ.

فَلَمَّا رَأَيْنَا عَتَبَ الْحَقِّ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي سُؤَالِهِ فِي الْقَدْرِ، عَلِمْنَا أَنَّهُ طَلَبَ هَذَا الْإِلَهِ طَلَبًا. فَطَلَبَ أَنْ تَكُونَ لَهُ قُدْرَةٌ تَتَعَلَّقُ بِالْمَقْدُورِ، وَمَا يَقْتَضِي ذَلِكَ إِلَّا مَرُّهُ، لِلْوُجُودِ الْمُطْلَقِ.

فَطَلَبَ مَا لَا يُمَكِّنُ وَجُودَهُ فِي الْخَلْقِ ذَوْقًا. فَإِنَّ الْكَيْفِيَّاتِ لَا تُدْرِكُ إِلَّا بِالْأَذْوَاقِ.

وَأَمَّا مَا مَارَوْا بِنَاهُ، مِمَّا أَوْحَى اللَّهُ بِهِ إِلَيْهِ: لَيْنٌ لَمْ تَنْتِهِ لِأَمْحُونِ أَسْمَكَ مِنْ دِيَوَانِ النُّبُوَّةِ، أَيْ: أَرَفَعُ عَنْكَ طَرِيقَ الْخَبَرِ، وَأُعْطِيكَ الْأُمُورَ عَلَى التَّجَلِّيِّ.

وَا تَجَلِّي لَا يَكُونُ إِلَّا بِمَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنَ الْاِسْتِعْدَادِ الَّذِي بِهِ يَقَعُ الْإِدْرَاكُ
 الذَّوْقِي، فَتَعْلَمُ أَنَّكَ مَا أَدْرَكَتَ إِلَّا بِحَسَبِ اِسْتِعْدَادِكَ، فَتَنْتَظِرُ فِي هَذَا الْاَمْرِ
 الَّذِي طَلَبْتَ، فَإِذَا لَمْ تَرَهُ، تَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ عِنْدَكَ الْاِسْتِعْدَادُ الَّذِي تَطْلُبُهُ.
 وَأَنَّ ذَلِكَ مِنْ خَصَاِصِ الذَّاتِ الْاِلَهِيَّةِ. وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ ﴿أَعْطَى كُلَّ
 شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ [سورة طه: ٥٠]، وَلَمْ يُعْطِكَ هَذَا الْاِسْتِعْدَادَ الْخَاصَّ، فَمَا هُوَ
 خَلْقُكَ، وَلَوْ كَانَ خَلْقُكَ. لِأَعْطَاكَ الْحَقُّ الَّذِي أَخْبَرَ أَنَّهُ: ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ
 خَلْقَهُ﴾ [سورة طه: ٥٠]، فَتَكُونُ أَنْتَ الَّذِي تَنْتَهِي عَنْ مِثْلِ هَذَا السُّؤَالِ مِنْ
 نَفْسِكَ، لَا تَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى نَهْيِ اِلَهِيٍّ. [٣٩ وجه] وَهَذَا عِنَايَةٌ مِنَ اللَّهِ بِاَلْعَزَائِرِ
 عَلَيْهِ السَّلَامُ. عَلِمَ ذَلِكَ مَنْ عَلِمَهُ. وَجَهْلُهُ مَنْ جَهْلَهُ.

وَأَعْلَمَ أَنَّ الْوَلَايَةَ هِيَ الْفَلَكَ الْمُحِيطُ الْعَامُّ، وَلِهَذَا لَمْ تَنْقَطِعْ، وَلَهَا
 الْاِنْبَاءُ الْعَامُّ.

وَأَمَّا نُبُوَّةُ التَّشْرِيعِ، وَالرَّسَالَةُ فَمُنْقَطِعَةٌ. وَفِي مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 قَدْ انْقَطَعَتْ، فَلَا نَبِيَّ بَعْدَهُ. يَعْنِي: مُشَرِّعًا أَوْ مُشَرِّعًا لَهُ. وَلَا رَسُولَ، وَهُوَ
 الْمُشَرِّعُ.

وَهَذَا الْحَدِيثُ قَصَمَ ظُهُورَ اَوَّلِيَاءِ اللَّهِ؛ لِأَنَّهُ يَتَضَمَّنُ اِنْقِطَاعَ ذَوْقِ
 الْعُبُودَةِ الْكَامِلَةِ التَّامَّةِ. فَلَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ اِسْمُهَا الْخَاصُّ بِهَا.

فَإِنَّ الْعَبْدَ يَرِيدُ اَلَّا يُشَارِكَ سَيِّدَهُ — وَهُوَ اللَّهُ — فِي اِسْمٍ. وَاللَّهُ لَمْ
 يَتَّسَمِ بِنَبِيِّ وَلَا رَسُولٍ.

وَتَسَمَّى بِـ«اَلْوَلِيِّ». وَأَتَّصَفَ بِهَذَا اَلْاِسْمِ. فَقَالَ: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ اَلَّذِينَ

آمَنُوا﴾ [سورة البقرة: ٢٥٨]، وَقَالَ: ﴿هُوَ اَلْوَلِيُّ اَلْحَمِيدُ﴾ [سورة الشورى: ٢٨].

وَهَذَا اَلْاِسْمُ بَاقٍ جَارٍ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ، دُنْيَاً وَآخِرَةً. فَلَمْ يَبْقَ اِسْمٌ يَخْتَصُّ
 بِهِ الْعَبْدُ دُونَ الْحَقِّ بِاَلْاِنْقِطَاعِ النُّبُوَّةِ وَالرَّسَالَةِ.

إِلَّا أَنَّ اللَّهَ لَطَفَ بِعِبَادِهِ، فَأَبْقَى لَهُمُ النُّبُوَّةَ الْعَامَّةَ، الَّتِي لَا تَشْرِيعَ فِيهَا،

وَأَبْقَى لَهُمُ التَّشْرِيعَ فِي الْاجْتِهَادِ فِي ثُبُوتِ الْأَحْكَامِ، وَأَبْقَى لَهُمُ الْوَرَاثَةَ فِي التَّشْرِيعِ، فَقَالَ: «الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ». وَمَا تَمَّ مِيرَاثُ فِي ذَلِكَ إِلَّا فِيمَا اجْتَهَدُوا فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ، فَشَرَّعُوهُ.

206

فَإِذَا رَأَى النَّبِيُّ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ خَارِجٍ عَنِ التَّشْرِيعِ، فَمِنْ حَيْثُ هُوَ وَلِيُّ وَعَارِفٌ.

وَلِهَذَا، مَقَامُهُ مِنْ حَيْثُ هُوَ عَالِمٌ، أَتَمُّ وَأَكْمَلُ مِنْ حَيْثُ هُوَ رَسُولٌ، أَوْ ذُو نَشْرِيعٍ وَشَرْعٍ.

فَإِذَا سَمِعْتَ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ اللَّهِ تَعَالَى يَقُولُ، أَوْ يُنْقَلُ إِلَيْكَ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: «الْوَلَايَةُ أَعْلَى مِنَ النَّبُوءَةِ». فَلَيْسَ يُرِيدُ ذَلِكَ الْقَائِلُ إِلَّا مَا ذَكَرْنَا. أَوْ يَقُولُ: «إِنَّ الْوَلِيَّ فَوْقَ النَّبِيِّ وَالرَّسُولِ».

فَإِنَّهُ يَعْنِي بِذَلِكَ فِي شَخْصٍ وَاحِدٍ. وَهُوَ أَنَّ الرَّسُولَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ حَيْثُ هُوَ وَلِيُّ، أَتَمُّ مِنْ حَيْثُ هُوَ نَبِيٌّ رَسُولٌ. لَا أَنَّ الْوَلِيَّ التَّابِعَ لَهُ أَعْلَى مِنْهُ، فَإِنَّ التَّابِعَ لَا يُدْرِكُ الْمُنْبُوعَ أَبَدًا فِيمَا هُوَ تَابِعٌ لَهُ فِيهِ، إِذْ لَوْ أَدْرَكَهُ لَمْ يَكُنْ تَابِعًا. فَافْهَمُ.

207

فَمَرَجِعُ الرَّسُولِ وَالنَّبِيِّ الْمُشَرِّعِ إِلَى الْوَلَايَةِ وَالْعِلْمِ. أَلَا تَرَى اللَّهُ [٣٩ ظهر] قَدْ أَمَرَهُ بِطَلَبِ الزِّيَادَةِ مِنَ الْعِلْمِ لَا مِنْ غَيْرِهِ. فَقَالَ لَهُ أَمِيرًا: ﴿قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [سورة طه: ١١٤].

وَذَلِكَ أَنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّ الشَّرْعَ تَكْلِيفٌ بِأَعْمَالٍ مَخْصُوصَةٍ، أَوْ نَهْيٌ عَنْ أَعْمَالٍ مَخْصُوصَةٍ، وَمَحَلُّهَا هَذِهِ الدَّارُ. فَهِيَ مُنْقَطِعَةٌ.

وَالْوَلَايَةُ لَيْسَتْ كَذَلِكَ، إِذْ لَوْ انْقَطَعَتْ، لَأَنْقَطَعَتْ مِنْ حَيْثُ هِيَ كَمَا انْقَطَعَتْ الرَّسَالَةُ مِنْ حَيْثُ هِيَ. وَإِذَا انْقَطَعَتْ مِنْ حَيْثُ هِيَ، لَمْ يَبْقَ لَهَا اسْمٌ.

وَالْوَلِيُّ اسْمٌ بَاقٍ لِلَّهِ. فَهُوَ لِعَبِيدِهِ تَخْلُقًا وَتَحَقُّقًا وَتَعَلُّقًا.

فَقَوَّ لَهُ لِلْعَزَازَةِ: لَيْنٌ لَمْ تَنْتَهَ عَنِ السَّوَالِ عَنْ مَا هِيَ الْقَدَرُ لَأَمْحُونَ
 أَسْمَكَ مِنْ دِيوَانِ النُّبُوَّةِ، فَيَأْتِيكَ الْأَمْرُ عَلَى الْكَشْفِ بِاتَّجَلِّي، وَيَزُولُ عَنْكَ
 208 أَسْمُ النَّبِيِّ وَالرَّسُولِ، وَتَبْقَى لَهُ وَلَا يَتُّهُ.

إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا دَلَّتْ قَرِينَةُ الْحَالِ، أَنَّ هَذَا الْخِطَابَ جَرَى مَجْرَى
 الْوَعِيدِ، عَلِمَ مَنْ أَقْتَرَنَتْ عِنْدَهُ هَذِهِ الْحَالَةُ مَعَ الْخِطَابِ، أَنَّهُ وَعِيدٌ بِأَنْقِطَاعِ
 خُصُوصِ بَعْضِ مَرَاتِبِ الْوِلَايَةِ، فِي هَذِهِ الدَّارِ.
 إِذْ النُّبُوَّةُ وَالرَّسَالَةُ لَهُ خُصُوصُ رُتْبَةٍ، فِي الْوِلَايَةِ، عَلَى بَعْضِ مَا تَحْوِي
 عَلَيْهِ الْوِلَايَةُ مِنَ الْمَرَاتِبِ.

فَيَعْلَمُ أَنَّهُ أَعْلَى مِنَ الْوَلِيِّ الَّذِي لَا نُبُوَّةَ تَشْرِيعٍ عِنْدَهُ وَلَا رِسَالَةَ.
 وَمَنْ أَقْتَرَنَتْ عِنْدَهُ حَالَةً أُخْرَى، تَقْتَضِيهَا أَيْضًا مَرْتَبَةَ النُّبُوَّةِ، يَثْبُتُ عِنْدَهُ
 أَنَّ هَذَا وَعْدًا لَا وَعِيدٌ. فَإِنَّ سُؤْلَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَقْبُولٌ إِذْ النَّبِيُّ هُوَ الْوَلِيُّ
 209 الْخَاصُّ.

وَيُعْرَفُ بِقَرِينَةِ الْحَالِ، أَنَّ النَّبِيَّ — مِنْ حَيْثُ لَهُ فِي الْوِلَايَةِ هَذَا
 الْإِخْتِصَاصُ — مُحَالٌ أَنْ يُقَدِّمَ عَلَى مَا يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَكْرَهُهُ مِنْهُ، أَوْ يُقَدِّمَ
 عَلَى مَا يَعْلَمُ أَنَّ حُصُولَهُ مُحَالٌ.

فَإِذَا أَقْتَرَنَتْ هَذِهِ الْأَحْوَالُ عِنْدَ مَنْ أَقْتَرَنَتْ عِنْدَهُ، وَتَقَرَّرَتْ، أَخْرَجَ
 هَذَا الْخِطَابَ إِلَهُيَّ — عِنْدَهُ فِي قَوْلِهِ: لَأَمْحَنَّ أَسْمَكَ مِنْ دِيوَانِ
 النُّبُوَّةِ — مَخْرَجَ الْوَعْدِ. وَصَارَ خَبَرًا يَدُلُّ عَلَى عُلُوِّ مَرْتَبَةِ بَاقِيَةٍ، وَهِيَ الْمَرْتَبَةُ
 الْبَاقِيَةُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ الَّتِي لَيْسَتْ بِمَحَلٍّ لِشَرْعٍ يَكُونُ
 عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ خَلْقٍ، فِي جَنَّةٍ وَلَا نَارٍ، بَعْدَ الدُّخُولِ فِيهِمَا.

وَإِنَّمَا قَيْدُ نَاهٍ بِالدُّخُولِ فِي الدَّارَيْنِ: الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، لَمَّا شَرَعَ [٤٠ وجه]
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لِأَصْحَابِ الْفَتَرَاتِ وَالْأَطْفَالِ الصِّغَارِ وَالْمَجَانِينِ، فَيُحْشَرُ
 هَؤُلَاءِ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، لِإِقَامَةِ الْعَدْلِ، وَالْمُؤَاخَذَةِ بِالْجَزِيمَةِ، وَالثَّوَابِ

الْعَمَلِيَّ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ.

فَإِذَا حُشِرُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، بِمَعَزَلٍ عَنِ النَّاسِ، بُعِثَ فِيهِمْ نَبِيٌّ مِنْ أَفْضَلِهِمْ. وَتُمَثَّلُ لَهُمْ نَارٌ يَأْتِي بِهَا هَذَا النَّبِيُّ الْمَبْعُوثُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ.

210

فَيَقُولُ لَهُمْ: أَنَا رَسُولُ الْحَقِّ إِلَيْكُمْ. فَيَقَعُ عِنْدَهُمْ التَّصَدِيقُ بِهِ، وَيَقَعُ التَّكْذِيبُ عِنْدَ بَعْضِهِمْ.

وَيَقُولُ لَهُمْ أَقْتَحِمُوا هَذِهِ النَّارَ بِأَنْفُسِكُمْ، فَمَنْ أَطَا عَنِي نَجَا، وَدَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَا نِيَّ، وَخَالَفَ أَمْرِي، هَلَكَ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ.

فَمَنْ أَمْتَثَلَ أَمْرَهُ مِنْهُمْ وَرَمَى بِنَفْسِهِ فِيهَا، سَعِدَ وَنَالَ الثَّوَابَ الْعَمَلِيَّ.

وَوَجَدَ تِلْكَ النَّارَ بَرْدًا وَسَلَامًا. وَمَنْ عَصَاهُ اسْتَحَقَّ الْعُقُوبَةَ، فَدَخَلَ النَّارَ وَنَزَلَ فِيهَا بِعَمَلِهِ الْمُخَالَفِ، لِيَقُومَ الْعَدْلُ مِنَ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ [سورة لقلم: ٤٢]، أَيُّ: أَمْرٍ

عَظِيمٍ مِنْ أُمُورِ الْآخِرَةِ، ﴿وَيَدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ﴾ [سورة لقلم: ٤٢] فَهَذَا

تَكْلِيفٌ وَتَشْرِيعٌ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَطِيعُ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ، وَهُمْ الَّذِينَ قَالَ

اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿وَيَدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [سورة لقلم: ٤٢]، كَمَا لَمْ

يَسْتَطِيعَ فِي الدُّنْيَا — أَمْتَثَالَ أَمْرِ اللَّهِ — بَعْضُ الْعِبَادِ، كَأَبِي جَهْلٍ

وغيره.

211

فَهَذَا قَدْرٌ مِمَّا يَبْقَى مِنَ الشَّرْعِ فِي الْآخِرَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَبْلَ دُخُولِ الْجَنَّةِ

وَالنَّارِ. فَلهَذَا قَيْدُ نَاهُ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ.

[١٥] ﴿فَصَّ حِكْمَةً نَبَوِيَّةً فِي كَلِمَةٍ عَيْسَوِيَّةٍ﴾

212

[البسيط]

١- عَنْ مَاءِ مَرْيَمَ أَوْ عَنْ نَفْخِ جِبْرِينَ

فِي صُورَةِ الْبَشَرِ الْمَوْجُودِ مِنْ طِينِ

٢- تَكُونُ الرُّوحُ فِي ذَاتِ مُطَهَّرَةٍ

مِنَ الطَّبِيعَةِ تَدْعُوَهَا بِسَجِينِ

٣- لِأَجْلِ ذَلِكَ قَدْ طَالَتْ إِقَامَتُهُ

فِيهَا فَزَادَ عَلَى أَلْفٍ بِتَعْيِينِ

213

٤- رُوحٌ مِنَ اللَّهِ لَا مِنْ غَيْرِهِ فَلِذَا

أَحْيَا الْمَوَاتَ وَأَنْشَأَ الطَّيْرَ مِنْ طِينِ

٥- حَتَّى يَصِحَّ لَهُ مِنْ رَبِّهِ نَسَبٌ

بِهِ يَوْثُرُ فِي الْعَالِي وَفِي الدُّونِ

٦- اللَّهُ طَهَّرَهُ جِسْمًا وَنَزَّ هَهُ

رُوحًا وَصَيَّرَهُ مَثَلًا بِتَكْوِينِ

[٤٠ ظهر] أَعْلَمَ أَنَّ مِنْ خَصَا ئِصِ الْأَرْوَاحِ أَنَّهَا لَا تَطَأُ شَيْئًا إِلَّا حَيَّيَ ذَلِكَ

214

الشَّيْءِ وَسَرَّتِ الْحَيَاةَ فِيهِ، وَلِهَذَا قَبَضَ السَّامِرِيُّ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ،

الَّذِي هُوَ جِبْرِئِيلُ، وَهُوَ الرُّوحُ. وَكَانَ السَّامِرِيُّ عَالِمًا بِهَذَا الْأَمْرِ، فَلَمَّا

عَرَفَ أَنَّهُ جِبْرِئِيلُ، عَرَفَ أَنَّ الْحَيَاةَ قَدْ سَرَتْ فِيمَا وَطِئَ عَلَيْهِ، فَقَبَضَ

قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ — بِأَلْصَادِ أَوْ بِأَلْصَادِ — أَي: عَلَى يَدِهِ أَوْ بِأَطْرَافِ

أَصَابِعِهِ، فَنَبَذَهَا فِي الْعِجْلِ فَخَارَ الْعِجْلُ، إِذْ صَوْتُ الْبَقَرِ نَمًا هُوَ خَوَارٌ، وَلَوْ

أَقَامَهُ صُورَةٌ أُخْرَى لَنَسِبَ إِلَيْهِ أَسْمُ الصَّوْتِ الَّذِي لَتِلْكَ الصُّورَةُ، كَمَا لَرُغَاءِ

لِلْإِبِلِ، وَالثَّوَجِ لِلْكَبَاشِ، وَالْيُعَارِ لِلشَّيَاهِ، وَالصَّوْتِ لِلْإِنْسَانِ، أَوِ النَّطْقِ، أَوْ

الْكَلَامِ.

فَذَلِكَ الْقَدَرُ مِنَ الْحَيَاةِ السَّارِيَةِ فِي الْأَشْيَاءِ يُسَمَّى: «لَا هُوَ تَأ».

و«لَنَا سُوءٌ»: هُوَ الْمُحَلُّ الْقَائِمُ بِهِ ذَلِكَ الرُّوحُ. فَسُمِّيَ لَنَا سُوءَ رُوحًا بِمَا

قَامَ بِهِ.

215

فَلَمَّا تَمَثَّلَ الرُّوحُ الْأَمِينُ الَّذِي هُوَ جِبْرِئِيلُ لِمَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ، بَشَرًا

سَوِيًّا، تَخَيَّلَتْ أَنَّهُ بَشَرٌ يُرِيدُ مَوَا قَعَتَهَا، فَاسْتَعَاذَتْ بِاللَّهِ مِنْهُ اسْتِعَاذَةً جَمْعِيَّةً

مِنْهَا، لِيُخَلِّصَهَا اللَّهُ مِنْهُ لِمَا تَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَجُوزُ، فَحَصَلَ لَهَا
حُضُورًا تَامًا مَعَ اللَّهِ وَهُوَ الرُّوحُ الْمُعْنَوِيُّ.

فَلَوْ نَفَخَ فِيهَا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ — عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ — لَخَرَجَ عِيسَى لَا
يُطِيقُهُ أَحَدٌ لِشَكَا سَةِ خُلُقِهِ لِحَالِ أُمِّهِ.

فَلَمَّا قَالَ لَهَا: ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ﴾ [سورة مريم: ١٩] جِئْتُ ﴿لَا هَبَ
لَكَ غُلَمًا زَكِيًّا﴾ [سورة مريم: ١٩] أَنْبَسَطَتْ عَنْ ذَلِكَ الْقَبْضِ وَأَنْشَرَخَ
صَدْرُهَا فَانْفَخَ فِيهَا فِي ذَلِكَ الْحِينِ عِيسَى.

فَكَانَ جِبْرَائِيلُ نَا قَلًا كَلِمَةَ اللَّهِ لِمَرْيَمَ كَمَا يَنْقُلُ الرَّسُولُ كَلَامَ اللَّهِ
لَأُمَّتِهِ.

وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ [سورة النساء: ١٧١].

216

فَسَرَتِ الشَّهْوَةُ فِي مَرْيَمَ، فَخُلِقَ جِسْمُ عِيسَى مِنْ مَاءٍ مُحَقَّقٍ مِنْ مَرْيَمَ،
وَمِنْ مَاءٍ مُتَوَّهٍ مِنْ جِبْرَائِيلَ، سَرَى فِي رُطُوبَةِ ذَلِكَ النَّفَخِ؛ لِأَنَّ النَّفَخَ مِنْ
الْجِسْمِ الْحَيَوَانِيِّ رَطْبٌ لِمَا فِيهِ مِنْ رُكْنِ الْمَاءِ.

فَتَكُونُ جِسْمُ عِيسَى مِنْ مَاءٍ مُتَوَّهٍ وَمَاءٍ مُحَقَّقٍ، وَخَرَجَ عَلَى صُورَةِ
الْبَشَرِ مِنْ أَجْلِ أُمِّهِ، وَمِنْ أَجْلِ تَمَثُّلِ جِبْرَائِيلَ فِي صُورَةِ الْبَشَرِ حَتَّى لَا يَقَعَ
التَّكْوِينُ فِي هَذَا النَّوعِ [٤١ وجه] إِلَّا نَسَا نِي إِلَّا عَلَى الْحُكْمِ الْمُعْتَادِ.

فَخَرَجَ عِيسَى يُحْيِي الْمَوْتَى، لِأَنَّهُ رُوحٌ إِلَهِيٌّ، وَكَانَ إِلَّا حَيَاءً لِلَّهِ وَالنَّفَخُ
لِعِيسَى، كَمَا كَانَ النَّفَخُ لِجِبْرَائِيلَ وَالْكَلِمَةُ لِلَّهِ.

وَكَانَ حَيَاءً عِيسَى لِلأَمْوَاتِ إِحْيَاءً مُحَقَّقًا، مِنْ حَيْثُ مَا ظَهَرَ عَنْ نَفْخِهِ،
كَمَا ظَهَرَ هُوَ عَنْ صُورَةِ أُمِّهِ، وَكَانَ إِحْيَاؤُهُ أَيْضًا مُتَوَّهًا، أَنَّهُ مِنْهُ. وَإِنَّمَا كَانَ

لِلَّهِ. فَجَمَعَ لِحَقِيقَتَيْهَا لَتِي خُلِقَ عَلَيْهَا — كَمَا قُلْنَا — أَنَّهُ مَخْلُوقٌ مِنْ مَاءٍ

مُتَوَّهٍ وَمَاءٍ مُحَقَّقٍ، يُنْسَبُ إِلَيْهِ إِلَّا حَيَاءً بِطَرِيقِ التَّحَقُّقِ، مِنْ وَجْهِهِ. وَبِطَرِيقِ
التَّوَهُُّمِ مِنْ وَجْهِهِ.

فَقِيلَ فِيهِ مِنْ طَرِيقِ التَّحْقِيقِ: «وَتُحْيِي الْمَوْتَى». وَقِيلَ فِيهِ مِنْ طَرِيقِ

التَّوَهُّمِ: «فَتَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ» [اقتباس من سورة آل عمران: ٤٩].

فَا لَعَا مِلْ فِي الْمَجْرُورِ يَكُونُ: «لَا تَنْفُخُ»، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْعَا مِلْ فِيهِ:

«يَنْفُخُ». فَيَكُونُ طَائِرًا مِنْ حَيْثُ صُورَتْهُ الْجِسْمِيَّةُ الْحَسِّيَّةُ.

وَكَذَلِكَ تُبْرَى الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ [اقتباس من سورة لما ندة: ١١٠] وَجَمِيعَ

مَا يُنْسَبُ إِلَيْهِ وَإِلَى ﴿إِذْنِ اللَّهِ﴾ [سورة آل عمران: ٤٩].

وَإِذْنَا لَكِنَّا يَّةً فِي مِثْلِ قَوْلِهِ: ﴿يَاذُنِي﴾ [سورة لما ندة: ١١٠]، وَ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾

[سورة آل عمران: ٤٩]. فَإِذَا تَعَلَّقَ الْمَجْرُورُ بِتَنْفُخٍ فَيَكُونُ النَّافِخُ مَاذُونًا لَهُ فِي

النَّفْخِ، وَيَكُونُ الطَّائِرُ عَنِ النَّافِخِ ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [سورة آل عمران: ٤٩]. وَإِذَا كَانَ

النَّافِخُ نَافِخًا لَا عَنْ الْإِذْنِ، فَيَكُونُ التَّكْوِينُ لِلطَّائِرِ طَائِرًا ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [سورة

آل عمران: ٤٩]. فَيَكُونُ الْعَا مِلْ عِنْدَ ذَلِكَ: ﴿يَكُونُ﴾ [سورة آل عمران: ٤٧]،

فَلَوْلَا أَنَّ فِي الْأَمْرِ تَوْهُمًا، أَوْ تَحَقُّقًا، مَا قَبِلْتَ هَذِهِ الصُّورَةَ هَذَيْنِ

الْوَجْهَيْنِ، بَلْ لَهَا هَذَانِ الْوَجْهَانِ، لِأَنَّ النِّشْأَةَ الْعَيْسَوِيَّةَ تُعْطِي ذَلِكَ.

وَخَرَجَ عَيْسَى مِنَ التَّوَا ضِعْ إِلَى أَنْ شَرَعَ لَا مَتَّهَ أَنْ ﴿يُعْطُوا الْجِزْيَةَ

عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَافِرُونَ﴾ [سورة التوبة: ٢٩]، وَأَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا لُطِمَ فِي خَدِّهِ وَضَعَ

الْخَدَّ الْآخَرَ لِنَ لُطْمِهِ، وَلَا يَرْتَفِعُ عَلَيْهِ وَلَا يَطْلُبُ الْقِصَاصَ مِنْهُ. هَذَا لَهُ

218

مِنْ جِهَةِ أُمِّهِ، إِذْ الْمَرْأَةُ لَهَا السُّفْلُ. فَلَهَا التَّوَا ضِعْ لِأَنَّهَا تَحْتَ الرَّجُلِ حُكْمًا

219

وَحِسًّا.

وَمَا كَانَ فِيهِ مِنْ قُوَّةٍ إِلَّا حَيَاءٌ وَإِلَّا بَرَاءً فَمِنْ جِهَةِ نَفْخِ جِبْرِيلَ فِي صُورَةِ

الْبَشَرِ، فَكَانَ عَيْسَى يُحْيِي الْمَوْتَى بِصُورَةِ الْبَشَرِ.

وَلَوْ لَمْ يَأْتِ جِبْرِيلُ فِي صُورَةِ الْبَشَرِ، وَأَتَتْ فِي صُورَةٍ غَيْرِهَا مِنْ صُورِ

الْأَكْوَانِ الْعُنْصُرِيَّةِ مِنْ حَيَوَانٍ، أَوْ نَبَاتٍ، أَوْ جَمَادٍ، لَكَانَ عَيْسَى لَا يُحْيِي

الْمَوْتَى إِلَّا حَتَّى يَتَلَبَّسَ بِتِلْكَ الصُّورَةِ [٤١ ظهر] وَيُظْهَرُ فِيهَا.

وَلَوْ أَنِّي جَبْرِيْلٌ بِصُورَةٍ تِلْكَ النَّوْرِيَّةِ الْخَارِجَةِ عَنِ الْعَنَّا صِرَ وَالْأَرْكَانَ، إِذْ لَا يَخْرُجُ عَنْ طَبِيعَتِهِ، لَكَانَ عَيْسَى لَا يُحْيِي الْمَوْتَى، إِلَّا حَتَّى يَظْهَرَ فِي تِلْكَ الصُّورَةِ الطَّبِيعِيَّةِ النَّوْرِيَّةِ لَا الْعُنْصُرِيَّةِ مَعَ الصُّورَةِ الْبَشَرِيَّةِ مِنْ جِهَةِ أُمِّهِ، فَكَانَ يُقَالُ فِيهِ عِنْدَ إِحْيَا بِهِ الْمَوْتَى: «هُوَ لَا هُوَ».

وَتَقَعُ الْحَيَرَةُ فِي النَّظَرِ إِلَيْهِ، كَمَا وَقَعَتْ فِي الْعَا قَلٍ عِنْدَ النَّظَرِ الْفِكْرِيِّ، إِذْ رَأَى شَخْصًا بَشَرِيًّا مِنَ الْبَشَرِ، يُحْيِي الْمَوْتَى، وَهُوَ مِنَ الْخَصَا نَصِ الْإِلَهِيَّةِ، إِحْيَاءُ النَّطْقِ لَا إِحْيَاءُ الْحَيَوَانِ، بَقِيَ النَّاطِرُ حَائِرًا، إِذْ يَرَى الصُّورَةَ بَشَرًا بِالْأَثَرِ الْإِلَهِيِّ.

فَادَّأَى بَعْضُهُمْ فِيهِ إِلَى الْقَوْلِ بِالْحُلُولِ. وَأَنَّ هُوَ اللَّهُ، بِمَا أَحْيَا بِهِ مِنَ الْمَوْتَى، وَلِذَا لِكَ نُسِبُوا إِلَى الْكُفْرِ وَهُوَ السَّتْرُ؛ لِأَنَّهُمْ سَتَرُوا اللَّهَ الَّذِي أَحْيَا الْمَوْتَى بِصُورَةِ بَشَرَةِ عَيْسَى.

فَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [سورة المائدة: ١٧]، فَجَمَعُوا بَيْنَ الْخَطَا وَالْكَفْرِ — فِي تَمَامِ الْكَلَامِ كُلِّهِ — لِأَنَّهُ لَا يَقُولُ لَهُمْ: «هُوَ اللَّهُ». وَلَا يَقُولُ لَهُمْ: «ابْنُ مَرْيَمَ».

فَعَدَّ لَوْ بِالْتَّضْمِينِ مِنَ اللَّهِ، مِنْ حَيْثُ أَحْيَا الْمَوْتَى، إِلَى الصُّورَةِ النَّاسُوتِيَّةِ الْبَشَرِيَّةِ، يَقُولُ لَهُمْ ابْنُ مَرْيَمَ وَهُوَ ابْنُ مَرْيَمَ بِلَا شَكٍّ. فَتَخَيَّلَ السَّامِعُ أَنَّهُمْ نَسَبُوا الْأُلُوهَةَ لِلصُّورَةِ، وَجَعَلُوا هَا عَيْنَ الصُّورَةِ. وَمَا فَعَلُوا، بَلْ جَعَلُوا الْهُوِيَّةَ الْإِلَهِيَّةَ أَبْتَدَاءً فِي صُورَةِ بَشَرِيَّةٍ، هِيَ ابْنُ مَرْيَمَ، فَفَصَلُوا بَيْنَ الصُّورَةِ وَالْحُكْمِ.

لَا أَنَّهُمْ جَعَلُوا الصُّورَةَ عَيْنَ الْحُكْمِ.

كَمَا كَانَ جَبْرِيْلٌ. فِي صُورَةِ الْبَشَرِ وَلَا نَفْخَ، ثُمَّ نَفَخَ، فَفَصَلَ بَيْنَ الصُّورَةِ وَالنَّفْخِ وَكَانَ النَّفْخُ مِنَ الصُّورَةِ فَقَدْ كَانَتْ وَلَا نَفْخَ.

فَمَا هُوَ النَّفْخُ مِنْ حَدِّ هَا الذَّا تِي؟

فَوَقَعَ الْخِلَافُ بَيْنَ أَهْلِ الْمَلَلِ فِي عَيْسَى، مَا هُوَ؟

فَمِنْ نَا ظِرٍ فِيهِ مِنْ حَيْثُ صُورَ تَهُ إِلَّا نَسَا نِيَّةَ الْبَشَرِيَّةِ، فَيَقُولُ: هُوَ ابْنُ مَرْيَمَ.

وَمِنْ نَا ظِرٍ فِيهِ مِنْ حَيْثُ الصُّورَةُ الْمُمَثِّلَةُ الْبَشَرِيَّةِ، فَيَنْسِبُهُ لِجِبْرِئِيلَ.

وَمِنْ نَا ظِرٍ فِيهِ مِنْ حَيْثُ مَا ظَهَرَ عَنْهُ مِنْ إِحْيَاءِ الْمَوْتَى [٤٢ وجه] فَيَنْسِبُهُ

222

إِلَى اللَّهِ بِأَلْوَحِيَّةٍ، فَيَقُولُ: رُوحُ اللَّهِ، أَي: بِهِ ظَهَرَتِ الْحَيَاةُ فِي مَنْ نَفَخَ

فِيهِ، فَتَارَةً يَكُونُ الْحَقُّ فِيهِ مُتَوَهِّمًا — أَسْمُ مَفْعُولٍ — وَتَارَةً يَكُونُ الْمَلَكُ

فِيهِ مُتَوَهِّمًا، وَتَارَةً تَكُونُ الْبَشَرِيَّةُ إِلَّا نَسَا نِيَّةَ فِيهِ مُتَوَهِّمَةً.

فَيَكُونُ عِنْدَ كُلِّ نَا ظِرٍ، بِحَسَبِ مَا يَغْلِبُ عَلَيْهِ. فَهُوَ كَلِمَةُ اللَّهِ، وَهُوَ رُوحُ

اللَّهُ، وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ.

وَلَيْسَ ذَلِكَ فِي الصُّورَةِ الْحَسِّيَّةِ لِغَيْرِهِ، بَلْ كُلُّ شَخْصٍ مَنْسُوبٌ إِلَى أَبِيهِ

الصُّورِيِّ، لَا إِلَى النَّافِخِ رُوحَهُ فِي الصُّورَةِ الْبَشَرِيَّةِ.

فَإِنَّ اللَّهَ إِذَا سَوَّى الْجِسْمَ إِلَّا نَسَا نِي كَمَا قَالَ: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾ [الحجر:

٢٩] نَفَخَ فِيهِ هُوَ نَعَالَى مِنْ رُوحِهِ.

فَنَسَبَ الرُّوحَ فِي كَوْنِهِ وَعَيْنِهِ إِلَيْهِ نَعَالَى، وَعَيْسَى لَيْسَ كَذَلِكَ، فَإِنَّهُ

أَنْدَرَ جَتَ تَسْوِيَّةِ جِسْمِهِ وَصُورَتِهِ الْبَشَرِيَّةِ بِأَلْفِخِ الرُّوحِ حَيٍّ، وَغَيْرُهُ — كَمَا

نَكَرَ نَاهُ — لَمْ يَكُنْ مِثْلَهُ.

فَأَلَمَوْ جُودَاتٍ كُلُّهَا كَلِمَاتُ اللَّهِ، الَّتِي لَا تَنْقُذُ، فَإِنَّهَا عَنْ ﴿كُنْ﴾ [سورة آل

عمران: ٤٧]، وَ«كُنْ» كَلِمَةُ اللَّهِ.

فَهَلْ تُنْسَبُ الْكَلِمَةُ إِلَيْهِ، بِحَسَبِ مَا هُوَ عَلَيْهِ فَلَا تُعْلَمُ مَا هِيَئُهَا؟ أَوْ يَنْزِلُ

223

هُوَ نَعَالَى إِلَى صُورَةٍ مَنْ يَقُولُ: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ [سورة آل عمران: ٤٧]؟

قَوْلُ ﴿كُنْ﴾ [سورة آل عمران: ٤٧] حَقِيقَةُ لِتِلْكَ لَصُورَةِ الَّتِي نَزَلَ إِلَيْهَا، وَظَهَرَ

فِيهَا؟

فَبَعْضُ الْعَارِ فَيَنْ يَدُ هَبْ إِلَى الطَّرَفِ الْوَاحِدِ، وَبَعْضُهُمْ إِلَى الطَّرَفِ

الْآخِرَ، وَبَعْضُهُمْ يَحَارُّ فِي الْأَمْرِ وَلَا يَدْرِي.

وَهَذِهِ مَسْأَلَةٌ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تُعْرَفَ إِلَّا ذَوْقًا، كَأَنِّي يَزِيدُ حِينَ نَفَخَ فِي
النَّمْلَةِ، الَّتِي قَتَلَهَا فَحْيِيَّتْ، فَعَلِمَ عِنْدَ ذَلِكَ، بِمَنْ يَنْفُخُ، فَنَفَخَ. فَكَانَ عِيسَى
الْمَشْهُدَ.

224

وَأَمَّا الْإِحْيَاءُ الْمُعْنَوِيُّ بِإِلْعَامٍ، فَتِلْكَ الْحَيَاةُ إِلَّا لِهَيْئَةِ الدَّائِمَةِ الْعَلِيَّةِ
النُّورِيَّةِ، الَّتِي قَالَ اللَّهُ فِيهَا: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي
بِهِ فِي النَّاسِ﴾ [سورة الأنعام: ١٢٢] فَكُلُّ مَنْ أَحْيَى نَفْسًا مَيِّتَةً، بِحَيَاةٍ عِلْمِيَّةٍ،
فِي مَسْأَلَةٍ خَاصَّةٍ، مُتَعَلِّقَةٍ بِإِلْعَامٍ بِاللَّهِ، فَقَدْ أَحْيَاهُ بِهَا، وَكَانَتْ لَهُ نُورًا يَمْشِي
بِهِ فِي النَّاسِ، أَيُّ: بَيْنَ أَشْكَالِهِ فِي الصُّورَةِ.

[مَجْرُوءُ الْوَاوِ فَر]

١- فَلَوْلَاهُ وَلَوْلَا نَا لَمَّا كَانَ الَّذِي كَانَا

[٤٢ ظهر]

- | | |
|---------------------------------|-----------------------------|
| ٢- فَإِنَّا أَعْبَدُ حَقًّا | وَأَنَّ اللَّهَ مَوْلَانَا |
| ٣- وَإِنَّا عَيْنُهُ فَأَعْلَمُ | إِذَا مَا قُلْتُ إِنْسَانًا |
| ٤- فَلَا تُحْجِبْ بِنِسَانٍ | فَقَدْ أَعْطَاكَ بُرْهَانًا |
| ٥- فَكُنْ حَقًّا وَكُنْ خَلْقًا | تَكُنْ بِإِلَّهِ رَحْمَانًا |
| ٦- وَغَدَّ خَلْقُهُ مِنْهُ | تَكُنْ رُوحًا وَرَاحِيَانًا |
| ٧- فَأَعْطَيْنَاهُ مَا يَبْدُو | بِهِ فَيَنَّا وَأَعْطَانَا |
| ٨- فَصَارَ الْأَمْرُ مَقْسُومًا | بِإِيَّاهُ وَإِيَّانَا |
| ٩- فَأَحْيَاهُ الَّذِي يَدْرِي | بِقَلْبِي حِينَ أَحْيَانَا |
| ١٠- فَكُنَّا فِيهِ أَكْوَافًا | وَأَعْيَانًا وَأَرْوَافًا |
| ١١- وَلَيْسَ بَدَأَ بِنَا | وَلَكِنْ ذَاكَ أَحْيَانَا |

225

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ فِي أَمْرِ لِنَفْخِ الرُّوحَ حَانَ نِيٍّ مَعَ صُورَةِ الْبَشَرِ
الْعُنْصَرِيِّ هُوَ أَنَّ الْحَقَّ وَصَفَ نَفْسَهُ بِالنَّفْسِ الرَّحْمَانِيَّةِ، وَلَا بُدَّ لِكُلِّ
مَوْصُوفٍ بِصِفَةٍ أَنْ يَتَّبَعَ الصِّفَةَ جَمِيعَ مَا تَسْتَلْزِمُهُ تِلْكَ الصِّفَةُ، وَقَدْ عَرَفْنَا أَنَّ
النَّفْسَ فِي الْمُتَنَفِّسِ مَا يَسْتَلْزِمُهُ. فَلِذَا لِكُلِّ قَبِيلِ النَّفْسِ إِلَّا لِهَيْئَةِ صُورِ

226

الْعَالِمُ، فَهُوَ لَهَا كَأَلْجَوْهَرِ الْهَيُولَا نِيٍّ، وَلَيْسَ إِلَّا عَيْنَ الطَّبِيعَةِ.
فَالْعَنَا صِرُّ صُورَةٍ مِنْ صُورِ الطَّبِيعَةِ، وَمَا فَوْقَ الْعَنَا صِرٌّ وَمَا تَوَلَّدَ عَنْهَا،
فَهُوَ أَيْضًا مِنْ صُورِ الطَّبِيعَةِ، وَهِيَ الْأَرْوَاحُ الْعُلُويَّةُ الَّتِي فَوْقَ السَّمَوَاتِ
السَّبْعِ.

وَأَمَّا أَرْوَاحُ السَّمَوَاتِ وَأَعْيَانُهَا، فَهِيَ عُصْرِيَّةٌ، فَإِنَّهَا مِنْ دُخَانِ الْعَنَا صِرُّ
الْمُتَوَلَّدِ عَنْهَا.

وَمَا تَكُونُ عَنْ كُلِّ سَمَاءٍ مِنَ الْمَلَايِكَةِ فَهُوَ مِنْهَا، فَهُمْ عُصْرُ يُونِ
وَمَنْ قَوْقَهُمْ طَبِيعِيُونَ. وَلِهَذَا وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِأَلَّا خِتِصَامٍ أَعْنِي: الْمَلَأَ
الْأَعْلَى، لِأَنَّ الطَّبِيعَةَ مُتَقَا بِلَهٍّ.

227

وَأَلْتَقَا بُلُّ الَّذِي فِي الْأَسْمَاءِ إِلَّا لِهَيْتِهِ، الَّتِي هِيَ النَّسَبُ، إِنَّمَا أَعْطَاهُ
النَّفْسُ.

أَلَّا تَرَى الذَّاتَ الْخَارِجَةَ عَنْ هَذَا الْحُكْمِ [٤٣ وجه] كَيْفَ جَاءَ فِيهَا
الْغِنَى عَنِ الْعَالَمِينَ؟

فَلِهَذَا خَرَجَا لَعَا لَمْ عَلَى صُورَةٍ مِنْ أَوْ جَدَّ هُمْ، وَلَيْسَ إِلَّا لِنَفْسٍ
إِلَّا لِهَيْ.

فَبِمَا فِيهِ مِنَ الْحَرَارَةِ عَلَا، وَبِمَا فِيهِ مِنَ الْبُرُودَةِ وَارْتُطُوبَةِ سَفَلٍ، وَبِمَا
فِيهِ مِنَ الْيُبُوسَةِ ثَبَتَ، وَلَمْ يَتَزَلْزَلْ. فَارْتُطُوبٌ لِلْبُرُودَةِ وَارْتُطُوبَةٌ. أَلَّا تَرَى
الطَّبِيبَ إِذَا أَرَادَ سَقَى دَوَاءً لِأَحَدٍ، يَنْظُرُ فِي قَارُورَةٍ مِمَّا بِهِ، فَإِذَا رَأَاهُ رَسَبَ،
عَلِمَ أَنَّ النُّضْجَ قَدْ كَمَلَ، فَيَسْقِيهِ الدَّوَاءَ، لِيُسْرِعَ فِي النُّجْجِ. وَإِنَّمَا يَرِ سُبُّ
لِارْتُطُوبَتِهِ، وَبُرُودَتِهِ الطَّبِيعِيَّةِ.

228

ثُمَّ إِنَّ هَذَا الشَّخْصَ إِلَّا نَسَا نِيٍّ، عَجَنَ طِينَتَهُ بِيَدَيْهِ وَهُمَا مَتَقَا بِلَتَانٍ، وَإِنْ
كَانَتْ كِلَتَا يَدَيْهِ يَمِينًا، فَلَا خَفَاءَ بِمَا بَيْنَهُمَا مِنْ أَلْفَرْقَانٍ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا
كَوْنَهُمَا أُتْنَتَيْنِ: أَعْنِي: يَدَيْنِ.

لَا تَهْ لَا يُؤْثَرُ فِي الطَّبِيعَةِ إِلَّا مَا يُنَا سِبْهَا، وَهِيَ مُتَقَا بَلَّةً، فَجَاءَ بِا لِيَدَيْنِ،
وَلَمَّا أَوْ جَدَهُ بِا لِيَدَيْنِ، سَمَاهُ بَشَرًا، لِلْمُبَا شَرَةِ اللَّائِقَةِ بِذَلِكَ الْجَنَابِ، بِا لِيَدَيْنِ
الْمُخْصَا فَتَيْنِ إِلَيْهِ.

وَجَعَلَ ذَلِكَ مِنْ عِنَا يَتِي بِهِذَا النُّوعِ إِلَّا نَسَا نِي. فَقَالَ لِمَنْ أَبِي عَنِ
السُّجُودِ لَهُ: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ اسْتَكْبَرْتَ ﴾ [سورة ص
: ٧٥] عَلَى مَنْ هُوَ مِثْلُكَ، يَعْنِي عُصْرِيًّا، ﴿ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾ [سورة ص
: ٧٥]، عَنِ الْعُنْصُرِ، وَلَسْتَ كَذَلِكَ؛ وَيَعْنِي بِا لِعَالِينَ: مَنْ عَلَا بِذَا تِهِ عَنْ
أَنْ يَكُونَ فِي نَشَأَتِهِ النُّورِيَّةِ عُصْرِيًّا، وَإِنْ كَانَ طَبِيعِيًّا.

229

فَمَا فَضَلَ إِلَّا نَسَانُ غَيْرِهِ مِنَ الْأَنْوَاعِ الْعُنْصُرِيَّةِ إِلَّا يَكُونُهُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ،
فَهُوَ أَفْضَلُ نَوْعٍ مِنْ كُلِّ مَا خُلِقَ مِنَ الْعِنَا صِرٍ مِنْ غَيْرِ مَبَا شَرَةٍ.
فَالِإِ نَسَانُ فِي الرُّتْبَةِ فَوْقَ الْمَلَا ئِكَةِ الْأَرْضِيَّةِ وَالسَّمَائِيَّةِ؛ وَالْمَلَا ئِكَةُ
الْعَالُونَ خَيْرٌ مِنْ هَذَا النُّوعِ إِلَّا نَسَا نِي، بِا لِنَصِّ إِلَّا لِهَيِّ.
فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ النَّفْسَ إِلَّا لِهَيِّ فَلْيَعْرِفْ الْعَالَمَ.

فَإِنَّهُ «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ» الَّذِي ظَهَرَ فِيهِ؛ أَيُّ: الْعَالَمُ ظَهَرَ فِي
نَفْسِ الرَّحْمَنِ الَّذِي نَفَسَ اللَّهُ بِهِ عَنْ الْأَسْمَاءِ إِلَّا لِهَيِّ، مَا تَجَدُّهُ مِنْ

230

عَدَمِ ظُهُورِ أَثَارِهَا، بِظُهُورِ أَثَارِهَا. فَأَمَّا مَنْ عَلَى نَفْسِهِ بِمَا أَوْ جَدَهُ فِي نَفْسِهِ.

فَأَوَّلُ أَثَرٍ كَانَ لِلنَّفْسِ [٤٣ ظهر] إِنَّمَا كَانَ فِي ذَلِكَ الْجَنَابِ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ

231

الْأَمْرُ يَنْزِلُ بِتَنْفِيسِ الْغُومِ إِلَى آخِرِ مَا وَجَدَ. [مَجْزُوءُ الرَّجَزِ]

كَأَ لَضَوْءٍ فِي ذَاتِ الْغَلَسِ
سَلَخَ النَّهَارِ لِمَنْ نَعَسَ
رُؤْيَا تَدُلُّ عَلَى النَّفْسِ
فِي تِلَاوَةِ تِهِ عَبَسَ
قَدْ جَاءَ فِي طَلَبِ الْقَبَسِ
رُ فِي الْمُلُوكِ وَفِي الْعَسَسِ
تَعْلَمُ بَأَنَّكَ مُبْتِئِسٌ

١- فَأَ لِكُلِّ فِي عَيْنِ النَّفْسِ
٢- وَأَ لِعِلْمٍ بِا لِبُرْهَانٍ فِي
٣- فَيَرَى الَّذِي قَدْ قُلْتُهُ
٤- فَيُحِرُّهُ مِنْ كُلِّ غَمٍّ
٥- وَلَقَدْ تَجَلَّى لِلَّذِي
٦- فَرَاهُ نَارًا وَهُوَ نُورٌ
٧- فَإِذَا فَهَمْتَ مَقَامِي لَتِي

٨- لَوْ كَانَ يَطْلُبُ غَيْرَ ذَا لِرَأْهِ فِيهِ وَمَا نَكَسُ

وَأَمَّا هَذِهِ الْكَلِمَةُ الْعَيْسَوِيَّةُ لَمَّا قَامَ لَهَا الْحَقُّ فِي مَقَامٍ ﴿حَتَّى نَعْلَمَ﴾

[سورة محمد: ٣١]. وَنَعْلَمُ، أَسْتَفْهَمَهَا عَمَّا نُسِبَ إِلَيْهَا، هَلْ هُوَ حَقٌّ أَمْ لَا؟

232

مَعَ عِلْمِهِ الْأَوَّلِ بِهَلْ وَقَعَ ذَلِكَ الْأَمْرُ أَمْ لَا؟

فَقَالَ لَهُ: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُوا نِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [سورة

الما ندة: ١١٦].

فَلَا بُدَّ فِي الْأَدَبِ مِنَ الْجَوَابِ لِلْمُسْتَفْهَمِ.

لَأَنَّهُ لَمَّا تَجَلَّى لَهُ فِي هَذَا الْمَقَامِ وَفِي هَذِهِ الصُّورَةِ أَقْتَضَتْ الْحِكْمَةُ

الْجَوَابَ فِي التَّفَرُّقَةِ بِعَيْنِ الْجَمْعِ.

فَقَالَ ﴿ — وَقَدَّمَ التَّنْزِيهَ — ﴾ ﴿سُبْحَنَكَ﴾ [سورة الما ندة: ١١٦]. فَحَدَّدَ

بِالْكَافِ الَّتِي تَقْتَضِي الْمَوَاجَهَةَ وَالْخِطَابَ.

﴿مَا يَكُونُ لِي﴾ [سورة الما ندة: ١١٦] مِنْ حَيْثُ أَنَا لِنَفْسِي دُونَكَ، ﴿أَنْ

أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ [سورة الما ندة: ١١٦]، أَيْ: مَا تَقْتَضِيهِ هُوَ يَتِي، وَلَا

ذَا تِي.

﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ [سورة الما ندة: ١١٦] لَأَنَّكَ أَنْتَ الْقَائِلُ. وَمَنْ

قَالَ أَمْرًا فَقَدْ عَلِمَ مَا قَالَ، وَأَنْتَ اللِّسَانُ الَّذِي تَكَلَّمُ بِهِ، كَمَا أَخْبَرَنَا رَسُولُ

اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ رَبِّهِ فِي الْخَبَرِ الْإِلَهِيِّ فَقَالَ: «كُنْتُ لِسَانَهُ

الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ» فَجَعَلَ هُوَ يَتِي عَيْنَ لِسَانِ الْمُتَكَلِّمِ، وَنَسَبَ الْكَلَامَ إِلَى

233

عَبْدِهِ.

ثُمَّ تَمَّمَ الْعَبْدُ الصَّاحِبُ الْجَوَابَ بِقَوْلِهِ: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي﴾ [سورة الما ندة

: ١١٦]. وَامْتَكَلَّمَ الْحَقُّ.

﴿وَلَا أَعْلَمُ﴾ [سورة الما ندة: ١١٦] مَا فِيهَا فَانْفَى الْعِلْمَ عَنْ هُوِيَّةِ عَيْسَى مِنْ

حَيْثُ هُوَ يَتِي لَا مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ قَائِلٌ وَدُوَانِ.

[٤٤ وجه] ﴿إِنَّكَ أَنْتَ﴾ [المائدة: ١١٦] فَجَاءَ بِا لفَصْلِ وَا لِعِمَادِ، تَأْ كِيدًا

لِلْبَيَانِ وَاعْتِمَادًا عَلَيْهِ، إِذْ لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ.

وَفَرَّقَ وَجَمَعَ، وَوَحَدَ وَكَثَّرَ، وَوَسَّعَ وَضَيَّقَ.

ثُمَّ قَالَ مُنَمِّمًا لِلجَوَابِ ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتُ نَتِي بِهِ﴾ [سورة المائدة: ١١٦]

234

[١١٧:]،، فَنَفَى أَوَّلًا، مُشِيرًا إِلَى أَنَّهُ مَا هُوَ ثُمَّ. ثُمَّ أَوْجَبَ الْقَوْلَ أَدَبًا مَعَ

الْمُسْتَفْهِمِ، وَلَوْ لَمْ يَفْعَلْ كَذَا لَكَ، لَأَتَّصَفَ بِعَدَمِ عِلْمِ الْحَقَائِقِ، وَحَا شَاهِدًا مِنْ

ذَلِكَ، فَقَالَ ﴿إِلَّا مَا أَمَرْتُ نَتِي بِهِ﴾ [سورة المائدة: ١١٧] وَأَنْتَ الْمُتَكَلِّمُ عَلَى

لِسَانِي، وَأَنْتَ لِسَانِي.

فَأَنْظُرْ إِلَى هَذِهِ التَّنْبِيهِ الرُّوحِيَّةِ إِلَّا لِهَيْتِهِ، مَا أَلْطَفَهَا وَمَا أَدَقَّهَا.

﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ [سورة المائدة: ١١٧]. فَجَاءَ بِا لِسْمِ ﴿اللَّهُ﴾ لِاخْتِلَافِ

الْعِبَادِ فِي الْعِبَادَاتِ، وَأَخْتِلَافِ الشَّرَائِعِ. لَمْ يَخْصُ اسْمًا خَاصًّا دُونَ اسْمِ،

بَلْ جَاءَ بِا لِسْمِ الْجَامِعِ لِلْكُلِّ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [سورة المائدة: ١١٧]، وَمَعْلُومٌ أَنَّ نِسْبَتَهُ إِلَى

235

مَوْجُودٍ مَا بِا لِرُبُوبِيَّةٍ، لَيْسَتْ عَيْنَ نِسْبَتِهِ إِلَى مَوْجُودٍ آخَرَ، فَلِذَا لَكَ فَصْلٌ

بِقَوْلِهِ: ﴿رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [سورة المائدة: ١١٧]، بِا لِكُنَا يَتَيْنِ: كُنَا يَهُ الْمُتَكَلِّمِ، وَكُنَا يَهُ

الْمُخَاطَبِ.

﴿إِلَّا مَا أَمَرْتُ نَتِي بِهِ﴾ [سورة المائدة: ١١٧] فَأَثْبَتَ نَفْسَهُ مَا مُورًا، وَلَيْسَتْ

سِوَى عِبُودِيَّتِهِ، إِذْ لَا يُؤْمَرُ إِلَّا مَنْ يَتَصَوَّرُ مِنْهُ اَلَا مُتَنَالًا، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ.

وَلَمَّا كَانَ الْأَمْرُ يَنْزِلُ بِحُكْمِ الْمَرَاتِبِ، لِذَا لَكَ يَنْصَبُ كُلُّ مَنْ ظَهَرَ فِي

مَرْتَبَةٍ مَا، بِمَا تُعْطِيهِ حَقِيقَةُ تِلْكَ الْمَرْتَبَةِ، فَمَرْتَبَةُ الْمَأْمُورِ، لَهَا حُكْمٌ يَظْهَرُ

فِي كُلِّ مَا مُورٍ، وَمَرْتَبَةُ الْآمِرِ، لَهَا حُكْمٌ يَبْدُو فِي كُلِّ أَمْرٍ.

فَيَقُولُ الْحَقُّ ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، فَهُوَ الْآمِرُ وَا لْمُكَلَّفُ

وَا لِمَا مُورٍ. وَيَقُولُ الْعَبْدُ: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾ [الأعراف: ١٥١]، فَهُوَ الْآمِرُ، وَا لْحَقُّ

الْمَا مُورُ. فَمَا يَطْلُبُ الْحَقُّ مِنَ الْعَبْدِ بِأَمْرِهِ هُوَ بِعَيْنِهِ يَطْلُبُ الْعَبْدُ مِنَ
الْحَقِّ بِأَمْرِهِ.

وَلِهَذَا كَانَ كُلُّ دُعَاءٍ مُجَابًا.

وَلَا بُدَّ، وَإِنْ تَأَخَّرَ، كَمَا يَتَأَخَّرُ بَعْضُ الْمُكَلَّفِينَ، مِمَّنْ أُقِيمَ مَخَاطَبًا
بِإِقَامَةِ الصَّلَاةِ، فَلَا يُصَلِّي فِي وَقْتِ، فَيُؤَخِّرُ الْمَا مُتَّئِلًا، وَيُصَلِّي فِي وَقْتِ آخَرَ،
إِنْ كَانَ مُتَمَكِّنًا مِنْ ذَلِكَ، فَلَا بُدَّ مِنَ الْإِجَابَةِ وَلَوْ بِالْقَصْدِ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ﴾ [سورة المائدة: ١١٧]. وَلَمْ يَقُلْ: عَلَى نَفْسِي

مَعَهُمْ [٤٤ ظهر] كَمَا قَالَ: ﴿رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ [سورة المائدة: ١١٧]، ﴿شَهِيدًا
مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [سورة المائدة: ١١٧] لِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ شُهَدَاءُ عَلَى أُمَّهِمْ مَا دُمُوا
فِيهِمْ.

﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ [سورة المائدة: ١١٧] أَيْ: رَفَعْتَنِي إِلَيْكَ وَحَجَبْتَهُمْ عَنِّي

وَحَجَبْتَنِي عَنْهُمْ ﴿كُنْتُ أَنْتَ أَلَرَّ قَيْبَ عَلَيْهِمْ﴾ [سورة المائدة: ١١٧] فِي غَيْرِ
مَا دَتِي، بَلْ فِي مَوَادِّهِمْ.

إِذْ كُنْتُ بَصَرُ هُمُ الَّذِي يَقْتَضِي الْمُرَاقَبَةَ. فَشُهِدُوا إِلَّا نَسَانِ نَفْسَهُ، شُهِدُوا

الْحَقَّ إِيَّاهُ، وَجَعَلَهُ بِالْأَسْمِ: «أَلَرَّ قَيْبٌ»، لِأَنَّهُ جَعَلَ الشُّهُودَ لَهُ، فَأَرَادَ أَنْ يَفْصَلَ
بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ، حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّهُ هُوَ، لِكُونِهِ عَبْدًا، وَأَنَّ الْحَقَّ هُوَ الْحَقُّ، لِكُونِهِ رَبًّا
لَهُ، فَجَاءَ لِنَفْسِهِ بِأَنَّهُ شَهِيدٌ، وَفِي الْحَقِّ بِأَنَّهُ رَقِيبٌ.

وَقَدْ مَهَّمُ فِي حَقِّ نَفْسِهِ فَقَالَ: ﴿عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [سورة

المائدة: ١١٧] إِيثَارًا لَهُمْ فِي التَّقَدُّمِ، وَأَدَبًا، وَأَخَّرَهُمْ فِي جَانِبِ الْحَقِّ عَنِ

الْحَقِّ، فِي قَوْلِهِ: ﴿أَلَرَّ قَيْبَ عَلَيْهِمْ﴾ [سورة المائدة: ١١٧] لِأَنَّهُ يَسْتَحَقُّهُ الرَّبُّ مِنَ
التَّقَدُّمِ بِاللُّزُومَةِ.

ثُمَّ أَعْلَمَ أَنَّ لِلْحَقِّ الرَّقِيبِ الْمَا الَّذِي جَعَلَهُ عِيسَى لِنَفْسِهِ، وَهُوَ:

«الشَّهِيدُ» فِي قَوْلِهِ: ﴿عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [سورة المائدة: ١١٧]. فَقَالَ: ﴿وَأَنْتَ

عَلَّكَلْ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿سورة المائدة: ١١٧﴾ فَجَاءَ بِـ ﴿كُلِّ﴾ لِلْعُمُومِ،

وَبِـ ﴿شَيْءٍ﴾ لِكَوْنِهِ أَنْكَرَ النُّكِرَاتِ، وَجَاءَ بِالِأَسْمِ: «الشَّهِيدُ»، فَهُوَ الشَّهِيدُ عَلَى كُلِّ مَشْهُودٍ، بِحَسَبِ مَا تَقْتَضِيهِ حَقِيقَةُ ذَلِكَ الْمَشْهُودِ.

فَنَبَّهَ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الشَّهِيدُ عَلَى قَوْمِ عِيسَى، حِينَ قَالَ: ﴿وَكُنْتُ

عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَادَّ مَتٌ فِيهِمْ﴾ [سورة المائدة: ١١٧]، فِيهِ شَهَادَةُ الْحَقِّ فِي مَادَّةِ

عِيسَى يَّةً، كَمَا ثَبَتَ أَنَّهُ لِسَا نَهْ وَسَمِعَهُ وَبَصَرَهُ.

238

ثُمَّ قَالَ كَلِمَةً عِيسَى يَّةً وَمُحَمَّدٍ يَّةً؛ أَمَّا كَوْنُهَا عِيسَى يَّةً: فَإِنَّهَا قَوْلُ عِيسَى

بِإِخْبَارِ اللَّهِ عَنْهُ فِي كِتَابِهِ. وَأَمَّا كَوْنُهَا مُحَمَّدٍ يَّةً: فَلِمَوْقِعِهَا مِنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَلَمَّكَانِ الَّذِي وَقَعَتْ مِنْهُ، فَقَامَ بِهَا لَيْلَةً كَامِلَةً، يُرَدِّدُهَا، لَمْ يَعْدِلْ

إِلَى غَيْرِهَا حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ. ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ

أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة المائدة: ١١٨].

و«هُمْ» ضَمِيرُ الْغَائِبِ، كَمَا أَنَّ «هُوَ» ضَمِيرُ الْغَائِبِ كَمَا قَالَ: ﴿هُمْ

الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [سورة الفتح: ٢٥] بِضَمِيرِ الْغَائِبِ، فَكَانَا لَغَيْبٍ سَتَرًا لَهُمْ

عَمَّا يُرَادُ بِالْمَشْهُودِ الْحَاضِرِ، فَقَالَ: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ﴾ [سورة المائدة: ١١٨].

بِضَمِيرِ الْغَائِبِ.

وَهُوَ عَيْنُ الْحِجَابِ الَّذِي هُمْ فِيهِ عَنِ الْحَقِّ.

فَذَكَرَ هُمْ اللَّهُ قَبْلَ حُضُورِهِمْ، حَتَّى إِذَا حَضَرُوا تَكُونُ الْخَمِيرَةُ قَدْ

239

تَحَكَّمَتْ فِي الْعَجِينَ، فَصَيَّرَتْهُ مِثْلَهَا.

[٤٥ وجه] ﴿فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ [سورة المائدة: ١١٨].

فَأَفْرَدَ الْخِطَابَ لِلتَّوْحِيدِ، الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ، وَلَا ذِلَّةَ أَعْظَمَ مِنْ ذِلَّةِ الْعَبِيدِ.

لَا نَهْمٌ لَا تَصَرَّفَ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ، فَهُمْ بِحُكْمِ مَا يَرِيدهُ بِهِمْ سَيِّدٌ هُمْ،

وَلَا شَرِيكَ لَهُ فِيهِمْ، فَإِنَّهُ قَالَ: ﴿عِبَادُكَ﴾ [سورة المائدة: ١١٨]. فَأَفْرَدَ.

وَالْمُرَادُ بِالْعَذَابِ: إِذْلَالُهُمْ، وَلَا أَذَلَّ مِنْهُمْ لِكَوْنِهِمْ عِبَادًا، فَذَوَا تِهِمْ

نَقْتَضِي أَنَّهُمْ أَذِلَّاءٌ، فَلَا تُدْرِكُهُمْ، فَإِنَّكَ لَا تُدْرِكُهُمْ بِأَدْوَنَ مِمَّا هُمْ فِيهِ، مِنْ كَوْنِهِمْ عِبِيدًا. ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [سورة لما نداء: ١١٨] أَيُّ: تَسْتُرْهُمْ عَنْ إِيقَاعِ الْعَذَابِ، الَّذِي يَسْتَحِقُّونَهُ بِمُخَالَفَتِهِمْ، أَيُّ: تَجْعَلْ لَهُمْ غَفْرًا يَسْتُرْهُمْ عَنْ ذَلِكَ، وَيَمْنَعُهُمْ مِنْهُ.

240

﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ أَلْعَزِيزُ﴾ [سورة لما نداء: ١١٨] أَيُّ: الْمَنِيْعُ الْحِمَى. وَهَذَا أَلَّا سُمِّ إِذَا أَعْطَاهُ الْحَقُّ لِمَنْ أَعْطَاهُ مِنْ عِبَادِهِ، تَسْمَى الْحَقُّ بِأَلْعَزِيزِ. وَأَلْمُعْطَى لَهُ هَذَا أَلَّا سُمِّ بِأَلْعَزِيزِ، فَيَكُونُ مَنِيْعُ الْحِمَى عَمَّا يُرِيدُ بِهِ الْمُنْتَقِمُ وَالْمُعَذِّبُ مِنَ أَلَّا نَتَقَامَ وَالْعَذَابِ.

وَجَاءَ بِأَلْفَصْلِ وَأَلْعِمَادِ أَيْضًا، تَأْكِيدًا لِلْبَيَانِ، وَلِتَكُونَ أَلَا يَهُ عَلَى مَسَاقٍ وَأَحَدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾، [سورة لما نداء: ١١٦] وَقَوْلُهُ: ﴿كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ [سورة لما نداء: ١١٧]، فَجَاءَ أَيْضًا ﴿إِنَّكَ أَنْتَ أَلْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة لما نداء: ١١٨]. فَكَانَ سُؤْلًا مِنَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَإِلْحَا حَا مِنْهُ عَلَى رَبِّهِ فِي الْمَسْأَلَةِ لَيْلَتَهُ الْكَامِلَةَ لَمَّا طُلُوعِ الْفَجْرِ، يُرَدُّ هَا طَلَبًا لِلإِجَابَةِ، فَلَوْ سَمِعَ إِلَّا جَابَةً فِي أَوَّلِ سُؤَالٍ مَا كَرَّرَ، وَكَانَ الْحَقُّ يَعْرِضُ عَلَيْهِ فُصُولَ مَا سَتَوْا جَبُوبًا بِهِ الْعَذَابَ عَرْضًا مُفَصَّلًا، فَيَقُولُ لَهُ فِي كُلِّ عَرْضٍ وَعَيْنٍ، عَيْنٌ: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ أَلْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة لما نداء: ١١٨].

241

وَلَوْ رَأَى فِي ذَلِكَ الْعَرْضِ مَا يُوجِبُ تَقْدِيرَ يَمُ الْحَقِّ، وَإِثَارَ جَنَابِهِ، لَدَعَى عَلَيْهِمْ، لَا لَهُمْ.

فَمَا عَرَضَ عَلَيْهِ إِلَّا مَا اسْتَحَقُّوا بِهِ مَا تُعْطِيهِ هَذِهِ أَلَا يَهُ مِنَ التَّسْلِيمِ لِلَّهِ، وَالتَّعَرُّيْضِ لِعَفْوِهِ.

وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ الْحَقَّ إِذَا أَحَبَّ صَوْتَ عَبْدِهِ فِي دُعَا بِهِ إِلَيْهِ، أَخَّرَ إِلَّا جَابَةً عَنْهُ، حَتَّى يَتَكَرَّرَ ذَلِكَ مِنْهُ، حُبًّا فِيهِ، لَا إِعْرَاضًا عَنْهُ، وَكَذَلِكَ جَاءَ بِأَلَّا سُمِّ

«الحَكِيم»؛ وَ الْحَكِيمُ هُوَ الَّذِي يَضَعُ الْأَشْيَاءَ فِي مَوَاضِعِهَا، وَلَا يَعْدِلُ بِهَا عَمَّا تَقْتَضِيهِ وَتَطْلُبُهُ حَقًّا يَقُهَا بِصِفَا تِهَا.

[٤٥ ظهر] فَالْحَكِيمُ الْعَلِيمُ بِالْتَرْتِيبِ، فَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَرْدَادِ

هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى عِلْمٍ عَظِيمٍ مِنَ اللَّهِ. فَمَنْ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ فَهَكَذَا يَتْلُو، وَإِلَّا فَا لِسُكُوتٍ أَوْ لِي بِهِ.

242

وَإِذَا وَفَّقَ اللَّهُ الْعَبْدَ إِلَى نُطْقٍ بَأْمَرٍ مَا، فَمَا وَفَّقَهُ إِلَيْهِ إِلَّا وَقَدْ أَرَادَ إِجَابَتَهُ فِيهِ، وَقَضَاءَ حَاجَتِهِ، فَلَا يَسْتَبْطِئُ أَحَدٌ مَا يَتَّصِمُهُ مَاوُفَّقَ لَهُ، وَلَيْتَا بَرُّ مَثَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ، فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ، حَتَّى يَسْمَعَ بِأُذُنِهِ، أَوْ يَسْمِعِهِ، كَيْفَ شِئْتَ أَوْ كَيْفَ أَسْمَعَكَ اللَّهُ إِلَّا جَابَةً، فَإِنْ جَا زَاكَ بِسُؤَالِ اللِّسَانِ، أَسْمَعَكَ بِأُذُنِكَ. وَإِنْ جَا زَاكَ بِالْمَعْنَى، أَسْمَعَكَ بِسَمْعِكَ.

[١٦] ﴿فَصْ حِكْمَةً رَحْمًا نِيَّةً فِي كَلِمَةٍ سُلَيْمًا نِيَّةً﴾

243

﴿إِنَّهُ﴾ [سورة النمل: ٣٠]، يَعْنِي: الْكِتَابَ ﴿مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ﴾ [سورة

النمل: ٣٠] أَيْ: مَضْمُونُهُ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [سورة النمل: ٣٠]،

فَأَخَذَ بَعْضُ النَّاسِ فِي تَقْدِيرِ يَمِ اسْمِ سُلَيْمَانَ عَلَى اسْمِ اللَّهِ وَلَمْ يَكُنْ كَذَا لِكَ.

وَتَكَلَّمُوا فِي ذَلِكَ بِمَا لَا يَنْبَغِي مِمَّا لَا يَلِيْقُ بِمَعْرِفَةِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بِرَبِّهِ، وَكَيْفَ يَلِيْقُ مَا قَالُوهُ؟

وَبَلْقِيسُ تَقُولُ فِيهِ: ﴿إِنِّي أُلْقِيَ إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ﴾ [النمل: ٢٩] أَيْ:

يُكْرَمُ عَلَيْهَا، وَإِنَّمَا حَمَلَهُمْ عَلَى ذَلِكَ رَبُّمَا تَمَرِّيقُ كِسْرَى كِتَابَ رَسُولِ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا مَزَقَهُ حَتَّى قَرَأَهُ كُلَّهُ وَعَرَفَ مَضْمُونَهُ، فَكَذَلِكَ

كَأَنْتَ تَفْعَلُ بِلُقَيْسٍ لَوْ لَمْ تُؤَفِّقْ لِمَا وَفَّقْتَ لَهُ، فَلَمْ تَكُنْ تَحْمِي الْكِتَابَ عَنِ

244

الْإِخْرَاقِ بِحُرْمَةِ صَاحِبِهِ تَقْدِيرِ يَمِ اسْمِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى اسْمِ اللَّهِ، وَلَا

نَأْخِيْرُهُ.

فَأَتَى سُلَيْمَانُ بِإِلَهِ حَمَتَيْنِ: رَحْمَةُ الْإِثْنَيْنِ، وَرَحْمَةُ الْوُجُوبِ، اللَّتَانِ
هُمَا: الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ. فَأَمَّا مَنْ بِإِلَهِ حَمْنٍ، وَأَوَّجَبَ بِإِلَهِ حِيمٍ. وَهَذَا الْوُجُوبُ مِنَ
الْإِثْنَيْنِ، فَدَخَلَ الرَّحِيمُ فِي الرَّحْمَنِ، دُخُولَ تَضَمُّنٍ.

فَإِنَّهُ ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [سورة الأَنْعَامِ: ١٢] سُبْحَانَهُ، لِيَكُونَ
ذَلِكَ لِلْعَبْدِ بِمَا ذَكَرَهُ الْحَقُّ مِنَ الْأَعْمَالِ، الَّتِي يَأْتِي بِهَا هَذَا الْعَبْدُ،
حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَوْ جَبَهُ لَهُ عَلَى نَفْسِهِ، يَسْتَحِقُّ بِهَا هَذِهِ الرَّحْمَةَ، أَعْنِي: رَحْمَةَ
الْوُجُوبِ.

وَمَنْ كَانَ مِنَ الْعَبِيدِ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ، فَإِنَّهُ يَعْلَمُ مَنْ هُوَ الْعَالِمُ مِنْهُ.

وَالْعَمَلُ مُقَسَّمٌ عَلَى ثَمَانِ نِيَّةٍ أَعْضَاءٍ [٤٦ وجه] مِنَ الْإِنْسَانِ.

245

وَقَدْ أَخْبَرَ الْحَقُّ أَنَّهُ تَعَالَى هُوَ يَتَى كُلُّ عُضْوٍ مِنْهَا، فَلَمْ يَكُنِ الْعَالِمُ غَيْرَ
الْحَقِّ، وَالصُّورَةُ لِلْعَبْدِ، وَالْهُوِيَّةُ مُدْرَجَةٌ فِيهِ، أَيُّ: فِي أَسْمِهِ لَا غَيْرُ.
لِأَنَّهُ تَعَالَى عَيْنُ مَا ظَهَرَ، وَسُمِّيَ خَلْقًا، وَبِهِ كَانَ الْأَسْمُ «الظَّاهِرُ»،
و«الْآخِرُ» لِلْعَبْدِ، وَبِكُونِهِ لَمْ يَكُنْ، ثُمَّ كَانَ.

وَبِتَوَقُّفِ ظُهُورِهِ عَلَيْهِ، وَصُدُورِ الْعَمَلِ مِنْهُ، كَانَ الْأَسْمُ «الْبَاطِنُ»
و«الْأَوَّلُ».

فَإِذَا رَأَى بَيَاتُ الْخَلْقِ، رَأَى بَيَاتَ «الْأَوَّلِ» وَ«الْآخِرِ»، وَ«الظَّاهِرِ»

و«الْبَاطِنِ».

وَهَذِهِ مَعْرِفَةٌ لَا يَغِيبُ عَنْهَا سُلَيْمَانٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بَلْ هِيَ مِنَ الْمَلِكِ

الَّذِي لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ، يَعْنِي: الظُّهُورُ بِهِ، فِي عَالَمِ الشَّهَادَةِ.

فَقَدْ أَوْتِيَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَا أَوْتِيَ سُلَيْمَانُ، وَمَا ظَهَرَ بِهِ،

فَمَكَّنَهُ اللَّهُ تَمَكِينَ قَهْرٍ مِنَ الْعِفْرِ يَتَى الَّذِي جَاءَهُ بِاللَّيْلِ لِيَفْتِكَ بِهِ، فَهَمَّ

بِأَخْذِهِ، وَرَبَطَهُ بِسَارِيَةٍ مِنَ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، حَتَّى يُصْبِحَ فَيَلْعَبُ بِهِ وَلَدَانِ

الْمَدِينَةِ. فَذَكَرَ دَعْوَةَ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَرَدَّهُ اللَّهُ خَاسِمًا، فَلَمْ يَظْهَرْ عَلَيْهِ

السَّلَامُ بِمَا أَقْدِرَ عَلَيْهِ، وَظَهَرَ بِذَلِكَ سُلَيْمَانُ.

ثُمَّ قَوْلُهُ: ﴿مُلْكًا﴾ [النساء: ٥٤] فَلَمْ يَعَمْ، فَعَلِمْنَا أَنَّهُ يُرِيدُ مُلْكًا مَا، وَرَأَيْنَاهُ

قَدْ شُورِكَ فِي كُلِّ جُزْءٍ، جُزْءٌ مِنَ الْمُلْكِ، الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ، فَعَلِمْنَا أَنَّهُ 246

مَا خُتِصَّ إِلَّا بِالْجَمُوعِ مِنْ ذَلِكَ، وَبِحَدِيثِ الْعِفْرِيتِ، أَنَّهُ مَا خُتِصَّ إِلَّا

بِالظُّهُورِ. وَقَدْ يُخْتَصُّ بِالْجَمُوعِ وَالظُّهُورِ.

وَلَوْ لَمْ يَقُلْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثِ الْعِفْرِيتِ: «فَأَمَّا مَكْنِيَّيَ اللَّهُ

مِنْهُ» لَقُلْنَا، أَنَّهُ لَمَّا هُمَا بِأَخْذِهِ، ذَكَرَهُ اللَّهُ دَعْوَةَ سُلَيْمَانَ، لِيَعْلَمَ أَنَّهُ لَا

يُقَدِّرُهُ اللَّهُ عَلَى أَخْذِهِ، فَزَدَهُ اللَّهُ خَاسِيًا، فَلَمَّا قَالَ: «فَأَمَّا مَكْنِيَّيَ اللَّهُ مِنْهُ»،

عَلِمْنَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ وَهَبَهُ التَّصَرُّفَ فِيهِ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ ذَكَرَهُ، فَتَذَكَّرَ دَعْوَةَ

سُلَيْمَانَ، فَتَادَّبَ مَعَهُ، فَعَلِمْنَا مِنْ هَذَا أَنَّ الَّذِي لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ —

بَعْدَ سُلَيْمَانَ — الظُّهُورُ بِذَلِكَ فِي الْعُمُومِ.

وَلَيْسَ غَرَضُنَا مِنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، إِلَّا الْكَلَامُ وَالْتِنْيَةُ عَلَى الرَّحْمَتَيْنِ،

الَّتَيْنِ ذَكَرَهُمَا سُلَيْمَانُ فِي الْاِسْمَيْنِ [٤٦ ظهر] اللَّذَيْنِ تَفْسِيرُهُمَا بِلِسَانِ

الْعَرَبِ: «الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ».

فَقَدِيدَ رَحْمَةِ الْوُجُوبِ، وَأَطْلَقَ رَحْمَةَ الْاِسْمَيْنِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَرَحْمَتِي 247

وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٦]، حَتَّى الْاِسْمَاءِ إِلَّا لِهَيْئَةٍ، أَعْنِي:

حَقًّا يَقُ النَّسَبِ.

فَأَمَّا مَكْنِيَّيَ بِنَا، فَنَحْنُ بِنَتِيجَةِ رَحْمَةِ الْاِسْمَيْنِ بِالْاِسْمَاءِ إِلَّا لِهَيْئَةٍ، وَالنَّسَبِ

الرَّابِّ نِيَّةً.

ثُمَّ أَوْجَبَهَا عَلَى نَفْسِهِ، بِظُهُورِ نَا لَنَا، وَأَعْلَمْنَا أَنَّهُ هُوَ يَتَنَا، لِنَعْلَمَ أَنَّهُ

مَا أَوْجَبَهَا عَلَى نَفْسِهِ إِلَّا لِنَفْسِهِ، فَمَا خَرَجَتْ الرَّحْمَةُ عَنْهُ، فَعَلَى مَنْ أَمَّتْ،

وَمَا ثُمَّ إِلَّا هُوَ.

إِلَّا أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ حُكْمِ لِسَانِ التَّفْصِيلِ لِمَا ظَهَرَ مِنْ تَقَا ضُلِّ الْخَلْقِ فِي

الْعُلُومَ، حَتَّى يُقَالَ: أَنَّ هَذَا أَعْلَمَ مِنْ هَذَا، مَعَ أَحَدِيَّةِ الْعَيْنِ.

وَمَعْنَاهُ: مَعْنَى 'نَقْصِ تَعَلُّقِ الْإِرَادَةِ عَنِ تَعَلُّقِ الْعِلْمِ، فَهَذِهِ مُفَا ضَلَّةٌ فِي الصِّفَاتِ إِلَّا لِهَيْئَةٍ، وَكَمَالِ تَعَلُّقِ الْإِرَادَةِ، وَفَضْلِهَا وَزِيَادَتِهَا عَلَى تَعَلُّقِ الْقُدْرَةِ، وَكَذَلِكَ السَّمْعُ إِلَّا لِهَيْئَةٍ وَابْصَرُ، وَجَمِيعُ الْأَسْمَاءِ إِلَّا لِهَيْئَةٍ عَلَى دَرَجَاتٍ فِي تَقَا ضُلِّ بَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ، كَذَلِكَ تَقَا ضَلِّ مَا ظَهَرَ فِي الْخَلْقِ مِنْ أَنَّ يُقَالَ هَذَا أَعْلَمُ مِنْ هَذَا مَعَ أَحَدِيَّةِ الْعَيْنِ.

وَكَمَا أَنَّ كُلَّ اسْمٍ إِلَهِيٍّ إِذَا قَدْ مَنَّهُ سَمِيَّتُهُ بِجَمِيعِ الْأَسْمَاءِ، وَنَعْتَهُ بِهَا، كَذَلِكَ فِيَمَا ظَهَرَ مِنَ الْخَلْقِ فِيهِ أَهْلِيَّةُ كُلِّ مَا فُو ضِلَّ بِهِ فَكُلُّ جُزْءٍ مِنَ الْعَالَمِ، مَجْمُوعُ الْعَالَمِ. أَيُّ: هُوَ قَائِلٌ لِحَقٍّ بِقِيٍّ مُتَقَرِّقَاتِ الْعَالَمِ لَمْ كُلِّهِ، فَلَا يَقْدَحُ قَوْلُنَا: أَنَّ زَيْدًا دُونَ عَمْرٍو فِي الْعِلْمِ. أَنَّ تَكُونَ هُوِيَّةُ الْحَقِّ عَيْنَ زَيْدٍ وَعَمْرٍو. وَيَكُونُ فِي عَمْرٍو أَكْمَلُ وَأَعْلَمُ مِنْهُ فِي زَيْدٍ. كَمَا تَقَا ضَلَّتِ الْأَسْمَاءُ إِلَّا لِهَيْئَةٍ، وَلَيْسَتْ غَيْرَ الْحَقِّ.

248

فَهُوَ تَعَالَى مِنْ حَيْثُ هُوَ، عَالِمٌ أَعْمُ فِي التَّعَلُّقِ مِنْ حَيْثُ مَا هُوَ مُرِيدٌ وَقَادِرٌ، وَهُوَ هُوَ، لَيْسَ غَيْرُهُ، فَلَا تَعْلَمُهُ هُنَا، يَا وَلِيُّ، وَتَجْهَلُهُ هُنَا، وَتُنْبِئُهُ هُنَا، وَتَنْفِيهِ هُنَا.

إِلَّا أَنَّ أَنْبَتَهُ بِأَلَوْجِهِ الَّذِي أَنْبَتَ نَفْسَهُ، وَنَفَيْتَهُ عَنْ كَذَا، بِأَلَوْجِهِ الَّذِي نَفَى نَفْسَهُ، كَالْآيَةِ الْجَامِعَةِ لِلنَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ فِي حَقِّهِ، حِينَ قَالَ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [سُورَةُ الشُّورَى: ١١] فَنَفَى. ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سُورَةُ الشُّورَى: ١١]، فَأَثْبَتَ بِصِفَةِ تَعَمُّ [٤٧ وَجْه] كُلِّ سَاءٍ مَعَ بَصِيرٍ مِنْ حَيَوَانٍ.

وَمَا تَمَّ إِلَّا حَيَوَانٌ، إِلَّا أَنَّهُ بَطْنٌ فِي الدُّنْيَا عَنْ إِدْرَاكِ بَعْضِ النَّاسِ، وَظَهَرَ فِي الْآخِرَةِ لِكُلِّ النَّاسِ، فَإِنَّهَا الدَّارُ الْحَيَوَانُ، وَكَذَلِكَ الدُّنْيَا إِلَّا أَنَّ حَيَاتَهَا مَسْتُورَةٌ عَنْ بَعْضِ الْعِبَادِ، لِيُظْهَرَ الْاِخْتِصَاصُ وَالْمُفَا ضَلَّةٌ بَيْنَ عِبَادِ اللَّهِ، بِمَا يُدْرِكُونَهُ مِنْ حَقٍّ يَقِي الْعَالَمِ.

249

فَمَنْ عَمَّ إِدْرَا كُهُ كَانَ الْحَقُّ فِيهِ أَظْهَرَ فِي الْحُكْمِ، مِمَّنْ لَيْسَ لَهُ ذَلِكَ الْعُمُومُ.

فَلَا تُحْجَبُ بِاِ لْتَفَا ضُلِّ. وَتَقُولُ: لَا يَصِحُّ كَلَامُ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ الْخَلْقَ هُوِيَّةُ الْحَقِّ بَعْدَ مَا أَرَيْتُكَ التَّفَا ضُلَّ فِي الْأَسْمَاءِ إِلَّا لِهِيَّةِ، الَّتِي لَا تَشْكُ أَنْتَ، أَنَّهَا هِيَ الْحَقُّ، وَمَدَّ لَوْ لَهَا الْمُسَمَّى بِهَا، وَلَيْسَ إِلَّا اللَّهُ. ثُمَّ إِنَّهُ كَيْفَ يَقْدَمُ سُلَيْمَانُ أَسْمَهُ عَلَى أَسْمِ اللَّهِ، كَمَا زَعَمُوا، وَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ مَنْ أَوْ جَدَّ تَهُ الرِّ حَمَةُ.

فَلَا بَدَّ أَنْ يَتَقَدَّمَ الرَّ حَمْنُ الرَّ حِيمُ لِيَصِحَّ اسْتِنَادُ الْمَرْ حُومِ، هَذَا عَكْسُ الْحَقَائِقِ، تَقْدِيمُ مَنْ يَسْتَحِقُّ التَّأْ خِيرَ، وَتَأْ خِيرُ مَنْ يَسْتَحِقُّ التَّقْدِيمَ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يَسْتَحِقُّهُ.

250

وَمِنْ حِكْمَةِ بَلْقَيْسَ وَعُلُوِّ عِلْمِهَا، كَوْنُهَا لَمْ تَذْكُرْ مَنْ أَلْقَى إِلَيْهَا الْكِتَابَ، وَمَا عَمِلَتْ ذَلِكَ إِلَّا لِتُعْلِمَ أَصْحَابَهَا أَنَّ لَهَا اتِّصَالَ إِلَى أُمُورٍ لَا يَعْلَمُونَ طَرِيقَهَا، وَهَذَا مِنَ النَّدْبِ بِإِلَهِ فِي الْمُلْكِ، لِأَنَّهُ إِذَا جُهِلَ طَرِيقُ إِلَّا خَبَارِ، الْوَا صِلِ لِلْمُلْكِ، خَافَ أَهْلُ الدَّوْلَةِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ فِي تَصَرُّفَاتِهِمْ، فَلَا يَتَصَرَّفُونَ إِلَّا فِي أَمْرِ، إِذَا وَصَلَ إِلَى سُلْطَانِهِمْ عَنْهُمْ، يَأْمَنُونَ غَا بِلَةَ ذَلِكَ التَّصَرُّفِ، فَلَوْ تَعَيَّنَ لَهُمْ عَلَى يَدَيِّ مَنْ تَصِلُ الْأَخْبَارُ إِلَى مَلِكِهِمْ لَصَا نِعْوُهُ، وَأَعْظَمُوا لَهُ الرَّ شَا، حَتَّى يَفْعَلُوا مَا يُرِيدُونَ، وَلَا يَصِلُ ذَلِكَ إِلَى مَلِكِهِمْ. فَكَانَ قَوْلُهَا ﴿أَلْقِي إِلَيَّ﴾ [سورة النمل: ٢٩] وَلَمْ تُسَمِّ مَنْ أَلْقَاهُ سِيَا سَةً مِنْهَا، أَوْ رَثَتْ الْحَذَرَ مِنْهَا فِي أَهْلِ مَمْلَكَتِهَا، وَخَوَاصِّ مَدَبَرِ يَهَا، وَبِهَذَا اسْتَحَقَّتِ النَّقْدُ عَلَيْهِمْ.

وَأَمَّا فَضْلُ الْعَالِمِ مِنَ الصَّنْفِ إِلَّا نَسَا نِيَّ عَلَى الْعَالِمِ مِنَ الْجِنِّ بِأَسْرَارِ التَّصَرُّفِ، وَخَوَاصِّ الْأَشْيَاءِ، فَمَعْلُومٌ بِاِ لْقَدْرِ الرَّ مَا نِيَّ، فَإِنَّ رُجُوعَ الطَّرْفِ إِلَى النَّا ظِرِّ بِهِ [٤٧ ظهر] أَسْرَعُ مِنْ قِيَامِ الْقَائِمِ مِنْ مَجْلِسِهِ، لِأَنَّ حَرَكَةَ الْبَصَرِ

فِي الْإِدْرَاكِ إِلَى مَا يُدْرِكُهُ أَسْرَعُ مِنْ حَرَكَةِ الْجِسْمِ فِيمَا يَتَحَرَّكُ مِنْهُ، فَإِنَّ
 251 الزَّمانَ الَّذِي يَتَحَرَّكُ فِيهِ الْبَصَرُ، عَيْنُ الزَّمانِ الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِمُبْصَرِهِ مَعَ بُعْدِ
 الْمَسَافَةِ بَيْنَ النَّاطِقِ وَالْمَنْظُورِ، فَإِنَّ زَمَانَ فَتْحِ الْبَصَرِ، زَمَانُ تَعَلُّقِهِ بِفَلَكَ
 الْكَوَاكِبِ الثَّابِتَةِ، وَزَمَانُ رُجُوعِ طَرَفِهِ إِلَيْهِ، عَيْنُ زَمَانِ عَدَمِ إِدْرَاكِهِ.

وَالْقِيَامُ مِنْ مَقَامٍ إِلَّا نَسَانٍ لَيْسَ كَذَلِكَ، أَيُّ: لَيْسَ لَهُ هَذِهِ السُّرْعَةُ.
 فَكَانَ أَصِفُ بْنُ بَرٍّ خِيَا أَتَمَّ فِي الْعَمَلِ مِنَ الْجِنِّ، فَكَانَ عَيْنُ قَوْلِ
 252 أَصِفِ بْنِ بَرٍّ خِيَا، عَيْنُ الْفِعْلِ فِي الزَّمانِ لَوْأَ حَدٍ، فَرَأَى فِي ذَلِكَ الزَّمانِ بَعِيْنَهُ
 سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَرْشَ بَلْقَيْسَ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ لِئَلَّا يَتَخَيَّلَ أَنَّهُ أَدْرَكَهُ وَهُوَ
 فِي مَكَانِهِ مِنْ غَيْرِ انْتِقَالٍ.

وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَ نَا بٍ تَحَادٍ الزَّمانِ انْتِقَالُ. وَإِنَّمَا كَانَ إِعْدَامُ وَاجِدٍ، مِنْ
 حَيْثُ لَا يَشْعُرُ أَحَدٌ بِذَلِكَ، إِلَّا مَنْ عَرَفَهُ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ
 مِنْ خَلْقِ جَدِّ يَدٍ﴾ [سورَةُ ق: ١٥].

وَلَا يَمْضِي عَلَيْهِمْ وَقْتُ لَا يَرَوْنَ فِيهِ مَا هُمْ رَاوُونَ لَهُ.
 وَإِذَا كَانَ هَذَا كَمَا ذَكَرْنَا، فَكَانَ زَمَانُ عَدَمِهِ؛ أَعْنِي: عَدَمُ الْعَرْشِ مِنْ
 مَكَانِهِ، عَيْنُ وُجُودِهِ عِنْدَ سُلَيْمَانَ، مِنْ تَجَدُّدِ الْخَلْقِ مَعَ الْأَنْفَاسِ، وَلَا عِلْمُ
 لِأَحَدٍ بِهَذَا الْقَدْرِ، بَلِ إِلَّا نَسَانُ لَا يَشْعُرُ بِهِ مِنْ نَفْسِهِ، أَنَّهُ فِي كُلِّ نَفْسٍ لَا
 يَكُونُ، ثُمَّ يَكُونُ.

وَلَا تَقُلْ: «ثُمَّ» تَقْتَضِي «الْمُهْلَةَ»، فَلَيْسَ ذَلِكَ بِصَحِيحٍ. وَإِنَّمَا «ثُمَّ»
 تَقْتَضِي تَقَدُّمَ الرُّتْبَةِ الْعَلِيَّةِ عِنْدَ الْعَرَبِ فِي مَوَاضِعَ مَخْصُوصَةٍ، كَقَوْلِ
 الشَّاعِرِ: [الْمُتَقَارِبُ]

253 كَهَزَ الرُّدَّيْنِي ثُمَّ اضْطَرَبَ
 وَزَمَانُ الْهَزِّ عَيْنُ زَمَانِ اضْطَرَابِ الْمَهْزُوزِ بِلا شَكٍّ، وَقَدْ جَاءَ بِـ«ثُمَّ»
 وَلَا «مُهْلَةً»، كَذَلِكَ تَجَدُّدِ الْخَلْقِ مَعَ الْأَنْفَاسِ، زَمَانُ الْعَدَمِ، زَمَانُ وُجُودِ

الْمِثْلُ، كَتَجَدَّ يَدِ الْأَعْرَاضِ فِي دَلِيلِ الْأَشْأَةِ عِرَّةَ.

254

فَإِنَّ مَسَاءَ لَهْ حُصُولِ عَرْشِ بَلْقَيْسَ مِنْ أَشْكَالِ الْمَسَائِلِ، إِلَّا عِنْدَ مَنْ
عَرَفَ مَا ذَكَرَ نَاهُ أَنْفَاءً فِي قِصَّتِهِ.

فَلَمْ يَكُنْ لِصِفِّ مِنَ الْفَضْلِ فِي ذَلِكَ، إِلَّا حُصُولَ التَّجَدُّدِ يَدِ فِي مَجْلِسِ
سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

[٤٨ وجه] فَمَا قَطَعَ الْعَرْشُ مَسَاءَ فَهْ، وَلَا زُوَيْتَ لَهُ أَرْضُ، وَلَا خَرَقَهَا، لِنَ
فَهُمْ مَا ذَكَرَ نَاهُ.

وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى يَدَيْ بَعْضِ أَصْحَابِ سُلَيْمَانَ، لِيَكُونَ أَكْثَمَ لِسُلَيْمَانَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِي نَفُوسِ الْحَاضِرِينَ مِنْ بَلْقَيْسَ وَأَصْحَابِهَا.

وَسَبَبُ ذَلِكَ كَوْنُ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هِبَةً لِلَّهِ تَعَالَى لِذَاوُدَ، مِنْ قَوْلِهِ:

﴿وَوَهَبْنَا لِذَاوُدَ سُلَيْمَانَ﴾ [سورة ص: ٣٠]، وَآلِهَبَهُ عَطَاءُ الْوَاهِبِ بِطَرِيقِ

الْإِنْعَامِ، لَا بِطَرِيقِ الْجَزَاءِ الْوِفَاقِ، أَوْ اللَّاسْتِحْقَاقِ.

فَهُوَ النُّعْمَةُ السَّابِغَةُ، وَالْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ، وَالضَّرْبَةُ الدَّامِغَةُ.

255

وَأَمَّا مَا عَلَّمَهُ فَقَوْلُهُ: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ [سورة الأنبياء: ٧٩] مَعَ نَقِيضِ

الْحُكْمِ، ﴿وَكُلًّا﴾ آتَاهُ ﴿اللَّهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [سورة الأنبياء: ٧٩]. فَكَانَ عِلْمُ

ذَاوُدَ عِلْمًا مُؤْتَى، آتَاهُ اللَّهُ. وَعِلْمُ سُلَيْمَانَ، عِلْمُ اللَّهِ فِي الْمَسْأَلَةِ، إِذَا كَانَ

الْحَاقِ كَيْمُ بِلَا وَاسِطَةٍ، وَكَانَ سُلَيْمَانُ تَرْجُمانَ حَقِّ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ. كَمَا أَنَّ

الْمُجْتَهِدَ الْمُصِيبَ، لِحُكْمِ اللَّهِ الَّذِي يَحْكُمُ بِهِ اللَّهُ فِي الْمَسْأَلَةِ، لَوْ تَوَلَّى هَا

بِنَفْسِهِ، أَوْ بِمَا يُوجِبُ بِهِ لِرَسُولِهِ، لَهُ أَجْرَانِ، وَالْمُخْطِئُ — لِهَذَا الْحُكْمِ

الْمُعَيَّنِ — لَهُ أَجْرٌ، مَعَ كَوْنِهِ عِلْمًا وَحُكْمًا.

فَأُعْطِيََتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ رُتْبَةُ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْحُكْمِ،

وَرُتْبَةُذَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَمَا أَفْضَلُهَا مِنْ أُمَّةٍ.

وَلَمَّا رَأَتْ بَلْقَيْسُ عَرْشَهَا، مَعَ عِلْمِهَا بِبُعْدِ الْمَسَافَةِ، وَأَسْتَحَالَ أَنْتَقَالَ لَهَا فِي

تِلْكَ الْمُدَّةُ عِنْدَهَا، ﴿قَالَ لَئِنْ كُنْتُ هُوَ﴾ [سورة النمل: ٤٢] وَصَدَّقَتْ بِمَا
ذَكَرَ نَاهُ مِنْ تَجْدِيدِ الْخَلْقِ بِأَلَمِثَالٍ، وَهُوَ هُوَ، وَصَدَّقَ الْأَمْرُ. كَمَا أَنَّكَ
فِي زَمَانِ التَّجْدِيدِ، عَيْنُ مَا أَنْتَ فِي الزَّمَنِ الْمَاضِي.

ثُمَّ إِنَّهُ مِنْ كَمَالِ عِلْمِ سُلَيْمَانَ، التَّنْبِيهُ الَّذِي ذَكَرَهُ فِي الصَّرْحِ: ﴿فَقِيلَ
لَهَا أَدْخِلِي الصَّرْحَ﴾ [سورة النمل: ٤٤] وَكَانَ صَرْحًا أَمْلَسَ، لَا أَمْتَ فِيهِ، مِنْ
زُجَاجٍ، فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسَبَتْهُ مَاءً، ﴿فَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا﴾ [سورة النمل: ٤٤]
حَتَّى لَا يُصِيبَ الْمَاءُ ثَوْبَهَا، فَتَبَهَّهَا بِذَلِكَ عَلَى أَنْ عَرَّ شَهَا الَّذِي رَأَتْهُ مِنْ هَذَا
الْقَبِيلِ، وَهَذَا غَايَةُ الْإِنْصَافِ، فَإِنَّهُ أَعْلَمَهَا بِذَلِكَ إِصَابَتَهَا فِي قَوْلِهَا: ﴿كَأَنَّ
هُوَ﴾ [سورة النمل: ٤٢].

فَقَالَ لَهَا عِنْدَ ذَلِكَ: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ﴾ [سورة
النمل: ٤٤] أَيْ: إِسْلَامَ سُلَيْمَانَ ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة النمل: ٤٤].
فَمَا أَنْقَادَتْ لِسُلَيْمَانَ وَإِنَّمَا أَنْقَادَتْ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، وَسُلَيْمَانُ مِنَ
الْعَالَمِينَ، فَمَا تَقَيَّدَتْ فِي أَنْقِيَادِهَا، كَمَا لَا تَقَيَّدُ الرُّسُلُ [٤٨ ظهر] فِي
أَعْتِقَادِهَا فِي اللَّهِ.

بِخِلَافِ فِرْعَوْنَ، فَإِنَّهُ قَالَ: ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٢٢؛
الشعراء: ٤٨]، وَإِنْ كَانَ يَلْحَقُ بِهَذَا الْأَنْقِيَادِ الْبَلْقَيْسِيُّ مِنْ وَجْهِهِ، وَلَكِنْ لَا
يَقْوَى قُوَّتُهُ، فَكَأَنَّ أَفْقَهُ مِنْ فِرْعَوْنَ فِي الْأَنْقِيَادِ لِلَّهِ.
وَكَانَ فِرْعَوْنُ تَحْتَ حُكْمِ الْوَقْتِ، حَيْثُ قَالَ: ﴿أَمَنْتُ بِالَّذِي أَمَنْتُ بِهِ

بَنُو إِسْرَئِيلَ﴾، [اقتباس سورة يونس: ٩٠] فَخَصَّصَ، وَإِنَّمَا خَصَّصَ لِمَا رَأَى
السَّحْرَةَ قَالُوا فِي إِيْمَانِهِمْ بِاللَّهِ ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٢٢؛
الشعراء: ٤٨].

فَكَانَ إِسْلَامُ بَلْقَيْسٍ إِسْلَامَ سُلَيْمَانَ، إِذْ قَالَ لَهَا ﴿مَعَ سُلَيْمَانَ﴾ [سورة النمل
: ٤٤]، فَتَبِعَتْهُ.

فَمَا يَمُرُّ بِشَيْءٍ مِنَ الْعَفَا يَدِّ إِلَّا مَرَّتْ بِهِ، مُعْتَقِدَةً ذَلِكَ، كَمَا نَحْنُ عَلَى
الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، الَّذِي الرَّبُّ عَلَيْهِ، لِكُونِ نَوَا صِينَا فِي يَدِهِ، وَيَسْتَحِيلُ
مُفَارَقَتَنَا إِيَّاهُ.

فَنَحْنُ مَعَهُ بِالتَّصْمِينِ، وَهُوَ مَعَنَا بِالتَّصَرُّيحِ، فَإِنَّهُ قَالَ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا
كُنْتُمْ﴾ [سورة لحد يد: ٤]، وَنَحْنُ مَعَهُ بِكُونِهَا خِذَا بِنَوَا صِينَا.
فَهُوَ تَعَالَى مَعَ نَفْسِهِ حَيْثُمَا مَشَى بِنَا مِنْ صِرَاطِهِ، فَمَا أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِ إِلَّا
عَلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ، وَهُوَ صِرَاطُ الرَّبِّ تَعَالَى.
وَكَذَا عَلِمْتُ بِلَقَيْسٍ مِنْ سُلَيْمَانَ، فَقَالَ لَت: ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة
النمل: ٤٤]، وَمَا خَصَصْتُ عَالَمًا مِنْ عَالَمٍ.

وَأَمَّا التَّسْخِيرُ الَّذِي اخْتَصَّ بِهِ سُلَيْمَانُ وَفَضَلَ بِهِ غَيْرُهُ وَجَعَلَهُ اللَّهُ لَهُ مِنَ
الْمُلْكِ، الَّذِي لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ، فَهُوَ كَوْنُهُ عَنْ أَمْرِهِ، فَقَالَ:
﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾ [سورة ص: ٣٦]، فَمَا هُوَ مِنْ كَوْنِهِ
تَسْخِيرًا، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ فِي حَقِّنَا كُلَّنَا مِنْ غَيْرِ تَخْصِيصٍ ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا
فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾ [الجن: ١٣]، وَقَدْ ذَكَرَ تَسْخِيرَ
الرِّيحِ وَالنُّجُومِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَلَكِنْ لَا عَنْ أَمْرِنَا، بَلْ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ، فَمَا
اخْتَصَّ سُلَيْمَانُ، إِنْ عَقَلْتُ، إِلَّا بِالْأَمْرِ مِنْ غَيْرِ جَمْعِيَّةٍ وَلَا هِمَّةٍ، بَلْ بِمَجَرَّدِ
الْأَمْرِ، وَإِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ لِأَنَّا نَعْرِفُ أَنَّ أَجْرَامَ الْعَالَمِ تَنْفَعِلُ لَهُمُ النَّفُوسُ إِذَا
أُقِيمَتْ فِي مَقَامِ الْجَمْعِيَّةِ، وَقَدْ عَايَنَّا ذَلِكَ فِي هَذَا الطَّرِيقِ، فَكَانَ مِنْ
سُلَيْمَانَ مُجَرَّدُ التَّلَفُّظِ بِالْأَمْرِ [٤٩ وجه] لِمَنْ أَرَادَ تَسْخِيرَهُ، مِنْ غَيْرِ هِمَّةٍ
وَلَا جَمْعِيَّةٍ.

وَأَعْلَمُ — أَيْدَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ بِرُوحٍ مِنْهُ — أَنَّ مِثْلَ هَذَا الْعَطَاءِ إِذَا حَصَلَ
لِلْعَبْدِ — أَيْ عَبْدٍ كَانَ — فَإِنَّهُ لَا يَنْقُصُهُ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِ آخِرَتِهِ، وَلَا يُحْسَبُ
عَلَيْهِ، مَعَ كَوْنِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ طَلَبَهُ مِنْ رَبِّهِ تَعَالَى، فَيَقْتَضِي ذَوْقَ

الطَّرِيقِ أَنْ يَكُونَ قَدْ عَجَّلَ لَهُ مَا أَدَّ خَرَّ لِغَيْرِهِ، وَيُحَا سِبُّ بِهِ إِذَا أَرَادَهُ فِي
الْآخِرَةِ.

فَقَالَ اللَّهُ لَهُ: ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا ﴾ [سورة ص: ٣٩]، وَلَمْ يَقُلْ لَكَ وَلَا لِغَيْرِكَ
﴿ فَأَمْنٌ ﴾ [سورة ص: ٣٩] أَيْ: أَعْطِ ﴿ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [سورة ص:
٣٩].

فَعَلِمْنَا مِنْ ذَوِقِ الطَّرِيقِ أَنْ سُئِلَ لَهُ ذَلِكَ كَانَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ، وَاسْتَلْبُ إِذَا
وَقَعَ عَنِ الْأَمْرِ إِلَّا لَهِي، كَانَ الطَّالِبُ لَهُ، الْأَجْرُ التَّامُّ عَلَى طَلَبِهِ، وَالْبَارِي
تَعَا لِي إِنْ شَاءَ قَضَى حَاجَتَهُ فِيمَا طَلَبَ مِنْهُ، وَإِنْ شَاءَ أَمْسَكَ، فَإِنَّ الْعَبْدَ قَدْ
وَفَّى مَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ أَمْتِنَا لَهُ أَمْرُهُ، فِيمَا سَأَلَ رَبَّهُ فِيهِ، فَلَوْ سَأَلَ ذَلِكَ
مِنْ نَفْسِهِ، عَنْ غَيْرِ أَمْرِ رَبِّهِ لَهُ بِذَلِكَ، لَحَا سَبَّهُ بِهِ.

وَهَذَا سَارٍ فِي جَمِيعِ مَا يَسْأَلُ فِيهِ اللَّهُ تَعَا لِي، وَكَمَا قَالَ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ
السَّلَامُ: ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٤]، فَأَمْتَنَ أَمْرَ رَبِّهِ، فَكَانَ يَطْلُبُ
الزِّيَادَةَ مِنَ الْعِلْمِ، حَتَّى كَانَ إِذَا سَيِّقَ لَهُ لَبَنٌ، يَتَأَوُّ لَهُ عِلْمًا، كَمَا تَأَوَّلَ رُؤْيَاهُ،
لَمَّا رَأَى فِي النَّوْمِ أَنَّهُ أَوْ تِي بِقَدَحٍ لَبَنٍ فَشَرِبَهُ، وَأَعْطَى فَضْلَهُ عُمَرَ بْنِ
الْخَطَّابِ، قَالُوا: فَمَا أَوْلَتْهُ؟ قَالَ: الْعِلْمُ. وَكَذَلِكَ لَمَّا أُسْرِيَ بِهِ، أَتَاهُ الْمَلِكُ
بِإِنَاءٍ فِيهِ لَبَنٌ، وَإِنَاءٌ فِيهِ خَمْرٌ، فَشَرِبَ اللَّبَنَ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَصَبْتَ
الْفِطْرَةَ، أَصَابَ اللَّهُ بِكَ أُمْتَكَ. فَالْلَبَنُ مَتَى ظَهَرَ. فَهُوَ صُورَةُ الْعِلْمِ، فَهُوَ الْعِلْمُ
تَمَثَّلَ فِي صُورَةِ اللَّبَنِ، كَجَبْرِ بَيْلٍ تَمَثَّلَ فِي صُورَةِ بَشَرٍ سَوِيٍّ لِرَيْمٍ.

وَلَمَّا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الْإِنْسَانُ نِيَامٌ فَإِذَا مَا تَوَّأ أَنْتَبَهُوا». نَبَّهَ عَلَى
أَنَّهُ كُلُّ مَا يَرَاهُ إِلَّا نَسَانُ فِي حَيَاتِهِ الدُّنْيَا، إِنَّمَا هُوَ بِمَنْزِلَةِ الرُّؤْيَا لِلنَّاسِ، خَيَالٌ.
فَلَا بُدَّ مِنْ تَأْوِيلِهِ.

[مَجْزُوءُ الرَّمَلِ]

١- إِنَّمَا الْكَوْنُ خَيَالٌ وَهُوَ حَقٌّ فِي الْحَقِيقَةِ

[٤٩ ظهر]

فَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قُدِّمَ لَهُ لَبَنٌ، قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ وَزِدْ نَا مِنْهُ» لِأَنَّهُ كَانَ يَرَاهُ صُورَةَ الْعِلْمِ، وَقَدْ أَمَرَ بِطَلَبِ الزَّيَادَةِ مِنَ الْعِلْمِ، وَإِذَا قُدِّمَ إِلَيْهِ غَيْرُ اللَّبَنِ قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ وَأَطْعِمْنَا خَيْرًا مِنْهُ»،²⁶² فَمَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا أَعْطَاهُ بِسُؤَالٍ عَنْ أَمْرِ إِلَهِيٍّ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحَا سِبُهُ بِهِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، وَمَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا أَعْطَاهُ بِسُؤَالٍ عَنْ غَيْرِ أَمْرِ إِلَهِيٍّ، فَلَا مَرْ فِيهِ إِلَى اللَّهِ، إِنْ شَاءَ حَا سَبُهُ بِهِ، وَإِنْ شَاءَ لَمْ يُحَا سِبُهُ، وَأَزْ جُو مِنَ اللَّهِ فِي الْعِلْمِ حَا صَّةً، أَنَّهُ لَا يُحَا سِبُهُ بِهِ.

فَإِنَّ أَمْرَهُ لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِطَلَبِ الزَّيَادَةِ مِنَ الْعِلْمِ، عَيْنُ أَمْرِهِ لِأَمْتِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، وَآيُ أُسْوَةٍ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا التَّأْسِي، لِمَنْ عَقَلَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى؛ وَلَوْ نَبَّهْنَا عَلْنَا لِقَامِ السُّلَيْمَانِ نَبِيِّ عَلَى تَمَامِهِ، لَرَأَيْتُ أَمْرًا يَهُوَ لَكَ الْإِطْلَافُ عَلَيْهِ، فَإِنَّ أَكْثَرَ عُلَمَاءِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ، جَهَلُوا حَا لَةَ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَكَ نَتَهُ، وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا رَعَمُوا.

[١٧] ﴿فَصَّ حِكْمَةً وَجُودِيَّةً فِي كَلِمَةِ دَاوُدَ يَّةً﴾²⁶³

أَعْلَمَ أَنَّهُ لَمَّا كَانَتْ النُّبُوءَةُ وَالرَّسَالَةُ أَخْتَصَا صَا إِلَهِيًّا لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ الْاُكْتِسَابِ، أَعْنِي: نُبُوءَةُ التَّشْرِيعِ، كَانَتْ عَطَا يَاهُ تَعَالَى لَهُمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ مَوَاهِبُ لَيْسَتْ جَزَاءً وَلَا يَطْلُبُ عَلَيْهَا مِنْهُمْ جَزَاءً، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُمْ عَلَى طَرِيقِ الْإِنْعَامِ وَالْإِفْضَالِ.

فَقَالَ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ اسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [سورة الأنعام: ٨٤]، يَعْني:

لِإِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ. وَقَالَ فِي أَيُّوبَ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ [سورة ص:

٤٣]، وَقَالَ فِي حَقِّ مُوسَى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾

[سورة مریم: ٥٣] اِلٰى مِثْلِ ذٰلِكَ، فَا لِّذِي نَوَلَّا هُمْ اَوَّلًا هُوَ الَّذِي نَوَلَّا هُمْ فِي عُمُوْمٍ اٰحْوَا لِهٖمْ اَوْ اَكْثَرِ هَا، وَلَيْسَ اِلَّا اَسْمُهُ «الْوَهَّابُ».

وَقَالَ فِي حَقِّ دَاوُدَ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِّنَّا فَضْلًا﴾ [سورة سبأ: ١٠] فَلَمْ يَفْرَنْ بِهٖ جَزَاءً يَطْلُبُهٗ مِنْهٗ، وَلَا اَخْبَرَ اَنَّهُ اَعْطَاهُ هٰذَا الَّذِي ذَكَرَهٗ [٥٠ وجه] جَزَاءً، وَلَمَّا طَلَبَ الشُّكْرَ عَلٰى ذٰلِكَ بِا لْعَمَلِ طَلَبُهٗ مِنْ اٰلِ دَاوُدَ وَلَمْ يَتَعَرَّضْ لِدِكْرِ دَاوُدَ لِيَشْكُرَهٗ اِلَّا عَلٰى مَا اَنْعَمَ بِهٖ عَلٰى دَاوُدَ.

264

فَهُوَ فِي حَقِّ دَاوُدَ عَطَاءٌ نِّعْمَةٍ وَاِ فَضَالٍ، وَفِي حَقِّ اِلٰهِ عَلٰى غَيْرِ ذٰلِكَ لَطَلَبِ الْمَعَاوِضَةِ. فَقَالَ تَعَالٰى: ﴿اَعْمَلُوا اٰلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيْلٌ مِّنْ عِبَادِي اَلشَّاكِرُوْنَ﴾ [سورة سبأ: ١٣]، وَاِنْ كَا نْتَ الْاَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قَدْ شَكَرُوا اللّٰهَ تَعَالٰى عَلٰى مَا اَنْعَمَ بِهٖ عَلَيْهِمْ وَوَهَبَهُمْ، فَلَمْ يَكُنْ ذٰلِكَ عَنْ طَلَبٍ مِّنَ اللّٰهِ، بَلْ تَبَرَّعُوا بِذٰلِكَ مِّنْ نُّفُوْسِهِمْ. كَمَا قَامَ رَسُوْلُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتّٰى تَوَرَّعَتْ قَدَمَاهُ شُكْرًا لِّمَا غَفَرَ اللّٰهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهٖ وَمَا تَاَخَّرَ، فَلَمَّا قِيْلَ لَهُ فِي ذٰلِكَ، قَالَ: «اَفَلَا اَكُوْنُ عَبْدًا شَكُوْرًا؟». وَقَالَ فِي نُوحٍ: ﴿اِنَّهٗ كَانَ عَبْدًا شَكُوْرًا﴾ [سورة الاسراء: ٣]. فَا لَشُّكُوْرُ مِنْ عِبَادِ اللّٰهِ قَلِيْلٌ، فَاَوَّلُ نِّعْمَةٍ اَنْعَمَ اللّٰهُ بِهَا عَلٰى دَاوُدَ، اَنْ اَعْطَاهُ اَسْمًا لَيْسَ فِيْهِ حَرْفٌ مِّنْ حُرُوْفِ اِلَّا تَصَالٍ.

265

فَقَطَعَهُ عَنِ الْعَالِمِ بِذٰلِكَ اِخْبَارًا لَّنَا عَنْهُ بِمَجَرَّدِ هٰذَا اِلَّا سَمًّا، وَهِيَ الدَّالُّ وَالْاَلِفُ وَالْوَاوُ. وَسَمَّى مُحَمَّدًا بِحُرُوْفِ اِلَّا تَصَالٍ وَالْاَنْفِصَالِ، فَوَصَلَهُ بِهٖ، وَفَصَلَهُ عَنِ الْعَالِمِ، فَجَمَعَ لَهُ بَيْنَ الْحَا لَيْنِ فِي اَسْمِهٖ، كَمَا جَمَعَ لِدَاوُدَ بَيْنَ الْحَا لَيْنِ مِنْ طَرِيقِ الْمَعْنٰى، وَلَمْ يَجْعَلْ ذٰلِكَ فِي اَسْمِهٖ. فَكَانَ ذٰلِكَ اَخْتِصَا صًا لِمُحَمَّدٍ عَلٰى دَاوُدَ؛ اَعْنِي: التَّنْبِيْهَ عَلَيْهِ بِاَسْمِهٖ، فَتَمَّ لَهُ الْاَمْرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ جَمِيْعٍ جِهَاتِهٖ، وَكَذٰلِكَ فِي اَسْمِهٖ «اَحْمَدُ»، فَهٰذَا مِنْ حِكْمَةِ اللّٰهِ.

ثُمَّ قَالَ فِي حَقِّ دَاوُدَ فِيمَا أَعْطَاهُ عَلَى طَرِيقِ الْإِنْعَامِ عَلَيْهِ تَرْجِيْعُ الْجِبَالِ
مَعَهَا التَّسْبِيحَ، فَتَسْبِيحٌ لِتَسْبِيحِهِ، لِيَكُونَ لَهُ عَمَلُهَا، وَكَذَلِكَ
الطَّيْرِ. وَأَعْطَاهُ الْقُوَّةَ وَنَعْتَهُ بِهَا، وَأَعْطَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْخِطَابِ.
ثُمَّ الْمِنَّةَ الْكُبْرَى، وَالْمَكَانَةَ الزُّلْفَى، الَّتِي خَصَّهُ اللَّهُ بِهَا التَّنْصِيصُ
عَلَى خِلَافَتِهِ.

وَلَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مَعَ أَحَدٍ مِنْ أَبْنَاءِ جَنْسِهِ [٥٠ ظهر]. وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ خُلَفَاءُ.
فَقَالَ: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِأَلْحَقٍ
وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ﴾ [سورة ص: ٢٦] أَيُّ: مَا يَخْطُرُ لَكَ فِي حُكْمِكَ، مِنْ غَيْرِ
وَحْيٍ مِنِّي، ﴿فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [سورة ص: ٢٦] أَيُّ: عَنْ الطَّرِيقِ
الَّذِي أُوحِيَ بِهَا إِلَى رُسُلِي.

ثُمَّ تَأَدَّبَ سُبْحَانَهُ مَعَهُ، فَقَالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ
عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [سورة ص: ٢٦] وَلَمْ يَقُلْ: «فَإِنْ
ضَلَلْتُ عَنْ سَبِيلِي فَلَكَ عَذَابٌ شَدِيدٌ».
فَإِنْ قُلْتُ: وَادِمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَدْ نَصَّ عَلَى خِلَافَتِهِ. قُلْنَا: مَا نَصَّ
مِثْلَ التَّنْصِيصِ عَلَى دَاوُدَ. وَإِنَّمَا قَالَ لِلْمَلَايِكَةِ: ﴿إِنِّي جَاءُ فِي الْأَرْضِ
خَلِيفَةً﴾ [سورة البقرة: ٣٠] وَلَمْ يَقُلْ: «إِنِّي جَاءُ عَلَى آدَمَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ».
وَلَوْ قَالَ، لَمْ يَكُنْ مِثْلَ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً﴾ [سورة ص: ٢٦] فِي حَقِّ
دَاوُدَ. فَإِنَّ هَذَا مُحَقَّقٌ. وَذَلِكَ لَيْسَ كَذِبًا لَكَ. وَمَا يَدُلُّ ذِكْرُ آدَمَ فِي الْقِصَّةِ —
بَعْدَ ذَلِكَ — عَلَى أَنَّهُ عَيْنُ ذَلِكَ الْخَلِيفَةِ، الَّذِي نَصَّ اللَّهُ عَلَيْهِ. فَاجْعَلْ بَا لَكَ
لِخَبَارَاتِ الْحَقِّ عَنْ عِبَادِهِ إِذَا أَخْبَرَ.

وَكَذَلِكَ فِي حَقِّ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ: ﴿إِنِّي جَاءُ عَلَيْكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [سورة البقرة
: ١٢٤] وَلَمْ يَقُلْ: «خَلِيفَةً». وَإِنْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّ الْإِمَامَةَ — هُنَا — خِلَافَةٌ،
وَلَكِنْ مَا هِيَ مِثْلُهَا. لَوْ ذَكَرَ هَا بِأَخَصِّ أَسْمَاءِ بِهَا، وَهِيَ الْخِلَافَةُ.

ثُمَّ فِي دَاوُدَ مِنَ الْإِلَهِ خُتِصَّاصٍ بِإِخْلَافِهِ، أَنْ جَعَلَهُ خَلِيفَةً حُكْمٍ، وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا عَنْ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ: ﴿فَا حُكْمُ بَيْنَ النَّاسِ بِأَحَقِّ﴾ [سورة ص: ٢٦].
وإِخْلَافُهُ أَدَمَ قَدْ لَا تَكُونُ مِنْ هَذِهِ الْمَرَّةِ تَبَةً. فَتَكُونُ خِلَافَتُهُ، أَنْ يَخْلُفَ مَنْ كَانَ فِيهَا قَبْلَ ذَلِكَ، لَا أَنَّهُ نَا بُّ عَنْ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ، بِأَحْكُمْ إِلَّا لَهُيَّ فِيهِمْ، وَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَذَا لَكَ وَقَعَ، وَلَكِنْ لَيْسَ كَلَامُنَا إِلَّا فِي التَّنْصِصِ عَلَيْهِ،
وَالْتَّصِرِ بِهِ.

وَلِلَّهِ فِي الْأَرْضِ، خَلَا بٌ عَنْ اللَّهِ. وَهُمْ الرُّسُلُ، وَأَمَّا الْخِلَافَةُ الْيَوْمَ،
فَعَنِ الرُّسُلِ لَا عَنْ اللَّهِ.

فَإِنَّهُمْ مَا يَحْكُمُونَ إِلَّا بِمَا شَرَعَ لَهُمُ الرُّسُلُ، لَا يَخْرُجُونَ عَنْ ذَلِكَ.
غَيْرَ أَنَّ هَذَا قِيَفَةً لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا أَمْتَالُنَا، وَذَلِكَ كَيْفِي أَخَذَ

مَا يَحْكُمُونَ بِهِ، مِمَّا هُوَ شَرَعٌ لِلرُّسُلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

[٥١ وجه] فَالْخِلَافَةُ عَنْ الرُّسُلِ، مَنْ يَأْخُذُ الْحُكْمَ بِالنَّقْلِ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ بِالْأَجْتِهَادِ، الَّذِي أَصْلُهُ أَيْضًا مَنَقُولٌ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
وَفِينَا مَنْ يَأْخُذُهُ عَنْ اللَّهِ، فَيَكُونُ خَلِيفَةً عَنِ اللَّهِ، بِعَيْنِ ذَلِكَ الْحُكْمِ، فَيَكُونُ
الْمَادَّةَ لَهُ، مِنْ حَيْثُ كَانَتْ الْمَادَّةُ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَهُوَ فِي
الظَّاهِرِ مُتَّبِعٌ، لَعَدَمِ مَخَالَفَتِهِ فِي الْحُكْمِ. كَعِيسَى إِذَا نَزَلَ فَحَكَمَ. وَكَأَنِّي
مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي قَوْلِهِ: ﴿أَوَلَيْكَ الَّذِي هَدَى اللَّهُ فَبْهْدُ هُمْ

أَقْنَدَهُ﴾ [سورة الأَنْعَام: ٩٠].

وَهُوَ فِي حَقِّ مَا يَعْرِفُهُ مِنْ صُورَةِ الْأَخْذِ، مُخْتَصَّصٌ مُوَا فِقُ، هُوَ
فِيهِ بِمَنْزِلَةِ مَا قَرَّرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ شَرَعٍ مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ
الرُّسُلِ، بِكَوْنِهِ قَرَّرَهُ، فَاتَّبَعْنَاهُ مِنْ حَيْثُ تَقَرَّرَ بِهِ، لَا مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ شَرَعٌ لِغَيْرِهِ
قَبْلَهُ.

وَكَذَا لَكَ أَخَذَ الْخَلِيفَةُ عَنِ اللَّهِ، عَيْنَ مَا أَخَذَهُ مِنْهُ الرُّسُلُ، فَتَقُولُ فِيهِ

بِلِسَانِ الْكَشْفِ: « خَلِيفَةُ اللَّهِ ». وَبِلِسَانِ الظَّاهِرِ: « خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ ». وَلِهَذَا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا نَصَّ بِخِلَافَةٍ عَنْهُ إِلَى أَحَدٍ، وَلَا عَيْنَهُ، لِعِلْمِهِ أَنَّ فِي أُمَّتِهِ مَنْ يَأْخُذُ بِالْخِلَافَةِ عَنْ رَبِّهِ، فَيَكُونُ خَلِيفَةً عَنْ اللَّهِ مَعَ الْمَوَافَقَةِ فِي الْحُكْمِ الْمَشْرُوعِ. فَلَمَّا عَلِمَ ذَلِكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَمْ يُحَجِّرِ الْأَمْرَ.

فَلِلَّهِ خُلَفَاءُ فِي خَلْقِهِ، يَأْخُذُونَ مِنْ مَعَدَنِ الرَّسُولِ وَالرُّسُلِ، مَا أَخَذَتْهُ الرُّسُلُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

وَيَعْرِفُونَ فَضْلَ الْمُتَقَدِّمِ هُنَاكَ، لِأَنَّ الرَّسُولَ قَدْ بَلَغَ لِلزِّيَادَةِ، وَهَذَا الْخَلِيفَةُ لَيْسَ بِقَا بِلِ لِلزِّيَادَةِ، الَّتِي لَوْ كَانَ الرَّسُولُ قَبْلَهَا.

فَلَا يُعْطَى مِنَ الْعِلْمِ وَالْحُكْمِ فِيمَا شَرَعَ، إِلَّا مَا شَرَعَ لِلرَّسُولِ خَاصَّةً. فَهُوَ فِي الظَّاهِرِ مُتَّبِعٌ، غَيْرُ مُخَالَفٍ. بِخِلَافِ الرَّسُولِ.

أَلَا تَرَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا تَخَيَّلَتِ الْيَهُودُ أَنَّهُ لَا يَزِيدُ عَلَى مُوسَى — مِثْلَ مَا قُلْنَا — فِي الْخِلَافَةِ الْيَوْمَ مَعَ الرَّسُولِ، آمَنُوا بِهِ وَأَقْرَبُوا. فَلَمَّا زَادَ حُكْمًا، أَوْ نَسَخَ حُكْمًا، كَانَ قَدْ قَرَّرَهُ مُوسَى — لِكُونِ عِيسَى رَسُولًا — لَمْ يَحْتَمِلُوا [٥١ ظهر] ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ خَالَفَ اعْتِقَادَهُمْ فِيهِ، وَجَهِلَتْ الْيَهُودُ الْأَمْرَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ.

فَطَلَبَتْ قَتْلَهُ، فَكَانَ مِنْ قِصَّتِهِ مَا أَخْبَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ عَنْهُ وَعَنْهُمْ. فَلَمَّا كَانَ رَسُولًا قَبْلَ الزِّيَادَةِ، إِمَّا بِنَقْصِ حُكْمٍ قَدْ تَقَرَّرَ، أَوْ زِيَادَةِ حُكْمٍ عَلَى أَنَّ النِّقْصَ زِيَادَةُ حُكْمٍ بِإِلَافَةٍ.

وَالْخِلَافَةُ الْيَوْمَ لَيْسَ لَهَا هَذَا الْمَنْصِبُ. وَإِنَّمَا تَنْقُصُ أَوْ تَزِيدُ عَلَى الشَّرْعِ، الَّذِي قَدْ تَقَرَّرَ بِإِلَافَةٍ جِتْهَادٍ؛ لَا عَلَى الشَّرْعِ الَّذِي شَوَّفَهُ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَقَدْ يَظْهَرُ مِنَ الْخِلَافَةِ مَا يُخَالَفُ حَدِيثًا مَا، فِي الْحُكْمِ، فَيَتَخَيَّلُ أَنَّهُ مِنْ

الْأَجْتِهَادِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ. وَإِنَّمَا هَذَا إِلَّا مِمَّا لَمْ يَنْبُتْ عِنْدَهُ — مِنْ جِهَةِ
الْكَشْفِ — ذَلِكَ الْخَبَرُ عَنِ النَّبِيِّ. وَلَوْ ثَبَتَ لِحُكْمٍ بِهِ. وَإِنْ كَانَ الطَّرِيقُ
فِيهِ الْعَدْلُ عَنِ الْعَدْلِ، فَمَا هُوَ مَعْصُومٌ مِنَ الْوَهْمِ، وَلَا مِنَ النَّقْلِ، عَلَى
الْمَعْنَى، فَمِثْلُ هَذَا يَقَعُ مِنَ الْخَلِيفَةِ الْيَوْمَ، وَكَذَلِكَ يَقَعُ مِنْ عِيسَى عَلَيْهِ
السَّلَامُ، فَإِنَّهُ إِذَا نَزَلَ، يَرَفَعُ كَثِيرًا مِنْ شَرْعِ الْأَجْتِهَادِ الْمُقَرَّرِ، فَيُبَيِّنُ
بِرَفْعِهِ صُورَةَ الْحَقِّ الْمَشْرُوعِ، الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ.
وَلَا سِيَّمَا إِذَا تَعَارَضَتْ أَحْكَامُ الْأَيِّمَةِ فِي النَّازِلَةِ الْوَاحِدَةِ، فَتَعْلَمُ قَطْعًا أَنَّهُ
لَوْ نَزَلَ وَحْيٌ، لَنَزَلَ بِأَحَدِ الْوُجُوهِ، فَذَلِكَ هُوَ الْحُكْمُ إِلَّا لِهَيْئَةٍ، وَمَا عَدَاهُ،
وَإِنْ قَرَّرَهُ الْحَقُّ فَهُوَ شَرْعٌ تَقَرَّرَ بِهِ. لِرَفْعِ الْحَرْجِ عَنِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَاتِّسَاعِ
الْحُكْمِ فِيهَا.

وَأَمَّا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ «إِذَا بُوِيَخَ الْخَلِيفَتَيْنِ، فَأَقْتُلُوا الْآخَرَ مِنْهُمَا».

هَذَا فِي الْخِلَافَةِ الظَّاهِرَةِ الَّتِي لَهَا السَّيْفُ. وَإِنْ اتَّفَقَا فَلَا بُدَّ مِنْ قَتْلِ
أَحَدِهِمَا. بِخِلَافِ الْخِلَافَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ، فَإِنَّهُ لَا قَتْلَ فِيهَا.

وَإِنَّمَا جَاءَ الْقَتْلُ فِي الْخِلَافَةِ الظَّاهِرَةِ هِرَةِ. وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِدَا لِكَ الْخَلِيفَةِ هَذَا
الْمَقَامِ، وَهُوَ خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ، إِنْ عَدَلَ.

فَمِنْ حُكْمِ الْأَصْلِ الَّذِي بِهِ تَخِيلُ وَجُودُ إِلَهَيْنِ.

﴿وَلَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَ اللَّهِ لَفَسَدَتَا﴾ [سورة الأنبياء: ٢٢].

وَإِنْ اتَّفَقَا: فَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُمَا لَوْ اخْتَلَفَا تَقَدَّرَ يَرًا، لَنَفَذَ حُكْمُ [٥٢]

وَجْهًا]. أَوَّلُ حَدُّ هُمَا فَإِنَّا فِذُ الْحُكْمِ هُوَ إِلَّا لَهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ. وَالَّذِي لَمْ يَنْفُذْ
حُكْمَهُ لَيْسَ بِإِلَهِ.

وَمِنْ هُنَا، تَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ حُكْمٍ يَنْفُذُ الْيَوْمَ فِي الْعَالَمِ، أَنَّهُ حُكْمُ اللَّهِ،

وَإِنْ خَالَفَ الْحُكْمَ الْمُقَرَّرَ فِي الظَّاهِرِ الْمُسَمَّى شَرْعًا، إِذَا لَا يَنْفُذُ حُكْمًا إِلَّا

لِلَّهِ، فِي نَفْسِ الْأَمْرِ؛ لِأَنَّ الْأَمْرَ الْوَاقِعَ فِي الْعَالَمِ، إِنَّمَا هُوَ عَلَى حُكْمِ الْمَشِيعَةِ

إِلَٰهِيَّةً، لَا عَلَى حُكْمِ الشَّرْعِ الْمَقَرَّرِ.

وَأِنْ كَانَ تَقَرَّرَ يَرُهُ مِنَ الْمَشِيئَةِ، وَلِذَا لِكَ نَفَذَ تَقَرُّرُهُ خَاصَّةً.
فَإِنَّ الْمَشِيئَةَ لَيْسَتْ لَهَا فِيهِ إِلَّا التَّقَرُّرُ، لَا الْعَمَلُ بِمَا جَاءَ بِهِ.
فَإِلْمَشِيئَةُ سُلْطَانُهَا عَظِيمٌ، وَلِهَذَا جَعَلَهَا أَبُوطَا لِبِ، عَرْشَ الذَّاتِ.
لَا نَهَا لِذَا تَهَا تَقْتَضِي الْحُكْمَ، فَلَا يَقَعُ فِي الْوُجُودِ شَيْءٌ وَلَا يَرْتَفِعُ خَارِجًا
عَنِ الْمَشِيئَةِ. فَإِنَّ الْأَمْرَ إِلَّا لِهِيَ إِذَا خُولِفَ هُنَا بِا لِمَسْمَى «مَعْصِيَةً»، فَلَيْسَ
إِلَّا الْأَمْرُ بِالْوَا سِطَّةَ، لَا الْأَمْرُ التَّكْوِينِيَّ.

فَمَا خَالَفَ اللَّهُ أَحَدُ قَطُّ فِي جَمِيعِ مَا يَفْعَلُهُ، مِنْ حَيْثُ أَمَرَ الْمَشِيئَةَ،
فَوَقَعَتِ الْمُخَالَفَةُ مِنْ حَيْثُ أَمَرَ الْوَا سِطَّةَ. فَافْهَمُ.

وَعَلَى الْحَقِيقَةِ، فَأَمْرُ الْمَشِيئَةِ إِنَّمَا يَتَوَجَّهُ عَلَى إِجَادِ عَيْنِ الْفِعْلِ، لَا
عَلَى مَنْ ظَهَرَ عَلَى يَدَيْهِ، فَيَسْتَحِيلُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ، وَلَكِنْ فِي هَذَا الْمَحَلِّ
الْخَاصِّ. فَوَقْتًا يُسَمَّى بِهِ مُخَالَفَةُ لَأَمْرِ اللَّهِ، وَوَقْتًا يُسَمَّى مُوَافَقَةً وَطَاعَةً
لَأَمْرِ اللَّهِ، وَيَتَّبَعُهُ لِسَانُ الْحَمْدِ وَالذِّمُّ، عَلَى حَسَبِ مَا يَكُونُ.
وَلَمَّا كَانَ الْأَمْرُ فِي نَفْسِهِ عَلَى مَا قَرَّرَ نَاهُ، لِذَا لِكَ كَانَ مَالُ الْخَلْقِ إِلَى
السَّعَادَةِ، عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَا عِهَا.

فَعَبَّرَ عَنْ هَذَا الْمَقَامِ، بِأَنَّ الرَّحْمَةَ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَأَنَّهَا سَبَقَتْ
الْغَضَبَ إِلَّا لِهِيَ.

وَالسَّابِقُ مُتَقَدِّمٌ، فَإِذَا لَحِقَهُ هَذَا الَّذِي حَكَمَ عَلَيْهِ الْمُتَأَخِّرُ، حَكَمَ
عَلَيْهِ الْمُتَقَدِّمُ، فَذَا لَتَهُ الرَّحْمَةُ، إِذْ لَمْ يَكُنْ غَيْرُهَا سَبَقَ.

فَهَذَا مَعْنَى: «سَبَقَتْ رَحْمَتُهُ غَضَبَهُ».

لِتَحْكُمَ عَلَى مَنْ وَصَلَ إِلَيْهَا، فَإِنَّهَا فِي الْغَايَةِ وَقَفَتْ.

وَالْكَلُّ سَا لِكُ إِلَى الْغَايَةِ، فَلَا بُدَّ مِنَ الْوُصُولِ إِلَيْهَا، [٥٢ ظهر] فَلَا بُدَّ مِنَ
الْوُصُولِ إِلَى الرَّحْمَةِ، وَمُفَارَقَةِ الْغَضَبِ.

فَيَكُونُ الْحُكْمُ لَهَا فِي كُلِّ وَاحِدٍ إِلَيْهَا، بِحَسَبِ مَا يُعْطِيهِ حَالٌ

277 الوَّاحِدِ إِلَيْهَا.

[الطويل]

- ١- فَمَنْ كَانَ ذَا فَهْمٍ يُشَا هِدُ مَا قُلْنَا
 - ٢- فَمَا تَمَّ إِلَّا مَا ذَكَرْنَا فَاعْتَمِدْ
 - ٣- فَمِنْهُ إِلَيْنَا مَا تَلَوْنَا عَلَيْكُمْ
- وَأِنْ لَمْ يَكُنْ فَهْمٌ فَيَأْخُذُهُ عَنَّا
عَلَيْهِ وَكُنْ بِأَحَالٍ فِيهِ كَمَا كُنَّا
وَمِنَّا إِلَيْكُمْ مَا وَهَبْنَا كُمْ مِنَّا

وَأَمَّا تَلْيِينُ الْحَدِيدِ، فَقُلُوبُ قَا سِيَّةٌ، يُلَيِّنُهَا — الرَّجُلُ وَالْوَعْدُ —

تَلْيِينُ النَّارِ الْحَدِيدِ.

وَأِنَّمَا الصَّعْبُ قُلُوبٌ أَشَدُّ قَسَاوَةً مِنَ الْحِجَارَةِ، فَإِنَّ الْحِجَارَةَ تَكْسِرُهَا

وَتُكَلِّسُهَا النَّارُ، وَلَا تَلَيِّنُهَا.

وَمَا أَلَانَ لَهُ الْحَدِيدَ إِلَّا لِعَمَلِ الدُّرُوعِ الْوَاقِيَةِ، تَنْبِيْهَا مِنَ اللَّهِ؛ أَيُّ: 278

لَا يُنْقِى الشَّيْءُ إِلَّا بِنَفْسِهِ، فَإِنَّ الدَّرْعَ يُنْقِى بِهِ السَّيْفُ وَالسَّيْفُ

وَالسَّكِّينُ وَالنَّصْلُ، فَاتَّقَيْتَ الْحَدِيدَ بِأَحَدٍ يَدٍ.

فَجَاءَ الشَّرْعُ الْمُحَمَّدِيُّ بِـ«أَعُوذُ بِكَ مِنْكَ»، فَافْهَمْ.

فَهَذَا رُوحُ تَلْيِينِ الْحَدِيدِ، فَهُوَ الْمُتَنَقِّمُ الرَّحِيمُ. وَاللَّهُ الْمَوْفَّقُ.

[١٨] ﴿فَصْ حِكْمَةً نَفْسِيَّةً فِي كَلِمَةٍ يَوْمَ نُسَبِّحُ﴾ 279

أَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ النِّشَاءَ إِلَّا نَسَاءً نَبِيَّةً بِكَمَا لَهَا رُوحًا وَجِسْمًا وَنَفْسًا، خَلَقَهَا

اللَّهُ عَلَى صُورَتِهِ، فَلَا يَتَوَلَّى حَلَّ نِظَا مِهَا إِلَّا مَنْ خَلَقَهَا، إِمَّا بِيَدِهِ — وَلَيْسَ

إِلَّا ذَلِكَ — أَوْ بِأَمْرِهِ. وَمَنْ تَوَلَّى هَا بِغَيْرِ أَمْرِ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَتَعَدَّى

حَدَّ اللَّهِ فِيهَا وَسَعَى فِي خَرَابٍ مَنْ أَمَرَهُ اللَّهُ بِعِمَارَتِهِ.

وَأَعْلَمُ أَنَّ الشَّفَقَةَ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ أَحَقُّ بِالرَّعَايَةِ مِنَ الْغِيَرَةِ فِي اللَّهِ.

أَرَادَ دَاوُدُ بُنْيَانَ الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ، فَبَنَاهُ مِرَارًا، فَكَلَّمَا فَرَعٌ مِنْهُ تَهْدَمَ،

فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: إِنَّ بَيْتِي هَذَا لَا يَقُومُ عَلَى يَدَيَّ مَنْ

سَفَكَ الدَّمَاءَ، فَقَالَ دَاوُدُ: يَا رَبِّ أَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ فِي سَبِيلِكَ؟ قَالَ: بَلَى،
وَلَكِنَّهُمْ أَلْيَسُوا عِبَادِي؟ [٥٣ وجه] قَالَ: يَارَبِّ فَا جْعَلْ بُنْيَا نَهْ عَلَى يَدَيَّ مَنْ
هُوَ مِنِّي، فَأَوْ حَى اللَّهُ إِلَيْهِ إِنَّ أَبْنَكَ سُلَيْمَانَ يَبْنِيهِ.

فَا لَعَرَضَ مِنْ هَذِهِ الْحِكَايَةِ مُرَا عَادَةُ هَذِهِ النِّشَاءَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَأَنَّ إِقَامَتَهَا
أَوَّلَى مِنْ هَذَا مِمَّا أَلَّا تَرَى عَدُوَّ الدِّينِ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ فِي حَقِّهِمُ الْجَزَاةَ
وَالصُّلْحَ إِبْقَاءً عَلَيْهِمْ؟ وَقَالَ: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ﴾
[سورة الأنفال: ٦١].

أَلَّا تَرَى مَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْقِصَاصُ، كَيْفَ شُرِعَ لَوْلِي الدَّمِ أَخْذُ
الْفِدْيَةِ أَوْ الْعَفْوِ؟ فَإِنْ أَبَى فَحِينَئِذٍ يُقْتَلُ.

أَلَّا تَرَاهُ سُبْحًا نَهْ إِذَا كَانَ أَوْ لِيَاءِ الدَّمِ جَمَاعَةً فَرَضِي وَاحِدًا لَدِيَّةٍ
أَوْ عَفَا، وَبِأَقْبَى الْأَوْلِيَاءِ لَا يُرِيدُونَ إِلَّا الْقَتْلَ، كَيْفَ يُرَا عِي مَنْ عَفَا وَيُرَجَّحُ
عَلَى مَنْ لَمْ يَعْفُ، فَلَا يُقْتَلُ قِصَاصًا؟
أَلَّا تَرَاهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ فِي صَاحِبِ النَّسْعَةِ: «إِنْ قَتَلَهُ كَانَ
مِثْلَهُ»؟

أَلَّا تَرَاهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [سورة الشورى: ٤٠]؟
فَجَعَلَ الْقِصَاصَ سَيِّئَةً، أَيْ يَسُوءُ ذَلِكَ الْفِعْلُ مَعَ كَوْنِهِ مَشْرُوعًا: ﴿فَمَنْ
عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [سورة الشورى: ٤٠]؛ لِأَنَّهُ عَلَى صُورَتِهِ فَمَنْ
عَفَا عَنْهُ وَلَمْ يَقْتُلْهُ، فَأَجْرُهُ عَلَى مَنْ هُوَ عَلَى صُورَتِهِ؛ لِأَنَّهُ أَحَقُّ بِهِ إِذْ أَنْشَأَهُ
لَهُ.

وَمَا ظَهَرَ إِلَّا سَمُّ «الظَّاهِرِ» إِلَّا بِوُجُودِهِ، فَمَنْ رَأَاهُ إِنَّمَا يُرَا عِي الْحَقَّ،
وَمَا يُذَمُّ إِلَّا نَسَانُ لِعَيْنِهِ، وَإِنَّمَا يُذَمُّ الْفِعْلُ مِنْهُ، وَفِعْلُهُ لَيْسَ عَيْنُهُ. وَكَلا مَنَا فِي
عَيْنِهِ، وَلَا فِعْلٌ إِلَّا لِلَّهِ. وَمَعَ هَذَا ذَمُّ مِنْهَا مَا ذَمَّ. وَحُمِدَ مَا حُمِدَ.
وَلِسَانُ الذَّمِّ عَلَى جِهَةِ الْغَرَضِ مَذْمُومٌ عِنْدَ اللَّهِ.

فَلَا مَذْمُومَ إِلَّا مَا ذَمَّ الشَّرْعُ، فَإِنْ ذَمَّ الشَّرْعُ لِحِكْمَةٍ يَعْلَمُهَا اللَّهُ، أَوْ
مَنْ أَعْلَمَهُ اللَّهُ.

كَمَا شَرَعَ الْقِصَاصُ لِلْمَصْلَحَةِ إِبْقَاءَ لِهَذَا النَّوعِ، وَإِذَا عَا
لِلْمُتَعَدِّي حُدُودَ اللَّهِ فِيهِ ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾
[سورة البقرة: ١٧٩] وَهُمْ أَهْلُ لُبِّ الشَّيْءِ الَّذِينَ عَثَرُوا عَلَى سِرِّ النَّوَا مِيسِ
إِلَّا لِهَيْبَةٍ وَاحْكُمِيَّةٍ.

وَإِذَا عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ رَا عَى هَذِهِ النَّشْأَةَ وَإِقَا مَتَهَا، فَأَنْتَ أَوَّلَى بِمُرَا عَا تِهَا
إِذْ لَكَ بِذَلِكَ السَّعَادَةُ، فَإِنَّهُ مَا دَامَ إِلَّا نَسَانُ حَيًّا، [٥٣ ظهر] يُرْجَى لَهُ تَحْصِيلُ
صِفَةِ الْكَمَالِ الَّذِي خُلِقَ لَهُ.

وَمَنْ سَعَى فِي هَذِهِ مِهْ، فَقَدْ سَعَى فِي مَنَعِ وَصُولِهِ لِمَا خُلِقَ لَهُ.
وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِمَا
هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَفْضَلُ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ — فَتَضْرِبُوا رِقَا بِهِمْ، وَيَضْرِبُوا
رِقَا بَكُمْ — ذِكْرُ اللَّهِ».

وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ قَدْرَ هَذِهِ النَّشْأَةِ إِلَّا نَسَا نِيَّةً، إِلَّا مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ الَّذِي كَرِ
الْمَطْلُوبَ مِنْهُ، فَإِنَّهُ تَعَا لَى جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَهُ، وَاجْلِيسُ مَشْهُودٍ لِلذَّا كِرِ،
وَمَتَى لَمْ يُشَا هِدِ الذَّا كِرِ الْحَقُّ الَّذِي هُوَ جَلِيسُهُ، فَلَيْسَ بِذَا كِرِ.

فَإِنَّ ذِكْرَ اللَّهِ سَارٍ فِي جَمِيعِ الْعَبْدِ. لَا مَنْ ذَكَرَهُ بِلِسَانِهِ خَا صَةً. فَإِنَّ
الْحَقَّ لَا يَكُونُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ إِلَّا جَلِيسَ اللِّسَانِ خَا صَةً، فَيَرَاهُ اللِّسَانُ مِنْ
حَيْثُ لَا يَرَاهُ إِلَّا نَسَانُ بِمَا هُوَ رَاءِ.

فَا فَهَمَ هَذَا السَّرِّ فِي ذِكْرِ الْغَا فِلِينَ.

فَا لَذَا كِرِ مِنَ الْغَا فِلِ، حَا ضِرُّ بِلَا شَكٍّ. وَالْمَذْكُورُ جَلِيسُهُ، فَهُوَ يُشَا هِدُهُ.

وَالْغَا فِلِ مِنْ حَيْثُ غَفَلَتْهُ لَيْسَ بِذَا كِرِ. فَمَا هُوَ جَلِيسُ الْغَا فِلِ.

فَإِنَّ إِلَّا نَسَانَ كَثِيرٌ، مَا هُوَ أَحَدِي الْعَيْنِ. وَالْحَقُّ أَحَدِي الْعَيْنِ، كَثِيرٌ

بِالْأَسْمَاءِ إِلَّا لِهَيْبَةٍ. كَمَا أَنَّ الْإِنْسَانَ كَثِيرٌ بِالْأَجْزَاءِ؛ وَمَا يَلْزَمُ مِنْ ذِكْرِ جُزْءٍ مَا،
ذِكْرُ جُزْءٍ آخَرَ.

فَأَلْحَقُ جَلِيسُ الْجُزْءِ الذَّاكِرِ مِنْهُ، وَالْأَخَرُ مُتَّصِفٌ بِالْغَفْلَةِ عَنِ الذِّكْرِ.
وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ فِي الْإِنْسَانِ جُزْءٌ يَذْكُرُ بِهِ، يَكُونُ لِحَقِّ جَلِيسِ ذَلِكَ
الْجُزْءِ، فَيَحْفَظُ بَا قِيَ الْأَجْزَاءِ بِإِعْنَايَةٍ.

وَمَا يَتَوَلَّى الْحَقُّ هَدْمَ هَذِهِ النَّشْأَةِ بِالْمُسَمَى مَوْتًا، فَلَيْسَ بِإِعْدَامٍ؛ وَإِنَّمَا هُوَ
تَقَرُّيقٌ، فَيَأْخُذُهُ إِلَيْهِ. وَلَيْسَ الْمُرَادُ إِلَّا أَنْ يَأْخُذَهُ الْحَقُّ إِلَيْهِ، ﴿وَأِلَيْهِ يُرْجَعُ
الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ [سورة هود: ١٢٣] فَإِذَا أَخَذَهُ إِلَيْهِ، سَوَّى لَهُ مَرْكَبًا غَيْرَ هَذَا
الْمَرْكَبِ مِنْ جِنْسِ الدَّارِ الَّتِي يَنْتَقِلُ إِلَيْهَا، وَهِيَ دَارُ الْبَقَاءِ لَوْ جُودَ النَّاسُ عِدَالًا.
فَلَا يَمُوتُ أَبَدًا؛ أَيْ لَا تَفْتَرِقُ أَجْزَاؤُهُ.

وَأَمَّا أَهْلُ النَّارِ، فَمَا لَهُمْ إِلَى النَّعِيمِ، وَلَكِنْ فِي النَّارِ إِذْ لَا بُدَّ لِصُورَةِ النَّارِ
بَعْدَ انْتِهَاءِ مُدَّةِ الْعِقَابِ أَنْ تَكُونَ بَرْدًا وَسَلَامًا [اقتباس من سورة الأَنْبِيَاءِ: ٦٩]
عَلَى مَنْ فِيهَا، وَهَذَا نَعِيمُهُمْ.

[٥٣-أوجه] فَنَعِيمُ أَهْلِ النَّارِ بَعْدَ اسْتِيفَاءِ الْحُقُوقِ، نَعِيمٌ خَلِيلُ اللَّهِ
حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ؛ فَإِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَعَذَّبَ بِرُؤْيَايَتِهَا وَبِمَا تَعَوَّدَ فِي عِلْمِهِ،
وَتَقَرَّرَ مِنْ أَنَّهَا صُورَةٌ تُؤْلِمُ مَنْ جَاوَرَ هَا مِنْ الْحَيَوَانِ. وَمَا عَلِمَ مُرَادَ اللَّهِ فِيهَا،
وَمِنْهَا فِي حَقِّهِ.

287

فَبَعْدَ وَجُودِ هَذِهِ الْأَلَامِ، وَجَدَ بَرْدًا وَسَلَامًا، مَعَ شُهُودِ الصُّورَةِ اللَّوْنِيَّةِ
فِي حَقِّهِ، وَهِيَ نَارٌ فِي عُيُونِ النَّاسِ، فَالْشَّيْءُ الْوَاحِدُ يَتَنَوَّعُ فِي عُيُونِ
النَّاسِ ظُرُوبًا؛ هَكَذَا هُوَ التَّجَلِّيُ الْإِلَهِيُّ.
فَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ: إِنَّ اللَّهَ تَجَلَّى مِثْلَ هَذَا الْأَمْرِ. وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ: إِنَّ الْعَالَمَ
فِي النَّظَرِ إِلَيْهِ وَفِيهِ، مِثْلَ الْحَقِّ فِي التَّجَلِّيِ.

فَيَتَنَوَّعُ فِي عَيْنِ النَّاسِ ظُرُوبًا، بِحَسَبِ مَزَاجِ النَّاسِ. أَوْ يَتَنَوَّعُ مَزَاجُ النَّاسِ ظُرُوبًا

لِتَنَوَّعِ التَّجَلِّي؛ وَكُلَّ هَذَا سَاءٌ فِي الْحَقِّ يَق.

فَلَوْ أَنَّ الْمَيِّتَ وَالْمَقْتُولَ — أَيُّ مَيِّتٍ كَانَ أَوْ أَيُّ مَقْتُولٍ كَانَ — إِذَا

مَاتَ أَوْ قُتِلَ لَا يَرِ جِعٌ إِلَى اللَّهِ، لَمْ يَقْضِ اللَّهُ بِمَوْتِ أَحَدٍ. وَلَا شَرَعَ قَتْلَهُ.

فَا لِكُلِّ فِي قَبْضَتِهِ، فَلَا فُقْدَانٌ فِي حَقِّهِ.

فَشَرَعَ الْقَتْلَ وَحَكَّمَ بِا لِمَوْتِ، لِإِعْلَامِهِ بِأَنَّ عَبْدَهُ لَا يَفُوتُهُ، فَهُوَ رَا جِعٌ إِلَيْهِ،

عَلَى أَنْ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْ كُلُّهُ﴾ [سورة هود: ١٢٣] أَيُّ فِيهِ يَقَعُ

التَّصَرُّفُ، وَهُوَ الْمُتَصَرِّفُ، فَمَا خَرَجَ عَنْهُ شَيْءٌ لَمْ يَكُنْ عَيْنُهُ، بَلْ هُوَ يَتَهُ

عَيْنُ ذَلِكَ الشَّيْءِ.

وَهُوَ الَّذِي يُعْطِيهِ الْكَشْفَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْ كُلُّهُ﴾ [سورة هود

: ١٢٣].

[١٩] ﴿فَصَّ حِكْمَةً غَيْبِيَّةً فِي كَلِمَةِ أَيُّو بِيَّةٍ﴾

288

أَعْلَمَ أَنَّ سِرَّ الْحَيَاةِ سَرَى فِي الْمَاءِ، فَهُوَ أَصْلُ الْعَنَاءِ صِرٍ وَالْأَرْضُ كَانَ، وَلِذَا لِكَ

جَعَلَ اللَّهُ ﴿مِنَ الْمَاءِ كُلِّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [سورة الأَنْبِيَاءِ: ٣٠] وَمَا ثُمَّ شَيْءٌ إِلَّا

وَهُوَ حَيٌّ، فَإِنَّهُ مَا ثُمَّ شَيْءٌ إِلَّا وَهُوَ يُسَبِّحُ بِحَمْدِ اللَّهِ [اقتباس من سورة الأَنْبِيَاءِ: ٣٠]:

[٤٤]، وَلَكِنْ لَا يُفْقَهُ تَسْبِيحُهُ إِلَّا بِكَشْفِ الْإِلَهِيِّ. وَلَا يُسَبِّحُ إِلَّا حَيٌّ؛ فَكُلُّ شَيْءٍ

حَيٌّ، فَكُلُّ شَيْءٍ الْمَاءِ أَصْلُهُ.

أَلَا تَرَى الْعَرْشَ كَيْفَ كَانَ عَلَى الْمَاءِ؛ لِأَنَّهُ مِنْهُ تَكُونُ فَطْفَا عَلَيْهِ فَهُوَ

يَحْفَظُهُ مِنْ تَحْتِهِ، كَمَا أَنَّ الْإِنْسَانَ [٥٣-أظهر] خَلَقَهُ اللَّهُ عَبْدًا، فَتَكَبَّرَ

عَلَى رَبِّهِ وَعَلَا عَلَيْهِ، فَهُوَ سُبْحَا نُهُ — مَعَ هَذَا — يَحْفَظُهُ مِنْ تَحْتِهِ، بِا لِنَظَرِ

إِلَى غُلُوِّ هَذَا الْعَبْدِ الْجَا هِلَ بِنَفْسِهِ.

289

وَهُوَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَوْ دُلِّيْتُمْ بِحَبْلِ لَهَبٍ عَلَى اللَّهِ» فَإِنَّ شَارَ إِلَى

نِسْبَةِ النَّحْتِ إِلَيْهِ، كَمَا نِسْبَتُهُ الْفَوْقِيَّةِ إِلَيْهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿يَخَا فُؤُونُ رَبِّهِمْ مِنْ

فَوْقِهِمْ﴾ [سورة النحل: ٥٠] ﴿وَهُوَ أَلْقَا هِرْ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [سورة الأَنْعَامِ: ٦١ و٦٨].

فَلَهُ الْفَوْقُ وَالتَّحْتُ.

وَلِهَذَا مَا ظَهَرَتْ الْجِهَاتُ السَّتُّ إِلَّا بِإِلَاسَانٍ، وَهُوَ عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ.

وَلَا مُطْعِمَ إِلَّا اللَّهُ، وَقَدْ قَالَ فِي حَقِّ طَا بَفَةِ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آقَا مُوَا

التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [سورة لما ندة: ٦٦]، ثُمَّ نَكَرَ وَعَمَّ فَقَالَ: ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ

مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [سورة لما ندة: ٦٦]. فَدَخَلَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ﴾

[سورة لما ندة: ٦٦] كُلِّ حُكْمٍ مُنْزَلٍ عَلَى لِسَانِ رَسُولٍ أَوْ مُلْهِمْ، ﴿لَا كُلُّوا مِنْ

290

فَوْقِهِمْ﴾ [سورة لما ندة: ٦٦] وَهُوَ الْمُطْعِمُ مِنَ الْفَوْقِيَّةِ، الَّتِي نُسِبَتْ إِلَيْهِ

﴿وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [سورة لما ندة: ٦٦] وَهُوَ الْمُطْعِمُ مِنَ التَّحْتِيَّةِ الَّتِي

نَسَبَهَا إِلَى نَفْسِهِ عَلَى لِسَانِ رَسُولٍ لَهُ الْمَتَرُ جَمْعُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَلَوْ لَمْ يَكُنِ الْعَرْشُ عَلَى الْمَاءِ مَا نَحَفَظَ وَجُودَهُ، فَإِنَّهُ بِأَحْيَاةٍ يَنْحَفِظُ

وُجُودُ الْحَيِّ، أَلَا تَرَى الْحَيَّ إِذَا مَاتَ الْمَوْتُ الْعُرْفِي تَنَحَّلَ أَجْزَاءُ نِظَامِهِ،

وَتَتَعَدَّمُ قُوَاهُ عَنْ ذَلِكَ النِّظْمِ الْخَاصِّ.

قَالَ تَعَالَى لَا يُؤْبَ: ﴿أَرَأَيْتُمْ كُفْرَ جَلِكَ هَذَا مُغْتَسِلٌ﴾ [سورة ص: ٤٢]،

يَعْنِي: مَاءٌ بَارِدٌ، لِمَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ إِفْرَاطِ حَرَارَةِ الْأَلَمِ، فَسَكَّنَهُ اللَّهُ بِبَرْدِ الْمَاءِ.

وَلِهَذَا كَانَ الطَّبَّا لِنَقْصِ مَنَالِزًا بَدِّ، وَالزِّيَادَةُ فِيهِ لِنَاقِصِ.

فَا لِمَقْصُودُ طَلَبِ الْإِعْتِدَالِ، وَلَا سَبِيلَ إِلَيْهِ إِلَّا أَنَّهُ يُقَارَبُهُ.

وَإِنَّمَا قُلْنَا: وَلَا سَبِيلَ إِلَيْهِ — أَعْنِي الْإِعْتِدَالِ — مِنْ أَجْلِ أَنَّ الْحَقَّ يَقْ

وَاشْهُودَ تُعْطِي التَّكْوِينَ مَعَ الْأَنْفَاسِ عَلَى الدَّوَامِ، وَلَا يَكُونُ التَّكْوِينُ إِلَّا

عَنْ مِيلٍ يُسَمَّى فِي الطَّبِيعَةِ، يُسَمَّى انْجِرًا فَأَوْ تَعْفِينًا، وَفِي حَقِّ الْحَقِّ

291

إِرَادَةً. وَهِيَ: مِيلٌ إِلَى الْمُرَادِ الْخَاصِّ دُونَ غَيْرِهِ. وَالْإِعْتِدَالُ يُؤْذَنُ بِالسَّوَاءِ

فِي الْجَمِيعِ، وَهَذَا لَيْسَ بِوَاقِعٍ؛ فَلِهَذَا مَنَعْنَا مِنْ حُكْمِ الْإِعْتِدَالِ.

وَقَدْ وَرَدَ فِي الْعِلْمِ إِلَّا لِهَيِّ النَّبَوِيِّ، أَتَّصَفُ الْحَقُّ بِالرَّضَا وَالْغَضَبِ،

وَبِالْصِّفَاتِ.

[٥٤ وجه] وَالرَّضَا مَزِيلٌ لِلْغَضَبِ. وَالْغَضَبُ مَزِيلٌ لِلرَّضَا، عَنِ الْمَرْضِيِّ عَنْهُ. وَالْأَعْتِدَالُ أَنَّ يَتَسَاوَى الرَّضَا وَالْغَضَبُ، فَمَا غَضِبَ الْغَا ضِبُّ عَلَى مَنْ غَضِبَ عَلَيْهِ، وَهُوَ عَنْهُ رَاضٍ. فَقَدْ اتَّصَفَ بِأَحَدِ الْحُكْمَيْنِ فِي حَقِّهِ، وَهُوَ مَيْلٌ. وَمَا رَضِيَ الرَّأْيِي عَمَّنْ رَضِيَ عَنْهُ، وَهُوَ غَا ضِبُّ عَلَيْهِ. فَقَدْ اتَّصَفَ بِأَحَدِ الْحُكْمَيْنِ فِي حَقِّهِ، وَهُوَ مَيْلٌ.

وإِنَّمَا قُلْنَا هَذَا، مِنْ أَجْلِ مَنْ يَرَى أَنَّ أَهْلَ النَّارِ لَا يَزَالُ غَضِبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ دَائِمًا أَبَدًا — فِي زَعْمِهِ — فَمَا لَهُمْ حُكْمُ الرَّضَا مِنَ اللَّهِ، فَصَحَّ الْمَقْصُودُ. فَإِنْ كَانَ كَمَا قُلْنَا: مَا لَأَهْلِ النَّارِ إِلَى إِذَا لَةِ الْآلَامِ، وَإِنْ سَكَنُوا النَّارَ، فَمَا لِكَ رِضَا. فَمَا زَالَ الْغَضَبُ لِزَوَالِ الْآلَامِ؛ إِذْ عَيْنُ الْآلَمِ، عَيْنُ الْغَضَبِ. 292
إِنْ فَهَمْتَ.

فَمَنْ غَضِبَ، فَقَدْ تَأَذَّى، فَلَا يَسْعَى فِي اُنْتِقَامِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِ بِإِيَالِهِ، إِلَّا لِيَجِدَ الْغَا ضِبُّ الرَّأْيِي حَتَّى يَذْكَ. فَيَنْتَقِلُ الْآلَمُ الَّذِي كَانَ عِنْدَهُ إِلَى الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِ. وَالحَقُّ إِذَا أَفْرَدَتْهُ عَنِ الْعَالَمِ، يَتَعَالَى عُلُوًّا كَبِيرًا عَنْ هَذِهِ الصِّفَةِ، عَلَى هَذَا الْحَدِّ. وَإِذَا كَانَ الْحَقُّ هُوِيَّةَ الْعَالَمِ. فَمَا ظَهَرَتْ الْأَحْكَامُ كُلُّهَا إِلَّا فِيهِ وَمِنْهُ.

وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَالَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ [سورة هود: ١٢٣]، حَقِيقَةً وَكَشْفًا، وَ﴿أَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [سورة هود: ١٢٣]، حِجَابًا وَسِتْرًا.

فَلَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ، أَبَدًا مِنْ هَذَا الْعَالَمِ، لِأَنَّهُ عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ أَوْ جَدِّهِ اللَّهُ؛ أَيْ ظَهَرَ وَجُودُهُ تَعَالَى بِظُهُورِ الْعَالَمِ، كَمَا ظَهَرَ الْإِنْسَانُ بِوُجُودِ الصُّورَةِ الطَّبِيعِيَّةِ.

فَنَحْنُ صُورَتُهُ الظَّاهِرَةُ، وَهُوَ يَتَّهَى رُوحُ هَذِهِ الصُّورَةِ الْمُدْبَّرَةُ لَهَا، فَمَا كَانَ التَّدْبِيرُ إِلَّا فِيهِ، كَمَا لَمْ يَكُنْ إِلَّا مِنْهُ، فَهُوَ «الْأَوَّلُ» بِالْمَعْنَى «الْآخِرُ» بِالْصُّورَةِ، وَهُوَ «الظَّاهِرُ» بِتَغْيِيرِ الْأَحْكَامِ وَالْأَحْوَالِ، وَ«الْبَاطِنُ» بِالتَّدْبِيرِ،

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [قصدا بنا لعر بي سورة لحد يد: ٣، لکنوردتالآيةً يضافي

سورة لبقرة: ٢٩، الأ نعام: ١٠١]؛ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ، لِيَعْلَمَ عَنْ شُهوِدٍ، لَا عَنْ فِكْرٍ.

فَكَذَلِكَ عِلْمُ الْأَذْوَاقِ، لَا عَنْ فِكْرٍ. وَهُوَ الْعِلْمُ الصَّحِيحُ، وَمَا عَدَاهُ فَحَدْسٌ وَتَحْمِينٌ، لَيْسَ بِعِلْمٍ أَصْلًا.

ثُمَّ كَانَ [٥٤ ظهر] لِأَيُّوبَ ذَلِكَ الْمَاءُ شَرًّا بًا، لِإِذَا لَمَّ الْعَطَشُ الَّذِي هُوَ مِنَ النَّصَبِ وَالْعَذَابِ، الَّذِي مَسَّهُ بِهِ الشَّيْطَانُ، أَيُّ: الْبُعْدُ عَنِ الْحَقِّ يَقِ أَنْ يُدْرِكَهَا عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ.

فَيَكُونُ بِإِدْرَاكِهَا فِي مَحَلِّ الْقُرْبِ، فَكُلُّ مَشْهُودٍ قَرِيبٌ مِنَ الْعَيْنِ، وَلَوْ كَانَ بَعِيدًا بِإِلْسَافَةٍ، فَإِنَّ الْبَصَرَ يَتَّصِلُ بِهِ مِنْ حَيْثُ شُهوِدُهُ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يَشْهَدُهُ، أَوْ يَتَّصِلُ الْمَشْهُودُ بِالْبَصَرِ كَيْفَ كَانَ، وَهُوَ قُرْبٌ بَيْنَ الْبَصَرِ وَالْمُبْصَرِ. وَلِهَذَا كُنِيَ أَيُّوبُ فِي الْمَسِّ [إشارة لى سورة الأ نبياء: ٨٣-٨٤]، فَأَضَافَهُ إِلَى الشَّيْطَانِ مَعَ قُرْبِ الْمَسِّ فَقَالَ: الْبَعِيدُ مِنِّي، قَرِيبٌ، لِحُكْمِهِ فِيَّ.

وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ الْبُعْدَ وَالْقُرْبَ أَمْرَانِ إِضًا فَيَأْنِ، فَهُمَا نِسْبَتَانِ لَا وَجُودَ لَهُمَا فِي الْعَيْنِ، مَعَ ثُبُوتِ أَحْكَامِهِمَا فِي الْبَعِيدِ وَالْقَرِيبِ.

وَأَعْلَمَ أَنَّ سِرَّ اللَّهِ فِي أَيُّوبَ، الَّذِي جَعَلَهُ عِبْرَةً لَنَا، وَكُنَّا بِأَمْسُطُورًا، حَاسِبًا تَقْرَأُهُ هَذِهِ الْأُمَّةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ، لَتَعْلَمَ مَا فِيهِ، فَيَلْحَقُ بِصَاحِبِهِ تَشْرِيفًا لَهَا. فَأَتَنَى اللَّهُ عَلَيْهِ — أَعْنِي: عَلَى أَيُّوبَ — بِإِلْصَاقٍ، مَعَ دُعَايِهِ فِي رَفْعِ الضَّرِّ عَنْهُ، فَعَلِمْنَا أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا دَعَا اللَّهَ فِي كَشْفِ الضَّرِّ عَنْهُ، لَا يَقْدَحُ فِي صَبْرِهِ.

وَأَنَّهُ صَابِرٌ، وَأَنَّهُ نِعَمَ الْعَبْدِ؛ كَمَا قَالَ: ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [سورة ص: ١٧، ٣٠، ٤٤] أَيُّ: رَجَاعُ إِلَى اللَّهِ لَا إِلَى الْأَسْبَابِ. وَالْحَقُّ يَفْعَلُ عِنْدَ ذَلِكَ بِالسَّبَبِ؛ لِأَنَّ الْعَبْدَ يَسْتَنِدُ إِلَيْهِ، إِذَا سَبَّابُ الْمُرِيَّةِ لِأَمْرِ مَا كَثِيرَةٌ، وَالْمُسَبَّبُ وَاحِدٌ

العين. فَرُجُوعُ الْعَبْدِ إِلَى الْوَالِدِ الْعَيْنِ، الْمَرْيَلُ بِالسَّبَبِ، ذَلِكَ الْأَلَمَ، أَوْ لَى
مِنَ الرُّجُوعِ إِلَى سَبَبٍ خَاصٍّ، رُبَّمَا لَا يُوَا فِقْ عِلْمُ اللَّهِ فِيهِ.

295

فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَسْتَجِبْ لِي، وَهُوَ مَادَ عَاهُ، وَإِنَّمَا جَنَحَ إِلَى سَبَبٍ
خَاصٍّ، لَمْ يَفْتَضِصِيهِ الزَّمانُ وَلَا الْوَقْتُ.
فَعَمِلَ أَيُّوبُ بِحِكْمَةِ اللَّهِ، إِذْ كَانَ نَبِيًّا.

لَمَّا عَلِمَ أَنَّ الصَّبْرَ الَّذِي هُوَ حَبْسُ النَّفْسِ عَنِ الشَّكْوَى — عِنْدَ
الطَّائِفَةِ — وَلَيْسَ ذَلِكَ بِحَدِّ الصَّبْرِ عِنْدَنَا؛ وَإِنَّمَا حَدُّهُ: حَبْسُ النَّفْسِ عَنِ
الشَّكْوَى لِغَيْرِ اللَّهِ، لَا إِلَى اللَّهِ.

فَحَجَبَ الطَّائِفَةُ [٥٥ وجه] نَظَرُهُمْ، فِي أَنَّ الشَّأْنَ كَيْ يَقْدَحُ بِالشَّكْوَى فِي
الرِّضَا بِالْقَضَاءِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ؛ فَإِنَّ الرِّضَا بِالْقَضَاءِ لَا تَقْدَحُ فِيهِ الشَّكْوَى
إِلَى اللَّهِ، وَلَا إِلَى غَيْرِهِ. وَإِنَّمَا يَقْدَحُ فِي الرِّضَا بِالْمَقْضِيِّ، وَنَحْنُ مَا خُوطِبْنَا
بِالرِّضَا بِالْمَقْضِيِّ. وَالضَّرُّ هُوَ الْمَقْضِيُّ، مَا هُوَ عَيْنُ الْقَضَاءِ.

وَعَلِمَ أَيُّوبُ أَنَّ فِي حَبْسِ النَّفْسِ عَنِ الشَّكْوَى إِلَى اللَّهِ، فِي رَفْعِ الضَّرِّ،
مُقَاوَمَةَ الْقَهْرِ الْإِلَهِيِّ؛ وَهُوَ جَهْلٌ بِالشَّخْصِ، إِذْ ابْتَلَاهُ اللَّهُ بِمَا تَتَأَلَّمُ مِنْهُ
نَفْسُهُ، فَلَا يَدْعُو اللَّهَ فِي إِزَالَةِ ذَلِكَ إِلَّا مَرَّ الْمَوْلِمِ، بَلْ يَنْبَغِي لَهُ — عِنْدَ
الْمُحَقِّقِ — أَنْ يَتَضَرَّعَ، وَيَسْأَلَ اللَّهَ فِي إِزَالَةِ ذَلِكَ عَنْهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ، إِذَا لَمْ يَنْ
جَنَابِ اللَّهِ، عِنْدَ الْعَارِفِ صَاحِبِ الْكَشْفِ.

فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ وَصَفَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ يُؤَذَى. فَقَالَ: ﴿إِنَّ الَّذِي يُوذُونَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ﴾ [سورة الأَحْزَاب: ٥٧]. وَأَيُّ أَدْنَى أَعْظَمَ مِنْ أَنْ يَبْتَلِيكَ بِبَلَاءٍ عِنْدَ
غَفْلَتِكَ عَنْهُ، أَوْ عَنْ مَقَامِ الْإِلَهِيِّ لَا تَعْلَمُهُ، لِتَرْجِعَ إِلَيْهِ بِالشَّكْوَى، فَيَرْفَعَهُ
عَنكَ. فَيَصِحُّ الِافْتِقَارُ الَّذِي هُوَ حَقِيقَتُكَ، فَيَرْتَفِعُ عَنِ الْحَقِّ الْأَدْنَى،
بِسُؤَالِكَ إِيَّاهُ فِي رَفْعِهِ عَنْكَ. إِذْ أَنْتَ صُورَتُهُ الظَّاهِرَةُ.

296

كَمَا جَاعَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ فَبَكَى. فَقَالَ لَهُ فِي ذَلِكَ — مَنْ لَا ذَوْقَ لَهُ

فِي هَذَا الْفَنِّ — مُعَا تَبًّا لَهُ. فَقَالَ الْعَارِفُ: «إِنَّمَا جَوَّ عَنِّي لِابْكِي». يَقُولُ:
«إِنَّمَا أُبْتَلَا نِي بِا لْضُرِّ، لِأَسْأَلَهُ فِي رَفْعِهِ عَنِّي، وَذَلِكَ لَا يَقْدَحُ فِي كَوْنِي
صَابِرًا».

فَعَلِمْنَا أَنَّ الصَّبْرَ، إِنَّمَا هُوَ حَبْسُ النَّفْسِ عَنِ الشَّكْوَى لِغَيْرِ اللَّهِ. وَأَعْنِي
بِا لْغَيْرِ: وَجْهًا خَا صًّا مِنْ وُجُوهِ اللَّهِ، وَقَدْ عَيَّنَ الْحَقُّ وَجْهًا خَا صًّا مِنْ وُجُوهِ
اللَّهِ، وَهُوَ الْمُسَمَّى: «وَجْهَ الْهُوِيَّةِ»، فَيَدْعُوهُ مِنْ ذَلِكَ الْوَجْهِ فِي رَفْعِ الضُّرِّ،
لَا مِنْ الْوُجُوهِ الْآخَرِ، الْمُسَمَّاهُ أَسْبَابًا؛ وَلَيْسَتْ إِلَّا هُوَ مِنْ حَيْثُ تَفْصِيلُ
الْأَمْرِ فِي نَفْسِهِ.

فَا لْعَارِفُ لَا يَحْجُبُهُ سُؤَالُهُ هُوِيَّةَ الْحَقِّ فِي رَفْعِ الضُّرِّ عَنْهُ، عَنْ أَنْ تَكُونَ
جَمِيعُ الْأَسْبَابِ عَيْنُهُ، مِنْ حَيْثِيَّةٍ خَا صَّةٍ، [٥٥ ظهر] وَهَذَا لَا يَلْزَمُ طَرِيقَتَهُ إِلَّا
الْأَدْبَاءُ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، الْأَمَنَاءُ عَلَى أَسْرَارِ اللَّهِ. فَإِنَّ اللَّهَ أَمَنَاءُ، لَا يَعْرِفُهُمْ إِلَّا
اللَّهُ، وَيَعْرِفُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

وَقَدْ نَصَحْنَاكَ فَا عْمَلْ. وَإِيَّاهُ — سُبْحَانَهُ — فَا سَأَلْ.

[٢٠] ﴿فَصَّ حِكْمَةً جَلَالِيَّةً فِي كَلِمَةٍ يَحْيَوِيَّةً﴾

297

هَذِهِ حِكْمَةُ الْأَوَّلِيَّةِ فِي الْأَسْمَاءِ، فَإِنَّ اللَّهَ سَمَاءً: «يَحْيَى» أَي: يَحْيَا بِهِ
ذِكْرُ زَكَرِيَّا وَ﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [سورة مريم: ٧].
فَجَمَعَ بَيْنَ حُصُولِ الصِّفَةِ الَّتِي فِيْمَنْ غَبَرَ مِمَّنْ تَرَكَ وَلَدًا يَحْيَا بِهِ
ذِكْرُهُ، وَبَيَّنَّ أَسْمَهُ بِذَلِكَ، فَسَمَاءُ: «يَحْيَى»، فَكَانَ أَسْمُهُ يُحْيِي كَمَا لِعِلْمِ
الدَّوْقِي.

فَإِنَّ آدَمَ حَيِّي ذِكْرُهُ بِشَيْئٍ، وَنُو حَا حَيِّي ذِكْرُهُ بِسَامٍ، وَكَذَلِكَ
الْأَنْبِيَاءُ. وَلَكِنْ مَا جَمَعَ اللَّهُ لِأَحَدٍ قَبْلَ يَحْيَى بَيْنَ الْأَسْمِ الْعِلْمِ مِنْهُ وَبَيْنَ
الصِّفَةِ، إِلَّا لِزَكَرِيَّا عِنَايَةً مِنْهُ.

298

إِذْ قَالَ: ﴿هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ [سورة مريم: ٥]، فَقَدَّمَ الْحَقَّ عَلَى

ذَكَرَ وَلَدِهِ كَمَا قَدْ مَتَّ أَسِيَّةُ ذَكَرَ الْجَارِ عَلَى الدَّارِ فِي قَوْلِهَا: ﴿عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ [سورة لحر يم: ١١].

فَأَكْرَمَهُ اللَّهُ بِأَنْ قَضَى حَاجَتَهُ، وَسَمَّاهُ بِصِفَتِهِ، حَتَّى يَكُونَ أَسْمُهُ تَذْكَارًا لِمَا طَلَبَ مِنْهُ نَبِيُّهُ زَكَرِيَّا، لِأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَثَرُ بَقَاءِ ذِكْرِ اللَّهِ فِي عَقْبِهِ، إِذِ الْوَلَدُ سِرُّ أَبِيهِ، فَقَالَ: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ [سورة مر يم: ٦] وَلَيْسَ ثَمَّ مَوْرُوثٌ فِي حَقِّ هَؤُلَاءِ إِلَّا مَقَامَ ذِكْرِ اللَّهِ وَاللَّهُ عَوَّةٌ إِلَيْهِ.

299

ثُمَّ إِنَّهُ بَشَّرَهُ بِمَا قَدْ مَهَّ مِنْ سَلَامٍ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ، وَيَوْمَ يَمُوتُ، وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا. فَجَاءَ بِصِفَةِ الْحَيَاةِ، وَهِيَ أَسْمُهُ، وَأَعْلَمَ بِسَلَامٍ عَلَيْهِ، وَكَأَلَا مَهَّ صِدْقُ، فَهُوَ مَقْطُوعٌ بِهِ.

وَإِنْ كَانَ قَوْلُ الرُّوحِ: ﴿وَأَسَلَّمَ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [سورة مر يم: ٣٣] أَكْمَلَ فِي الْإِتِّحَادِ، فَهَذَا أَكْمَلُ فِي الْإِتِّحَادِ وَالْإِتِّقَادِ، وَأَرْفَعُ لِلتَّائِي يَلَاتِ.

فَإِنَّ الَّذِي أَنْخَرَتْ فِيهِ الْعَادَةُ فِي حَقِّ عِيسَى إِنَّمَا هُوَ النُّطْقُ، فَقَدْ تَمَكَّنَ عَقْلُهُ وَتَكَمَّلَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ الَّذِي أَنْطَقَهُ اللَّهُ فِيهِ، وَلَا يَلْزَمُ لِلتَّمَكُّنِ مِنَ النُّطْقِ — عَلَى أَيِّ حَالَةٍ، كَانَ — الصِّدْقُ فِيمَا بِهِ يَنْطِقُ، بِخِلَافِ الْمَشْهُودِ لَهُ كَيَحْيَى.

300

فَسَلَامُ الْحَقِّ عَلَى يَحْيَى — مِنْ هَذَا الْوَجْهِ — أَرْفَعُ لِلْإِتِّبَاسِ الْوَاقِعِ فِي الْعِنَايَةِ إِلَّا لِهَيْئَةِ [٥٦ وجه] بِهِ مِنْ سَلَامٍ عِيسَى عَلَى نَفْسِهِ، وَإِنْ كَانَتْ قَرَأَتْ بِنُحْوَالٍ تَدُلُّ عَلَى قُرْبِهِ مِنَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ وَصِدْقِهِ، إِذْ نَطَقَ فِي مَعْرِضِ الدَّلَالَةِ عَلَى بَرَاءَةِ أُمِّهِ فِي الْمَهْدِ، فَهُوَ حَدُّ الشَّاهِدِينَ، وَالشَّاهِدُ الْآخِرُ: هَزُّ الْجَذْعِ الْيَابِسِ، فَسَقَطَ رُطْبًا جَنِيًّا، مِنْ غَيْرِ فَحْلٍ وَلَا تَذْكِيرٍ، كَمَا وَلَدَتْ مَرْيَمُ عِيسَى مِنْ غَيْرِ فَحْلٍ، وَلَا ذَكَرٍ، وَلَا جِمَاعٍ عُرْفِيٍّ مُعْتَادٍ.

لَوْ قَالَ نَبِيٌّ: «أَيَّتِي وَمُعْجَزَ تِي أَنْ يَنْطِقَ هَذَا الْحَا يُطُ»، فَنَطَقَ الْحَا يُطُ،
 وَقَالَ فِي نَطْقِهِ: «تَكْذِبُ، مَا أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ». لَصَحَّتِ الْآيَةُ وَثَبَتَ بِهَا أَنَّهُ
 رَسُولُ اللَّهِ، وَلَمْ يُلْتَفِتْ إِلَى مَا نَطَقَ بِهِ الْحَا يُطُ. فَلَمَّا دَخَلَ هَذَا الْا حْتِمَالُ فِي
 كَلَامِ عِيسَى بِإِشَارَةِ أُمِّهِ إِلَيْهِ، وَهُوَ فِي الْمَهْدِ، كَأَنَّهُ يَنْصُ: «كَانَ سَلَامٌ
 يَحْيَى أَرْفَعَ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ».

301

فَمَوْضِعُ الدَّلَالَةِ «أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ»، مِنْ أَجْلِ مَا قِيلَ فِيهِ: «إِنَّهُ ابْنُ اللَّهِ»،
 وَفَرَّغَتْ الدَّلَالَةُ بِمُجَرَّدِ النُّطْقِ، وَ«أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ» عِنْدَ الطَّائِفَةِ الْآخَرَى،
 الْقَائِلَةُ بِالنُّبُوَّةِ، وَبَقِيَ مَا زَادَ فِي حُكْمِ الْا حْتِمَالِ فِي النَّظَرِ الْعَقْلِيِّ، حَتَّى
 ظَهَرَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ صِدْقُهُ فِي جَمِيعِ مَا أَخْبَرَ بِهِ فِي الْمَهْدِ. فَتَحَقَّقَ مَا أَسْرَنَا
 إِلَيْهِ.

[٢١] ﴿فَصَّ حِكْمَةً مَا لِكَيْتَ فِي كَلِمَةٍ زَكَرَ يَأُوْيَةَ﴾

302

أَعْلَمَ أَنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَجُودًا وَحُكْمًا. وَأَنَّ وَجُودَ
 الْغَضَبِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بِالْغَضَبِ، فَسَبَقَتْ رَحْمَتُهُ غَضَبَهُ؛ أَي: سَبَقَتْ نِسْبَةُ
 الرَّحْمَةِ إِلَيْهِ، نِسْبَةُ الْغَضَبِ إِلَيْهِ.

وَلَمَّا كَانَ لِكُلِّ عَيْنٍ وَجُودٌ، يَطْلُبُهُ مِنَ اللَّهِ، لِذَا لَكَ عَمَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ
 عَيْنٍ.

303

فَإِنَّهُ بِرَحْمَتِهِ الَّتِي رَحِمَهُ بِهَا، قَبْلَ رَغْبَتِهِ فِي وَجُودِ عَيْنِهِ،
 فَأَوْجَدَهَا. فَلِذَا لَكَ قُلْنَا: إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَجُودًا
 وَحُكْمًا.

وَالْأَسْمَاءُ إِلَّا لِهَيْئَةٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ، وَهِيَ تَرَجُّعُ إِلَى عَيْنٍ وَاحِدَةٍ. فَأَوَّلُ
 مَا وَسِعَتْ رَحْمَةُ اللَّهِ، شَيْئِيَّةَ تِلْكَ الْعَيْنِ، الْمَوْجِدَةِ لِلرَّحْمَةِ بِالرَّحْمَةِ.

فَأَوَّلُ شَيْءٍ وَسِعَتْهُ الرَّحْمَةُ نَفْسَهَا، ثُمَّ الشَّيْئِيَّةَ الْمُشَارَ إِلَيْهَا، ثُمَّ شَيْئِيَّةَ

304

كُلِّ مَوْجُودٍ [ظهر] يُوجَدُ إِلَى مَا لَا يَتَنَا هَي، دُنْيَا وَآخِرَةً، وَعَرَضًا وَجَوْهَرًا،

وَمَرَّ كَبًا وَبَسِيطًا.

وَلَا يُعْتَبَرُ فِيهَا حُصُولُ غَرَضٍ وَلَا مُلَاءَ مَةٍ طَبَعٍ؛ بَلْ — الْمَلَأَ بَمَ وَغَيْرُ

الْمَلَأَ بَمَ — كُلُّهُ وَسِعَتْهُ الرَّحْمَةُ إِلَّا لِهَيْئَةٍ وَجُودًا.

وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي الْفُتُوْحَاتِ أَنَّ الْأَثَرَ لَا يَكُونُ إِلَّا لِلْمَعْدُومِ لَا لِلْمَوْجُودِ.

وَإِنْ كَانَ لِلْمَوْجُودِ فَيَحْكُمُ الْمَعْدُومُ؛ وَهُوَ عِلْمٌ غَرِيبٌ، وَمَسَاءَلَةٌ نَائِرَةٌ،

وَلَا يَعْلَمُ تَحْقِيقَهَا إِلَّا أَصْحَابُ الْأَوْهَامِ، فَذَلِكَ بِالدَّوْقِ عِنْدَهُمْ، وَأَمَّا مَنْ

لَا يُؤَثِّرُ الْوَاهِمُ فِيهِ، فَهُوَ بَعِيدٌ عَنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ. [البسيط]

١- فَرَحِمَةُ اللَّهِ فِي الْأَكْوَانِ سَارِيَّةٌ

305

وَفِي الذَّوَاتِ وَفِي الْأَعْيَانِ جَارِيَّةٌ

٢- مَكَانَةُ الرَّحْمَةِ الْمُتَلَّى إِذَا عُلِمَتْ

مِنَ الشُّهُودِ مَعَ الْأَفْكَارِ عَالِيَّةٌ

فَكُلُّ مَنْ ذَكَرَ تَهُ الرَّحْمَةُ فَقَدْ سَعِدَ، وَمَا تَمَّ إِلَّا مَنْ ذَكَرَ تَهُ الرَّحْمَةُ. وَذِكْرُ

306

الرَّحْمَةِ الْأَشْيَاءَ عَيْنُ إِيجَادِهَا إِيَّاهَا، فَكُلُّ مَوْجُودٍ مَرَّ حُومًا. وَلَا تُحْجَبُ —

يَاوَلِيٍّ — عَنْ إدْرَاكِ مَا قُلْنَاهُ، بِمَا تَرَاهُ مِنْ أَصْحَابِ الْبَلَاءِ، وَمَا تُؤْمِنُ بِهِ مِنْ

الْأَمِّ الْآخِرَةِ، الَّتِي لَا تَفْتُرُ عَمَّنْ قَامَتْ بِهِ.

وَأَعْلَمُ أَوَّلًا أَنَّ الرَّحْمَةَ إِنَّمَا هِيَ فِي الْإِيجَادِ عَالِيَّةٌ. فَبِالرَّحْمَةِ بِالْأَلَامِ،

أَوْ جَدَّ الْأَلَامِ.

ثُمَّ إِنَّ الرَّحْمَةَ لَهَا الْأَثَرُ بِوَجْهَيْنِ: أَثَرٌ بِالذَّاتِ؛ وَهُوَ إِيجَادُهَا كُلَّ عَيْنٍ

مَوْجُودَةٍ. وَلَا تَنْظُرُ إِلَى غَرَضٍ وَلَا إِلَى عَدَمِ غَرَضٍ، وَلَا إِلَى مُلَأَ بَمَ وَلَا إِلَى

غَيْرِ مُلَأَ بَمَ؛ فَإِنَّهَا نَاظِرَةٌ فِي عَيْنِ كُلِّ مَوْجُودٍ، قَبْلَ وَجُودِهِ؛ بَلْ تَنْظُرُهُ فِي

عَيْنِ ثُبُوتِهِ.

وَلِهَذَا رَأَتْ الْحَقَّ الْمَخْلُوقَ فِي الْأَعْتِقَادَاتِ عَيْنًا ثَابِتَةً فِي الْعُيُونِ الثَّابِتَةِ،

فَرَحِمَتُهُ بِنَفْسِهَا بِالْإِيجَادِ.

وَلِذَا لِكَ قُلْنَا: إِنَّ الْحَقَّ الْمَخْلُوقَ فِي الْأَعْتِقَادَاتِ، أَوَّلُ شَيْءٍ مَرَّ حُومٍ،

بَعْدَ رَحْمَتِهَا بِنَفْسِهَا، فِي تَعَلُّقِهَا بِإِيجَادِ الْمَرَّ حُومِينَ.

وَلَهَا أَثَرٌ آخَرٌ بِلِسْوَإِلٍ، فَيَسْأَلُ الْمَحْجُوبُونَ الْحَقَّ أَنْ يَرَحْمَهُمْ فِي

أَعْتِقَادِهِمْ.

وَأَهْلُ الْكَشْفِ يَسْأَلُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ أَنْ تَقُومَ بِهِمْ، فَيَسْأَلُونََهَا بِأَسْمِ اللَّهِ

فَيَقُولُونَ: [٥٧ وجه] « يَا اللَّهُ أَرَحْمَنَا ». وَلَا يَرَحْمُهُمْ إِلَّا قِيَامُ الرَّحْمَةِ بِهِمْ.

فَالَهَا الْحُكْمُ لِأَنَّ الْحُكْمَ إِنَّمَا هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ، لِلْمَعْنَى الْفَائِئِمِ بِالْمَحَلِّ،

فَهُوَ الرَّأْيُ عَلَى الْحَقِيقَةِ، فَلَا يَرَحْمُ اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُعْتَنَى بِهِمْ إِلَّا بِأَلَرَّ حَمَةٍ.

فَإِذَا قَامَتْ بِهِمُ الرَّحْمَةُ، وَجَدُوا حُكْمَهَا ذَوْقًا.

فَمَنْذَرَتْهَا الرَّحْمَةُ فَقَدْ رَجِمَ. وَأَسْمَالُ الْفَاعِلِ هُوَ: «الرَّحِيمُ»

و«الرَّاحِمُ».

وَالْحُكْمُ لَا يَتَّصِفُ بِالْخَلْقِ؛ لِأَنَّهُ أَمْرٌ تَوْجِبُهُ الْمَعَانِي لِذَوَاتِهَا.

فَالَا حَوَالٍ لَا مَوْجُودَةٌ وَلَا مَعْدُومَةٌ. أَيُّ: لَا عَيْنَ لَهَا فِي الْوُجُودِ، لِأَنَّهَا

نِسْبَةٌ. وَلَا مَعْدُومَةٌ فِي الْحُكْمِ؛ لِأَنَّ الَّذِي قَامَ بِهِ الْعِلْمُ، يُسَمَّى عَالِمًا، وَهُوَ

الْحَالُ.

فَعَالِمٌ ذَاتٌ مَوْصُوفَةٌ بِالْعِلْمِ، مَا هُوَ عَيْنُ الذَّاتِ، وَلَا عَيْنُ الْعِلْمِ. وَمَا تَمَّ إِلَّا

عِلْمٌ وَذَاتٌ، قَامَ بِهَا هَذَا الْعِلْمُ، وَكَوْنُهُ عَالِمًا، حَالٌ لِهَذِهِ الذَّاتِ، بِأَتَصَّافِهَا

بِهَذَا الْمَعْنَى، فَحَدَّثَتْ نِسْبَةُ الْعِلْمِ إِلَيْهِ، فَهُوَ الْمُسَمَّى عَالِمًا.

وَالرَّحْمَةُ — عَلَى الْحَقِيقَةِ — نِسْبَةٌ مِنَ الرَّأْيِ حِمٍ، وَهِيَ الْمَوْجِبَةُ لِلْحُكْمِ،

فَهِيَ الرَّأْيُ حَمَةٌ. وَالَّذِي أَوْجَدَهَا فِي الْمَرَّ حُومٍ، مَا أَوْجَدَهَا لِأَيِّ حَمَةٍ بِهَا، وَإِنَّمَا

أَوْجَدَهَا لِأَيِّ حَمٍ بِهَا مِنْ قَامَتْ بِهِ.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ، لَيْسَ بِمَحَلٍّ لِلْحَوَادِثِ، فَلَيْسَ بِمَحَلٍّ لِإِيجَادِ الرَّحْمَةِ فِيهِ،

وَهُوَ الرَّأْيُ حِمٍ. فَلَا يَكُونُ الرَّأْيُ حِمً رَا حِمًا إِلَّا بِقِيَامِ الرَّحْمَةِ بِهِ، فَتَبَّتْ أَنَّهُ عَيْنُ

وَمَنْ لَمْ يَدُقْ هَذَا الْأَمْرَ، وَلَا كَانَ لَهُ فِيهِ قَدَمٌ، مَا أَجْتَرَأُ أَنْ يَقُولَ: أَنَّهُ عَيْنُ
الرَّحْمَةِ أَوْ عَيْنُ الصِّفَةِ. فَقَالَ: مَا هُوَ عَيْنُ الصِّفَةِ وَلَا غَيْرُهَا، فَصِفَاتُ الْحَقِّ
عِنْدَهُ لَا هِيَ هُوَ، وَلَا هِيَ غَيْرُهُ؛ لِأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى نَفْيِهَا، وَلَا يَقْدِرُ أَنْ
يَجْعَلَهَا عَيْنَهُ. فَعَدَلَ إِلَى هَذِهِ الْعِبَارَةِ، وَهِيَ عِبَارَةُ حَسَنَةٍ، وَغَيْرُهَا أَحَقُّ بِالْأَمْرِ
مِنْهَا، وَأَرْفَعُ لِلْإِشْكَالِ.

وَهُوَ الْقَوْلُ بِنَفْيِ أَعْيَانِ الصِّفَاتِ، وَجُودًا قَائِمًا بِذَاتِ الْمَوْصُوفِ.

وَلِنَّمَا هِيَ نِسْبٌ وَإِضَافَاتٌ، بَيْنَ الْمَوْصُوفِ بِهَا وَبَيْنَ أَعْيَانِهَا الْمَعْقُولَةِ. 309
وَإِنْ كَانَتْ الرَّحْمَةُ جَا مِعَةً، فَإِنَّهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى [٥٧ ظهر] كُلِّ اسْمٍ إِلَهِيٍّ
مُخْتَلَفَةٍ، فَلِهَذَا يُسْأَلُ سُبْحًا نَهْ أَنْ يَرَحِمَ بِكُلِّ اسْمٍ إِلَهِيٍّ، فَرَحْمَةُ اللَّهِ
وَالْكُنَايَةُ هِيَ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ.

ثُمَّ لَهَا شُعَبٌ كَثِيرَةٌ، تَتَعَدَّدُ بِتَعَدُّدِ الْأَسْمَاءِ إِلَّا لِهَيْئَةٍ، فَمَا تَعُمُّ بِالنِّسْبَةِ
إِلَى ذَلِكَ الِاسْمِ الْخَاصِّ إِلَّا لِهَيْئَةٍ، فِي قَوْلِ السَّائِلِ: «يَا رَبَّ أَرْحَمِ». وَغَيْرِ
ذَلِكَ مِنَ الْأَسْمَاءِ، حَتَّى الْمُتَنَقِّمُ، لَهُ أَنْ يَقُولَ: «يَا مُتَنَقِّمُ أَرْحَمْنِي».

وَذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ تَدُلُّ عَلَى الذَّاتِ الْمُسَمَّاةِ، وَتَدُلُّ بِحَقِّهَا
عَلَى مَعَانٍ مُخْتَلَفَةٍ، فَيَدْعُو بِهَا فِي الرَّحْمَةِ، مِنْ حَيْثُ دَلَّالَتُهَا عَلَى الذَّاتِ، 310
الْمُسَمَّاةِ بِذَلِكَ الِاسْمِ لَا غَيْرِ.

لَا بِمَا يُعْطِيهِ مَدْلُولُ ذَلِكَ الِاسْمِ، الَّذِي يَنْفَصِلُ بِهِ عَنْ غَيْرِهِ وَيَتَمَيَّزُ، فَإِنَّهُ
لَا يَتَمَيَّزُ عَنْ غَيْرِهِ، وَهُوَ عِنْدَهُ دَلِيلُ الذَّاتِ، وَإِنَّمَا يَتَمَيَّزُ بِنَفْسِهِ عَنْ غَيْرِهِ
لِذَا تَهْ، إِذَا الْمُصْطَلَحُ عَلَيْهِ — بِأَيِّ لَفْظٍ كَانَ — حَقِيقَةُ مُتَمَيِّزَةٍ بِذَاتِهَا عَنْ
غَيْرِهَا.

وَإِنْ كَانَ الْكُلُّ قَدْ سَبَقَ لِيَدُلَّ عَلَى عَيْنٍ وَاحِدَةٍ مُسَمَّاةٍ، فَلَا خِلَافَ فِي
أَنَّهُ لِكُلِّ اسْمٍ حُكْمٌ لَيْسَ لِلْآخَرِ، فَذَلِكَ أَيْضًا يَنْبَغِي أَنْ يُعْتَبَرَ كَمَا يُعْتَبَرُ

دَلَا لَتَّهَا عَلَى الذَّاتِ الْمُسَمَّاةِ.

وَلِهَذَا قَالَ أَبُو لَقَا سِمِ بْنِ قَسِيٍّ فِي الْأَسْمَاءِ إِلَهِيَّةً: إِنَّ كُلَّ اسْمٍ إِلَهِيٍّ عَلَى أَنْفِرَادِهِ، مُسَمًّى بِجَمِيعِ الْأَسْمَاءِ إِلَّا لِهِيَّةِ كُلِّهَا، إِذَا قَدْ مَتَّه فِي الذَّكْرِ، نَعَتَهُ بِجَمِيعِ الْأَسْمَاءِ، وَذَلِكَ لِذَلَالَتِهَا عَلَى عَيْنِ وَاحِدَةٍ، وَإِنْ تَكَثَّرَتِ الْأَسْمَاءُ عَلَيْهَا، وَأَخْتَلَفَتْ حَقًّا بِقُهَا، أَي: حَقًّا بِقُ تِلْكَ الْأَسْمَاءِ.

ثُمَّ إِنَّ الرَّحْمَةَ تُنَالُ عَلَى طَرِيقَيْنِ: طَرِيقُ الْوُجُوبِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿فَسَاءَ كُتِبُهَا 311

لِلَّذِينَ يَنْقُوتُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٦]. وَمَا قَيَّدَ هُمْ بِهِ مِنَ الصِّفَاتِ الْعَمَلِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ.

وَالطَّرِيقُ الْآخَرُ الَّذِي تُنَالُ بِهِ هَذِهِ الرَّحْمَةُ، طَرِيقُ الْإِمْتِنَانِ إِلَى إِلَهِيٍّ، الَّذِي لَا يَفْتَرِنُ بِهِ عَمَلٌ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٦]، وَمِنْهُ قِيلَ: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [سورة الفتح: ٢] وَمِنْهَا قَوْلُهُ: «أَعْمَلُ مَا شِئْتُ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ». فَا عُلِمَ ذَلِكَ.

[٥٨ وجه] 312

[٢٢] ﴿فَصَّ حِكْمَةً إِيْنَا سِيَّةً فِي كَلِمَةٍ إِلَيَا سِيَّةً﴾

إِلْيَاسُ — وَهُوَ إِدْرِيسُ — كَانَ نَبِيًّا قَبْلَ نُوحٍ، وَرَفَعَهُ اللَّهُ مَكَانًا عَلِيًّا،

فَهُوَ فِي قَلْبِ الْأَفْلَاقِ سَاكِنٌ وَهُوَ فَلَكَ الشَّمْسُ. ثُمَّ بُعِثَ إِلَى قَرْيَةٍ

بَعْلَبَكْ، وَ«بَعْلُ» اسْمُ صَنْمٍ، وَ«بَكْ» هُوَ سُلْطَانُ تِلْكَ الْقَرْيَةِ؛ وَكَانَ

هَذَا الصَّنَمُ الْمُسَمًّى بَعْلًا، مَخْصُوصًا بِأَمْلِكِ. وَكَانَ إِلْيَاسُ — الَّذِي هُوَ 313

إِدْرِيسُ — قَدْ مُثِّلَ لَهُ أَنْفِلَاقُ الْجَبَلِ الْمُسَمًّى لُبْنَانَ — مِنَ اللَّبَانَةِ وَهِيَ

الْحَاجَةُ — عَنْ فَرَسٍ مِنْ نَارٍ، وَجَمِيعُ آيَاتِهِ مِنْ نَارٍ، فَلَمَّا رَأَاهُ رَكِبَ عَلَيْهِ،

فَسَقَطَتْ عَنْهُ الشَّهْوَةُ، فَكَانَ عَقْلًا بِلَا شَهْوَةٍ، فَلَمْ يَبْقَ لَهُ تَعَلُّقٌ بِمَا تَتَعَلَّقُ بِهِ

الْأَغْرَاضُ النَّفْسِيَّةُ.

فَكَانَ الْحَقُّ فِيهِ مُنَزَّهًا، وَكَانَ عَلَى النِّصْفِ مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِاللهِ، فَإِنَّ

الْعَقْلُ إِذَا تَجَرَّدَ لِنَفْسِهِ مِنْ حَيْثُ أَخَذَهُ الْعُلُومُ عَنْ نَظَرِهِ، كَأَنْتَ مَعْرِفَتُهُ بِاللهِ عَلَى التَّنْزِيهِ لَا عَلَى التَّشْبِيهِ.

وَإِذَا أَعْطَاهُ اللهُ الْمَعْرِفَةَ لِتَجَلِّيهِ، كَمَلْتَ مَعْرِفَتُهُ بِاللهِ، فَنَزَّهَهُ فِي مَوْضِعٍ، وَشَبَّهَهُ فِي مَوْضِعٍ.

وَرَأَى سَرِّيَّانَ الْحَقِّ فِي الصُّورِ الطَّبِيعِيِّ وَالْعُنْصُرِيَّةِ، وَمَا بَقِيَتْ لَهُ صُورَةٌ إِلَّا وَبَرَى عَيْنَ الْحَقِّ عَيْنَهَا.

وهذه المعْرِفَةُ التَّامَّةُ الَّتِي جَاءَتْ بِهَا الشَّرَاءُ بِعِ الْمُنْزَلِ لَهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَحَكَمَتْ بِهَذِهِ الْمَعْرِفَةِ الْأَوْهَامَ كُلَّهَا.

وَلِذَا لَكَ كَأَنْتَ الْأَوْهَامُ أَقْوَى سُلْطَانًا فِي هَذِهِ النَّشْأَةِ مِنَ الْعُقُولِ؛ لِأَنَّ الْعَاقِلَ وَلَوْ بَلَغَ مَا بَلَغَ — فِي عَقْلِهِ — لَمْ يَخْلُ عَنْ حُكْمِ الْوَاهِمِ عَلَيْهِ، وَالتَّصَوُّرِ فِيمَا عَقَلَ.

فَالْوَاهِمُ هُوَ السُّلْطَانُ الْأَعْظَمُ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ الْكَامِلَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَبِهِ جَاءَتْ الشَّرَاءُ بِعِ الْمُنْزَلِ لَهُ، فَشَبَّهَتْ وَنَزَّهَتْ، شَبَّهَتْ فِي التَّنْزِيهِ بِالْوَاهِمِ، وَنَزَّهَتْ فِي التَّشْبِيهِ بِالْعَقْلِ، فَأَرَبَتْ كُلَّ الْوَاهِمِ لِكُلِّ، فَلَمْ يَتِمَكَّنْ أَنْ يَخْلُوَ تَنْزِيهِ عَنْ تَشْبِيهِ، وَلَا تَشْبِيهِ عَنْ تَنْزِيهِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [سورة الشورى: ١١] [٥٨ ظهر]

فَنَزَّهَهُ وَشَبَّهَهُ. ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى: ١١]، فَشَبَّهَهُ.

وَهِيَ الْأَعْظَمُ آيَةُ تَنْزِيهِهِ نَزَلَتْ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ تَخُلْ عَنْ تَشْبِيهِهِ بِالْكَافِ، فَهُوَ أَعْلَمُ الْعُلَمَاءِ بِنَفْسِهِ، وَمَا عَبَّرَ عَنْ نَفْسِهِ إِلَّا بِمَا ذَكَرْنَا، ثُمَّ قَالَ: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [سورة الصافات: ١٨٠].

وَمَا يَصِفُوهُ إِلَّا بِمَا تُعْطِيهِ عُقُولُهُمْ، فَنَزَّهَهُ نَفْسَهُ عَنْ تَنْزِيهِ يَهُمُّ، إِذْ حَدِّدُوهُ بِذَلِكَ التَّنْزِيهِ، وَذَلِكَ لِقُصُورِ الْعُقُولِ عَنْ إدْرَاكِ مِثْلِ هَذَا.

ثُمَّ جَاءَتْ الشَّرَاءُ بِعِ كُلِّهَا بِمَا تَحْكُمُ بِهِ الْأَوْهَامُ، فَلَمْ تَخُلْ الْحَقَّ عَنْ

صِفَةً يَظْهَرُ فِيهَا، كَذَا قَا لَتْ، وَبِذَا جَاءَتْ، فَعَمِلَتْ الْأَمَّ عَلَى ذَلِكَ،
فَأَعْطَاهَا الْحَقَّ التَّجَلِّيَّ، فَلَحِقَتْ بِأَلْرُسُلِ وَرَأَتْهُ، فَنَطَقَتْ بِمَا نَطَقَتْ بِهِ
رُسُلُ اللَّهِ. ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالًا تَه﴾ [سورة الأ نعام: ١٢٤].

وَاللَّهُ أَعْلَمُ، مُوجَّهٌ لَهُ: وَجْهٌ بِالْخَبَرِ يَه إِلَى رُسُلِ اللَّهِ. وَلَهُ وَجْهٌ بِالْأَبْدَاءِ
إِلَى ﴿أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالًا تَه﴾ [سورة الأ نعام: ١٢٤]؛ وَكَلَا الْوَجْهَيْنِ حَقِيقَةً
فِيهِ؛ لِذَلِكَ قُلْنَا بِالِاتِّشَابِ فِي التَّنْزِيلِ، وَبِالِاتِّشَابِ فِي التَّشْبِيهِ.

وَبَعْدَ أَنْ تَقَرَّرَ هَذَا فَتَرَى خِي السُّتُورَ، وَتَسْدِلُ الْحُجُبَ، عَلَى عَيْنِ الْمُتَنَقِّدِ
وَالْمُعْتَقِدِ؛ وَإِنْ كَانَ مِنْ بَعْضِ صُورِ مَا تَجَلَّى فِيهَا الْحَقُّ.

وَلَكِنْ قَدْ أَمَرَ، بِالسُّتُرِ، لِيُظْهَرَ تَفَا ضُلَّ اسْتِعْدَادِ الصُّورِ، وَإِنَّ الْمُتَجَلِّيَّ 316
فِي صُورِهِ بِحُكْمِ اسْتِعْدَادِ تِلْكَ الصُّورَةِ، فَيُنْسَبُ إِلَيْهِ مَا تُعْطِيهِ حَقِيقَتُهَا
وَلَوَازِمُهَا، لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ.

مِثْلُ مَنْ يَرَى الْحَقَّ فِي النَّوْمِ، وَلَا يُنْكِرُ هَذَا؛ وَإِنَّهُ لَا شَكَّ الْحَقُّ
عَيْنُهُ، فَتَتَّبَعُهُ لَوَازِمُ تِلْكَ الصُّورَةِ وَحَقًّا يَفْقَهَا؛ الَّتِي تَجَلَّى فِيهَا فِي النَّوْمِ، ثُمَّ
بَعْدَ ذَلِكَ يُعْبَرُ، أَيُّ: يُجَازُ عَنْهَا إِلَى أَمْرٍ آخَرَ، يَقْتَضِي التَّنْزِيلَ عَقْلًا. فَإِنْ
كَانَ الَّذِي يُعْبَرُ هَذَا كَشْفٍ أَوْ إِيْمَانٍ، فَلَا يَجُوزُ عَنْهَا إِلَى تَنَزُّلٍ فِيهِ فَقَطُّ. بَلْ
يُعْطِيهَا حَقَّهَا مِنَ التَّنْزِيلِ، وَمِمَّا ظَهَرَتْ فِيهِ.

وَاللَّهُ عَلَى التَّحْقِيقِ عِبَارَةً، لِمَنْ فَهَمَ الْإِشَارَةَ.

وَرُوحُ هَذِهِ الْحِكْمَةِ وَفُصُّهَا، أَنَّ الْأَمْرَ يَنْقَسِمُ إِلَى مُؤَثَّرٍ وَمُؤَثِّرٍ فِيهِ؛
وَلَهُمَا عِبَارَتَانِ: فَأَلْمُؤَثَّرُ بِكُلِّ وَجْهِ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ، [٥٩ وجه] وَفِي كُلِّ
حَضَرَةٍ هُوَ اللَّهُ. وَالْمُؤَثِّرُ فِيهِ بِكُلِّ وَجْهِ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ، وَفِي كُلِّ حَضَرَةٍ،
هُوَ الْعَالَمُ.

فَإِذَا وَرَدَ فَأَلْحَقَ كُلَّ شَيْءٍ بِأَصْلِهِ الَّذِي يُنَا سَبَبُهُ، فَإِنَّ الْوَارِدَ أَبَدًا، لَا بُدَّ أَنْ
يَكُونَ فَرْعًا عَنْ أَصْلٍ.

كَأَنْتِ الْمَحَبَّةُ إِلَّا لِهِبَةٍ عَنِ النَّوَا فَلَ مِنَ الْعَبْدِ.

فَهَذَا أَثَرُ بَيْنَ مُؤَثِّرٍ وَمُؤَثَّرٍ فِيهِ، كَانَ الْحَقُّ سَمِعَ الْعَبْدَ وَبَصَرَهُ وَقَوَاهُ
عَنْ هَذِهِ الْمَحَبَّةِ. فَهَذَا أَثَرُ مُقَرَّرٍ لَا مُقَدَّرٍ عَلَى 'إِنْكَارِهِ، لِثُبُوتِهِ شَرْعًا، إِنْ
كُنْتَ مُؤْمِنًا.

وَأَمَّا الْعَقْلُ السَّلِيمُ فَهُوَ: إِمَّا صَاحِبُ تَجَلٍّ إِلَهِيٍّ، فِي مَجْلَى طَبِيعِيٍّ،
فَيَعْرِفُ مَا قُلْنَاهُ. وَإِمَّا مُؤْمِنٌ مُسْلِمٌ، يُؤْمِنُ بِهِ كَمَا وَرَدَ فِي الصَّحِيحِ.
وَلَا بُدَّ مِنْ سُلْطَانِ الْوَهْمِ، أَنْ يَحْكُمَ عَلَى الْعَاقِلِ الْبَاحِثِ، فِيمَا جَاءَ بِهِ
الْحَقُّ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ؛ لِأَنَّهُ مُؤْمِنٌ بِهَا.

وَأَمَّا غَيْرُ الْمُؤْمِنِ فَيَحْكُمُ عَلَى الْوَهْمِ بِالْوَهْمِ، فَيَتَخَيَّلُ بِنَظَرِهِ الْفِكْرِيَّ،
أَنَّهُ قَدْ أَحَالَ عَلَى اللَّهِ مَا أَعْطَاهُ ذَلِكَ التَّجَلِّيُّ فِي الرُّؤْيَا وَالْوَهْمُ فِي ذَلِكَ،
لَا يُفَارِقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ، لِغَفْلَتِهِ عَنْ نَفْسِهِ.

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿أَدْعُوْنِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [سورة غافر: ٦٠]، قَالَ تَعَالَى:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي سَمِعْتُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾

[سورة البقرة: ١٨٦] إِذْ لَا يَكُونُ مُجِيبًا إِلَّا إِذَا كَانَ مَنْ يَدْعُوهُ غَيْرُهُ — وَإِنْ

كَانَ عَيْنُ الدَّاعِي عَيْنَ الْمُجِيبِ — فَلَا خِلَافَ فِي اخْتِلَافِ الصُّوَرِ، فَهُمَا

صُورَتَانِ بِلَا شَكٍّ.

وَبَلَدُ الصُّورِ كُلُّهَا كَالْأَعْضَاءِ لِزَيْدٍ. فَمَعْلُومٌ أَنَّ زَيْدًا حَقِيقَةً وَاحِدَةً

شَخْصِيَّةً، وَأَنَّ يَدَهُ لَيْسَتْ صُورَةً رَجُلِيَّةً، وَلَا رَأْسَهُ، وَلَا عَيْنَهُ، وَلَا حَاجِبَهُ، فَهُوَ

الكَثِيرُ الْوَاحِدُ، الْكَثِيرُ بِالصُّورِ، الْوَاحِدُ بِالْعَيْنِ.

وَكَايِلُ نَسَانٍ بِالْعَيْنِ وَاحِدٌ، بِلَا شَكٍّ. وَلَا شَكَّ أَنَّ عَمْرًا مَا هُوَ زَيْدٌ، وَلَا

خَالِدٌ وَلَا جَعْفَرٌ، وَأَنَّ أَشْخَاصَ هَذِهِ الْعَيْنِ الْوَاحِدَةِ، لَا تَتَنَا هِيَ وَجُودًا، فَهُوَ

وَإِنْ كَانَ وَاحِدًا بِالْعَيْنِ، فَهُوَ كَثِيرٌ بِالصُّورِ وَالْأَشْخَاصِ.

وَقَدْ عَلِمْتَ قَطْعًا إِنْ كُنْتَ مُؤْمِنًا [٥٩ ظهر] أَنَّ الْحَقَّ عَيْنُهُ يَتَجَلَّى يَوْمَ

الْقِيَا مَةِ فِي صُورَةٍ فَيُعْرِفُ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ فِي صُورَةٍ فَيُنْكِرُ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ عَنْهَا فِي صُورَةٍ فَيُعْرِفُ، وَهُوَ هُوَ، الْمُتَجَلِّي — لَيْسَ غَيْرُهُ — فِي كُلِّ صُورَةٍ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذِهِ الصُّورَةَ، مَا هِيَ تِلْكَ الصُّورَةُ الْآخَرَى، وَكَأَنَّ الْعَيْنَ الْوَا حِدَةَ قَا مَتَ مَقَامَ الْمِرَاةِ، فَإِذَا نَظَرَ النَّاسُ فِيهَا إِلَى صُورَةٍ مُعْتَقَدِهِ فِي اللَّهِ، عَرَفَهُ فَأَقْرَبَ بِهِ. وَإِذَا اتَّفَقَ أَنْ يَرَى فِيهَا مُعْتَقَدَ غَيْرِهِ أَنْكَرَهُ، كَمَا يَرَى فِي الْمِرَاةِ صُورَتَهُ وَصُورَةَ غَيْرِهِ. فَأَمَّا لِمَرَاةٍ عَيْنٌ وَأَمَّا حِدَةً، وَأَمَّا لَصُورٍ كَثِيرَةٍ فِي عَيْنِ الرَّا بِي، وَلَيْسَ فِي الْمِرَاةِ صُورَةٌ مِنْهَا جُمْلَةً وَأَمَّا حِدَةً.

مَعَ كَوْنِ الْمِرَاةِ لَهَا أَثَرٌ فِي الصُّورِ بِوَجْهِهِ، وَمَا لَهَا أَثَرٌ بِوَجْهِهِ. فَالْأَثَرُ الَّذِي لَهَا كَوْنُهَا، تَرِدُ الصُّورَةَ مُتَغَيِّرَةً الشَّكْلَ مِنَ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ، وَالطُّوْلِ وَالْعَرْضِ، فَلَهَا أَثَرٌ فِي الْمَقَادِيرِ، وَذَلِكَ رَأَى جَعُ إِلَيْهَا.

وَإِنَّمَا كَمَا نَتَ هَذِهِ التَّغْيِيرَاتُ مِنْهَا، لِأَخْتِلَافِ مَقَادِيرِ الْمَرَا بِي. فَأَنظُرْ فِي الْمِثَالِ: مِرَاةً وَأَمَّا حِدَةً مِنَ هَذِهِ الْمَرَا بِي، لَا تَنْظُرُ الْجَمَاعَةَ؛ وَهُوَ نَظَرُكَ مِنْ حَيْثُ كَوْنُهُ ذَا تَأْ، فَهُوَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ. وَمِنْ حَيْثُ الْأَسْمَاءُ إِلَّا إِلَهِيَّةٌ فَذَلِكَ الْوَقْتُ يَكُونُ كَمَا لَمَرَا بِي.

فَأَيُّ أَسْمٍ إِلَهِيٍّ، نَظَرْتَ فِيهِ نَفْسَكَ — أَوْ مَنْ نَظَرَ — فَأَيُّ نَمَّا يَظْهَرُ فِي النَّاسِ ظَرْ حَقِيقَةً ذَلِكَ الْا سَمِ.

فَهَكَذَا هُوَ الْأَمْرُ، إِنْ فَهَمْتَ.

فَلَا تَجْزَعْ وَلَا تَخَفْ، فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الشَّجَاعَةَ وَلَوْ عَلَى قَتْلِ حَيَّةٍ. وَلَيْسَتْ الْحَيَّةُ سِوَى نَفْسِكَ، وَالْحَيَّةُ، حَيَّةٌ لِنَفْسِهَا بِالصُّورَةِ وَالْحَقِيقَةِ. وَالشَّيْءُ لَا يُقْتَلُ عَنْ نَفْسِهِ، وَإِنْ أُفْسِدَتِ الصُّورَةُ فِي الْحِسِّ، فَإِنَّ الْحَدَّ يَضْبِطُهَا، وَالْخَيَالُ لَا يَزِيلُهَا.

وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا، فَهَذَا هُوَ الْأَمَانُ عَلَافِ الدَّوَاتِ، وَالْعِزَّةُ وَالْمُنْعَةُ. فَإِنَّكَ لَا تَقْدِرُ عَلَى فَسَادِ الْحُدُودِ، وَأَيُّ عِزَّةٍ أَعْظَمُ مِنْ هَذِهِ الْعِزَّةِ؟

فَتَنَحَّيْلَ بِأَلَوْ هُمْ أَنْكَ قَتَلْتَ، وَبِأَلَوْ هُمْ لَمْ تَزَلِ الصُّورَةَ [٦٠ وجهه]
مَوْجُودَةً فِي الْحَدِّ.

وَأَلَوْ لَيْلٍ عَلَى ذَلِكَ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [سورة الأَنْفَالِ
١٧:]، وَأَلَوْ لَعَيْنٌ مَا أَدْرَكَتْ إِلَّا الصُّورَةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ، الَّتِي ثَبَتَ لَهَا الرَّمِيُّ فِي
الْحِسِّ، وَهِيَ الَّتِي نَفَى اللَّهُ الرَّمِيَّ عَنْهَا أَوَّلًا، ثُمَّ أَثْبَتَهُ لَهَا وَسَطًا، ثُمَّ عَادَ
بِأَلَوْ سَتَدْرَاكَ، أَنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّامِي فِي صُورَةِ مُحَمَّدٍ يَّةً، وَلَا بُدَّ مِنَ الْإِيْمَانِ
بِهَذَا.

فَأَنْظُرْ إِلَى هَذَا الْمُؤَثِّرِ، حَتَّى أَنْزَلَ الْحَقُّ فِي صُورَةِ مُحَمَّدٍ يَّةً. وَأَخْبَرَ
الْحَقُّ نَفْسَهُ عِبَادَهُ بِذَلِكَ، فَمَا قَالَ أَحَدٌ مِّنَّا ذَلِكَ، بَلْ هُوَ قَالَ عَنْ نَفْسِهِ،
وَأَخْبَرَهُ صِدْقٌ، وَالْإِيْمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، سَوَاءٌ أَدْرَكَتْ عِلْمٌ مَا قَالَ أَوْ لَمْ تُدْرِكْهُ.
فَأَيُّ مَا عَالِمٌ، وَإِلَّا مَا مُسْلِمٌ مُؤْمِنٌ.

321

وَمِمَّا يَدُلُّكَ عَلَى ضَعْفِ النَّظَرِ الْعَقْلِيِّ، مِنْ حَيْثُ فِكْرُهُ، كُؤُنُ الْعَقْلِ
يَحْكُمُ عَلَى الْعِلَّةِ، أَنَّهَا لَا تَكُونُ مَعْلُومَةً لِمَنْ هِيَ عِلَّةٌ لَهُ. هَذَا حُكْمُ الْعَقْلِ،
لَا خَفَاءَ بِهِ. وَمَا فِي عِلْمِ التَّجَلِّيِّ إِلَّا هَذَا، وَهُوَ أَنَّ الْعِلَّةَ تَكُونُ مَعْلُومَةً لِمَنْ
هِيَ عِلَّةٌ لَهُ.

وَأَلَوْ لَزِي حَكَمَ بِهِ الْعَقْلُ صَحِيحٌ، مَعَ التَّحَرُّيرِ فِي النَّظَرِ، وَغَايَتُهُ فِي ذَلِكَ
أَنْ يَقُولَ: إِذَا رَأَى الْأَمْرَ عَلَى خِلَافِ مَا أَعْطَاهُ الدَّلِيلُ النَّظَرِيُّ، أَنَّ الْعَيْنَ بَعْدَ
أَنْ ثَبَتَ أَنَّهَا وَاحِدَةٌ فِي هَذَا الْكَثِيرِ، فَمِنْ حَيْثُ هِيَ عِلَّةٌ فِي صُورَةٍ مِنْ
هَذِهِ الصُّوَرِ لِمَعْلُومٍ مَا، فَلَا تَكُونُ مَعْلُومَةً لِمَعْلُومٍ لَهَا، فِي حَالِ كَوْنِهَا عِلَّةً؛ بَلْ
يَنْتَقِلُ الْحُكْمُ بِأَنْتَقَا لَهَا فِي الصُّورِ، فَتَكُونُ مَعْلُومَةً لِمَعْلُومٍ لَهَا، فَيَصِيرُ مَعْلُومًا لَهَا
عِلَّةً لَهَا. هَذَا غَايَتُهُ، إِذَا كَانَ قَدْ رَأَى الْأَمْرَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَقِفْ مَعَ
نَظَرِهِ الْفِكْرِيِّ.

وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ فِي الْعِلِّيَّةِ بِهَذِهِ الْمَتَابَةِ، فَمَا ظَنُّكَ بِأَنْ تَسَاعِ النَّظَرِ الْعَقْلِيِّ،

فِي غَيْرِ هَذَا الْمَضِيقِ؟

فَلَا أَعْقَلَ مِنَ الرُّسُلِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَقَدْ جَاؤُوا بِمَا جَاؤُوا بِهِ، فِي
الْخَبَرِ عَنِ الْجَنَابِ الْإِلَهِيِّ، فَأَثَبْتُوا مَا أَثَبَتَهُ الْعَقْلُ، وَزَادُوا مَا لَا يَسْتَقِلُّ
الْعَقْلُ بِإِدْرَاكِهِ، وَمَا يُحِيلُهُ الْعَقْلُ رَأْسًا، وَيُقَرُّ بِهِ فِي التَّجَلِّيِ الْإِلَهِيِّ.
فَإِذَا خَلَا بَعْدَ التَّجَلِّيِ بِنَفْسِهِ، حَارَ فِيمَا رَأَهُ [٦٠ ظهر] فَإِنْ كَانَ عَبْدٌ رَبًّا،
رَدَّ الْعَقْلُ إِلَيْهِ. وَإِنْ كَانَ عَبْدٌ نَظِيرًا، رَدَّ الْحَقَّ إِلَى حُكْمِهِ.

322

وَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا مَا دَامَ فِي هَذِهِ النَّشْأَةِ الدُّنْيَاوِيَّةِ، مَحْجُوبًا عَنْ نَشْأَتِهِ
الْأُخْرَاوِيَّةِ فِي الدُّنْيَا. فَإِنَّ الْعَارِ فَيَنْ يَظْهَرُونَ هُنَا كَأَنَّهُمْ فِي الصُّورَةِ
الدُّنْيَاوِيَّةِ، لَمَّا يَجْرِي عَلَيْهِمْ مِنْ أَحْكَامِهَا، وَاللَّهُ تَعَالَى قَدْ حَوَّلَهُمْ فِي
بَوَائِطِهَا فِي النَّشْأَةِ الْأُخْرَاوِيَّةِ، لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ، فَهَمْ بِالصُّورَةِ مَجْهُولُونَ، إِلَّا
لَمَنْ كَشَفَ اللَّهُ عَنْ بَصِيرَتِهِ فَادْرَكَ.

فَمَا مِنْ عَارِفٍ بِاللَّهِ، مِنْ حَيْثُ التَّجَلَّى الْإِلَهِيُّ إِلَّا وَهُوَ عَلَى النَّشْأَةِ
الْأُخْرَاوِيَّةِ، قَدْ حُشِرَ فِي دُنْيَاهُ، وَنُشِرَ مِنْ قَبْرِهِ، فَهُوَ يَرَى مَا لَا تَرَوْنَ،
وَيَشْهَدُ مَا لَا تَشْهَدُونَ، عِنَايَةً مِنَ اللَّهِ بِبَعْضِ عِبَادِهِ فِي ذَلِكَ.

فَمَنْ أَرَادَ الْعُنُورَ عَلَى هَذِهِ الْحِكْمَةِ إِلَّا لِيَا سَيِّئَةِ الْإِدْرِيسِيَِّّةِ الَّتِي أَنْشَأَهُ
اللَّهُ نَشْأَتَيْنِ، فَكَانَ نَبِيًّا قَبْلَ نُوحٍ، ثُمَّ رُفِعَ وَنَزَلَ رَسُولًا بَعْدَ ذَلِكَ، فَجَمَعَ لَهُ
اللَّهُ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ، فَلْيَنْزِلْ عَنْ حُكْمِ عَقْلِهِ إِلَى شَهْوَتِهِ، وَيَكُونُ حَيًّا نَا مُطْلَقًا،
حَتَّى يَكْشِفَ مَا تَكْشِفُهُ كُلُّ دَابَّةٍ، مَا عَدَا الثَّقَلَيْنِ، فَحِينَئِذٍ يَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ
تَحَقَّقَ بِحَيَاةِ نَبِيِّتِهِ.

323

وَعَلَا مَتَهُ عَلَا مَتَانِ: الْوَا حِدَّةً، هَذَا الْكَشْفُ، فَيَرَى مَنْ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ،
وَمَنْ يُنْعَمُ، وَيَرَى الْمَيِّتَ حَيًّا، وَالصَّامِتَ مُتَكَلِّمًا، وَالْقَاعِدَ مَا شِئًا.
وَالْعَلَامَةَ الثَّانِيَةَ: الْخَرَسُ، بِحَيْثُ أَنَّهُ لَوْ أَرَادَ أَنْ يَنْطِقَ بِمَا رَأَى، لَمْ
يَقِرُّ. فَحِينَئِذٍ يَتَحَقَّقُ بِحَيَاةِ نَبِيِّتِهِ. وَكَانَ لَنَا تِلْمِيزٌ قَدْ حَصَلَ لَهُ هَذَا الْكَشْفُ،

غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَحْفَظْ عَلَيْهِ الْخَرَسُ. فَلَمْ يَتَحَقَّقْ بِحَيَاوَا نَبِيِّتِهِ.

وَلَمَّا أَقَامَ مَنِي اللَّهِ فِي هَذَا الْمَقَامِ، تَحَقَّقَتْ بِحَيَاوَا نَبِيِّتِي تَحَقُّقًا كَلْبًا.

فَكُنْتُ أَرَى، وَأُرِي يَدَ النُّطْقِ بِمَا أَشَاءُ هِدَّةً، فَلَا أَسْتَطِيعُ. فَكُنْتُ لَا أَفَرِّقُ بَيْنِي

وَبَيْنَ الْخَرَسِ الَّذِي لَا يَتَكَلَّمُونَ.

فَإِذَا تَحَقَّقَ بِمَا ذَكَرَ نَاهُ، أُنْتَقَلَ إِلَى أَنْ يَكُونَ عَقْلًا مُجَرَّدًا، فِي غَيْرِ مَادَّةٍ

طَبِيعِيَّةٍ، فَيَشْهَدُ أُمُورًا هِيَ أَصُولٌ لِمَا يَظْهَرُ فِي الصُّورِ الطَّبِيعِيَّةِ، فَيَعْلَمُ مِنْ

324

أَيْنَ ظَهَرَ [٦١ وجه] هَذَا الْحُكْمُ فِي صُورِ الطَّبِيعِيَّةِ عِلْمًا ذَوِيًّا.

فَإِنْ كُو شِفَ — عَلَى أَنَّ الطَّبِيعَةَ عَيْنُ نَفْسِ الرَّحْمَنِ، — فَقَدْ أُوتِيَ

خَيْرًا كَثِيرًا [إقتباس من سورة البقرة: ٢٦٩].

وَإِنْ أَقْتَصَرَ مَعَهُ عَلَى مَا ذَكَرَ نَاهُ، فَهَذَا الْقَدْرُ يَكْفِيهِ مِنَ الْمَعْرِفَةِ، الْحَاكِمَةِ

عَلَى عَقْلِهِ، فَيَلْحَقُ بِالْعَارِ فَيَنْ، وَيَعْرِفُ عِنْدَ ذَلِكَ ذَوْ قَا، ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ

اللَّهُ قَتَلَهُمْ ﴾ [سورة الأنفال: ١٧].

وَمَا قَتَلَهُمَا إِلَّا الْحَدِيدُ، وَالْضَارِبُ، وَالَّذِي خَلَفَ هَذِهِ الصُّورَ.

فَبِالْجَمُوعِ وَقَعَ الْقَتْلُ وَالرَّ مَي. فَيُشَاءُ هَذَا الْأَمْرُ بِأُ صُورِهَا وَصُورِهَا. فَيَكُونُ

تَا مًا. فَإِنْ شَهِدَ النَّفْسُ، كَانَ مَعَ التَّمَامِ كَمَا مِلًا. فَلَا يَرَى إِلَّا اللَّهَ عَيْنَ

مَا يَرَى، فَيَرَى الرَّأْيِي عَيْنَ الْمَرِي. وَهَذَا الْقَدْرُ كَافٍ.

وَاللَّهُ الْمُؤَفَّقُ الْهَادِي.

[٢٣] ﴿ فَصَّ حِكْمَةَ إِحْسَا نَبِيَّةٍ فِي كَلِمَةٍ لُقْمًا نَبِيَّةً ﴾

325

[الْوَا فِر]

لَهُ فَا لَكُونُ أَجْمَعُهُ غِذَاءً
لَنَا فَهُوَ الْغِذَاءُ كَمَا يَشَاءُ
بِهَا قَدْ شَاءَ هَا فَهِيَ الْمَشَاءُ
وَلَيْسَ مُشَاوُهُ إِلَّا الْمَشَاءُ
وَمِنْ وَجْهِ فَعَيْنُهُمَا سَوَاءُ

١- إِذَا شَاءَ إِلَّا لَهُ يُرِيدُ رِزْقًا
٢- وَإِنْ شَاءَ إِلَّا لَهُ يُرِيدُ رِزْقًا
٣- مَشِيئَتُهُ إِذَا تَهَ فَقُولُوا
٤- يُرِيدُ زِيَادَةً وَيُرِيدُ نَقْصًا
٥- فَهَذَا الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا فَحَقَّقُ

326

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ [سورة لقمان: ١٢]. وَمَنْ أَوْ تِي الْحِكْمَةَ فَقَدْ أَوْ تِي خَيْرًا كَثِيرًا [اقتباس من سورة البقرة: ٢٦٩]. فَلُقْمَانُ بِالنَّصِّ هُوَ ذُو الْخَيْرِ الْكَثِيرِ بِشَهَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ بِذَلِكَ، وَالْحِكْمَةُ قَدْ تَكُونُ مُتَلَفِّظًا بِهَا، وَمَسْكُوتًا عَنْهَا.

مِثْلَ قَوْلِ لُقْمَانَ لَأَبْنَيْهِ: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمُوتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾ [سورة لقمان: ١٦]. فَهَذِهِ حِكْمَةٌ مَنْطُوقٌ بِهَا، وَهِيَ أَنْ جَعَلَ اللَّهُ هُوَ الْآ تِي بِهَا، وَقَرَّرَ ذَلِكَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ، وَلَمْ يَرِدْ هَذَا الْقَوْلُ عَلَى قَائِلِهِ.

وَأَمَّا الْحِكْمَةُ الْمَسْكُوتُ عَنْهَا، وَعُلِمَتْ بِقَرِينَةِ الْحَالِ، فَكَوْنُهُ سَكَتَ عَنِ الْمَوْتَى إِلَيْهِ بِتِلْكَ الْحَبَّةِ، [٦١ ظهر] فَمَا ذَكَرَهُ، وَمَا قَالَ لَأَبْنَيْهِ: «يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِلَيْكَ، وَلَا إِلَيَّ غَيْرِكَ». فَأَرْسَلَ الْإِثْنَانِ عَا مًا وَجَعَلَ الْمَوْتَى بِهِ فِي السَّمَاوَاتِ — إِنْ كَانَ أَوْ فِي الْأَرْضِ — تَنْبِيْهَا لِيَنْظُرَ النَّاسُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمُوتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ [سورة الأَنْعَامِ: ٣].

فَنَبَّهَ لُقْمَانُ بِمَا تَكَلَّمَ بِهِ، وَبِمَا سَكَتَ عَنْهُ أَنَّ الْحَقَّ عَيْنُ كُلِّ مَعْلُومٍ، لِأَنَّ الْمَعْلُومَ أَعْمُ مِنَ الشَّيْءِ، فَهُوَ أَنْكَرُ النَّكَرَاتِ.

ثُمَّ تَمَّمَ الْحِكْمَةَ وَأَسْتَوْفَاهَا، لِتَكُونَ النَّشْأَةُ كَامِلَةً فِيهَا، فَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾ [سورة لقمان: ١٦]. فَمِنْ لَطَافَتِهِ وَلُطْفِهِ، أَنَّهُ فِي الشَّيْءِ الْمُسَمَّى كَذَا، الْمَحْدُودِ بِكَذَا، عَيْنُ ذَلِكَ الشَّيْءِ، حَتَّى لَا يُقَالَ فِيهِ إِلَّا مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ أَسْمُهُ بِالتَّوَاتُؤِ وَالصُّطْلَاحِ، فَيُقَالُ: «هَذَا سَمَاءٌ وَأَرْضٌ وَصَخْرَةٌ وَشَجَرٌ وَحَيَوَانٌ وَمَلَكٌ وَرِزْقٌ وَطَعَامٌ»، وَالْعَيْنُ وَاحِدَةٌ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَفِيهِ.

كَمَا تَقُولُ الْأَشْأَاءُ عَرَةً: إِنَّ الْعَالَمَ كُلَّهُ مُتَمَّا ثِلُّ بِالْجَوْهَرِ. فَهُوَ جَوْهَرٌ وَاحِدٌ. فَهُوَ عَيْنُ قَوْلِنَا الْعَيْنُ وَاحِدَةٌ. ثُمَّ قَالَتْ: وَيَخْتَلِفُ بِالْأَعْرَاضِ، وَهُوَ قَوْلُنَا. وَيَخْتَلِفُ وَيَتَكَثَّرُ بِالْأُصُورِ وَالنِّسَبِ، حَتَّى يَتَمَيِّزَ. فَيُقَالُ: هَذَا لَيْسَ

هَذَا، مِنْ حَيْثُ صُورَ تَهُ أَوْ عَرَّ ضُهُ أَوْ مِرَا جُهُ، كَيْفَ شِئَتْ فَقُلْ: وَهَذَا عَيْنُ هَذَا،
مِنْ حَيْثُ جَوَ هَرُهُ.

وَلِهَذَا يُؤْ خَذُ عَيْنُ الْجَوَ هَرٍ فِي حَدِّ كُلِّ صُورَةٍ وَمِزَاجٍ.
فَنَقُولُ نَحْنُ: إِنَّهُ لَيْسَ سِوَى الْحَقِّ، وَيَظُنُّ الْمُتَكَلِّمُ أَنَّ مُسَمَّى الْجَوَ هَرٍ،
وَإِنْ كَانَ حَقًّا، مَا هُوَ عَيْنُ الْحَقِّ الَّذِي يُطْلِقُهَا هَلْ الْكَشْفِ وَالتَّجَلِّي، فَهَذَا
حِكْمُهُ كَوْنُهُ لَطِيفًا.

ثُمَّ نَعْتَ فَقَالَ: ﴿خَبِيرًا﴾ [سورة الأحراب: ٣٤]. (أي: عَا لِمًا عَنْ اخْتِبَارٍ،
وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾ [سورة محمد: ٣١]. وَهَذَا هُوَ عِلْمُ
الْأَذْوَاقِ. فَجَعَلَ الْحَقُّ نَفْسَهُ مَعَ عِلْمِهِ بِمَا هُوَ الْأَمْرُ، عَلَيْهِ مُسْتَفِيدًا عِلْمًا. وَلَا
نَقْدِرُ عَلَىٰ إِنكَارِ مَا نَصَّ الْحَقُّ عَلَيْهِ فِي حَقِّ نَفْسِهِ. فَفَرَّقَ تَعَا لَىٰ مَا بَيْنَ عِلْمِ
الذَّوْقِ وَالْعِلْمِ الْمُطْلَقِ.

فَعِلْمُ الذَّوْقِ مُقَيَّدٌ بِالْقُوَى. وَقَدْ قَالَ عَنْ نَفْسِهِ، أَنَّهُ عَيْنُ قُوَى عَبْدِهِ فِي 329
قَوْلِهِ: «كُنْتُ سَمْعَهُ» وَهُوَ قُوَّةٌ مِنْ قُوَى الْعَبْدِ، [٦٢ وجه] «وَبَصَرَهُ»
وَهُوَ قُوَّةٌ مِنْ قُوَى الْعَبْدِ، «وَلِسَانَهُ» وَهُوَ عَضْوٌ مِنْ أَعْضَاءِ الْعَبْدِ، «وَرَجْلَهُ»
وَيَدَهُ» فَمَا أَقْتَصَرَ فِي التَّعْرِيفِ عَلَى الْقُوَى فَحَسِبُ، حَتَّى ذَكَرَ الْأَعْضَاءَ،
وَلَيْسَ الْعَبْدُ بِغَيْرِ لِهَذِهِ الْأَعْضَاءِ وَالْقُوَى.

فَعَيْنُ مُسَمَّى الْعَبْدِ هُوَ الْحَقُّ. لَا عَيْنُ الْعَبْدِ هُوَ السَّيِّدُ.
فَإِنَّ النَّسَبَ مُتَمَيِّزٌ لِذَا تَهَا، وَلَيْسَ الْمَنْسُوبُ إِلَيْهِ مُتَمَيِّزًا. فَإِنَّهُ لَيْسَ ثُمَّ
سِوَى عَيْنِهِ، فِي جَمِيعِ النَّسَبِ. فَهُوَ عَيْنٌ وَاحِدَةٌ، ذَاتُ نِسَبٍ وَإِضَافَاتٍ
وَصِفَاتٍ.

فَمِنْ تَمَامِ حِكْمَةِ لُقْمَانَ فِي تَعْلِيمِهِ أَبْنَاهُ، مَا جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، مِنْ
هَذَيْنِ إِلَّا سَمَيْنِ إِلَّا لِهَيِّينِ ﴿لَطِيفًا خَبِيرًا﴾. سُمِّيَ بِهِمَا اللَّهُ تَعَا لَىٰ، فَلَوْ جَعَلَ
ذَلِكَ فِي الْكَوْنِ — وَهُوَ الْوُجُودُ — فَقَالَ «كَانَ»، لَكَانَ أَتَمَّ فِي الْحِكْمَةِ

وَأَبْلَغَ. فَحَكَّى اللَّهُ قَوْلَ لُقْمَانَ عَلَى الْمَعْنَى كَمَا قَالَ. لَمْ يَزِدْ عَلَيْهِ شَيْئًا.

وَأِنْ كَانَ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [سورة لقمان: ١٦]، مِنْ قَوْلِ اللَّهِ،

فَلَمَّا عَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ لُقْمَانَ، لَوْ نَطَقَ مُتَمِّمًا لَتَمَّمَ بِهَذَا. 330

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿إِنْ تَكُ مِنْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾ [سورة لقمان: ١٦]، لِمَنْ

هِيَ لَهُ غِذَاءٌ، وَلَيْسَ إِلَّا الذَّرَّةُ الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ

خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [سورة الزلزال: ٧-٨]. فَهِيَ أَصْغَرُ

مُتَعَذِّ، وَالحَبَّةُ مِنَ الْخَرْدَلِ أَصْغَرُ غِذَاءٍ.

وَلَوْ كَانَ ثَمًّا صَغَرًا لَجَاءَ بِهِ، كَمَا جَاءَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ

يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً﴾ [سورة البقرة: ٢٦]. ثُمَّ لَمَّا عَلِمَ أَنَّهُ ثَمٌّ مَا هُوَ أَصْغَرُ مِنْ

الْبَعُوضَةِ، قَالَ: ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ [سورة البقرة: ٢٦]، يَعْنِي: فِي الصَّغَرِ، وَهَذَا قَوْلُ

اللَّهِ — وَالَّتِي فِي الزَّلْزَلَةِ قَوْلُ اللَّهِ أَيْضًا — فَأَعْلَمَ ذَلِكَ. فَتَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ

تَعَالَى مَا قُتِّصَرَ عَلَى وَزْنِ الذَّرَّةِ، وَثَمٌّ مَا هُوَ أَصْغَرُ مِنْهَا، فَإِنَّهُ جَاءَ بِذَلِكَ عَلَى

الْمُبَالَغَةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَأَمَّا تَصْغِيرُهُ أَسْمَ آبْنِهِ، فَتَصْغِيرُ رَحْمَةٍ. وَلِهَذَا وَصَّاهُ بِمَا فِيهِ سَعَادَةٌ، إِذَا

عَمِلَ بِذَلِكَ.

وَأَمَّا حِكْمَةُ وَصِيَّتِهِ فِي نَهْيِهِ إِيَّاهُ، أَلَّا يُشْرِكَ بِاللَّهِ، فَإِنَّ الشِّرْكَ ظُلْمٌ عَظِيمٌ

[اقتباس من سورة لقمان: ١٣].

وَالْمَظْلُومُ الْمَقَامُ، حَيْثُ نَعْتُهُ بِالْأَنْقَسَامِ.

وَهُوَ عَيْنٌ وَاحِدَةٌ، [٦٢ ظهر] فَإِنَّهُ لَا يُشْرِكُ مَعَهُ إِلَّا عَيْنُهُ. وَهَذَا غَايَةُ

الْجَهْلِ. وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الشَّخْصَ الَّذِي لَا مَعْرِفَةَ لَهُ بِالْأَمْرِ عَلَى مَا هُوَ

عَلَيْهِ، وَلَا بِحَقِيقَةِ الشَّيْءِ، إِذَا اخْتَلَفَتْ عَلَيْهِ الصُّورُ فِي الْعَيْنِ الْوَاحِدَةِ، وَهُوَ 331

لَا يَعْرِفُ أَنَّ ذَلِكَ الِاخْتِلَافَ فِي عَيْنٍ وَاحِدَةٍ، جَعَلَ الصُّورَةَ مُشَارِكَةً

لِلْأُخْرَى فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ. فَجَعَلَ لِكُلِّ صُورَةٍ جَزْأً مِنْ ذَلِكَ الْمَقَامِ.

وَمَعْلُومٌ فِي الشَّرِّ يَكُ أَنَّ الْأَمْرَ الَّذِي يَخْصُّهُ مِمَّا وَقَعَتْ فِيهِ الْمُشَارَكَةُ،
لَيْسَ عَيْنَ الْآخِرِ، الَّذِي شَارَكَهُ، أَوْ هُوَ لِذَا خَرَّ. فَإِذَنْ مَا تَمَّ شَرِّ يَكُ عَلَى
الْحَقِيقَةِ، فَإِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ عَلَى حَظِّهِ مِمَّا قِيلَ فِيهِ، أَنَّ بَيْنَهُمَا مُشَارَكَةً فِيهِ.
وَسَبَبُ ذَلِكَ، الشَّرُّ كَةُ الْمُشَاةِ، وَإِنْ كَانَتْ مُشَاةً، فَإِنَّ التَّصَرُّيفَ مِنْ
أَحَدٍ هُمَا يُزِيلُ إِلَّا شَاةً.

﴿ قُلَادُ عُوا أَللهَاوِ ادُّ عُوا الرَّحْمَنُ ﴾ [سورة الإسراء: ١١٠] هَذَا رُوحُ

الْمَسَاءَلَةِ.

[٢٤] ﴿ فَصَّ حِكْمَةَ إِمَامِيَّةٍ فِي كَلِمَةِ هَارُونَ نَبِيَّةٍ ﴾

332

أَعْلَمُ أَنَّ وُجُودَ هَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ مِنْ حَضَرَةِ الرَّحْمَتِ، يَقُولُ:
﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا ﴾ [سورة مريم: ٥٣]، يَعْنِي: لِمُوسَى ﴿ أَخَاهُ هَارُونَ
نَبِيًّا ﴾ [سورة مريم: ٥٣]، فَكَانَتْ نُبُوَّتُهُ مِنْ حَضَرَةِ الرَّحْمَتِ.
فَإِنَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مُوسَى سِنًا، وَكَانَ مُوسَى أَكْبَرَ مِنْهُ نُبُوَّةً، وَلَمَّا كَانَتْ نُبُوَّةُ
هَارُونَ مِنْ حَضَرَةِ الرَّحْمَةِ، لِذَا لَكَ قَالٌ لِأَخِيهِ مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ:
﴿ يَبْنُومُ ﴾ [سورة طه: ٩٤]، فَتَادَاهُ بِأَمٍّ لَا بِأَبِيٍّ، إِذْ كَانَتْ الرَّحْمَةُ لِلْأُمِّ دُونَ
الْأَبِ أَوْ فَرَ فِي الْحُكْمِ.

وَلَوْلَا تِلْكَ الرَّحْمَةُ مَا صَبَرْتُ عَلَى مُبَا شَرِّهِ التَّوْبَةِ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ﴾ [سورة طه: ٩٤]، وَلَا تُشْمِتْ

بِي الْأَعْدَاءَ ﴿ [سورة الأعراف: ١٥٠].

فَهَذَا كُلُّهُ نَفْسٌ مِنْ أَنْفَاسِ الرَّحْمَةِ؛ وَسَبَبُ ذَلِكَ عَدَمُ التَّثَبُّتِ فِي

النَّظَرِ فِيمَا كَانَ فِي يَدَيْهِ مِنَ الْأَلْوَا حِ التَّتِي أَلْفَا هَا مِنْ يَدَيْهِ.

333

فَلَوْ نَظَرَ فِيهَا، نَظَرَ تَثَبُّتًا، لَوْ جَدَّ فِيهَا الْهُدَى وَالرَّحْمَةَ، فَالْهُدَى بَيَانُ

مَا وَقَعَ مِنَ الْأَمْرِ، الَّذِي أَغْضَبَهُ — مِمَّا هُوَ هَارُونَ [٦٣ وجه] بَرِيءٌ

مِنْهُ — وَالرَّحْمَةُ بِأَخِيهِ. فَكَانَ لَا يَأْخُذُ بِلِحْيَتِهِ، بِمَرَأًى مِنْ قَوْمِهِ، مَعَ كِبَرِهِ،

وَأَنَّهُ أَسَنُّ مِنْهُ. وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ هَارُونَ، شَفَقَةً عَلَى مُوسَى؛ لِأَنَّ نُبُوَّةَ هَارُونَ
مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، فَلَا يَصْدُرُ مِنْهُ إِلَّا مِثْلُ هَذَا.

ثُمَّ قَالَ هَارُونَ لِمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ
بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [سورة طه: ٩٤]، فَتَجْعَلَنِي سَبَبًا فِي تَفْرِيقِهِمْ. فَإِنَّ عِبَادَةَ
العِجْلِ فَرَّقَتْ بَيْنَهُمْ؛ فَكَانَ مِنْهُمْ مَنْ عَبْدَهُ أَتْبَاعًا لِلسَّامِرِيِّ وَتَقْلِيدًا لَهُ.
وَمِنْهُمْ مَنْ تَوَقَّفَ عَنْ عِبَادَتِهِ، حَتَّى يَرَوْا جَمْعَ مُوسَى إِلَيْهِمْ، فَيَسْأَلُوهُ فِي ذَلِكَ،
فَخَشِيَ هَارُونَ أَنْ يُنْسَبَ ذَلِكَ الْفِرْقَانُ — بَيْنَهُمْ — إِلَيْهِ.

وَكَانَ مُوسَى أَعْلَمُ بِالْأَمْرِ مِنْ هَارُونَ، لِأَنَّهُ عَلِمَ مَا عَبْدَهُ أَصْحَابُ
العِجْلِ، لِعِلْمِهِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ قَضَى أَلَّا يُعْبَدَ إِلَّا إِيَّاهُ، وَمَا حَكَّمَ اللَّهُ بِشَيْءٍ إِلَّا
وَقَعَ.

فَكَانَ عَتَبُ مُوسَى أَخَاهُ هَارُونَ، لَمَّا وَقَعَ الْأَمْرُ فِي انْكَارِهِ، وَعَدِمَ
أَتْسَا عِهِ. فَإِنَّ الْعَارِفَ مَنْ يَرَى الْحَقَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ، بَلْ يَرَاهُ عَيْنَ كُلِّ شَيْءٍ. 334
فَكَانَ مُوسَى يَرَى بَنِي هَارُونَ تَرْبِيَةً عِلْمٍ، وَإِنْ كَانَ أَصْغَرَ مِنْهُ فِي السِّنِّ،
وَلِذَا لِكَ لَمَّا قَالَ لَهُ هَارُونَ مَا قَالَ، رَجَعَ إِلَى السَّامِرِيِّ، فَقَالَ لَهُ: ﴿مَا
خَطْبُكَ يَسْمِرِيُّ﴾ [سورة طه: ٩٥]؛ يَعْنِي: فِيمَا صَنَعْتَ مِنْ عُدُو لِكَ إِلَى صُورَةَ
العِجْلِ عَلَى الْاِخْتِصَاصِ، وَصُنْعِكَ هَذَا الشَّبَحَ مِنْ حُلِيِّ الْقَوْمِ حَتَّى
أَخَذْتَ بِقُلُوبِهِمْ مِنْ أَجْلِ أَمْوَالِهِمْ.

فَإِنَّ عِيسَى يَقُولُ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ: «يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ، قَلْبُ كُلِّ إِنْسَانٍ حَيْثُ
مَا لَهُ، فَأَجْعَلُوا أَمْوَالَكُمْ فِي السَّمَاءِ، تَكُنْ قُلُوبُكُمْ فِي السَّمَاءِ».

وَمَا سُمِّيَ الْمَالُ مَالًا، إِلَّا لِكَوْنِهِ بَا لَذَاتِ تَمِيلُ الْقُلُوبُ إِلَيْهِ بِا لِعِبَادَةِ. فَهُوَ
الْمَقْصُودُ الْأَعْظَمُ الْمُعْظَمُ فِي الْقُلُوبِ، لَمَّا فِيهَا مِنَ الْاِفْتِقَارِ إِلَيْهِ.

وَلَيْسَ لِلصُّورِ بَقَاءٌ، فَلَا بُدَّ مِنْ ذَهَابِ صُورَةِ الْعِجْلِ، لَوْ لَمْ يَسْتَعِجِلْ
مُوسَى بِحَرْقِهِ فَغَلَبَتْ عَلَيْهِ الْغَيْرَةُ فَحَرَّقَهَا، ثُمَّ نَسَفَ رَمَادَ تِلْكَ الصُّورَةِ فِي

الْيَمِّ نَسْفًا. وَقَالَ لَهُ: ﴿أَنْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ﴾ فَسَمَّاهُ لَهَا بِطَرِيقِ التَّنْبِيهِ لِلتَّعْلِيمِ،
لَمَّا عَلِمَ أَنَّهُ بَعْضُ الْمَجَالِي لِإِلَهِيَّةٍ.

﴿لَا حَرَقَنَّهُ﴾ [٦٣ ظهر] فَإِنَّ حَيَوَا نَبِيَّةٍ إِلَّا نَسَانِ لَهَا التَّصَرُّفُ فِي حَيَوَا نَبِيَّةِ
الْحَيَوَانِ، لِكَوْنِ اللَّهِ سَخَّرَ هَا لِلِإِنْسَانِ، وَلَا سَيِّمًا وَأَصْلُهُ لَيْسَ مِنْ حَيَوَانٍ،
فَكَانَ أَعْظَمَ فِي التَّسْخِيرِ، لِأَنَّ غَيْرَ الْحَيَوَانِ مَا لَهُ إِرَادَةٌ، بَلْ هُوَ بِحُكْمِ مَنْ
يَتَصَرَّفُ فِيهِ مِنْ غَيْرِ إِبَاءَةٍ.

336

وَأَمَّا الْحَيَوَانُ، فَهُوَ ذُو إِرَادَةٍ وَغَرَضٍ فَقَدْ يَقَعُ مِنْهُ إِلَّا بَاءَةٌ فِي بَعْضِ
التَّصَرُّفِ. فَإِنَّ كَانَ فِيهِ قُوَّةٌ إِظْهَارِ ذَلِكَ، ظَهَرَ مِنْهُ الْجُمُوحُ لَمَّا يَرِيدهُ مِنْهُ
إِلَّا نَسَانُ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ هَذِهِ الْقُوَّةُ، أَوْ يُصَادِفُ غَرَضَ الْحَيَوَانِ، أَنْقَادُ
مُذَلَّلًا لَمَّا يَرِيدهُ مِنْهُ، كَمَا يَنْقَادُ مِثْلُهُلًا مَرِّ فِيمَا رَفَعَهُ اللَّهُ بِهِ — مِنْ أَجْلِ
الْمَالِ الَّذِي يَزُجُّهُ مِنْهُ — الْمُعْبَرُ عَنْهُ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ بِالْأَجْرَةِ، فِي
قَوْلِهِ: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾
[اقتباس من سورة لز خرف: ٣٢].

فَمَا تَسَخَّرَ لَهُ مَنْ هُوَ مِثْلُهُ إِلَّا مِنْ حَيَوَا نَبِيَّةٍ، لَا مِنْ إِنْسَانِيَّةٍ، فَإِنَّ الْمِثْلَيْنِ
ضِدَّانِ. فَيُسَخَّرُ الْأَرَفُ فِي الْمَنْزِلَةِ، بِأَلْمَالِ أَوْ بِأَلْجَاهِ، بِإِنْسَانِيَّةٍ. وَيَتَسَخَّرُ لَهُ
ذَلِكَ إِلَّا خَرُ — إِمَّا خَوْفًا أَوْ طَمَعًا — مِنْ حَيَوَا نَبِيَّةٍ، لَا مِنْ إِنْسَانِيَّةٍ.
فَمَا يُسَخَّرُ لَهُ مَنْ هُوَ مِثْلُهُ. أَلَّا تَرَى مَا بَيْنَ الْبَهَائِمِ مِنَ التَّحَرُّشِ، لِأَنَّهَا
أَمْثَالُ؟ فَالْمِثْلَانِ ضِدَّانِ. وَلِذَا لَكَ قَال: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾
[اقتباس من سورة لز خرف: ٣٢].

فَمَا هُوَ مَعَهُ فِي دَرَجَتِهِ، فَوَقَعَ التَّسْخِيرُ مِنْ أَجْلِ الدَّرَجَاتِ، وَالتَّسْخِيرُ
عَلَى قِسْمَيْنِ: تَسْخِيرُ مُرَادٍ لِلْمُسَخَّرِ — أَسْمُ فَا عِلِّ — قَاهِرٌ فِي تَسْخِيرِهِ لِهَذَا
الشَّخْصِ الْمُسَخَّرِ، كَتَسْخِيرِ السَّيِّدِ لِعَبْدِهِ، وَإِنْ كَانَ مِثْلُهُ فِي الْإِنْسَانِيَّةِ،
وَكَتَسْخِيرِ السُّلْطَانِ لِرَعَايَاهُ، وَإِنْ كَانُوا أَمْثَالًا لَهُ، فَسَخَّرَهُمْ بِالدَّرَجَةِ.

337

وَالْقِسْمُ الْآخَرُ: تَسْخِيرُ بِأِلْحَالٍ. كَتَسْخِيرِ الرَّعَايَا لِلْمَلِكِ الْفَائِزِ بِأَمْرِ هُمْ،
 فِي الذَّبِّ عَنْهُمْ وَحِمَايَتِهِمْ، وَقِتَالِ مَنْ عَادَا هُمْ، وَحِفْظِهِ أَمْوَالَهُمْ وَأَنْفُسَهُمْ
 عَلَيْهِمْ. وَهَذَا كُلُّهُ تَسْخِيرُ بِأِلْحَالٍ مِنَ الرَّعَايَا يَسْخَرُونَ بِذَلِكَ مَلِيكَهُمْ،
 وَيُسَمَّى — عَلَى الْحَقِيقَةِ — تَسْخِيرَ الْمَرْتَبَةِ. فَأَمَّا تَبَتُّ حَكَمَتِهِ عَلَيْهِ بِذَلِكَ.
 فَمِنْ الْمُلُوكِ مَنْ سَعَى لِنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ عَرَفَ الْأَمْرَ، فَعَلِمَ أَنَّهُ بِأَمْرِ تَبَتُّ
 فِي تَسْخِيرِ رَعَايَاهُ، فَعَلِمَ [٦٤ وجه] قَدْرَ هُمْ وَحَقَّهُمْ، فَأَجَرَهُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ،
 أَجْرَةَ الْعُلَمَاءِ بِالْأَمْرِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ. وَأَجْرٌ مِثْلُ هَذَا يَكُونُ عَلَى اللَّهِ، فِي
 كَوْنِ اللَّهِ فِي شُؤْنِ عِبَادِهِ.

فَالْعَا لَمْ كُلُّهُ يُسَخَّرْ بِأِلْحَالٍ مَنْ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُطْلَقَ عَلَيْهِ أَنَّهُ
 مُسَخَّرٌ، قَالَ تَعَالَى ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [سورة لرحمن: ٢٩].
 فَكَانَ عَدَمُ قُوَّةِ إِرْدَاعِ هَارُونَ بِأِلْفَعْلٍ. أَنْ تَنْفُذَ فِي أَصْحَابِ الْعِجْلِ
 بِأَلْتَسْلِيْطِ عَلَى الْعِجْلِ، كَمَا سَلَّطَ مُوسَى عَلَيْهِ حِكْمَةً مِنَ اللَّهِ ظَاهِرَةً فِي
 الْوُجُودِ، لِيُعْبَدَ فِي كُلِّ صُورَةٍ، وَإِنْ ذَهَبَتْ تِلْكَ الصُّورَةُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَمَا ذَهَبَتْ
 إِلَّا بَعْدَ مَا تَلَبَّسَتْ عِنْدَ عَادِ هَا بِأَلُوْ هِيَّةٍ.

وَلِهَذَا مَا بَقِيَ نَوْعٌ مِنَ الْأَنْوَاعِ إِلَّا وَعَبْدٌ، إِمَّا عِبَادَةٌ تَأْتِيهِ، وَإِمَّا عِبَادَةٌ
 338 تَسْخِيرٌ، فَلَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ لِمَنْ عَقَلَ.

وَمَا عُبِدَ شَيْءٌ مِنَ الْعَالَمِ، إِلَّا بَعْدَ التَّلَبُّسِ بِأَلْرِ فَعَةٍ عِنْدَ الْعَادِ بِدٍ، وَأَلْظُهُورِ
 بِأَلْدَرَجَةِ فِي قَلْبِهِ. وَلِذَا لَكَ تَسْمِيَةُ الْحَقِّ لَنَا بِ«رَفِيعِ الدَّرَجَاتِ»، وَلَمْ يَقُلْ:
 «رَفِيعُ الدَّرَجَةِ»، فَكَثَّرَ الدَّرَجَاتِ فِي عَيْنِ وَاحِدَةٍ، فَإِنَّهُ قَضَى أَنْ لَا يُعْبَدَ
 إِلَّا إِيَّاهُ فِي دَرَجَاتٍ كَثِيرَةٍ مُخْتَلِفَةٍ، أَعْطَتْ كُلَّ دَرَجَةٍ مَجْلَى إِلَهِيًّا، عُبِدَ فِيهَا.
 وَأَعْظَمَ مَجْلَى عُبْدٍ فِيهِ وَأَعْلَاهُ: الْهَوَى. كَمَا قَالَ: ﴿أَفَرَأَيْتَ مِنْ أَتَّخَذَ
 إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ [سورة لجا نية: ٢٣]، فَهُوَ أَعْظَمُ مَعْبُودٍ، فَإِنَّهُ لَا يُعْبَدُ شَيْءٌ إِلَّا بِهِ،
 وَلَا يُعْبَدُ هُوَ إِلَّا بِذَاتِهِ.

وَفِيهِ أَقُولُ:

[الطَّوِيلُ]

وَحَقُّ الْهَوَىٰ إِنَّ الْهَوَىٰ سَبَبُ الْهَوَىٰ

وَلَوْلَا الْهَوَىٰ فِي الْقَلْبِ مَا عَبْدَ الْهَوَىٰ

أَلَا تَرَىٰ عِلْمَ اللَّهِ بِأَلَا شَيْءٍ مَا أَكْمَلَهُ، كَيْفَ تَمَّ فِي حَقِّ مَنْ عَبْدَ هَوَاهُ،

339

وَأَتَّخَذَهُ إِلَهًا، فَقَالَ: ﴿وَأَصْلُهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [سورة لجا ثية: ٢٣]، وَأَلَصَّ لَهُ

الْحَيْرَةُ. وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا رَأَىٰ هَذَا الْعَا بِدٌ، مَا عَبْدَ إِلَّا هَوَاهُ، بِأَنْقِيَادِهِ لَطَا عَتِهِ،

فِيمَا يَأْمُرُهُ بِهِ مِنْ عِبَادَةٍ مَنْ عَبْدَهُ، مِنْ الْأَشْخَاصِ.

حَتَّىٰ عِبَادَتُهُ لِلَّهِ، كَأَنَّهُ عَنْ هَوَىٰ أَيْضًا، لِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَقَعْ لَهُ فِي ذَلِكَ

الْجَنَابِ الْمُقَدَّسِ هَوَىٰ — وَهُوَ الْإِزَادَةُ بِمَحَبَّةٍ مَّا — [٦٤ ظهر] عَبْدَ اللَّهِ

وَلَا أَثَرُهُ عَلَىٰ غَيْرِهِ.

وَكَذَلِكَ كُلُّ مَنْ عَبْدَ صُورَةً مَّا، مِنْ صُورِ الْعَالَمِ وَأَتَّخَذَهَا إِلَهًا،

مَّا تَّخَذَهَا إِلَّا بِأَلَا لِهَوَىٰ، فَالْعَا بِدٌ لَا يَزَالُ تَحْتَ سُلْطَانِ هَوَاهُ.

ثُمَّ رَأَىٰ الْمَعْبُودَاتِ تَتَنَوَّعُ فِي الْعَا بِدٍ، وَكُلُّ عَا بِدٍ أَمْرًا مَّا، يُكْفَرُ

مَنْ يَعْبُدُ سِوَاهُ. وَالَّذِي عِنْدَهُ أَدْنَىٰ تَنْبُهُ، يَحَارُ لِأَنَّ تَحَارِ الْهَوَىٰ، بَلْ لَا حَدَّ يَتِي

الْهَوَىٰ، فَإِنَّهُ عَيْنٌ وَاحِدَةٌ فِي كُلِّ عَا بِدٍ.

فَ﴿أَصْلُهُ اللَّهُ﴾ [سورة لجا ثية: ٢٣] أَيُّ: حَيْرُهُ ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [سورة لجا ثية

: ٢٣]، بَأَنَّ كُلَّ عَا بِدٍ مَا عَبْدَ إِلَّا هَوَاهُ، وَلَا اسْتَعْبَدَهُ إِلَّا هَوَاهُ، سِوَاءِ

340

صَادَفَ الْأَمْرَ الْمَشْرُوعَ، أَوْ لَمْ يُصَادَفْ. وَالْعَارِفُ الْمُكْمَلُ مَنْ رَأَىٰ كُلَّ

مَعْبُودٍ مَجْلَىٰ لِلْحَقِّ يُعْبَدُ فِيهِ.

وَلِذَا لَكَ سَمَوُهُ كُلُّهُمْ: «إِلَهًا»، مَعَ أَسْمِهِ الْخَاصِّ: بِحَجَرٍ، أَوْ شَجَرٍ، أَوْ

حَيَوَانٍ، أَوْ إِنْسَانٍ، أَوْ كَوَكَبٍ، أَوْ مَلَكٍ، هَذَا أَسْمُ الشَّخْصِيَّةِ فِيهِ.

وَالْأَلُو هِيَ مَرْتَبَةُ تَخِيلِ الْعَا بِدٍ لَهُ، أَنَّهَا مَرْتَبَةُ مَعْبُودِهِ. وَهِيَ — عَلَىٰ

الْحَقِيقَةُ — مَجْلَى الْحَقِّ. الْمَجْلَى الْمُخْتَصَّ لِبَصَرِ هَذَا الْعَالَمِ الْخَاصِّ،
 الْمُعْتَكِفِ عَلَى هَذَا الْمَعْبُودِ، فِي هَذَا الْمَجْلَى الْمُخْتَصِّ. وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ
 مَنْ عَرَفَ، مَقَالَةً جَهَا لَةً: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرَّرَ بُوْنَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [سورة لز مر
 ٣:] مَعَ تَسْمِيَتِهِمْ إِيَّاهُ هُمُ إِلَهَةٌ.

حَتَّى قَالُوا: ﴿أَجْعَلْ آلَا لِهَةِ إِلَهًا وَآ جَدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾ [سورة ص
 ٥:]. فَمَا أَنْكَرُوهُ، بَلْ تَعَجَّبُوا مِنْ ذَلِكَ، فَأِنَّهُمْ وَقَفُوا مَعَ كَثْرَةِ الصُّوَرِ،
 وَنِسْبَةِ الْأُلُوْهِ لَهَا.

فَجَاءَ الرَّسُولُ وَدَعَا هُمُ إِلَى إِلَهِ وَآ جِدٍ يُعْرَفُ وَلَا يُشْهَدُ بِشَهَادَتِهِمْ،
 أَنَّهُمْ أَنْبَتُوهُ عِنْدَهُمْ، وَآ عَتَقْدُوهُ فِي قَوْلِهِمْ: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرَّرَ بُوْنَا إِلَى اللَّهِ
 زُلْفَى﴾ [سورة لز مر: ٣].

لِعَلِّمِهِمْ بَأَنَّ تِلْكَ الصُّوَرَ حِجَارَةٌ، وَلِذَلِكَ قَالَتْ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ، بِقَوْلِهِ:
 ﴿قُلْ سَمُّوْهُمْ﴾ [سورة لر عد: ٣٣] فَمَا يُسَمُّوْهُمْ إِلَّا بِمَا يَعْلَمُونَ أَنَّ تِلْكَ
 الْأَسْمَاءَ لَهُمْ حَقِيقَةٌ.

341

وَآ مَا الْعَارِ فُونِ بِالْأَمْرِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ فَيُظْهِرُونَ بِصُورَةٍ إِلَّا نَكَارَ لِمَا عُبِدَ
 مِنَ الصُّوَرِ لِأَنَّ مَرَّ تَبَتُّهُمْ فِي الْعِلْمِ تُعْطِيهِمْ أَنَّ يَكُونُوا بِحُكْمِ الْوَقْتِ لِحُكْمِ
 الرَّسُولِ — الَّذِي آمَنُوا بِهِ — عَلَيْهِمْ، الَّذِي بِهِ سُمُّوا مُؤْمِنِينَ.

فَهُمْ عِبَادُ الْوَقْتِ، مَعَ عِلْمِهِمْ [٦٥ وجه] بَأَنَّهُمْ مَا عَبَدُوا مِنْ تِلْكَ الصُّوَرِ
 أَعْيَانَهَا، وَإِنَّمَا عَبَدُوا اللَّهَ، فِيهَا لِحُكْمِ سُلْطَانِ التَّجَلِّي الَّذِي عَرَفُوهُ مِنْهُمْ،
 وَجَهْلُهُ الْمُنْكَرُ، الَّذِي لَا عِلْمَ لَهُ بِمَا تَجَلَّى.

أَوْ يَسْتَرْهُمَا لِعَارِفِ الْمُكْمَلِ مِنْ نَبِيِّ وَرَسُولٍ وَوَارِثٍ عَنْهُمْ.
 فَأَمَّا مَرَّ هُمُ بِالْأَمْرِ نِتْرَاحٍ عَنْ تِلْكَ الصُّورَةِ، لَمَّا أُنتَرَحَ عَنْهَا رَسُولُ الْوَقْتِ،
 أَتَبَّأَ عَمَّا لِلرَّسُولِ، طَمَعًا فِي مَحَبَّةِ اللَّهِ إِيَّاهُ، بِقَوْلِهِ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ
 فَآ تَبِعُوْنِي يُحِبِّكُمْ اللَّهُ﴾ [سورة آل عمران: ٣١].

فَدَا عَا إِلَى إِلِهِ يُصَمِّدُ إِلَيْهِ. وَيُعَلِّمُ مِنْ حَيْثُ الْجُمْلَةُ، وَلَا يُشْهَدُ

وَلَا تُدْرِكُهُ إِلَّا بَصَارٌ ﴿[سورة الأناعام: ١٠٣] بَلْ ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْإِنْسَانَ الْبَصِيرَ﴾ [سورة

الأناعام: ١٠٣] لِلطِّفْلِ، وَسَرَّيَا فِيهِ فِي أَعْيَانِ الْأَشْيَاءِ، فَلَا تُدْرِكُهُ إِلَّا بَصَارٌ، 342

كَمَا أَنَّهَا لَا تُدْرِكُ أَرْوَاحَهَا الْمُدْبِرَةُ أَشْبَاهَهَا، وَصُورَهَا الظَّاهِرَةَ.

فَ﴿هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [سورة الأناعام: ١٠٣].

وَالْخَبِيرَةُ ذَوْقٌ. وَالذَّوْقُ تَجَلُّ. وَالتَّجَلُّ فِي الصُّورِ. فَلَا بُدَّ مِنْهَا، وَلَا بُدَّ

مِنْهُ.

فَلَا بُدَّ أَنْ يَعْبُدَهُ مَنْ رَأَاهُ بِهَوَاهُ. إِنْ فَهَمْتَ.

﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ [سورة النحل: ٩].

[٢٥] ﴿فَصَّ حِكْمَةً عَلَوِيَّةً فِي كَلِمَةٍ مُوَسَّوِيَّةً﴾ 343

حِكْمَتُهُ قَتْلُ الْإِنْسَانِ مِنْ أَجْلِ مُوسَى لِيَعُودَ إِلَيْهِ بِالْإِمْدَادِ حَيَاةً كُلَّ مَنْ

قُتِلَ مِنْ أَجْلِهَا نَهَى قَتْلَ عَلَى أَنَّهُ مُوسَى، وَمَا تَمَّ جَهْلٌ، فَلَا بُدَّ أَنْ تَعُودَ

حَيَاتُهُ عَلَى مُوسَى، أَعْنِي: حَيَاةَ الْمَقْتُولِ مِنْ أَجْلِهِ، وَهِيَ حَيَاةُ طَاهِرَةٍ عَلَى

الْفِطْرَةِ، لَمْ تَدْ نَسْهَا إِلَّا غَرَاضُ النَّفْسِيَّةِ، بَلْ هِيَ عَلَى فِطْرَةٍ ﴿بَلَى﴾، فَكَانَ

مُوسَى مَجْمُوعَ حَيَاةٍ مَنْ قُتِلَ عَلَى أَنَّهُ هُوَ، وَكُلُّ مَا كَانَ مُهَيَّأً لِدَاكِ الْمَقْتُولِ

مِمَّا كَانَ أَسْتِعْدَادُ رُوحِهِ لَهُ، كَانَ فِي مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَهَذَا اخْتِصَاصُ إِلَهِيٍّ بِمُوسَى، لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ قَبْلَهُ.

فَإِنْ حَكَمَ مُوسَى كَثِيرَةً، وَأَنَا — إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى — أَسْرِدُ مِنْهَا فِي

هَذَا الْبَابِ عَلَى قَدْرِ مَا يَقَعُ بِهِ الْأَمْرُ الْإِلَهِيُّ فِي خَا طَرِي.

فَكَانَ هَذَا أَوَّلَ مَا شُؤِفَتْ بِهِ مِنْ هَذَا الْبَابِ. 344

فَمَا وَلَدَ مُوسَى إِلَّا وَهُوَ مَجْمُوعُ أَرْوَاحٍ كَثِيرَةٍ، جُمِعَ قُوَى فَعَالَةٍ [٦٥]

ظَهَرَ [لِأَنَّ الصَّغِيرَ يَفْعَلُ فِي الْكَبِيرِ].

أَلَا تَرَى الطِّفْلَ يَفْعَلُ فِي الْكَبِيرِ بِأَخَا صِيبَةٍ، فَيَنْزِلُ الْكَبِيرُ مِنْ رِيَا سِتِّهِ

إِلَيْهِ فَيَلَا عِبُهُ وَيُزْ قَرْقُ لَهُ، وَيَظْهَرُ لَهُ بِعَقْلِهِ.

فَهُوَ تَحْتَ تَسْخِيرِهِ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ، ثُمَّ شَغَلَهُ بِتَرْ بَيْتِهِ وَجَمَا بَيْتِهِ وَتَفَقَّدُ
مَصَا لِحِهِ وَتَأْ نَيْسِهِ حَتَّى لَا يَضِيقَ صَدْرُهُ. هَذَا كُلُّهُ مِنْ فِعْلِ الصَّغِيرِ بِالْكَبِيرِ.
وَذَا لِكَ لِقُوَّةِ الْمَقَامِ. فَإِنَّ الصَّغِيرَ حَدِيثُ عَهْدٍ بِرَبِّهِ، لِأَنَّهُ حَدِيثُ التَّكْوِينِ،
وَالْكَبِيرُ أَبْعَدُ، فَمَنْ كَانَ مِنَ اللَّهِ أَقْرَبَ، سَخَّرَ مَنْ كَانَ مِنَ اللَّهِ أَبْعَدَ.
كَخَوَاصِّ الْمَلِكِ — لِلْقُرْبِ مِنْهُ — يُسَخَّرُونَ الْأَبْعَدَ يَنْ.

345

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبْرُزُ بِنَفْسِهِ لِلْمَطَرِ إِذَا نَزَلَ،
وَيَكْشِفُ رَأْسَهُ لَهُ، حَتَّى يُصِيبَ مِنْهُ، وَيَقُولُ: «إِنَّهُ حَدِيثُ عَهْدٍ بِرَبِّهِ».
فَأَنْظُرْ إِلَى هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ، مِنْ هَذَا النَّبِيِّ، مَا أَجَلَّهَا وَمَا أَعْلَاهَا وَأَوْ ضَحَّاهَا.
فَقَدْ سَخَّرَ الْمَطَرُ أَفْضَلَ الْبَشَرِ لِقُرْبِهِ مِنْ رَبِّهِ، فَكَانَ مِثْلَ الرَّسُولِ الَّذِي
يَنْزِلُ عَلَيْهِ بِالْوَحْيِ فَدَعَاهُ بِأَلْحَالٍ بِذَاتِهِ، فَبَرَزَ إِلَيْهِ، لِيُصِيبَ مِنْهُ مَا
أَتَاهُ بِهِ مِنْ رَبِّهِ.

346

فَلَوْلَا مَا حَصَلَتْ لَهُ مِنْهُ الْفَائِدَةُ إِلَّا لِهَيْئَتِهِ، بِمَا أَصَابَ مِنْهُ، مَا بَرَزَ بِنَفْسِهِ
إِلَيْهِ.

فَهَذِهِ رِسَالَةٌ لَهُ مَاءٍ، ﴿جَعَلَ اللَّهُ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾ [اقتباس من سورة الأَنْبِيَاءِ
:٣٠]، فَأَفْهَمَ.

وَأَمَّا حِكْمَةُ الْإِلْقَاءِ فِيهِ فِي التَّابُوتِ وَرَمِيهِ فِي الْيَمِّ: فَأَلْتَابُوتُ نَا سُوءَتُهُ. وَالْيَمُّ
مَا حَصَلَ لَهُ مِنَ الْعِلْمِ، بِوَسِطَةِ هَذَا الْجِسْمِ، مِمَّا أَعْطَتْهُ الْقُوَّةُ النَّظَرِيَّةُ
الْفِكْرِيَّةُ، وَالْقُوَّةُ الْحِسِّيَّةُ، وَالْحَيَاةُ لِهَيْئَتِهِ، الَّتِي لَا يَكُونُ شَيْءٌ مِنْهَا، وَلَا مِنْ
أَمْتًا لَهَا، لِهَذِهِ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ، إِلَّا بِوُجُودِ هَذَا الْجِسْمِ الْعُنْصُرِيِّ.
فَلَمَّا حَصَلَتْ النَّفْسُ فِي هَذَا الْجِسْمِ، وَأُمِرَتْ بِأَلْتَصَرُّفِ فِيهِ وَتَدْبِيرِهِ،
جَعَلَ اللَّهُ لَهَا هَذِهِ الْقُوَّةَ الْآتِيَّةَ تَتَوَصَّلُ بِهَا إِلَى مَا أَرَادَهُ اللَّهُ مِنْهَا فِي تَدْبِيرِ
هَذَا التَّابُوتِ، الَّذِي فِيهِ سَكِينَةُ الرَّبِّ.

فَرُّ مِيَّ بِهِ فِي الْيَمِّ [٦٦ وجه] لِيَحْصُلَ بِهِذِهِ الْقَوَى عَلَى فَنُونِ الْعِلْمِ.
فَأَعْلَمَهُ بِذَلِكَ أَنَّهُ وَإِنْ كَانَ الرُّوحُ الْمَدْبَّرُ لَهُ هُوَ الْمَلِكُ، فَإِنَّهُ لَا يَدْبَرُهُ إِلَّا
بِهِ، فَأَصْحَبَهُ هَذِهِ الْقَوَى الْكَائِنَةُ فِي هَذَا النَّاسُوتِ الَّذِي عَبَّرَ عَنْهُ
بِأَلْتَابُوتٍ، فِي بَابِ الْإِشَارَاتِ وَالْحِكَمِ.

347

كَذَلِكَ تَدْبِيرُ الْحَقِّ الْعَالَمَ، مَا دَبَّرَهُ إِلَّا بِهِ أَوْ بِصُورَتِهِ.
فَمَا دَبَّرَهُ إِلَّا بِهِ، كَتَوَقَّفِ الْوَلَدِ عَلَى إِيْجَادِ الْوَالِدِ، وَالْمُسَبَّبَاتِ عَلَى
أَسْبَابِهَا، وَالْمَشْرُوطَاتِ عَلَى شُرُوطِهَا، وَالْمُعْلُولَاتِ عَلَى عِلَلِهَا، وَالْمَدْلُولَاتِ
عَلَى أَدِلَّتِهَا، وَالْمُحَقَّقَاتِ عَلَى حَقَائِقِهَا، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنَ الْعَالَمِ.
وَهُوَ تَدْبِيرُ الْحَقِّ فِيهِ، فَمَا دَبَّرَهُ إِلَّا بِهِ.
وَأَمَّا قَوْلُنَا: «أَوْ بِصُورَتِهِ» — أَعْنِي: صُورَةَ الْعَالَمِ — فَأَعْنِي بِهِ:
الْأَسْمَاءَ الْإِلَهِيَّةَ، الْأَسْمَاءَ الْحُسْنَى، وَالصِّفَاتِ الْعُلَى، الَّتِي تَسَمَّى الْحَقُّ
بِهَا وَأَتَّصَفَ بِهَا.

348

فَمَا وَصَلَ إِلَيْنَا مِنْ أَسْمٍ تَسَمَّى بِهِ، إِلَّا وَجَدْنَا مَعْنَى ذَلِكَ الْاِسْمِ
رُوحَهُ فِي الْعَالَمِ، فَمَا دَبَّرَ الْعَالَمَ أَيْضًا إِلَّا بِصُورَةِ الْعَالَمِ.
وَلِذَلِكَ قَالَ: فِي خَلْقِ آدَمَ الَّذِي هُوَ الْبَرُّ نَا مِجُّ الْجَا مِعْ لِنُعُوتِ الْحَضَرَةِ
الْإِلَهِيَّةِ، الَّتِي هِيَ الذَّاتُ، وَالصِّفَاتُ، وَالْأَفْعَالُ، «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى
صُورَتِهِ»، وَلَيْسَتْ صُورَتُهُ سِوَى الْحَضَرَةِ الْإِلَهِيَّةِ، فَأَوْجَدَ فِي هَذَا
الْمُخْتَصَرِ الشَّرِيفِ — الَّذِي هُوَ الْإِنْسَانُ الْكَامِلُ — جَمِيعَ الْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ،
وَحَقًّا بَقِيَ مَا خَرَجَ عَنْهُ، فِي الْعَالَمِ الْكَبِيرِ الْمُتَفَصِّلِ، وَجَعَلَهُ رُوحًا لِلْعَالَمِ،
فَسَخَّرَ لَهُ الْعُلُوقَ وَالسُّفُلَ، لِكَمَالِ الصُّورَةِ.

349

فَكَمَا أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْعَالَمِ إِلَّا وَهُوَ يُسَبِّحُ اللَّهَ بِحَمْدِهِ، كَذَلِكَ لَيْسَ
شَيْءٌ فِي الْعَالَمِ إِلَّا وَهُوَ مُسَخَّرٌ لِهَذَا الْإِنْسَانِ، لِمَا تُعْطِيهِ حَقِيقَةُ صُورَتِهِ.
فَقَالَ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾ [سورة

الجاثية: ١٣]، فَكَلَّ مَا فِي الْعَا لَمْ تَحْتَ تَسْخِيرِ إِلَّا نَسَانِ، عَلِمَ ذَلِكَ مَنْ
عَلِمَهُ — وَهُوَ إِلَّا نَسَانُ الْكََا مِلْ — وَجَهَلْ ذَلِكَ مَنْ جَهَلَهُ، وَهُوَ إِلَّا نَسَانُ
الْحَيَوَانُ.

فَكَأَنْتَ صُورَةُ الْإِقَاءِ مُوسَى فِي التَّابُوتِ، وَإِلْقَاءِ التَّابُوتِ فِي الْيَمِّ صُورَةُ
هَلَاكِ، وَفِي الْبَابِ طِنْ كَأَنْتَ نَجَاةً لَهُ مِنَ الْقَتْلِ، [٦٦ ظهر] فَحَيِّي كَمَا تَحْيِي
النَّفُوسُ بِإِلْعَامٍ، مِنْ مَوْتِ الْجَهْلِ.

كَمَا قَالَ: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا﴾ [سورة الأنعام: ١٢٢] يَعْني: بِإِلْجَاهِ،
﴿فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [سورة الأنعام: ١٢٢] يَعْني: بِإِلْعَامٍ. ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي
النَّاسِ﴾ [سورة الأنعام: ١٢٢]، وَهُوَ الْهُدَى. ﴿كَمَنْ مَثَّلَهُ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ [سورة
الأنعام: ١٢٢] وَهِيَ الضَّلَالُ. ﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ [سورة الأنعام: ١٢٢] أَي: لَا
يَهْتَدِي أَبَدًا، فَإِنَّ الْأَمْرَ فِي نَفْسِهِ لَا غَايَةَ لَهُ، يُوقِفُ عِنْدَ هَا.

350

فَا لْهُدَى هُوَ أَنْ يَهْتَدِيَ إِلَّا نَسَانُ إِلَى الْحَيَرَةِ، فَيَعْلَمُ أَنَّ الْأَمْرَ حَيْرَةً،
وَالْحَيْرَةُ قَلْقٌ وَحَرَكَةٌ، وَالْحَرَكََةُ حَيَاةٌ، وَلَا سُكُونٌ، وَلَا مَوْتٌ؛ وَوُجُودٌ، وَلَا
عَدَمٌ.

وَكَذَلِكَ فِي الْمَاءِ الَّذِي بِهِ حَيَاةُ الْأَرْضِ وَحَرَكَتُهَا، قَوْلُهُ: ﴿أَهْتَزَّتْ﴾
[سورة الحج: ٥]، وَحَمَلُهَا قَوْلُهُ: ﴿وَرَبَتْ﴾ [سورة الحج: ٥] وَوَلَدَتْهَا قَوْلُهُ:
﴿وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [سورة الحج: ٥]. أَي: أَنَّهَا مَا وَلَدَتْ إِلَّا مَنْ
يُشْبِهُهَا، أَي: طَبِيعِيًّا مِثْلَهَا، فَكَأَنْتَ الرُّوحُ حَيَّةٌ الَّتِي هِيَ الشَّفْعِيَّةُ لَهَا، بِمَا تَوَلَّدَ
مِنْهَا، وَظَهَرَ عَنْهَا.

كَذَاكَ وَجُودُ الْحَقِّ، كَأَنْتَ الْكَثْرَةُ لَهُ، وَنَعْدَادُ الْأَسْمَاءِ، أَنَّهُ كَذَا وَكَذَا،
بِمَا ظَهَرَ عَنْهُ مِنَ الْعَالَمِ الَّذِي يَطْلُبُ بِنَشْأَتِهِ حَقًّا يَقُ الْأَسْمَاءِ إِلَّا لِهَيْتَةٍ.
فَنَبَتْ بِهِ وَبَخَا لِقِهِ، أَحَدِيَّةُ الْكَثْرَةِ.

وَقَدْ كَانَ أَحَدِي الْعَيْنِ مِنْ حَيْثُ ذَاتُهُ، كَأَلْجَوهرِ الْهَيُولَا نِيٍّ، أَحَدِي الْعَيْنِ،

مِنْ حَيْثُ ذَا تَهُ، كَثِيرٌ بِا لَصَوْرِ الظَّا هِرَّةَ فِيهِ، الَّتِي هُوَ حَا مِلَ لَهَا بِذَا تِهِ.
كَذَا لِكَ الْحَقُّ بِمَا ظَهَرَ مِنْهُ مِنْ صُورِ التَّجَلِّي، فَكَانَ مَجْلَى صُورِ الْعَالَمِ
مَعَ الْأَحَدِيَّةِ الْمَعْقُولَةِ.

فَأَنْظُرْ مَا أَحْسَنَ هَذَا التَّعْلِيمَ إِلَّا لِهِيَ الَّذِي خَصَّ اللَّهُ بِالْأَطْلَاعِ عَلَيْهِ مَنْ
شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ.

وَلَمَّا وَجَدَهُ أَلْ فِرْعَوْنَ فِي الْيَمِّ عِنْدَ الشَّجَرَةِ، سَمَّاهُ فِرْعَوْنَ: «مُوَسَّى»؛ 351

وَالِدِ «مُوَسَّى» هُوَ الْمَاءُ بِا لِقِبْطِيَّةِ، وَالِدِ «سَا» هُوَ الشَّجَرُ، فَسَمَّاهُ بِمَا وَجَدَهُ

عِنْدَهُ، فَإِنَّ التَّابُوتَ وَقَفَ عِنْدَ الشَّجَرَةِ فِي الْيَمِّ، فَأَرَادَ قَتْلَهُ، فَقَالَ لَتُ

أَمْرًا تَهُ — وَكَأَنْتَ مُنْطَقَةً بِا لِنُطْقِ إِلَّا لِهِيَ — فِيمَا قَالَتْ لِفِرْعَوْنَ، إِذْ كَانَ 352

اللَّهُ خَلَقَهَا لِلْكَمَالِ، كَمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْهَا، حَيْثُ شَهِدَ لَهَا وَلَمْ يَمُتْ 353

عِمْرَانُ بِا لْكَمَالِ، الَّذِي هُوَ لِلذُّكْرَانِ، فَقَالَ لَتُ لِفِرْعَوْنَ فِي حَقِّ مُوسَى [٦٧]

وَجْهِ [إِنَّهُ: ﴿قُرْءَةً عَيْنٍ لِي وَلَكَ﴾ [سورة لقاصص: ٩].

فَبِهِ قَرَّتْ عَيْنُهَا بِا لْكَمَالِ، الَّذِي حَصَلَ لَهَا — كَمَا قُلْنَا — وَكَانَ قُرْءَةً

عَيْنٍ لِفِرْعَوْنَ بِا لِإِيْمَانِ، الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ عِنْدَ الْغَرَقِ.

فَقَبَضَهُ طَاهِرًا مُطَهَّرًا، لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْخَبَثِ، لِأَنَّهُ قَبَضَهُ عِنْدَ

إِيْمَانِهِ، قَبْلَ أَنْ يَكْتَسِبَ شَيْئًا مِنَ الْإِثْمِ، وَإِلَّا سَلَامٌ يَجِبُ مَا قَبْلَهُ، وَجَعَلَهُ آيَةً

عَلَى عِبَادِهِ — سُبْحَانَهُ — بِمَنْ شَاءَ، حَتَّى لَا يَبْيَأْسَ أَحَدٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ

﴿فَإِنَّهُ لَا يَبْيَأْسُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [اقتباس سورة يوسف

:٨٧] فَلَوْ كَانَ فِرْعَوْنُ مِمَّنْ يَبْيَأْسُ، مَا بَادَرَ إِلَى الْإِيْمَانِ.

فَكَانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَمَا قَالَتْ أَمْرًا فِرْعَوْنَ فِيهِ: إِنَّهُ قُرْءَةُ عَيْنٍ لِي

وَلَكَ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا، وَكَذَا لِكَ وَقَعَ، فَإِنَّ اللَّهَ نَفَعَهُمَا بِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَإِنْ

كَانَ مَا شَعَرَ، بَأَنََّّهُ هُوَ النَّبِيُّ الَّذِي يَكُونُ عَلَى يَدَيْهِ هَلَاكُ مُلْكِ فِرْعَوْنَ، وَهَلَاكُ

آلِهِ. وَلَمَّا عَصَمَهُ اللَّهُ مِنْ فِرْعَوْنَ، أَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا مِنَ الْهَمِّ، الَّذِي

كَانَ قَدْ أَصَابَهَا.

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ، حَتَّى أَقْبَلَ عَلَى تَدْيِ أُمِّهِ فَأَرْزَعَتْهُ
لِيُكْمَلَ اللَّهُ لَهَا سُرُورَ هَا بِهِ.

كَذَا لَكَ عِلْمُ الشَّرِّ بَعْدَ، كَمَا قَالَ: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَاءَ﴾ [سورة
الْمائدة: ٤٨]، أَي: طَرِيقًا وَمِنْهَا جَاءَ، أَي: مِنْ تِلْكَ الطَّرِيقَةِ جَاءَ، فَكَانَ هَذَا
الْقَوْلُ إِشَارَةً إِلَى الْأَصْلِ، الَّذِي مِنْهُ جَاءَ.

فَهُوَ غِذَاؤُهُ، كَمَا أَنَّ فَرْعَ الشَّجَرَةِ لَا يَتَغَذَّى إِلَّا مِنْ أَصْلِهِ.
فَمَا كَانَ حَرًّا مَّا فِي شَرْعٍ، يَكُونُ حَالًا فِي شَرْعٍ آخَرَ، يَعْنِي: فِي
الصُّورَةِ، أَعْنِي: قَوْلِي يَكُونُ حَالًا، وَفِي نَفْسِ الْأُمِّ مَا هُوَ عَيْنُ مَا مَضَى، لِأَنَّ
الْأُمَّ مَرَّ خَلْقُ جَدِّ يَدٌ، وَلَا تَكَرَّرَ. فَلِهَذَا نَبَّهْنَاكَ.

فَكُنِّي عَنْ هَذَا فِي حَقِّ مُوسَى بِتَحْرِيمِ الْمَرَاضِعِ.
فَأُمُّهُ — عَلَى الْحَقِيقَةِ — مَنْ أَرْزَعَتْهُ، لَا مَنْ وَلَدَتْهُ. فَإِنَّ أُمَّ الْوَلَادَةِ،
حَمَلَتْهُ عَلَى جِهَةِ الْأُمِّ مَا نَفَسَتْ فِيهَا، وَتَغَذَّى بِدَمِ طَمَثِهَا مِنْ غَيْرِ إِرَادَةٍ لَهَا
فِي ذَلِكَ، حَتَّى لَا يَكُونَ لَهَا عَلَيْهِ أُمْتِنَانٌ، فَإِنَّهُ مَا تَغَذَّى إِلَّا بِمَا لَوْ لَمْ
يَتَغَذَّ بِهِ — وَلَمْ يَخْرُجْ عَنْهَا ذَلِكَ الدَّمُ — لَا هَلَكَهَا وَأَمَّا مَرَضُهَا، فَلِلْجَنِينِ
الْمِنَةُ عَلَى أُمِّهِ [٦٧ ظهر] بِكَوْنِهِ تَغَذَّى بِذَلِكَ فَوْقَ مَا يَنْفُسُهُ مِنَ الضَّرْرِ الَّذِي
كَانَتْ تَجِدُهُ لَوْ أُمْتَسَكَ ذَلِكَ الدَّمُ عِنْدَهَا وَلَا يَخْرُجُ وَلَا يَتَغَذَّى بِهِ جَنِينُهَا.

وَأَلْمَزْ صِغَةً لَيْسَتْ كَذَلِكَ فَأَنَّهَا قَصَدَتْ بِرِضَا عَتِهِ حَيَاتَهُ وَإِبْقَاءَهُ، فَجَعَلَ اللَّهُ
ذَلِكَ لِمُوسَى فِي أُمِّ وَلَدَتِهِ، فَلَمْ تَكُنْ لِمَرْأَةٍ عَلَيْهِ فَضْلٌ إِلَّا لِأُمِّ وَلَدَتِهِ،
لِيَقَرَّ عَيْنُهَا أَيْضًا بِتَرَبُّبِهِ وَتُشَا هُدًى أَنْتَشَا نُهُ فِي جَبْرِهَا ﴿وَلَا تَحْزَنْ﴾
[سورة طه: ٤٠].

وَنَجَّاهُ اللَّهُ مِنْ غَمِّ النَّاتِبِ، فَخَرَقَ ظُلُمَةَ الطَّبِيعَةِ بِمَا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ
الْعِلْمِ إِلَّا لَهُيَّ وَإِنْ لَمْ يَخْرُجْ عَنْهَا.

وَفَتَنَهُ فُتُونًا، أَي: اخْتَبَرَهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ، لِيَتَحَقَّقَ فِي نَفْسِهِ صَبْرُهُ عَلَى مَا ابْتَلَاهُ اللَّهُ بِهِ.

فَأَوَّلُ مَا ابْتَلَاهُ اللَّهُ بِهِ قَتْلَهُ الْقِبْطِيِّ، بِمَا أَلْهَمَهُ اللَّهُ وَوَفَّقَهُ لَهُ فِي سِرِّهِ وَإِنْ لَمْ يَعْلَمْ بِذَلِكَ، وَلَكِنْ لَمْ يَجِدْ فِي نَفْسِهِ أَكْثَرًا ثَأْنًا بِقَتْلِهِ، مَعَ كَوْنِهِ مَا تَوَقَّفَ حَتَّى يَأْتِيَهُ أَمْرُ رَبِّهِ بِذَلِكَ، لِأَنَّ النَّبِيَّ مَعْصُومَ الْبَاطِنِ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ، حَتَّى يُنَبِّأَ أَي: يُخْبَرَ بِذَلِكَ.

وَلِهَذَا أَرَاهُ الْخِضْرُ قَتَلَ الْغُلَامَ، فَأَنْكَرَ عَلَيْهِ قَتْلَهُ، وَلَمْ يَنْدَ كَرَّ قَتْلَهُ الْقِبْطِيِّ، فَقَالَ لَهُ الْخِضْرُ: ﴿مَا فَعَلْتَهُ عَنْ أَمْرِي﴾ [سورة الكهف: ٨٢]، يُنَبِّهُهُ عَلَى مَرِّ تَبَّتِهِ قَبْلَ أَنْ يُنَبِّأَ، أَنَّهُ كَانَ مَعْصُومَ الْحَرَكَةِ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، وَإِنْ لَمْ يَشْعُرْ بِذَلِكَ، وَأَرَاهُ أَيْضًا خَرَقَ السَّفِينَةَ الَّتِي ظَاهِرُهَا هُلُكٌ، وَبَاطِنُهَا نَجَاةٌ، مِنْ يَدِ الْغَاصِبِ، جَعَلَ لَهُ ذَلِكَ فِي مَقَامِ بَلَاءِ التَّابُوتِ لَهُ، الَّذِي كَانَ فِي الْيَمِّ مُطْبَقًا عَلَيْهِ، فَظَاهِرُهُ هَلَاكٌ، وَبَاطِنُهُ نَجَاةٌ.

وَإِنَّمَا فَعَلْتَ بِهِ أُمُّهُ ذَلِكَ خَوْفًا مِنْ يَدِ الْغَاصِبِ فِرْعَوْنَ، أَنْ يَذَّ بِحَهُ صَبْرًا، وَهِيَ تَنْظُرُ إِلَيْهِ مَعَ الْوَحْيِ الَّذِي أَلْهَمَهَا اللَّهُ بِهِ مِنْ حَيْثُ لَا تَشْعُرُ، فَوَجَدَتْ فِي نَفْسِهَا أَنَّهَا تُرْضِعُهُ.

فَإِذَا خَافَتْ عَلَيْهِ أَلْقَتْهُ فِي الْيَمِّ، لِأَنَّ فِي الْمَثَلِ: «عَيْنٌ لَا تَرَى، قَلْبٌ لَا يَتَجَعَّعُ»، فَلَمْ تَخَفْ عَلَيْهِ خَوْفَ مُشَا هَدَاةِ عَيْنٍ، وَلَا حَزَنْتَ عَلَيْهِ حُزْنَ رُؤْيَاةِ بَصَرٍ، وَغَلَبَ عَلَى ظَنِّهَا أَنَّ اللَّهَ رُبَّمَا رَدَّهَ إِلَيْهَا لِحُسْنِ ظَنِّهَا بِهِ، فَعَا شَتَّ بِهَذَا الظَّنِّ [٦٨ وجه] فِي نَفْسِهَا، وَأَلَرَّ جَاءَ يَقًا بُلُ الْخَوْفِ وَالْإِيَّاسِ، وَقَالَتْ حِينَ أَلْهِمْتُ لَذَلِكَ: «لَعَلَّ هَذَا هُوَ الرَّسُولُ الَّذِي يُهْلِكُ فِرْعَوْنَ وَالْقِبْطَ عَلَى يَدَيْهِ». فَعَا شَتَّ وَسُرَّتْ بِهَذَا التَّوَهُُّمِ وَالظَّنِّ، بِأَنَّ لَنْظَرَ إِلَيْهَا، وَهُوَ عِلْمٌ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ. ثُمَّ إِنَّهُ لَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِ الطَّلَبُ، خَرَجَ فَارًّا خَوْفًا فِي الظَّاهِرِ، وَكَانَ فِي

الْمَعْنَى حُبًّا فِي النِّجَاةِ، فَإِنَّ الْحَرَكَةَ أَبَدًا إِنَّمَا هِيَ حَيِّثُ، وَيُحْجَبُ

النَّا ظِرُّ فِيهَا بِأُ سَبَابٍ أُخَرَ، وَلَيْسَتْ تِلْكَ.

وَذَلِكَ لِأَنَّ الْأَصْلَ حَرَكََةُ الْعَالَمِ مِنَ الْعَدَمِ، الَّذِي كَانَ سَاكِنًا فِيهِ إِلَى
الْوُجُودِ، وَلِذَا لِكَ يُقَالُ: إِنَّ الْأَمْرَ حَرَكَةً عَنِ السُّكُونِ، وَكَأَنَّكَ حَرَكَةً — الَّتِي
هِيَ وَجُودُ الْعَالَمِ — حَرَكَةً حُبٍّ. وَقَدْ نَبَّهَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: « كُنْتُ كَنْزًا لَمْ أُعْرِفْ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرِفَ ».

فَلَوْلَا هَذِهِ الْمَحَبَّةُ مَا ظَهَرَ الْعَالَمُ فِي عَيْنِهِ. فَحَرَكَتُهُ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى
الْوُجُودِ، حَرَكَةً حُبٍّ الْمَوْجِدِ لِذَلِكَ، وَلِأَنَّ الْعَالَمَ أَيْضًا يُحِبُّ شُهُودَ نَفْسِهِ
وُجُودًا، كَمَا شَهِدَ هَا تُبَوِّتًا، فَكَأَنَّكَ بِكُلِّ وَجْهِ حَرَكَتُهُ مِنَ الْعَدَمِ الثَّبُوتِيَّ إِلَى
الْوُجُودِ، حَرَكَةً حُبٍّ مِنْ جَانِبِ الْحَقِّ وَجَانِبِهِ، فَإِنَّ الْكَمَالَ مُحَبُّوبٌ لِذَاتِهِ.
وَعِلْمُهُ نَعَا لِي بِنَفْسِهِ مِنْ حَيْثُ هُوَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ، هُوَ لَهُ وَمَا بَقِيَ إِلَّا
تَمَامُ مَرْتَبَةِ الْعِلْمِ بِالْعِلْمِ الْحَادِثِ الَّذِي يَكُونُ مِنْ هَذِهِ الْأَعْيَانِ، أَعْيَانُ الْعَالَمِ
إِذَا وَجِدَتْ. فَتَظْهَرُ صُورَةُ الْكَمَالِ بِالْعِلْمِ الْمُحْدَثِ وَالْقَدِيمِ فَتَكْمُلُ مَرْتَبَةُ
الْعِلْمِ بِالْوُجُودِ.

وَكَذَلِكَ تَكْمُلُ مَرَاتِبُ الْوُجُودِ، فَإِنَّ الْوُجُودَ مِنْهُ أَزَلِيٌّ وَغَيْرُ أَزَلِيٍّ، وَهُوَ
الْحَادِثُ. فَالْأَزَلِيُّ وَجُودُ الْحَقِّ لِنَفْسِهِ، وَغَيْرُ الْأَزَلِيٍّ وَجُودُ الْحَقِّ بِصُورِ
الْعَالَمِ النَّاتِي. فَيُسَمَّى حَدُوثًا، لِأَنَّهُ ظَهَرَ بَعْضُهُ لِبَعْضِهِ، وَظَهَرَ [٦٨ ظهر]
لِنَفْسِهِ بِصُورِ الْعَالَمِ، فَكَمُلَ الْوُجُودُ، فَكَأَنَّكَ حَرَكَةً الْعَالَمِ لِمَحَبَّتِهِ لِلْكَمَالِ،
فَأَفْهَمَ.

أَلَا تَرَاهُ كَيْفَ نَفَسَ عَنِ الْأَسْمَاءِ إِلَّا لِهَيْئَةٍ، مَا كَأَنَّكَ تَجِدُهُ مِنْ عَدَمٍ
ظُهُورِ أَثَارِهَا فِي عَيْنِ مُسَمَّى الْعَالَمِ، فَكَأَنَّكَ الرَّاحَةَ مُحَبُّوبَةً لَهُ.
وَلَمْ يُوَصِّلْ إِلَيْهَا إِلَّا بِالْوُجُودِ الصُّورِيِّ الْأَعْلَى وَالْأَسْفَلِ، فَثَبَّتَ أَنَّ
الْحَرَكَةَ كَأَنَّكَ لِلْحُبِّ، فَمَا تَمَّ حَرَكَةً فِي الْكَوْنِ إِلَّا وَهِيَ حُبِّيَّةٌ.
فَمِنْ الْعُلَمَاءِ مَنْ يَعْلَمُ ذَلِكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَحْجِبُهُ السَّبَبُ الْأَقْرَبُ لِحُكْمِهِ

فِي الْحَالِ، وَأَ سْتَيْلَا إِلَيْهِ عَلَى النَّفْسِ.

فَكَانَ الْخَوْفُ لِمَا سَيُ مَشْهُودًا لَهُ، بِمَا وَقَعَ مِنْ قَتْلِهِ الْقِبْطِيِّ، وَتَضَمَّنَ
الْخَوْفُ حُبَّ النِّجَاةِ مِنَ الْقَتْلِ. فَفَرَّ لَمَّا خَافَ، وَفِي الْمَعْنَى، فَفَرَّ لَمَّا أَحَبَّ
النِّجَاةَ مِنْ فِرْ عَوْنٍ وَعَمَلِهِ بِهِ. فَذَكَرَ السَّبَبَ الْأَقْرَبَ الْمَشْهُودَ لَهُ فِي الْوَقْتِ،
الَّذِي هُوَ كَصُورَةِ الْجِسْمِ لِلْبَشَرِ. وَحُبُّ النِّجَاةِ مُضْمَنٌ فِيهِ، تَضْمِينُ الْجَسَدِ
لِلرُّوحِ الْمُدَبَّرِ لَهُ. 359

وَالْأَنْبِيَاءُ لَهُمْ لِسَانُ الظَّاهِرِ، بِهِ يَتَكَلَّمُونَ لِعُمُومِ الْخِطَابِ، وَأَعْتِمَادِهِمْ
عَلَى فَهْمِ الْعَالِمِ السَّامِعِ، فَلَا تَعْتَبِرُ الرُّسُلُ إِلَّا الْعَامَّةَ، لِعِلْمِهِمْ بِمَرْتَبَةِ أَهْلِ
الْفَهْمِ كَمَا نَبَّهَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى هَذِهِ الرُّتْبَةِ فِي الْعَطَا يَا فَقَالَ: «إِنِّي لَأُعْطِي
الرَّجُلَ، وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ مَخَافَةً أَنْ يُكَبِّهَ اللَّهُ فِي النَّارِ».

فَأَعْتَبَرَ الضَّعِيفَ الْعَقْلَ وَالنَّظَرَ الَّذِي غَلَبَ عَلَيْهِ الطَّمَعُ وَالطَّبْعُ.

فَكَذًا مَا جَاؤُوا بِهِ مِنَ الْعُلُومِ، جَاؤُوا بِهِ، وَعَلَيْهِ خِلْعَةٌ أَدْنَى الْفُهْمِ،

لِيَقِفَ مَنْ لَا غَوْصَ لَهُ عِنْدَ الْخِلْعَةِ، فَيَقُولُ: «مَا أَحْسَنَ هَذِهِ الْخِلْعَةَ!» 360

وَيَرَاهَا غَايَةَ الدَّرَجَةِ. وَيَقُولُ صَاحِبُ الْفَهْمِ الدَّقِيقِ، الْغَائِصُ عَلَى دُرَرِ

الْحِكْمِ — بِمَا أَسْتَوْجَبَ هَذَا — «هَذِهِ الْخِلْعَةُ مِنَ الْمَلِكِ»، فَيَنْظُرُ فِي

قَدْرِ الْخِلْعَةِ وَصِنْفِهَا مِنَ الثِّيَابِ، فَيَعْلَمُ مِنْهَا قَدْرَ مَنْ خُلِعَتْ عَلَيْهِ فَيَعْتَزُّ

عَلَى عِلْمٍ لَمْ يَحْصُلْ لِغَيْرِهِ مِمَّنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِمِثْلِ هَذَا.

وَلَمَّا عَلِمَتِ الْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ وَالْوَرَثَةُ، أَنَّ فِي الْعَالَمِ [٦٩ وجه] وَأُمَّمَهُمْ

مَنْ هُوَ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ، عَمِدُوا فِي الْعِبَارَةِ إِلَى اللِّسَانِ الظَّاهِرِ الَّذِي يَقَعُ فِيهِ

أَشْتِرَاكُ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ، فَيَفْهَمُ مِنْهُ الْخَاصُّ مَا فَهَمَ الْعَامَّةُ مِنْهُ وَزِيَادَةً مِمَّا

صَحَّ لَهُ بِهِ أَسْمُ، أَنَّهُ خَاصٌّ فَيَتَمَيَّزُ بِهِ عَنِ الْعَامِّيِّ، فَأَكْتَفَى الْمُبَلِّغُونَ الْعُلُومَ

بِهَذَا.

فَهَذَا حِكْمُهُ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ [سورة

الشعراء: ٢١] وَلَمْ يَقُلْ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ حُبًّا فِي السَّلَامَةِ وَالْعَافِيَةِ.

فَجَاءَ إِلَى مَدْيَنَ فَوَجَدَ الْجَارِ يَتَيْنِ، ﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾ [سورة لقصص: ٢٤]
مِنْ غَيْرِ أَجْرٍ، ﴿ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ﴾ [سورة لقصص: ٢٤] إِلَّا لِهَيِّ، فَقَالَ:
﴿رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [سورة لقصص: ٢٤] فَجَعَلَ عَيْنَ
عَمَلِهِ السَّقْيَ، عَيْنَ الْخَيْرِ الَّذِي أَنْزَلَ لَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِالْفَقْرِ إِلَى
اللَّهِ، فِي الْخَيْرِ الَّذِي عِنْدَهُ.

361

فَأَرَاهُ الْخِضْرُ إِفَّا مَةَ الْجِدَارِ مِنْ غَيْرِ أَجْرٍ، فَعَتَبَهُ عَلَى ذَلِكَ، فَذَكَرَهُ
بِسِقَا يَتَيْهِ مِنْ غَيْرِ أَجْرٍ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ، حَتَّى تَمَنَّى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ، أَنْ يَسْكُتَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَا يَعْتَرِضَ، حَتَّى يَقْصُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ
أَمْرِ هِمَا، فَيُعْلَمَ بِذَلِكَ مَا وَفَّقَ إِلَيْهِ مُوسَى، مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ مِنْهُ.
إِذْ لَوْ كَانَ عَنْ عِلْمٍ، مَا أَنْكَرَ مِثْلَ ذَلِكَ عَلَى الْخِضْرِ، الَّذِي قَدْ شَهِدَ اللَّهُ
لَهُ عِنْدَ مُوسَى، وَزَكَاهُ وَعَدَّ لَهُ، وَمَعَ هَذَا غَفَلَ مُوسَى عَنْ تَرْكِ كَيْفَةِ اللَّهِ، وَعَمَّا
شَرَطَهُ عَلَيْهِ فِي اتِّبَاعِهِ، رَحْمَةً بِنَا إِذَا نَسِينَا أَمْرًا لِلَّهِ.
وَلَوْ كَانَ مُوسَى عَا لِمَا بِذَلِكَ، لَمَا قَالَ لَهُ الْخِضْرُ: ﴿مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾
[سورة كهف: ٦٨]، أَي: إِنِّي عَلَى عِلْمٍ لَمْ يَحْصُلْ لَكَ عَنْ ذَوِقِي، كَمَا أَنْتَ
عَلَى عِلْمٍ لَا أَعْلَمُهُ أَنَا. فَأَنْصَفَ.

وَأَمَّا حِكْمَةُ فِرَاقِهِ، فَلِإِنَّ الرَّسُولَ يَقُولُ اللَّهُ فِيهِ: ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ
فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [سورة حشر: ٧]، فَوَقَفَ الْعُلَمَاءُ بِاللَّهِ الَّذِي
يَعْرِفُونَ قَدْرَ الرَّسُولِ سَالَةً وَالرَّسُولِ عِنْدَ هَذَا الْقَوْلِ. وَقَدْ عِلِمَ الْخِضْرُ أَنَّ مُوسَى
رَسُولُ اللَّهِ، فَأَخَذَ يَرْقُبُ مَا يَكُونُ مِنْهُ، لِيُؤْفِيَ الْأَدَبَ حَقَّهُ مَعَ الرَّسُولِ.
فَقَالَ لَهُ: ﴿إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَ هَذَا فَلَا تُصَحِّبْنِي﴾ [سورة كهف: ٧٦]

[٧٦]، فَانْهَاهُ عَنْ صُحْبَتِهِ. فَلَمَّا وَقَعَتْ مِنْهُ الثَّالِثَةُ، [٦٩ ظهر] قَالَ: ﴿هَذَا فِرَاقُ
بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾ [سورة كهف: ٧٨]، وَلَمْ يَقُلْ لَهُ مُوسَى: «لَا تَفْعَلْ» وَلَا طَلَبَ

362

صُحِبَتْهُ لِعِلْمِهِ بِقَدْرِ الرُّتْبَةِ الَّتِي هُوَ فِيهَا، الَّتِي أَنْطَقَتْهُ بِا لِنَهْيِ عَنْ أَنْ
يَصْحَبَهُ.

فَسَكَتَ مُوسَى. وَوَقَعَ الْفِرَاقُ. فَأَنْظُرْ إِلَى كَمَالِ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ فِي الْعِلْمِ،
وَتَوْفِيَةِ الْأَدَبِ إِلَّا لَهَا حَقَّةٌ.

وَأِنْصَافُ الْخِصْرِ فِيمَا أُعْتَرِفَ بِهِ عِنْدَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَيْثُ قَالَ لَهُ:
«أَنَا عَلَى عِلْمٍ عِلْمَيْنِيهِ اللَّهُ، لَا تَعْلَمُهُ أَنْتَ. وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ عِلْمَكُهُ اللَّهُ، لَا
أَعْلَمُهُ أَنَا». فَكَانَ هَذَا إِلَّا عَلَامٌ مِنَ الْخِصْرِ لِمُوسَى دَوَاءً لِمَا جَرَّ حَهْ بِهِ فِي
قَوْلِهِ: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ [سورة كهف: ٦٨]، مَعَ
عِلْمِهِ بِعُلُوقِ رُتْبَتِهِ بِا لِرَّ سَا لَهْ، وَلَيْسَتْ تِلْكَ الرُّتْبَةُ لِلْخِصْرِ. وَظَهَرَ ذَلِكَ فِي الْأُمَّةِ
الْمُحَمَّدِيَّةِ فِي حَدِيثِ إِبَارِ النَّخْلِ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَصْحَابِهِ: «أَنْتُمْ أَعْلَمُ
بِمَصَا لِحِ دُنْيَاكُمْ» وَلَا شَكَّ أَنَّ الْعِلْمَ بِا لَشَيْءٍ خَيْرٌ مِنَ الْجَهْلِ بِهِ، وَلِهَذَا
مَدَحَ اللَّهُ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. فَقَدْ أُعْتَرِفَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لِأَصْحَابِهِ بِأَنَّهُمْ أَعْلَمُ بِمَصَا لِحِ الدُّنْيَا مِنْهُ، لِكَوْنِهِ لَا خَبْرَةَ لَهُ بِذَلِكَ، فَإِنَّهُ عِلْمُ
ذَوِيقٍ وَتَجَرِبَةٍ، وَلَمْ يَتَفَرَّغْ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِعِلْمِ ذَلِكَ، بَلْ كَانَ شُغْلُهُ بِا لَأَهَمِّ
فَالَأَهَمُّ.

فَقَدْ نَبَّهْتُكَ عَلَى أَدَبٍ عَظِيمٍ، تَنْتَفِعُ بِهِ، إِنْ اسْتَعْمَلْتَ نَفْسَكَ فِيهِ.
وَقَوْلُهُ: ﴿فَوَهَبْ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾ [سورة الشعراء: ٢٨]، يُرِيدُ: الْخِلَافَةَ،
﴿وَجَعَلْنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة الشعراء: ٢٨]، يُرِيدُ: الرَّسَالَةَ، فَمَا كُلُّ رَسُولٍ
خَلِيفَةٌ، فَالْخَلِيفَةُ صَاحِبُ السَّيْفِ، وَالْعَزْلُ وَالْوَلَايَةُ، وَالرَّسُولُ لَيْسَ كَذَلِكَ،
إِنَّمَا عَلَيْهِ بَلَاغُ مَا أُرْسِلَ بِهِ. فَإِنْ قَاتَلَ عَلَيْهِ وَحَمَاهُ بِالسَّيْفِ فَذَلِكَ الْخَلِيفَةُ
الرَّسُولُ. فَكَمَا أَنَّ مَا كُلُّ نَبِيِّ رَسُولًا، كَذَلِكَ مَا كُلُّ رَسُولٍ خَلِيفَةٌ. أَيِ:
مَا أُعْطِيَ الْمُلْكُ وَلَا التَّحْكُمُ فِيهِ.

وَأَمَّا حِكْمَةُ سُؤَالِ فِرْعَوْنَ عَنِ الْمَاهِيَةِ إِلَّا لَهَايَّةٍ، فَلَمْ يَكُنْ عَنْ جَهْلٍ،

وَإِنَّمَا كَانَ عَنِ اخْتِبَارٍ، حَتَّى يَرَى جَوَابَهُ مَعَ دَعْوَاهُ الرَّسَا لَهُ عَنْ رَبِّهِ. وَقَدْ عَلِمَ
فَرُّ عَوْنٍ مَرَّتَبَةً الْمُزْ سَلِينَ فِي الْعِلْمِ، فَيَسْتَدِلُّ بِجَوَابِهِ عَلَى صِدْقِ دَعْوَاهُ.
وَسَأَلَ سُؤَالَ إِيْهَامٍ مِنْ أَجْلِ الْحَا ضِرِّينَ، حَتَّى يُعَرِّ فَهْمٌ مِنْ حَيْثُ لَا
يَشْعُرُونَ [٧٠ وجه] بِمَا شَعَرَ هُوَ فِي نَفْسِهِ فِي سُؤَالِهِ.

364

فَإِذَا أَجَابَ بِهِ جَوَابُ الْعُلَمَاءِ بِالْأَمْرِ، أَظْهَرَ فَرُّ عَوْنٍ — إِبْقَاءً لِنَصْبِهِ —
أَنَّ مُوسَى مَا أَجَابَ بِهِ عَلَى سُؤَالِهِ.

فَيَتَبَيَّنُ عِنْدَ الْحَا ضِرِّينَ — لِفُصُورِ فَهْمِهِمْ — أَنَّ فَرُّ عَوْنٍ أَعْلَمُ مِنْ
مُوسَى، وَلِهَذَا لَمَّا قَالَ لَهُ فِي الْجَوَابِ مَا يَنْبَغِي. وَهُوَ فِي الظَّاهِرِ غَيْرُ
جَوَابٍ عَلَى مَا سُئِلَ عَنْهُ.

وَقَدْ عَلِمَ فَرُّ عَوْنٍ أَنَّهُ لَا يُجِيبُهُ إِلَّا بِذَلِكَ، فَقَالَ لِصَاحِبِهِ ﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ
الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [سورة الشعراء: ٢٧] أَيْ مَسْتَوْرٌ عَنْهُ عِلْمٌ مَا سَأَلَ لَتَهُ
عَنْهُ، إِذْ لَا يَتَصَوَّرُ أَنَّ يَعْلَمَ أَصْلًا.

فَا لسؤال صحيح. فَإِنَّ السُّؤَالَ عَنِ الْمَا هِيَّةِ، سؤالٌ عَنْ حَقِيقَةِ الْمَطْلُوبِ.
وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ عَلَى حَقِيقَةٍ فِي نَفْسِهِ. وَأَمَّا الَّذِينَ جَعَلُوا الْحُدُودَ مَرَكَبَةً
مِنْ جِنْسٍ وَفَصْلٍ، فَذَلِكَ فِي كُلِّ مَا يَقَعُ فِيهِ التَّشْتِرَاكُ. وَمَنْ لَا جِنْسَ لَهُ، لَا
يَلْزَمُ أَنْ لَا يَكُونَ عَلَى حَقِيقَةٍ فِي نَفْسِهِ، لَا يَكُونُ لِغَيْرِهِ. فَا لسؤال صحيح
عَلَى مَذْهَبِ أَهْلِ الْحَقِّ وَالْعِلْمِ الصَّحِيحِ وَالْعَقْلِ السَّلِيمِ. وَالْجَوَابُ عَنْهُ لَا
يَكُونُ إِلَّا بِمَا أَجَابَ بِهِ مُوسَى.

365

وَهُنَا سِرٌّ كَبِيرٌ، فَإِنَّهُ أَجَابَ بِأَلْفَعْلٍ لِمَنْ سَأَلَ عَنِ الْحَدِّ الذَّا تِيٍّ، فَجَعَلَ
الْحَدَّ الذَّا تِيٍّ عَيْنَ إِضَافَتِهِ إِلَى مَا ظَهَرَ بِهِ مِنْ صُورِ الْعَالَمِ، أَوْ مَا ظَهَرَ فِيهِ
مِنْ صُورِ الْعَالَمِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ لَهُ فِي جَوَابِ قَوْلِهِ: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾؟ [سورة
الشعراء: ٢٣] قَالَ: «الَّذِي تَظْهَرُ فِيهِ صُورُ الْعَالَمِينَ مِنْ عُلُوِّ وَهُوَ السَّمَاءُ.

وَسُفْلٍ وَهُوَ الْأَرْضُ. ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ [سورة الشعراء: ٢٤]. أَوْ يَظْهَرُ هُوَ

بِهَا.

فَلَمَّا قَالَ فِرْعَوْنُ لِأَصْحَابِهِ: ﴿إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ [سورة لقلم: ٥١]، كَمَا قُلْنَا فِي مَعْنَى كَوْنِهِ مَجْنُونًا.

زَادَ مُوسَى فِي الْبَيَانِ، لِيَعْلَمَ فِرْعَوْنُ رُتْبَتَهُ فِي الْعِلْمِ إِلَّا لِهَيِّ، لِيَعْلَمَهُ بَأَنَّ فِرْعَوْنَ يَعْلَمُ ذَلِكَ، فَقَالَ: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [سورة شعراء: ٢٨]، فَجَاءَ بِمَا يَظْهَرُ وَيَسْتَتِرُ، وَهُوَ «الظَّاهِرُ» وَ«الْبَاطِنُ» وَمَا بَيْنَهُمَا، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [سورة شعراء: ٢٤]، أَي: إِنْ كُنْتُمْ أَصْحَابَ تَقْيِيدٍ، فَإِنَّ الْعَقْلَ يَقْيِدُ.

366

فَا لْجَوَابُ الْأَوَّلِ، جَوَابُ الْمُوقِنِينَ، وَهُمْ أَهْلُ الْكَشْفِ وَالْوُجُودِ، فَقَالَ لَهُ: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ [سورة شعراء: ٢٤] [٧٠ ظهر] أَي: أَهْلُ كَشْفِ وَوُجُودِ، فَقَدْ أَعْلَمْتُكُمْ بِمَا تَيَقَّنْتُمُوهُ فِي شُهُودِكُمْ وَوُجُودِكُمْ. فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا مِنْ هَذَا الصَّنَفِ، فَقَدْ أَجَبْتُكُمْ فِي الْجَوَابِ الثَّانِي، إِنْ كُنْتُمْ أَهْلُ عَقْلٍ وَتَقْيِيدٍ، وَحَصَرَ تَمَّ الْحَقَّ فِيمَا تُعْطِيهِ أَدَلَّةٌ عَقُولُكُمْ، فَظَهَرَ مُوسَى بِأَنَّ لَوْ جِهَيْنِ، لِيَعْلَمَ فِرْعَوْنُ فَضْلَهُ وَصِدْقَهُ، وَعَلِمَ مُوسَى أَنَّ فِرْعَوْنَ، عَلِمَ ذَلِكَ، أَوْ يَعْلَمُ ذَلِكَ، لِكُونِهِ سَأَلَ عَنِ الْمَاهِيَةِ، فَعَلِمَ أَنَّهُ لَيْسَ سُؤَالُهُ عَلَى أَصْطِلَاحِ الْقَدَمَاءِ فِي السُّؤَالِ بِ«مَا»، فَلِذَا لِكَ أَجَابَ، فَلَوْ عَلِمَ مِنْهُ غَيْرَ ذَلِكَ لَخَطَّأَهُ فِي السُّؤَالِ.

فَلَمَّا جَعَلَ مُوسَى الْمَسْئُولَ عَنْهُ، عَيْنَ الْعَالِمِ، خَا طَبَهُ فِرْعَوْنُ بِهَذَا اللَّسَانِ، وَالْقَوْمُ لَا يَشْعُرُونَ. فَقَالَ لَهُ: ﴿لَئِنْ أَتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنْ الْمَسْجُورِينَ﴾ [سورة شعراء: ٢٩].

وَ«اللسان» فِي السَّجْنِ مِنْ حُرُوفِ الزَّوَايِدِ، أَي: لَا سْتُرَ نَكَ فَانْكَ أَجَبْتَ بِمَا أَيْدَتْ تَتَبَي بِهِ، أَنْ أَقُولَ لَكَ مِثْلَ هَذَا الْقَوْلِ.

367

فَإِنْ قُلْتَ لِي، فَقَدْ جَهَلْتَ يَا فِرْعَوْنُ بَوْعِيكَ إِيَّايَ، وَالْعَيْنُ وَاحِدَةٌ.

فَكَيْفَ فَرَّقْتَ؟ فَيَقُولُ فِرْعَوْنُ: «إِنَّمَا فَرَّقْتُ الْمَرَاتِبَ الْعَيْنَ، مَا تَفَرَّقَتْ
الْعَيْنُ، وَلَا أَنْقَسَمَتْ فِي ذَاتِهَا. وَمَرَّ تَبَّتِي الْآنَ التَّحَكُّمُ فَيْكَ يَا مُوسَى
بِالْفِعْلِ، وَأَنَا أَنْتَ بِالْعَيْنِ، وَغَيْرِكَ بِالرُّتْبَةِ.

فَلَمَّا فَهِمَ ذَلِكَ مُوسَى مِنْهُ، أَعْطَاهُ حَقَّهُ، فِي كَوْنِهِ يَقُولُ لَهُ: «لَا تَقْدِرُ
عَلَى ذَلِكَ». وَالرُّتْبَةُ تَشْهَدُ لَهُ بِالْقُدْرَةِ عَلَيْهِ، وَإِظْهَارِ الْأَثَرِ فِيهِ، لِأَنَّ الْحَقَّ فِي
رُتْبَةِ فِرْعَوْنَ، مِنَ الصُّورَةِ الظَّاهِرَةِ، لَهَا التَّحَكُّمُ عَلَى الرُّتْبَةِ، الَّتِي كَانَ فِيهَا
ظُهُورُ مُوسَى فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ.

فَقَالَ لَهُ: يُظْهِرُ لَهُ الْمَانِعُ مِنْ تَعَدِّيهِ عَلَيْهِ: ﴿أَوْ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ﴾
[سورة شعراء: ٣٠]؟ فَلَمْ يَسْعَ فِرْعَوْنُ إِلَّا أَنْ يَقُولَ لَهُ: ﴿فَأَتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ
الْصَّادِقِينَ﴾ [سورة شعراء: ٣١]، حَتَّى لَا يَظْهَرَ فِرْعَوْنُ عِنْدَ ضُعْفَاءِ الرَّأْيِ
مِنْ قَوْمِهِ بَعْدَ الْإِنْصَافِ، فَكَانُوا يَرَوْنَ بُونًا فِيهِ، وَهِيَ الطَّائِفَةُ الَّتِي ﴿أَسْتَخَفَّهَا
فِرْعَوْنُ فَأَتَا عُوهُ، إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [اقتباس من سورة الزخرف: ٥٤] أَيْ:
خَارِجِينَ عَمَّا تُعْطِيهِ الْعُقُولُ الصَّحِيحَةُ مِنْ أَنْكَارٍ [٧١ وجه] مَا أَدَّعَاهُ فِرْعَوْنُ
بِاللِّسَانِ الظَّاهِرِ فِي الْعَقْلِ، فَإِنَّ لَهُ حَدًّا يَقِفُ عِنْدَهُ، إِذَا جَاوَزَهُ صَاحِبُ
الْكَشْفِ وَالْيَقِينِ.

وَلِهَذَا جَاءَ مُوسَى بِالْجَوَابِ، بِمَا يَقْبَلُهُ الْمُوقِنُ وَالْعَاقِلُ خَاصَّةً،
﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ﴾ [سورة شعراء: ٣٢]، وَهِيَ صُورَةُ مَا عَصَى بِهِ فِرْعَوْنُ
مُوسَى فِي إِبَابِهِ عَنْ إِجَابَةِ دَعْوَتِهِ، ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ [سورة شعراء:
٣٢]، أَيْ: حَيَّةٌ ظَاهِرَةٌ.

فَأَنْقَلَبَتِ الْمَعْصِيَةُ، الَّتِي هِيَ السَّيِّئَةُ، طَاعَةً، أَيْ: حَسَنَةً. كَمَا قَالَ
: ﴿يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ [سورة لقمان: ٧٠]، يَعْنِي: فِي الْحُكْمِ.
فَظَهَرَ الْحُكْمُ هُنَا عَيْنًا مُتَمَيِّزَةً فِي جَوْهَرٍ وَاجِدٍ. فَهِيَ الْعَصَا، وَهِيَ
الْحَيَّةُ وَالْثُعْبَانُ الظَّاهِرُ، فَالْتَقَمَ أَمْتًا لَهُ مِنَ الْحَيَّاتِ، مِنْ كَوْنِهَا حَيَّةً،

وَالْعِصَىٰ مِنْ كَوْنِهَا عَصًا. فَظَهَرَتْ حُجَّةٌ مُوسَىٰ عَلَىٰ حُجَجِ فِرْعَوْنَ، فِي صُورَةِ عِصَىٰ وَحَيَاتٍ وَجِبَالٍ.

فَكَانَتْ لِلْسَّحَرَةِ الْجِبَالِ، وَلَمْ يَكُنْ لِمُوسَىٰ حَبْلٌ. وَالْحَبْلُ، التِّلْ الصَّغِيرُ أَيُّ: مَقَارِيرُهُمْ بِالنَّسْبَةِ إِلَىٰ قَدْرِ مُوسَىٰ بِمَنْزِلَةِ الْجِبَالِ مِنَ الْجِبَالِ الشَّامِخَةِ.

369

فَلَمَّا رَأَتْ السَّحَرَةُ ذَلِكَ، عَلِمُوا رُتْبَةَ مُوسَىٰ فِي الْعِلْمِ، وَأَنَّ الَّذِي رَأَوْهُ لَيْسَ مِنْ مَقْدُورِ الْبَشَرِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ مَقْدُورِ الْبَشَرِ، فَلَا يَكُونُ إِلَّا مِمَّنْ لَهُ تَمَيُّزٌ فِي الْعِلْمِ الْمُحَقِّقِ عَنِ التَّخِيلِ وَالْإِيْهَامِ، فَأَمْنُوا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ، رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ: أَيُّ: الرَّبِّ الَّذِي يَدْعُو إِلَيْهِ مُوسَىٰ وَهَارُونَ، لِعِلْمِهِمْ أَنَّ الْقَوْمَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مَا دَعَا لِفِرْعَوْنَ.

وَلَمَّا كَانَ فِرْعَوْنُ فِي مَنْصِبِ التَّحْكُمِ صَاحِبَ الْوَقْتِ، وَأَنَّهَ الْخَلِيفَةُ بِالسَّيْفِ — وَإِنْ جَارَ فِي الْعُرْفِ النَّامُوسِي — لَذَاكَ قَالَ: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ إِلَّا عَلَىٰ﴾ [سورة النازعات: ٢٤] أَيُّ: وَإِنْ كَانَ الْكُلُّ أَرْبَابًا بِنِسْبَةِ مَا، فَأَنَا إِلَّا عَلَىٰ مِنْهُمْ، بِمَا أُعْطِيَتْهُ فِي الظَّاهِرِ مِنَ التَّحْكُمِ فِيكُمْ.

وَلَمَّا عَلِمَتِ السَّحَرَةُ صِدْقَهُ فِيمَا قَالَهُ لَمْ يُنْكِرُوهُ وَأَقْرَأُوا لَهُ بِذَلِكَ فَقَالُوا لَهُ: ﴿إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [سورة طه: ٧٢] ﴿فَأَقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ [سورة طه: ٧٢] فَأَلَدُوا لَهُ لَكَ. فَصَحَّ قَوْلُهُ: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ إِلَّا عَلَىٰ﴾ [سورة النازعات: ٢٤]، وَإِنْ كَانَ عَيْنَ الْحَقِّ فَأَلْصُقُهُ لِفِرْعَوْنَ، فَقَطَعَ

الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلَ، وَصَلَبَ بَعَيْنَ حَقٍّ فِي صُورَةِ بَابِ طِلْ [٧١ ظهر] لِنِيلٍ، مَرَاتِبَ

370

لَا تَتَأَلَّ إِلَّا بِذَلِكَ الْفِعْلِ. فَإِنَّ الْأَسْبَابَ لَا سَبِيلَ إِلَىٰ تَعْطِيلِهَا، لِأَنَّ الْأَعْيَانَ الثَّابِتَةَ أَقْتَضَتْهَا، فَلَا تَظْهَرُ فِي الْوُجُودِ إِلَّا بِصُورَةٍ مَا هِيَ عَلَيْهِ فِي الثَّبُوتِ، إِذْ لَا تَبَدُّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ. وَلَيْسَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ سِوَىٰ أَعْيَانِ الْمَوْجُودَاتِ، فَيُنْسَبُ إِلَيْهَا الْقِدَمُ مِنْ حَيْثُ نُبُوَّتُهَا، وَيُنْسَبُ إِلَيْهَا الْحُدُوثُ

مِنْ حَيْثُ وُجُودُهَا وَظُهُورُهَا، كَمَا نَقُولُ: حَدَّثَ الْيَوْمَ عِنْدَنَا إِنْسَانٌ أَوْ ضَيْفٌ.
وَلَا يَلْزَمُ مِنْ حُدُوثِهِ أَنَّهُ مَا كَانَ لَهُ وُجُودٌ قَبْلَ هَذَا الْحُدُوثِ. لِذَا لَكَ قَالَتَا لِي
فِي كَلَامِهِ الْعَزِيزِ أَيُّ: فِي إِنْتِيَا نِهِ مَعَ قَدَمٍ كَلَامِهِ: ﴿ مَا يَا تَيْهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ
مُحَدَّثٍ إِلَّا أَسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [سورة الأنبياء: ٢] ﴿ وَمَا يَا تَيْهِمْ مِنْ ذِكْرٍ
مِنْ أَلَرِّ حَمْنٍ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴾ [سورة الشعراء: ٥]. وَأَلَرِّ حَمْنٌ
لَا يَا تَيْ إِلَّا بِأَلَرِّ حَمَةٍ. وَمَنْ أَعْرَضَ عَنِ الرِّحْمَةِ اسْتَقْبَلَ الْعَذَابَ الَّذِي هُوَ
عَدَمُ الرِّحْمَةِ.

371

وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَاءَ سَنَاءِ سُنَّتِ اللَّهِ الَّتِي قَدْ
خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ﴾ [سورة غافر: ٨٥] ﴿ إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ ﴾ [سورة يونس: ٩٨]، فَلَمْ
يَدُلْ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ لَا يَنْفَعُهُمْ فِي الْآخِرَةِ، بِقَوْلِهِ فِي الْآسِتِنَاءِ ﴿ إِلَّا قَوْمٌ
يُونُسَ ﴾ [سورة يونس: ٩٨].

فَأَرَادَ أَنَّ ذَلِكَ لَا يَرْفَعُ عَنْهُمْ الْأَخْذَ فِي الدُّنْيَا، فَلِذَا لَكَ أَخْذَ فِرْعَوْنَ مَعَ
وُجُودِ الْإِيْمَانِ مِنْهُ.

هَذَا إِنْ كَانَ أَمْرُهُ أَمْرٌ مَنْ تَيَقَّنَ بِالْأَنْتِقَالِ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ. وَقَرِيبُهُ
الْحَالِ تُعْطِي أَنَّهُ مَا كَانَ عَلَى يَقِينٍ مِنَ الْآنْتِقَالِ، لِأَنَّهُ عَايِنَ الْمُؤْمِنِينَ
يَمْشُونَ فِي الطَّرِيقِ الْيَبَسِ، الَّذِي ظَهَرَ بِضَرْبِ مُوسَى بِعَصَاهُ الْبَحْرَ. فَلَمْ
يَتَيَقَّنْ فِرْعَوْنُ بِالْهَلَاكِ إِذَا آمَنَ، بِخِلَافِ الْمُحْتَضِرِ حَتَّى لَا يُلْحَقَ بِهِ.
فَمَا مَنْ بِالَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ عَلَى التَّيَقُّنِ بِالنَّجَاةِ، فَكَانَ كَمَا
تَيَقَّنَ، لَكِنْ عَلَى غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي أَرَادَ، فَنَجَّاهُ اللَّهُ مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ فِي
نَفْسِهِ، وَنَجَّا بَدَنَهُ كَمَا قَالَتَا لِي: ﴿ فَأَلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بَدَنَكَ لِتَكُونَ لِمَنْ
خَلَقَكَ آيَةً ﴾ [سورة يونس: ٩٢].

لِأَنَّهُ لَوْ غَابَ بِصُورَتِهِ، رُبَّمَا قَالَتْ قَوْمُهُ أَحْتَجِبْ. فَظَهَرَ بِالصُّورَةِ الْمَعْهُودَةِ
مَيِّتًا، لِيُعْلَمَ أَنَّهُ هُوَ. فَقَدْ عَمَّتْهُ النَّجَاةُ [٧٢ وجه] حِسًا وَمَعْنَى.

372

وَمَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ الْأَخْرَائِيَّ يُؤْمِنُ، وَلَوْ جَاءَ تَهُ كُلَّ آيَةٍ
﴿حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [سورة يونس: ٩٢]، أَي يَدُوقُوا الْعَذَابَ
الْأَخْرَائِيَّ.

فَخَرَجَ فِرْعَوْنُ مِنْ هَذَا الصَّنْفِ. هَذَا هُوَ الظَّاهِرُ الَّذِي وَرَدَ بِهِ الْقُرْآنُ.
ثُمَّ إِنَّا نَقُولُ — بَعْدَ ذَلِكَ وَالْأَمْرُ فِيهِ إِلَى اللَّهِ — لَمَّا اسْتَقَرَّ فِي نُفُوسِ
عَامَّةِ الْخَلْقِ مِنْ شَقَايِهِ، وَمَا لَهُمْ نَصٌّ فِي ذَلِكَ يَسْتَنْدُونَ إِلَيْهِ. وَأَمَّا آلُهُ فَلَهُمْ
حُكْمٌ آخَرُ لَيْسَ هَذَا مَوْضِعُهُ.

ثُمَّ لَتَعْلَمَنَّ أَنَّهُ مَا يَقْبِضُ اللَّهُ أَحَدًا إِلَّا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، أَي: مُصَدِّقٌ بِمَا جَاءَتْ
بِهِ الْأَخْبَارُ إِلَّا لِهَيْئَةٍ: وَأَعْنِي: مِنَ الْمُحْتَضِرِينَ، وَلِهَذَا يُكْرَهُ مَوْتُ الْفَجَاءَةِ،
وَقَتْلُ الْغَفْلَةِ.

فَأَمَّا مَوْتُ الْفَجَاءَةِ، فَحَدُّهُ أَنْ يَخْرُجَ النَّفْسُ الدَّاخِلُ وَلَا يَدْخُلُ النَّفْسُ
الْخَارِجُ. فَهَذَا مَوْتُ الْفَجَاءَةِ. وَهَذَا غَيْرُ الْمُحْتَضِرِ. وَكَذَلِكَ قَتْلُ الْغَفْلَةِ
بَضَرْبِ عُنُقِهِ مِنْ وَرَاءِ يَدِهِ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ. فَيَقْبِضُ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ إِيْمَانٍ أَوْ
كُفْرٍ وَلِذَا لَكَ قَالِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَيُحْشَرُ عَلَى مَا عَلَيْهِ مَاتَ».
كَمَا أَنَّهُ يَقْبِضُ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ.

وَالْمُحْتَضِرُ مَا يَكُونُ إِلَّا صَاحِبَ شُهُودٍ، فَهُوَ صَاحِبُ إِيْمَانٍ بِمَا تَمَّ،
فَلَا يَقْبِضُ إِلَّا عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ، لِأَنَّ «كَانَ» حَرْفٌ وَجُودِيٌّ لَا يَنْجُرُ
مَعَهُ الزَّمَانُ إِلَّا بِقَرَأْنِ الْأَحْوَالِ: فَيَفَرِّقُ بَيْنَ الْكَافِرِ الْمُحْتَضِرِ فِي الْمَوْتِ،
وَبَيْنَ الْكَافِرِ الْمَقْتُولِ غَفْلَةً، أَوْ الْمَيِّتِ فَجَاءَةً — كَمَا قُلْنَا — فِي حَدِّ
الْفَجَاءَةِ.

وَأَمَّا حِكْمَةُ التَّجَلِّيِّ، وَالْكَلامُ فِي صُورَةِ النَّارِ، لِأَنَّهَا كَأَنَّهَا بُغْيَةٌ مُوسَى،
فَتَجَلَّى لَهُ فِي مَطْلُوبِهِ، لِيَقْبَلَ عَلَيْهِ وَلَا يُعْرِضَ عَنْهُ. فَإِنَّهُ لَوْ تَجَلَّى لَهُ فِي غَيْرِ
صُورَةِ مَطْلُوبِهِ، أَعْرِضَ عَنْهُ، لَمْ جِئِمَا عِ هَمِّهِ عَلَى مَطْلُوبٍ خَاصٍّ.

وَلَوْ أَعْرَضَ، لَعَادَ عَمَلُهُ عَلَيْهِ، فَأُعْرِضَ عَنْهُ الْحَقُّ، وَهُوَ مُصْطَفَى مُقَرَّبٌ،
فَمِنْ قُرْبِهِ أَنَّهُ تَجَلَّى لَهُ فِي مَطْلُوبِهِ، وَهُوَ لَا يَعْلَمُ.

[البسيط]

كَنَارٍ مُوسَى يَرَاهَا عَيْنَ حَا جَتِهِ وَهُوَ إِلَّا لَهُ وَلَكِنْ لَيْسَ يَدْرِيهِ

[٧٢ ظهر]

374

[٢٦] ﴿فَصَّ حِكْمَةً صَمَدِيَّةٍ فِي كَلِمَةٍ خَالِدِيَّةٍ﴾

وَأَمَّا حِكْمَةُ خَالِدِيَّةٍ بَنِي سِنَانٍ فَإِنَّهُ أَظْهَرَ بِدَعْوَاهُ النَّبُوَّةَ الْبَرَزِيَّةَ.
فَإِنَّهُ مَا أَدَّ عَمَى إِلَّا خُبَارَ بِمَا هُنَا لَكَ إِلَّا بَعْدَ الْمَوْتِ، فَأَمَرَ أَنْ يُنَبِّشَ عَلَيْهِ،
وَيُسْأَلَ، فَيُخْبِرُ أَنَّ الْحُكْمَ فِي الْبَرَزِخِ عَلَى صُورَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَيُعْلَمُ
بِذَلِكَ صِدْقُ الرَّسُولِ كُلِّهِمْ، فِيمَا أَخْبَرُوا بِهِ فِي حَيَاتِهِمْ الدُّنْيَا.
فَكَانَ غَرَضُ خَالِدِيَّةٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِيمَانُ الْعَالَمِ كُلِّهِ بِمَا جَاءَتْ
بِهِ الرَّسُولُ، لِيَكُونَ رَحْمَةً لِلْجَمِيعِ. فَإِنَّهُ أَشْرَفَ بِقُرْبِ نُبُوَّتِهِ مِنْ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ. وَلَمْ يَكُنْ خَالِدِيَّةٌ
بِرَسُولٍ. فَأَرَادَ أَنْ يَحْصُلَ مِنْ هَذِهِ الرَّحْمَةِ فِي الرَّسَالَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ عَلَى حَظٍّ
وَأَفْرِ. وَلَمْ يُؤْمَرْ بِالتَّبْلِيغِ، فَأَرَادَ أَنْ يَحْظِيَ بِذَلِكَ فِي الْبَرَزِخِ، لِيَكُونَ أَقْوَى
فِي الْعِلْمِ فِي حَقِّ الْخَلْقِ. فَأَصَا عَنْ قَوْمِهِ وَلَمْ يَصِفِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ قَوْمَهُ، بَأَنَّهُمْ «أَصَا عُوا»، وَإِنَّمَا وَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ «أَصَا عُوا» نَبِيِّهِمْ،
حَيْثُ لَمْ يُبْلَغُوهُ مُرَادَهُ.

375

فَهَلْ بَلَغَهُ اللَّهُ أَجْرَ أُمْنِيَّتِهِ؟ فَلَا شَكَّ، وَلَا خِلَافَ أَنَّ لَهُ أَجْرَ أُمْنِيَّتِهِ،
وَإِنَّمَا الشُّكُّ وَالْخِلَافُ فِي أَجْرِ الْمَطْلُوبِ، هَلْ يُسَاوِي تَمَنِّي وَقُوِّعِهِ عَدَمَ
وَقُوِّعِهِ بِأَلَوْ جُودٍ أَمْ لَا؟

فَإِنَّ فِي الشَّرْعِ مَا يُؤَيِّدُ التَّسَاوِيَّ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ؛ كَالَا تِي لِلصَّلَاةِ
فِي الْجَمَاعَةِ، فَتَقْوَتُهُ الْجَمَاعَةُ، فَلَهُ أَجْرٌ مَنْ حَضَرَ الْجَمَاعَةَ. وَكَأَلْتَمَنِّي

مَعَ فَقَرِهِ مَا هُمْ عَلَيْهِ أَصْحَابُ الثَّرْوَةِ وَالْمَالِ، مِنْ فِعْلِ الْخَيْرِ فِيهِ، فَلَهُ مِثْلُ
أُجُورِهِمْ؛ وَلَكِنْ مِثْلُ أُجُورِهِمْ فِي نَبَأِ تِهِمْ أَوْ فِي عَمَلِهِمْ؟ فَإِنَّهُمْ جَمَعُوا بَيْنَ
الْعَمَلِ وَالنِّيَّةِ. وَلَمْ يَنْصُ النَّبِيُّ وَلَا عَلَى وَاحِدٍ مِنْهُمَا.

376

وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ لَا تَسَاوٍ بَيْنَهُمَا. وَلِذَا لَكَ طَلَبُ خَا لِدُ بْنُ سِنَانٍ إِلَّا بِلَاغٍ،
حَتَّى يَصِحَّ لَهُ مَقَامُ الْجَمْعِ بَيْنَ الْأَمْرِ يَنْ، فَيَحْصُلُ عَلَى الْأَجْرَيْنِ.
وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

[٢٧] ﴿ فَصَّ حِكْمَةَ فَرْدٍ يَّةٍ فِي كَلِمَةِ مُحَمَّدٍ يَّةٍ ﴾

377

إِنَّمَا كَأَنْتَ حِكْمَتُهُ فَرْدٍ يَّةٍ، لِأَنَّهُ أَكْمَلُ مَوْجُودٍ فِي هَذَا النُّوعِ إِلَّا نَسَائِيَّ،
[٧٣ وجه] وَلِهَذَا بُدِيَ بِهِ الْأَمْرُ وَخُتِمَ، فَكَانَ نَبِيًّا وَادَمَ بَيْنَ الْمَاءِ
وَالطِّينِ، ثُمَّ كَانَ بِنَشْأَتِهِ الْعُنْصُرِيَّةِ خَا تَمَ النَّبِيِّينَ، وَأَوَّلَ الْأَفْرَادِ:
الثَّلَاثَةُ. وَمَا زَادَ عَلَى هَذِهِ الْأَوَّلِيَّةِ مِنَ الْأَفْرَادِ فَإِنَّهُ عَيْنُهَا.

378

فَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَدَلَّ دَلِيلٍ عَلَى رَبِّهِ، فَإِنَّهُ أَوْ تَيَّ جَوَا مَعَ الْكَلِمِ
الَّتِي هِيَ مُسَمِّيَاتُ أَسْمَاءِ آدَمَ، فَأَشْبَهَ الدَّلِيلَ فِي تَتْلِيئِهِ، وَالدَّلِيلُ دَلِيلٌ لِنَفْسِهِ.
وَلَمَّا كَأَنْتَ حَقِيقَتُهُ تُعْطِي الْفَرْدِيَّةَ الْأُولَى بِمَا هُوَ مُثَلَّثُ النَّشْأَةِ، لِذَا لَكَ
قَالَ فِي بَابِ الْمَحَبَّةِ الَّتِي هِيَ أَصْلُ الْوُجُودِ: « حُبُّ إِلَهِي مِنْ دُنْيَاكُمْ
ثَلَاثٌ — بِمَا فِيهِ مِنَ التَّتْلِيثِ. ثُمَّ ذَكَرَ النِّسَاءَ، وَالطَّيِّبُ — وَجُعِلَتْ قُرَّةُ
عَيْنِهِ فِي الصَّلَاةِ ».

فَأَبْتَدَأَ بِذِكْرِ النِّسَاءِ وَأَخَّرَ الصَّلَاةَ، وَذَا لَكَ لِأَنَّ الْمَرْأَةَ جُزْءٌ مِنَ الرَّجُلِ
فِي أَصْلِ ظُهُورِ عَيْنِهَا.

379

وَمَعْرِفَةُ الْإِنْسَانِ بِنَفْسِهِ مُقَدِّمَةٌ عَلَى مَعْرِفَتِهِ بِرَبِّهِ، فَإِنَّ مَعْرِفَتَهُ بِرَبِّهِ نَتِيجَةٌ
عَنْ مَعْرِفَتِهِ بِنَفْسِهِ، لِذَا لَكَ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: « مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ
رَبَّهُ ».

فَإِنَّ شَيْئًا قُلْتُ: بِمَنْعِ الْمَعْرِفَةِ فِي هَذَا الْخَبَرِ، وَالْعَجْزُ عَنِ الْوُصُولِ فَإِنَّهُ

380

سَا بَعُ فِيهِ.

وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ: بِثُبُوتِ الْمَعْرِفَةِ. فَالْأَوَّلُ: أَنْ تَعْرِفَ أَنَّ نَفْسَكَ لَا تَعْرِفُهَا
فَلَا تَعْرِفُ رَبَّكَ. وَآ لَنَا نَبِي: أَنْ تَعْرِفَ فِيهَا فَتَعْرِفُ رَبَّكَ.

وَكَانَ مُحَمَّدٌ أَوْ ضَحَّ دَلِيلٌ عَلَى رَبِّهِ. فَإِنَّ كُلَّ جُزْءٍ مِنَ الْعَالَمِ دَلِيلٌ عَلَى
أَصْلِهِ الَّذِي هُوَ رَبُّهُ. فَافْهَمُ.

فَإِنَّمَا حُبَّبَ إِلَيْهِ النِّسَاءُ، فَحَنَّ إِلَيْهِنَّ، لِأَنَّهُ مِنْ بَابِ حَنِينِ الْكُلِّ إِلَى
جُزْءِهِ، فَأَبَانَ بِذَلِكَ عَنِ الْأَمْرِ فِي نَفْسِهِ مِنْ جَانِبِ الْحَقِّ، فِي قَوْلِهِ فِي هَذِهِ
النِّسَاءِ إِلَّا نَسَا نَبِيَّ الْعُنْصَرِيَّةِ: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [سورة الحجر: ٢٩؛
سورة قصص: ٧٢].

381

ثُمَّ وَصَفَ نَفْسَهُ بِشِدَّةِ الشَّوْقِ إِلَى لِقَائِهِ، فَقَالَ لِلْمُشْتَاكِينَ: «يَا دَاوُدُ إِنِّي
أَشَدُّ شَوْقًا إِلَيْهِمْ»، يَعْنِي: لِلْمُشْتَاكِينَ إِلَيْهِ هُوَ لِقَاءُ خَاصٍّ.
فَإِنَّهُ قَالَ فِي حَدِيثِ الدَّجَالِ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ لَنْ يَرَى رَبَّهُ حَتَّى
يَمُوتَ»، فَلَا بُدَّ مِنَ الشَّوْقِ لِمَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ.

فَشَوْقُ الْحَقِّ لِهَؤُلَاءِ الْمُقَرَّبِينَ مَعَ كَوْنِهِ يَرَاهُمْ، [٧٣ ظهر] فَيُحِبُّ أَنْ
يَرَوْهُ وَيَأْتِيَ الْمَقَامَ ذَلِكَ فَأَشْبَهَ قَوْلَهُ: ﴿حَتَّى نَعْلَمَ﴾ [سورة محمد: ٣١] مَعَ
كَوْنِهِ عَالِمًا، فَهُوَ يَشْتَاقُ لِهَذِهِ الصِّفَةِ الْخَاصَّةِ الَّتِي لَا وَجُودَ لَهَا إِلَّا عِنْدَ
الْمَوْتِ.

382

فَيَبْلُغُ بِهَا شَوْقَهُمْ إِلَيْهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي حَدِيثِ التَّرَدُّدِ الْإِلَهِيِّ، وَهُوَ
مِنْ هَذَا الْبَابِ، «مَا تَرَدَّدْتُ فِي شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي فِي قَبْضِ عَبْدِي
الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَكْرَهُ مُسَاءَتَهُ، وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ لِقَائِي»، فَبَشَّرَهُ.
وَمَا قَالَ لَهُ: «لَا بُدَّ لَهُ مِنَ الْمَوْتِ»، لَأَنَّهُ يَغْمَهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ.

وَلَمَّا كَانَ لَا يَلْقَى الْحَقَّ إِلَّا بَعْدَ الْمَوْتِ، كَمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ
أَحَدَكُمْ لَا يَرَى رَبَّهُ حَتَّى يَمُوتَ»، لِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى: «وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ

لِقَا يِّي»، فَأَشْتِيَاقُ الْحَقَّ لَوْ جُودِ هَذِهِ النَّسَبَةِ.

[الْمُتْقَارِبُ]

- ١- يَحِينُ الْحَبِيبُ إِلَى رُؤْيِي
٢- وَتَهْفُو النُّفُوسُ وَيَأْبَى الْقَضَا
- وَإِنِّي إِلَيْهِ أَشَدُّ حَازِلًا
فَأَشْكُو الْأَيْنَ وَيَشْكُو الْأَيْنَا

فَلَمَّا أَبَانَ أَنَّهُ نَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، فَمَا أَشْتَأَقُ إِلَّا لِنَفْسِهِ، أَلَا تَرَاهُ خَلَقَهُ

عَلَى صُورَتِهِ، لِأَنَّهُ مِنْ رُوحِهِ؟

383

وَلَمَّا كَانَتْ نَشَأَتْهُ مِنْ هَذِهِ الْأَرْكَانِ الْأَرْبَعَةِ الْمُسَمَّاةِ فِي جَسَدِهِ

أَخْلَا طًأً، حَدَّثَ عَنْ نَفْخِهِ أَشْتِعَالَ بِمَا فِي جَسَدِهِ مِنَ الرُّطُوبَةِ، فَكَانَ رُوحُ

الْإِنْسَانِ نَارًا لِأَجْلِ نَشَأَتِهِ، وَلِهَذَا مَا كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى إِلَّا فِي صُورَةِ النَّارِ،

وَجَعَلَ حَاجَتَهُ فِيهَا، فَلَوْ كَانَتْ نَشَأَتْهُ طَبِيعِيَّةً، لَكَانَ رُوحُهُ نُورًا.

وَكُنِيَ عَنْهُ بِالْإِنْفِخِ، يُشِيرُ إِلَى أَنَّهُ مِنْ نَفْسِ الرَّحْمَنِ، فَإِنَّهُ بِهَذَا

النَّفْسِ — الَّذِي هُوَ النَّفْخَةُ — ظَهَرَ عَيْنُهُ، وَيَأْتِي سِتْعَادُ الْمُنْفُوخِ فِيهِ كَانَ

384

الْأَشْتِعَالَ نَارًا لَا نُورًا، فَبَطَنَ نَفْسُ الْحَقِّ فِيمَا كَانَ بِهِ الْإِنْسَانُ إِنْسَانًا.

ثُمَّ أَشْتَقَّ لَهُ شَخْصًا عَلَى صُورَتِهِ سَمَّاهُ «أَمْرَأَةً»، فَظَهَرَتْ بِصُورَتِهِ، فَحَنَّ

إِلَيْهَا حَزِينَ الشَّيْءِ إِلَى نَفْسِهِ، وَحَنَّتْ إِلَيْهِ حَزِينَ الشَّيْءِ إِلَى وَطَنِهِ.

فَحُبَّبَ إِلَيْهِ النِّسَاءَ، فَإِنَّ اللَّهَ أَحَبَّ مَنْ خَلَقَهُ عَلَى صُورَتِهِ، وَأَسَجَدَ لَهُ

مَلَائِكَتُهُ النُّورِيِّينَ عَلَى عِظَمِ قَدْرِ هِمِّ وَمَنْزِلَتِهِمْ وَعُلُوِّ نَشَأَتِهِمِ الطَّبِيعِيَّةِ [٧٤]

وَجِهَ] فَمِنْ هُنَاكَ وَقَعَتْ الْمُنَا سَبَّةٌ.

وَالصُّورَةُ أَعْظَمُ مَنَا سَبَّةً وَأَجْلُهَا وَأَكْمَلُهَا، فَإِنَّهَا زَوْجُ أَيٍّ: شَفَعَتْ

وُجُودَ الْحَقِّ، كَمَا كَانَتْ الْمَرْأَةُ شَفَعَتْ بِوُجُودِهَا الرَّجُلَ فَصَيَّرَتْهُ زَوْجًا.

فَظَهَرَتْ الثَّلَاثَةُ: حَقٌّ، وَرَجُلٌ، وَأَمْرَأَةٌ. فَحَنَّ الرَّجُلُ إِلَى رَبِّهِ — الَّذِي

385

هُوَ أَصْلُهُ — حَزِينَ الْمَرْأَةِ إِلَيْهِ. فَحُبَّبَ إِلَيْهِ رَبُّهُ النِّسَاءَ، كَمَا أَحَبَّ اللَّهُ مَنْ

هُوَ عَلَى صُورَتِهِ.

فَمَا وَقَعَ الْحَبُّ إِلَّا لِمَنْ تَكُونَ عَنْهُ، وَقَدْ كَانَ لِمَنْ تَكُونُ مِنْهُ. وَهُوَ الْحَقُّ، فَلِهَذَا قَالَ: « حُبٌّ » وَلَمْ يَقُلْ: « أَحَبُّبْتُ » مِنْ نَفْسِهِ، لِتَعَلُّقِ حُبِّهِ بِرَبِّهِ الَّذِي هُوَ عَلَى صُورَتِهِ حَتَّى فِي مَحَبَّتِهِ لِمَا مَرَّ بِهِ، فَإِنَّهُ أَحَبَّهَا بِحُبِّ اللَّهِ إِيَّاهُ تَخَلُّقًا إِلَهِيًّا.

وَلَمَّا أَحَبَّ الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ، طَلَبَ الْوُصْلَةَ، أَي: غَايَةَ الْوُصْلَةِ الَّتِي تَكُونُ فِي الْمَحَبَّةِ، فَلَمْ يَكُنْ فِي صُورَةِ النَّشْأَةِ الْعُنْصُرِيَّةِ أَعْظَمَ وَصْلَةً مِنَ النِّكَاحِ، وَلِهَذَا تَعُمُّ الشَّهْوَةُ أَجْزَاءَهُ كُلَّهَا، وَلِذَا لَكَ أَمْرٌ بِالْإِغْتِسَالِ مِنْهُ، فَعَمَّتِ الطَّهَارَةُ، كَمَا عَمَّ الْفَنَاءُ فِيهَا عِنْدَ حُصُولِ الشَّهْوَةِ.

فَإِنَّ الْحَقَّ غَيَّرَ عَلَى عَبْدِهِ أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّهُ يَلْتَدُّ بِغَيْرِهِ، فَطَهَّرَهُ بِالْغُسْلِ لِيَرْجِعَ بِالنَّظَرِ إِلَيْهِ فَيَمُنَّ فِيهِ، إِذْ لَا يَكُونُ إِلَّا ذَلِكَ. فَإِذَا شَاءَ هَذَا الرَّجُلُ الْحَقَّ فِي الْمَرْأَةِ، كَانَ شُهُودًا فِي مُنْفَعِلٍ، وَإِذَا شَاءَ هَذِهِ فِي نَفْسِهِ مِنْ حَيْثُ ظَهَرَ الْمَرْأَةُ عَنْهُ شَاءَ هَذِهِ فِيهَا عِلٌّ.

وَإِذَا شَاءَ هَذِهِ مِنْ نَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ اسْتِحْضَارِ صُورَةٍ مَا تَكُونُ عَنْهُ، كَانَ شُهُودُهُ فِي مُنْفَعِلٍ عَنِ الْحَقِّ بِأَلَا وَاسِطَةٍ. 386

فَشُهِودُهُ لِلْحَقِّ فِي الْمَرْأَةِ، أَتَمَّ وَأَكْمَلُ، لِأَنَّهُ يُشَاءُ هَذَا الْحَقَّ مِنْ حَيْثُ هُوَ فَا عِلٌّ مُنْفَعِلٌ، وَمِنْ نَفْسِهِ مِنْ حَيْثُ هُوَ مُنْفَعِلٌ خَا صَةً.

فَلِهَذَا أَحَبَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ النَّسَاءُ، لِكَمَالِ شُهُودِ الْحَقِّ فِيهِنَّ، إِذْ لَا يُشَاءُ هَذَا الْحَقَّ مُجَرَّدًا عَنِ الْمَوَادِّ أَبَدًا، فَإِنَّ اللَّهَ بِأَلَدَاتٍ غَنِيٍّ عَنِ الْعَالَمِينَ. فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ مُمْتَنِعًا، وَلَمْ تَكُنِ الشَّهَادَةُ إِلَّا فِي مَادَّةٍ، فَشُهُودُ الْحَقِّ فِي النَّسَاءِ أَعْظَمُ شُهُودٍ وَأَكْمَلُهُ.

وَأَكْظَمُ الْوُصْلَةِ النِّكَاحُ، وَهُوَ نَظِيرُ التَّوَجُّهِ إِلَهِيٍّ عَلَى مَنْ خَلَقَهُ عَلَى صُورَتِهِ، لِيَخْلُقَهُ فَيَرَى فِيهِ نَفْسَهُ [٧٤ ظهر] فَسَوَّاهُ، وَعَدَّ لَهُ، وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ الَّذِي هُوَ نَفْسُهُ، فَظَا هِرُّهُ خَلْقٌ وَبَا طِنُهُ حَقٌّ. 387

وَلِهَذَا وَصَفَهُ بِاَلتَّدْبِيرِ، لِهَذَا الْهَيْكَلِ، فَإِنَّهُ تَعَالَى ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنْ
السَّمَاءِ﴾ [سورة لِسْجْدَة: ٥] وَهُوَ الْعُلُوُّ، ﴿إِلَى الْأَرْضِ﴾ [سورة لِسْجْدَة: ٥]،
وَهُوَ أَسْفَلُ سَا فِلِينَ، لِأَنَّهَا أَسْفَلُ الْأَرْضِ كَانَ كُلُّهَا.

وَسَمَّا هُنَّ بِالنِّسَاءِ — وَهُوَ جَمْعٌ لَا وَاحِدَ لَهُ — مِنْ لَفْظِهِ، وَلِذَا لِكَ قَالَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ: «حُبِّ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثُ: النِّسَاءِ...» وَلَمْ يَقُلْ: «الْمَرْأَةُ».
فَرَأَى تَأْخِرَ هُنَّ فِي الْوُجُودِ عَنْهُ، فَإِنَّ النِّسَاءَ هِيَ التَّخَيْرُ، قَالَ تَعَالَى:
﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ [سورة لَتُوبَة: ٣٧]، وَابْيَعُ بِنَسِيئَةٍ يَقُولُ
بِتَّاءٍ خَيْرٍ، فَلِذَا لِكَ ذَكَرَ النِّسَاءَ.

فَمَا أَحَبَّهُنَّ إِلَّا بِاَلْمَرْتَبَةِ، وَأَنَّهِنَّ مَحَلُّ النَّفْعَالِ، فَهُنَّ لَهُ كَالطَّبِيعَةِ 388
لِلْحَقِّ الَّتِي فَتَحَ فِيهَا صُورَ الْعَالَمِ بِاَلتَّوَجُّهِ الْإِرَادِيِّ، وَالْأَمْرُ إِلَهِيٌّ، الَّذِي هُوَ
نِكَاحٌ فِي عَالَمِ الصُّورِ الْعُنْصَرِيَّةِ، وَهَمَّةٌ فِي عَالَمِ الْأَرْوَاحِ النُّورِيَّةِ، وَتَرْتِيبُ
مُقَدَّمَاتٍ فِي الْمَعَانِي لِلإِنْتِاجِ. وَكُلُّ ذَلِكَ نِكَاحُ الْفَرْدِيَّةِ الْأُولَى فِي كُلِّ وَجْهِ
مِنْ هَذِهِ الْوُجُودِ.

فَمَنْ أَحَبَّ النِّسَاءَ عَلَى هَذَا الْحَدِّ، فَهُوَ حُبُّ إِلَهِيٍّ، وَمَنْ أَحَبَّهُنَّ عَلَى
جِهَةِ الشَّهْوَةِ الطَّبِيعِيَّةِ خَاصَّةً نَقَصَهُ عِلْمُ هَذِهِ الشَّهْوَةِ، وَكَانَ صُورَةً بِلا رُوحٍ
عِنْدَهُ. وَإِنْ كَانَتْ تِلْكَ الصُّورَةُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ ذَاتِ رُوحٍ، وَلَكِنَّهَا غَيْرُ
مَشْهُودَةٍ لِمَنْ جَاءَ لِمَرَّةٍ تَهْ أَوْ لِثَنَى، حَيْثُ كَانَتْ لِمُجَرِّدِ الْإِتِّدَادِ، وَلَكِنْ
لَا يَدْرِي لِمَنْ، فَجَهَلٌ مِنْ نَفْسِهِ مَا يَجْهَلُ الْغَيْرُ مِنْهُ، مَا لَمْ يُسَمِّهِ هُوَ بِلِسَانِهِ
حَتَّى يَعْلَمَ كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ:

[الرَّمْلُ]

صَحَّ عِنْدَ النَّاسِ أَنَّي عَا شِقُّ 389
غَيْرَ أَنَّ لَمْ يَعْرِفُوا عِشْقِي لِمَنْ

كَذَا لِكَ، هَذَا أَحَبُّ الْإِتِّدَادِ، فَأَحَبُّ الْمَحَلِّ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ، وَهُوَ
الْمَرْأَةُ، وَلَكِنْ غَابَ عَنْهُ رُوحُ الْمَسْأَلَةِ، فَلَوْ عَلِمَهَا، لَعَلِمَ بِمَنْ أَلْتَدَّ، وَمَنْ أَلْتَدَّ،

وَكَانَ كَا مِلًا.

وَكَمَا نَزَلَتِ الْمَرْأَةُ عَنْ دَرَجَةِ الرَّجُلِ يَقُولُهُ: ﴿وَلِلَّهِ جَالٌ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾
[سورة البقرة: ٢٢٨]، نَزَلَ الْمَخْلُوقُ عَلَى الصُّورَةِ عَنْ دَرَجَةٍ مَنِ انْشَأَهُ عَلَى
صُورَتِهِ، مَعَ كَوْنِهِ عَلَى صُورَتِهِ.

فَبِتِلْكَ الدَّرَجَةِ الَّتِي تَمَيَّزَ بِهَا عَنْهُ، بِهَا كَانَ غَنِيًّا عَنِ الْعَالَمِينَ،
وَفَا عِلًّا أَوَّلًا، [٧٥ وجه] فَإِنَّ الصُّورَةَ فَاعِلٌ ثَانٍ.

فَمَا لَهُ الْأَوَّلِيَّةُ الَّتِي لِلْحَقِّ فَتَمَيَّزَتْ الْأَعْيَانُ بِالْمَرَاتِبِ، فَأَعْطِيَ كُلَّ رَجُلٍ
حَقَّ حَقِّهِ، كُلُّ عَارِفٍ.

فَلِهَذَا كَانَ حُبُّ النِّسَاءِ لِحَمَدِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ تَحَبُّبِ إِلَهِيٍّ،
وَأَنَّ اللَّهَ ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ [سورة طه: ٥٠]، وَهُوَ عَيْنُ حَقِّهِ.

فَمَا أَعْطَاهُ إِلَّا بِأَلَا سَتَحَقَّقُ، أَسْتَحَقُّهُ بِمُسَمَّاهُ، أَي: بِذَاتِ ذَلِكَ
الْمُسْتَحَقِّ.

وَأِنَّمَا قَدَّمَ النِّسَاءَ لِأَنَّهُنَّ مَحَلُّ الْأَنْفِعَالِ، كَمَا تَقَدَّمَ مِنَ الطَّبِيعَةِ عَلَى مَنْ
وُجِدَ مِنْهَا بِالصُّورَةِ.

وَلَيْسَتْ الطَّبِيعَةُ — عَلَى الْحَقِيقَةِ — إِلَّا النَّفْسُ الرَّحْمَانِيَّةُ. فَإِنَّهُ فِيهِ
انْفَتَحَتْ صُورُ الْعَالَمِ أَعْلَاهُ وَأَسْفَلُهُ، لِسَرَيَانِ النَّفْخَةِ فِي الْجَوْهَرِ
الْهِيُولَاءِ نِيٍّ فِي عَالَمِ الْأَجْرَامِ خَاصَّةً.

وَأَمَّا سَرَيَانُهَا لَوْ جُودِ الْأَرْوَاحِ النُّورِيَّةِ وَالْأَعْرَاضِ، فَذَلِكَ سَرَيَانُ آخَرٍ.
ثُمَّ إِنَّهُ — عَلَيْهِ السَّلَامُ — غَلَبَ فِي هَذَا الْخَبَرِ التَّأْنِيثُ عَلَى

التَّنْكِيرِ، لِأَنَّهُ قَصَدَ التَّهْمَمَ بِالنِّسَاءِ فَقَالَ: «ثَلَاثُ» وَلَمْ يَقُلْ: «ثَلَاثَةٌ»،
بِالِهَاءِ الَّذِي هُوَ لِعَدَدِ الذُّكْرَانِ، إِذْ — وَفِيهَا ذَكَرَ الطَّبِيبَ وَهُوَ

مُذَكَّرٌ — وَعَادَةُ الْعَرَبِ أَنْ تُغْلَبَ التَّنْكِيرُ عَلَى التَّأْنِيثِ فَتَقُولُ:

«الْفَوَا طُمُوزٌ يَدْخُرُ جُودًا». وَلَا تَقُولُ: «خَرَجْنَا». فَغَلَبُوا التَّنْكِيرَ — وَإِنْ

كَانَ وَاحِدًا — عَلَى التَّائِيثِ وَإِنْ كُنَّ جَمَاعَةً. وَهُوَ عَرَبِيٌّ، فَرَأَى عَلَى صَلَاتِهِ
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَعْنَى الَّذِي قَصَدَ بِهِ فِي التَّحَبُّبِ إِلَيْهِ مَا لَمْ
 يَكُنْ يُؤْثِرُ حُبَّهُ.

392

فَعَلَّمَهُ اللَّهُ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ، وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْهِ عَظِيمًا، فَغَلَبَ
 التَّائِيثَ عَلَى التَّدْكِيرِ بِقَوْلِهِ: «ثَلَاثُ» بِغَيْرِ «هَاءٍ»، فَمَا أَعْلَمَهُ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَلْحَقًا يَقِي، وَمَا أَشَدَّ رِعَايَتَهُ لِلْحُقُوقِ!
 ثُمَّ إِنَّهُ جَعَلَ الْخَاتِمَةَ نَظِيرَةَ الْأُولَى فِي التَّائِيثِ، وَأَدْرَجَ بَيْنَهُمَا
 الْمَذْكَرَ، فَبَدَأَ بِالنِّسَاءِ، وَخَتَمَ بِالصَّلَاةِ وَكَلَّمَا هُمَا تَائِيثٌ، وَالطَّيِّبُ بَيْنَهُمَا كَهُوَ
 فِي وُجُودِهِ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مُدْرَجٌ بَيْنَ ذَاتِ ظَهَرَ عَنْهَا، وَبَيْنَ أَمْرَةٍ ظَهَرَتْ عَنْهُ.
 فَهُوَ بَيْنَ مَوْثَنَيْنِ: تَائِيثٌ ذَاتٍ، وَتَائِيثٌ حَقِيقِيٌّ. كَذَلِكَ النِّسَاءُ تَائِيثٌ حَقِيقِيٌّ
 [٧٥ ظهر] وَالصَّلَاةُ تَائِيثٌ غَيْرُ حَقِيقِيٍّ. وَالطَّيِّبُ مَذْكَرٌ بَيْنَهُمَا كَادَمَ بَيْنَ
 الذَّاتِ؛ الْمَوْجُودِ عَنْهَا، وَبَيْنَ حَوَاءٍ؛ الْمَوْجُودَةِ عَنْهُ.

وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ: «الْصِّفَةُ»، فَمَوْثَنَةٌ أَيْضًا.
 وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ: «الْقُدْرَةُ»، فَمَوْثَنَةٌ أَيْضًا. فَكُنْ عَلَى أَيِّ مَذْهَبٍ شِئْتَ.
 فَإِنَّكَ لَا تَجِدُ إِلَّا التَّائِيثَ يَتَقَدَّمُ، حَتَّى عِنْدَ أَصْحَابِ الْعِلَّةِ، الَّذِينَ جَعَلُوا
 الْحَقَّ عِلَّةً فِي وُجُودِ الْعَالَمِ، وَالْعِلَّةَ مَوْثَنَةً.

وَأَمَّا حِكْمَةُ الطَّيِّبِ، وَجَعْلُهُ بَعْدَ النِّسَاءِ، فَلَمَّا فِي النِّسَاءِ مِنْ رَوَايَحِ
 التَّكْوِينِ، فَإِنَّهُ: «أَطْيَبُ الطَّيِّبِ عِنَاقُ الْحَبِيبِ»، كَذَا قَالُوا فِي الْمَثَلِ السَّائِرِ.
 وَلَمَّا خَلَقَ عَبْدًا بِالْأَصْلَةِ لَمْ يَزَلْ رَأْسُهُ قَطُّ إِلَى السِّيَادَةِ، بَلْ لَمْ يَزَلْ
 سَاجِدًا، وَاقِفًا مَعَ كَوْنِهِ مُنْفَعِلًا، حَتَّى كَوَّنَ اللَّهُ عَنْهُ مَا كَوَّنَ فَأَعْطَاهُ رُتْبَةَ
 الْفَأْ عَلِيَّةٍ فِي عَالَمِ الْأَنْفَاسِ الَّتِي هِيَ الْأَعْرَافُ الطَّيِّبَةُ، فَحُبَّبَ إِلَيْهِ الطَّيِّبُ،
 فَلِذَا لَكَ جَعْلُهُ بَعْدَ النِّسَاءِ.

393

فَرَأَى الدَّرَجَاتِ الَّتِي لِلْحَقِّ فِي قَوْلِهِ: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾

[سورة غا: فر: ١٥] لَأَسْتَوِيَ بِهِ عَلَيْهِ بِأَسْمِهِ الرَّحْمَنُ.

فَلَا يَبْقَىٰ فِيْمَنْ حَوَىٰ عَلَيْهِ الْعَرْشُ مَنْ لَا تُصِيبُهُ الرَّحْمَةُ إِلَّا لِهَيْئَةٍ، وَهُوَ
قَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٦] وَالْعَرْشُ
وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ.

وَالْمُسْتَوِيَ: الرَّحْمَنُ. فَحَقِيقَتُهُ يَكُونُ سَرِيًّا الرَّحْمَةُ فِي الْعَالَمِ، كَمَا
قَدْ بَيَّنَّاهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ، وَمِنْ الْفُتُوحِ الْمَكِّيِّ.
وَقَدْ جَعَلَ — الطَّيِّبَ — تَعَالَىٰ فِي هَذَا اللَّاحِتْحَامِ النَّكَاحِي فِي بَرَاءَةٍ
عَا بَشَةً فَقَالَ: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ
وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ [سورة نور: ٢٦].

فَجَعَلَ رَوَا بَحْهُمُ طَيِّبَةً، لِأَنَّ الْقَوْلَ نَفْسٌ وَهُوَ عَيْنُ الرَّاحَةِ، فَيَخْرُجُ
بِالطَّيِّبِ. وَبِالْخَبِيثِ — عَلَى حَسَبِ — مَا يَظْهَرُ بِهِ فِي صُورَةِ النُّطْقِ.
فَمِنْ حَيْثُ هُوَ إِلَهِيٌّ بِالْأَصَالَةِ: كُلُّهُ طَيِّبٌ، فَهُوَ طَيِّبٌ. وَمِنْ حَيْثُ
مَا يُحْمَدُ وَيُذَمُّ: فَهُوَ طَيِّبٌ وَخَبِيثٌ.

فَقَالَ فِي خُبْنِ [٧٦ وجه] الثَّوْمِ: «هِيَ شَجَرَةٌ أَكْرَهُرِ يَحَهَا»، وَلَمْ
يَقُلْ: «أَكْرَهُهَا»، فَالْعَيْنُ لَا تُكْرَهُ، وَإِنَّمَا يُكْرَهُ وَلَا يُكْرَهُ مَا يَظْهَرُ مِنْهَا،
وَالْكَرَاهَةُ لِدَالِكَ، إِمَّا عُرْفًا بِمَلَاءَمَةِ طَبْعٍ، أَوْ غَرَضٍ، أَوْ شَرْعٍ، أَوْ نَقْصٍ،
عَنْ كَمَالٍ مَطْلُوبٍ. وَمَا تَمَّ غَيْرُ مَا ذَكَرْنَا.

وَلَمَّا أَنْقَسَمَ الْأَمْرُ إِلَى خَبِيثٍ وَطَيِّبٍ كَمَا قَرَّرْنَا، حُبَّبَ إِلَيْهِ الطَّيِّبُ
دُونَ الْخَبِيثِ، وَوَصَفَ الْمَلَايِكَةَ بِأَنَّهَا تَتَأَدَّى بِالرَّوَا بَحِ الْخَبِيثَةِ، لِأَنَّ فِي هَذِهِ
النَّشْأَةِ الْعُنْصُرِيَّةِ مِنَ التَّعْفِينِ، فَإِنَّهُ مَخْلُوقٌ ﴿مِنْ صَلَاسِلٍ مِنْ حَمَائٍ مَسْنُونٍ﴾
[سورة الحجر: ٢٦، ٢٨، ٣٣] أَي: مُتَغَيِّرِ الرِّيحِ، فَتَكْرَهُهُ الْمَلَايِكَةُ بِالذَّاتِ.

كَمَا أَنَّ مِزَاجَ الْجُعَلِ يَتَضَرَّرُ بِرَا بَحَةِ الْوَرْدِ — وَهِيَ مِنَ الرَّوَا بَحِ
الطَّيِّبَةِ — فَلَيْسَ رِيحُ الْوَرْدِ عِنْدَ الْجُعَلِ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ.

وَمَنْ كَانَ عَلَىٰ مِثْلِ هَذَا الْمِزَاجِ مَعْنَىٰ وَصُورَةً أَضَرَّ بِهِ الْحَقُّ، إِذَا سَمِعَهُ
 وَسُرَّ بِأَلْبَا طِلِّ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِأَلْبَلٍ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ﴾ [سورة العنكبوت
 ٥٢:] وَوَصَفَهُمْ بِالْخُسْرَانِ، فَقَالَ: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [سورة العنكبوت
 ٥٢:] ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٢]، فَإِنَّهُ مَنْ لَمْ يُدْرِكِ الطَّيِّبَ
 مِنَ الْخَبِيثِ فَلَا إِدْرَاكَ لَهُ.

فَمَا حُبَّبَ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا الطَّيِّبُ مِنْ كُلِّ
 شَيْءٍ، وَمَا تَمَّ إِلَّا هُوَ. وَهَلْ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَكُونَ فِي الْعَالَمِ مِزَاجٌ لَا يَجِدُ إِلَّا
 الطَّيِّبَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، لَا يَعْرِفُ الْخَبِيثَ أَمْ لَا؟

قُلْنَا: هَذَا لَا يَكُونُ، فَإِنَّا مَا وَجَدْنَاهُ فِي الْأَصْلِ الَّذِي ظَهَرَ الْعَالَمُ
 مِنْهُ — وَهُوَ الْحَقُّ — فَوَجَدْنَاهُ يَكْرَهُ وَيُحِبُّ، وَلَيْسَ الْخَبِيثُ إِلَّا مَا يُكْرَهُ 397
 وَلَا الطَّيِّبُ إِلَّا مَا يُحِبُّ.

وَالْعَالَمُ عَلَىٰ صُورَةِ الْحَقِّ، وَالْإِنْسَانُ عَلَىٰ الصُّورَتَيْنِ، فَلَا يَكُونُ تَمَّ
 مِزَاجٌ لَا يُدْرِكُ إِلَّا الْأَمْرَ الْوَاحِدَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، بَلْ تَمَّ مِزَاجٌ يُدْرِكُ الطَّيِّبَ
 مِنَ الْخَبِيثِ، مَعَ عِلْمِهِ بِأَنَّهُ خَبِيثٌ بِالدُّوْقِ، طَيِّبٌ بِغَيْرِ الدُّوْقِ، فَيَشْغُلُهُ
 إِدْرَاكُ الطَّيِّبِ مِنْهُ، عَنِ الْإِحْسَاسِ بِخُبْنِهِ.

هَذَا قَدْ يَكُونُ، وَأَمَّا رَفْعُ الْخُبْنِ مِنَ الْعَالَمِ — أَيُّ: مِنَ الْكَوْنِ — فَإِنَّهُ
 لَا يَصِحُّ.

وَرَحْمَةُ اللَّهِ فِي الْخَبِيثِ وَالطَّيِّبِ. وَالْخَبِيثُ عِنْدَ نَفْسِهِ طَيِّبٌ،
 وَالطَّيِّبُ عِنْدَهُ خَبِيثٌ. فَمَا تَمَّ شَيْءٌ طَيِّبٌ، إِلَّا وَهُوَ مِنْ وَجْهِ — فِي حَقِّ
 مِزَاجٍ مَا — خَبِيثٌ. وَكَذَا لِكَ بِالْعَكْسِ.

[٧٦ ظهر] وَأَمَّا التَّائِيَةُ الَّتِي بِهَا كَمَلَتِ الْفَرْدِيَّةُ: فَالْصَّلَاةُ.

فَقَالَ: «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ» لِأَنَّهَا مُشَاهِدَةٌ، وَذَلِكَ لِأَنَّهَا 398
 مِمَّا جَاءَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ عَبْدِهِ، كَمَا قَالَ: ﴿فَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [سورة البقرة:

وَهِيَ عِبَادَةٌ مَقْسُومَةٌ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ عَبْدِهِ بِنِصْفَيْنِ: فَنِصْفُهَا لِلَّهِ،
وَنِصْفُهَا لِلْعَبْدِ، كَمَا وَرَدَ فِي الْخَبَرِ الصَّحِيحِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّهُ قَالَ:
قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، فَنِصْفُهَا لِي، وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي،
وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ. يَقُولُ الْعَبْدُ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، يَقُولُ اللَّهُ:
«ذَكَرَ نِي عَبْدِي». يَقُولُ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، يَقُولُ اللَّهُ:
«حَمِدَ نِي عَبْدِي»، يَقُولُ الْعَبْدُ: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، يَقُولُ اللَّهُ: «أَتَتْنِي
عَلَيَّ عَبْدِي»، يَقُولُ الْعَبْدُ: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، يَقُولُ اللَّهُ: «مَجَدَ نِي
عَبْدِي، فَوَضَّ إِلَيَّ عَبْدِي» — فَهَذَا النِّصْفُ كُلُّهُ لَهُ تَعَالَى خَالِصٌ — ثُمَّ
يَقُولُ الْعَبْدُ: ﴿يَاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، يَقُولُ اللَّهُ: «هَذِهِ بَيْنِي وَبَيْنَ
عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ» — فَأَوْقَعَ الْاِشْتِرَاكَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ — يَقُولُ
الْعَبْدُ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِي أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ
الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، يَقُولُ اللَّهُ: «فَهَؤُلَاءِ لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي
مَا سَأَلَ».

فَخَلَصَ هَؤُلَاءِ لِعَبْدِهِ كَمَا خَلَصَ الْأَوَّلُ لَهُ تَعَالَى. فَعِلِمَ مِنْ هَذَا
وُجُوبُ قِرَاءَةِ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، [الآية من سورة لقا تحة: ٢، لكن
المقصود قراءة لسورة في كل صلاة] فَمَنْ لَمْ يَقْرَأْهَا، فَمَا صَلَّي الصَّلَاةَ الْمَقْسُومَةَ بَيْنَ
اللَّهِ وَبَيْنَ عَبْدِهِ.

وَلَا كَأَنَّا جَاءَ فَهِيَ ذِكْرٌ، وَمَنْ ذَكَرَ الْحَقَّ، فَقَدْ جَاءَ لِسَ الْحَقِّ،
وَجَاءَ لِسَهُ الْحَقِّ. فَإِنَّهُ صَحَّ فِي الْخَبَرِ الْإِلَهِيِّ أَنَّهُ تَعَالَى قَالَ «أَنَا جَلِيسُ مَنْ
ذَكَرَ نِي»، وَمَنْ جَاءَ لِسَ مَنْ ذَكَرَهُ — وَهُوَ ذُو بَصَرٍ — رَأَى جَلِيسَهُ.

فَهَذِهِ مُشَاهِدَةٌ وَرُؤْيَا، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَا بَصَرٍ، لَمْ يَرَهُ، فَمِنْ هُنَا يَعْلَمُ
الْمُصَلِّي رُتْبَتَهُ: هَلْ يَرَى الْحَقَّ هَذِهِ الرُّؤْيَا فِي هَذِهِ الصَّلَاةِ أَمْ لَا؟ فَإِنْ لَمْ

يَرَهُ، فَلْيَعْبُدْهُ بِالْإِيمَانِ كَأَنَّهُ يَرَاهُ، فَيُخَيِّلُهُ فِي قَبْلَتِهِ عِنْدَ مَنْ جَا تَهُ، وَيُلْقِي السَّمْعَ لِمَا يَرُدُّ بِهِ عَلَيْهِ الْحَقُّ.

فَإِنْ كَانَ إِمَامًا لِعَامَّةٍ الْخَاصِّ بِهِ وَلِلْمَلَائِكَةِ الْمُصَلِّينَ مَعَهُ، فَإِنْ كُلُّ مُصَلٍّ، فَهُوَ إِمَامٌ بِلَا شَكٍّ. فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تُصَلِّي خَلْفَ الْعَبْدِ إِذَا صَلَّى [٧٧ وجه] وَحْدَهُ — كَمَا وَرَدَ فِي الْخَبَرِ — فَقَدْ حَصَلَ لَهُ رُتْبَةُ الرَّسُولِ فِي الصَّلَاةِ.

وَهِيَ النَّيَابَةُ عَنِ اللَّهِ إِذَا قَالَ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ» فَيُخْبِرُ نَفْسَهُ وَمَنْ خَلْفَهُ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَهُ.

فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ وَالْحَاضِرُونَ: «رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ». فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ عَلَى لِسَانِ عَبْدِهِ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»، فَأَنْظَرُ عُلُوَّ رُتْبَةِ الصَّلَاةِ، وَإِلَى أَيْنَ تَنْتَهِي بِصَاحِبِهَا، فَمَنْ لَمْ يَحْصِلْ دَرَجَةُ الرُّؤْيَا فِي الصَّلَاةِ، فَمَا بَلَغَ غَايَتَهَا، وَلَا كَانَ لَهُ فِيهَا قُرَّةُ عَيْنٍ، لِأَنَّهُ لَمْ يَرَ مِنْ يَنْبَأِ حِيهِ.

فَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ مَا يَرُدُّ الْحَقُّ عَلَيْهِ فِيهَا، فَمَا هُوَ مِمَّنْ ﴿الْقَى السَّمْعَ﴾ [سورة ق: ٣٧]، وَمَنْ لَمْ يَحْضُرْ فِيهَا مَعَ رَبِّهِ، مَعَ كَوْنِهِ لَمْ يَسْمَعْ وَلَمْ يَرَ، فَلَيْسَ بِمُصَلٍّ أَصْلًا، وَلَا هُوَ مِمَّنْ ﴿الْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [سورة ق: ٣٧].

وَمَا تَمَّ عِبَادَةٌ تَمْنَعُ مِنَ التَّصَرُّفِ فِي غَيْرِهَا مَادَامَتْ سِوَى الصَّلَاةِ. وَذِكْرُ اللَّهِ فِيهَا أَكْبَرُ مَا فِيهَا، لِمَا تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ مِنْ أَقْوَالٍ وَأَفْعَالٍ. وَقَدْ ذَكَرْنَا صِفَةَ الرَّجُلِ الْكَامِلِ فِي الصَّلَاةِ فِي الْفُتُوحَاتِ الْمَكِّيَّةِ كَيْفَ يَكُونُ، لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [سورة لعنكبوت: ٤٥] لِأَنَّهُ شَرِعَ لِلْمُصَلِّي أَنْ لَا يَتَصَرَّفَ فِي غَيْرِ هَذِهِ الْعِبَادَةِ مَادَامَ فِيهَا، وَيُقَالُ لَهُ: مُصَلٍّ.

﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [سورة لعنكبوت: ٤٥] يَعْنِي فِيهَا، أَي: الذِّكْرُ الَّذِي

يَكُونُ مِنَ اللَّهِ لِعَبْدِهِ حِينَ يُحْيِيهِ فِي سُؤَالِهِ. وَالثَّنَاءُ عَلَيْهِ أَكْبَرُ مِنْ ذِكْرِ الْعَبْدِ رَبَّهُ فِيهَا، لِأَنَّ الْكِبْرِيَاءَ لِلَّهِ تَعَالَى، وَلِذَا لَكَ قَالَ: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [سورة العنكبوت: ٤٥].

403

وَقَالَ: ﴿أَوِ الْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [سورة ق: ٣٧]. وَإِلْفَاؤُهُ السَّمْعَ هُوَ لَمَّا يَكُونُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ إِيَّاهُ فِيهَا. وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ الْوُجُودَ لَمَّا كَانَ عَنْ حَرَكَةٍ مَعْقُولَةٍ، نَقَلَتِ الْعَالَمَ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ، عَمَّتِ الصَّلَاةُ جَمِيعَ الْحَرَكَاتِ وَهِيَ ثَلَاثَةٌ: حَرَكَةُ مُسْتَقِيمَةٍ، وَهِيَ حَالُ قِيَامِ الْمُصَلِّي. وَحَرَكَةُ أَفْقِيَّةٍ، وَهِيَ حَالُ رُكُوعِ الْمُصَلِّي. وَحَرَكَةُ مَنْكُوسَةٍ، وَهِيَ حَالُ سُجُودِهِ. فَحَرَكَةُ الْإِنْسَانِ مُسْتَقِيمَةٌ، وَحَرَكَةُ الْحَيَوَانِ أَفْقِيَّةٌ، وَحَرَكَةُ النَّبَاتِ مَنْكُوسَةٌ. وَلَيْسَ لِلْجَمَادِ حَرَكَةٌ مِنْ ذَاتِهِ. فَإِذَا تَحَرَّكَ حَجَرٌ، فَإِنَّمَا يَتَحَرَّكُ بِغَيْرِهِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ» — وَلَمْ يَنْسِبْ [٧٧] ظَهَرَ [الْجَعْلَ إِلَى نَفْسِهِ] — فَإِنَّ تَجَلَّى الْحَقِّ لِلْمُصَلِّي، إِنَّمَا هُوَ رَاجِعٌ إِلَيْهِ تَعَالَى، لَا إِلَى الْمُصَلِّي.

فَإِنَّهُ لَوْ لَمْ يَذْكُرْ هَذِهِ الصِّفَةَ عَنْ نَفْسِهِ، لَأَمَرَهُ بِالصَّلَاةِ عَلَى غَيْرِ تَجَلٍّ مِنْهُ لَهُ.

404

فَلَمَّا كَانَ مِنْهُ ذَلِكَ بِطَرِيقِ الْإِثْمَانِ، كَانَتْ الْمَشَاهِدَةُ بِطَرِيقِ الْإِثْمَانِ، فَقَالَ: «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ».

وَلَيْسَ إِلَّا مَشَاهِدَةُ الْمَحْبُوبِ لِتِي تَقَرُّ بِهَا عَيْنُ الْمُحِبِّ مِنَ الْإِسْتِقْرَارِ: فَتَسْتَقِرُّ الْعَيْنُ عِنْدَ رُؤْيَيْهِ فَلَا يَنْظُرُ مَعَهُ إِلَى شَيْءٍ غَيْرِهِ فِي شَيْءٍ، وَفِي غَيْرِ شَيْءٍ.

وَلِذَا لَكَ نَهْيٌ عَنِ الْإِثْمَانِ فِي الصَّلَاةِ، وَإِنَّ الْإِثْمَانَ شَيْءٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلَاةِ الْعَبْدِ، فَيَحْرِقُ مَشَاهِدَةَ مَحْبُوبِهِ، بَلْ لَوْ كَانَ مَحْبُوبٌ

405

هَذَا الْمَلْتَفِتِ، مَا لْتَفَتَ فِي صَلَاتِهِ إِلَى غَيْرِ قِبْلَتِهِ بِوَجْهِهِ.

وَالْإِنْسَانُ يُعْلَمُ حَالَهُ فِي نَفْسِهِ، هَلْ هُوَ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ فِي هَذِهِ الْعِبَادَةِ
الْخَاصَّةِ أَمْ لَا، فَإِنَّ ﴿الْإِنْسَانَ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذَ يَرُهُ﴾ [سورة
القيامة: ١٤-١٥]، فَهُوَ يَعْرِفُ كَذِبَهُ مِنْ صِدْقِهِ فِي نَفْسِهِ، لِأَنَّ الشَّيْءَ
لَا يَجْهَلُ حَالَهُ، فَإِنَّ حَالَهُ لَهُ ذَوْقِيٌّ.

ثُمَّ إِنَّ مُسَمَّى الصَّلَاةِ لَهُ قِسْمَةٌ أُخْرَى، فَإِنَّهُ تَعَالَى أَمَرَ نَا أَنْ نُصَلِّيَ لَهُ،
وَأَخْبَرَ نَا أَنَّهُ يُصَلِّيَ عَلَيْنَا [اقتباس من سورة الأعراف: ٤٣]، فَا لَصَّلَاةُ مِنَّا، وَمِنْهُ.
فَإِذَا كَانَ هُوَ الْمُصَلِّي، فَإِنَّمَا يُصَلِّي بِأَسْمِهِ: «الْآخِرِ»، فَيَتَأَخَّرُ عَنْ
وُجُودِ الْعَبْدِ، وَهُوَ عَيْنُ الْحَقِّ الَّذِي يَخْلُقُهُ الْعَبْدُ فِي قَلْبِهِ بِنَظَرِهِ الْفِكْرِيِّ أَوْ
بِتَقْلِيدِهِ، وَهُوَ إِلَّا لَهُ الْمُعْتَقَدُ.

406

وَيَتَنَوَّعُ بِحَسَبِ مَا قَامَ بِذَلِكَ الْمَحَلِّ مِنَ الْأَسْتِعْدَادِ، كَمَا قَالَ الْجَنِيدُ
حِينَ سُئِلَ عَنِ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ وَالْعَارِفِ، فَقَالَ: «لَوْ الْمَاءُ لَوْنٌ إِنَّا بِهِ»، وَهُوَ
جَوَابُ سَادٍّ. أَخْبَرَ عَنِ الْأَمْرِ بِمَا هُوَ عَلَيْهِ.
فَهَذَا هُوَ اللَّهُ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْنَا.

وَإِذَا صَلَّيْنَا نَحْنُ كَانَ لَنَا الْأَسْمُ «الْآخِرُ»، فَكُنَّا فِيهِ كَمَا ذَكَرْنَا فِي
حَالِ مَنْ لَهُ هَذَا الْأَسْمُ، فَكَوْنُهُ عِنْدَهُ بِحَسَبِ حَالِنَا، فَلَا يَنْظُرُ إِلَيْنَا إِلَّا
بِصُورَةٍ مَا جِئْنَاهُ بِهَا، فَإِنَّ الْمُصَلِّي هُوَ الْمُتَأَخَّرُ عَنِ السَّابِقِ فِي الْحَلِيَّةِ.
وَقَوْلُهُ: ﴿كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ [سورة النور: ٤١] أَيُّ: رُبَّتُهُ فِي
التَّأَخُّرِ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَتَسْبِيحَهُ الَّذِي يُعْطِيهِ مِنَ التَّنْزِيلِ أَسْتِعْدَادُهُ.
فَمَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَهُوَ يُسَبِّحُ بِحَمْدِ [٧٨ وجه] رَبِّهِ الْحَلِيمِ الْغَفُورِ، وَلِذَا لِكَ لَا
يَفْقَهُ تَسْبِيحًا لَعَا لَمْ عَلَى التَّفْصِيلِ وَالْجِدَا وَالْجِدَا.

407

وَتَمَّ مَرَّتَبَةُ يَعُودُ الضَّمِيرُ عَلَى الْعَبْدِ الْمُسَبِّحِ فِيهَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ مِنْ
شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [سورة الإسراء: ٤٤] أَيُّ: بِحَمْدِ ذَلِكَ الشَّيْءِ،

فَا لْضَمِيرُ الَّذِي فِي قَوْلِهِ: ﴿ بِحَمْدِهِ ﴾ [سورة الإسراء: ٤٤] يَعُودُ عَلَى الشَّيْءِ
أَيُّ: بِأَلْتَّنَاءِ الَّذِي يَكُونُ عَلَيْهِ.

كَمَا قُلْنَا فِي الْمُعْتَقَدِ، أَنَّهُ إِنَّمَا يُثْنَى عَلَى الْإِلَهِ الَّذِي فِي مُعْتَقَدِهِ، وَرَبَطَ
بِهِ نَفْسَهُ، وَمَا كَانَ مِنْ عَمَلِهِ، فَهُوَ رَا جِعُ إِلَيْهِ، فَمَا أَثْنَى إِلَّا عَلَى نَفْسِهِ، فَإِنَّهُ
مَنْ مَدَحَ الصَّنْعَةَ، فَإِنَّمَا مَدَحَ الصَّانِعَ بِلَا شَكٍّ، فَإِنَّ حُسْنَهَا وَعَدَمَ حُسْنِهَا،
رَا جِعُ إِلَى صَانِعِهَا. وَإِلَهُ الْمُعْتَقَدِ مَصْنُوعٌ لِلنَّاسِ ظَرِيفِيهِ، فَهُوَ صَنَعْتُهُ، فَتَنَؤُهُ عَلَى
مَا عَتَقَدَهُ، تَنَؤُهُ عَلَى نَفْسِهِ.

408

ولهذا يَذُمُّ مُعْتَقَدَ غَيْرِهِ، وَلَوْ أَنْصَفَ لَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ.
إِلَّا أَنَّ صَاحِبَ هَذَا الْمَعْبُودِ الْخَاصِّ جَاءَ هَلْ بِلَا شَكٍّ، فِي ذَلِكَ،
لَا عِتْرًا ضَمُّهُ عَلَى غَيْرِهِ فِيمَا أَعْتَقَدَهُ فِي اللَّهِ.
إِذْ لَوْ عَرَفَ مَا قَالَ الْجَنِيْدُ: «لَوْ أَنَّ الْمَاءَ لَوْنٌ إِنَّا بِهِ»، لَسَلَّمَ لِكُلِّ ذِي
أَعْتِقَادٍ مَا عَتَقَدَهُ، وَعَرَفَ اللَّهُ فِي كُلِّ صُورَةٍ، وَكُلِّ مُعْتَقَدٍ.
فَهُوَ ظَانٌّ لَيْسَ بِعَا لِمٍ، فَلِذَا لِكَ قَالَ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي» أَيُّ:
لَا أَظْهَرُ لَهُ إِلَّا فِي صُورَةِ مُعْتَقَدِهِ، فَإِنْ شَاءَ أَطْلَقَ، وَإِنْ شَاءَ قَيَّدَ.
فَإِلَهُ الْمُعْتَقَدَاتِ تَأْخُذُهُ الْحُدُودُ، وَهُوَ الْإِلَهُ الَّذِي وَسِعَهُ قَلْبُ عَبْدِهِ، فَإِنْ
إِلَهُ الْمُطْلَقِ لَا يَسْعُهُ شَيْءٌ لِأَنَّهُ عَيْنُ الْأَشْيَاءِ وَعَيْنُ نَفْسِهِ، وَالشَّيْءُ لَا يُقَالُ
فِيهِ: «يَسَعُ نَفْسَهُ، وَلَا لَا يَسْعُهَا»، فَافْهَمْ.

409

﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [سورة الأَحزاب: ٤].

تَمَّ الْكِتَابُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، عَلَّقَهُ مُحَمَّدُ بْنُ
إِسْحَاقَ بِخَطِّهِ. سَمِعَ جَمِيعُ هَذَا الْكِتَابِ عَلَى مُنْشِئِهِ سَيِّدِنَا
وَإِذَا مَا مِنَّا إِلَّا مَا لِمِ الْعَالَمِ الرَّاسِخِ الْفَرِيدِ الْمُحَقِّقِ مُجِيبِ
الْمِلَّةِ وَالِدِ بْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْعَرَبِيِّ
الطَّائِبِيِّ الْحَاقِمِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ — لِصَحْبِهِ

الْجَمَاعَةُ [...] الْجَلَّةُ زَيْنُ الدِّينِ يُوسُفُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ
الشَّافِعِيِّ، وَعِمَادُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ شَرْفِ الدِّينِ عَبْدِ الْقَادِرِ
بْنِ عَبْدِ الْخَالِقِ بْنِ خَلِيلٍ الْأَنْصَارِيِّ، وَوَلَدُ الْمُسْمِعِ عِمَادُ
الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ سَيِّدِنَا الشَّيْخِ، وَمَوْفَّقُ الدِّينِ أَبُو الْقَاسِمِ
أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ سَهْمٍ الْإِسْبِيلِيُّ الْقَيْسِيُّ، وَسَيْفُ الدِّينِ
عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْحَمِيرِيُّ، وَتَقِيُّ الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ اللُّوْلِيُّ [؟] صَاحِبُ
الشَّيْخِ؛ أَكْرَمَ اللَّهُ وَأَرْضَاهُ. وَذَلِكَ بِقِرَاءَةِ تَاجِ الدِّينِ عَبَّاسِ
بْنِ عُمَرَ السَّرَّاجِ الْأَنْصَارِيِّ — وَسَمِعَ بِالقِرَاءَةِ الْمَذْكُورَةِ
وَبِقِرَاءَةِ تِهِ أَيْضًا غَيْرَ مَرَّةٍ كَمَا نَتُّ لَهُ آخَرَ — وَمُحَمَّدُ بْنُ
إِسْحَاقَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ يُوسُفَ بْنِ عَلِيٍّ خَا لَصٍ مِنَ الشَّيْخِ.
وَكَانَ السَّمَاعُ بِمَجَالِسِ سَيِّدِنَا الْمُسْمِعِ بِدِ مَشَقٍّ. وَكَمُلَ
فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ مِنْ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ
ثَلَاثِينَ وَسِتِّمِائَةٍ [٦٣٠ هـ] وَاحْتَمَدُ اللَّهُ وَحْدَهُ.

410

(قال المحقق):

وفي الها مش إلى جا نب السطر السادس عشر إلى التا سع عشر، بلاغ ذات
أربعة أسطر، نصّها:

[١] بَلَغَ سَمَاعًا وَتَصَحَّيْحًا عَلَى الشَّيْخِ

[٢] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ مِنْ

[٣] جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ ثَلَاثِينَ وَسِتِّمِائَةٍ [٦٣٠ هـ]

[٤] وَاحْتَمَدُ اللَّهُ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ [أَصْطَفَى؟]

(قال المحقق):

411

وفي الها مش أيضًا، إلى جا نب السطر العشرين إلى الرابع والعشرين، بلاغ

آخر ما ثلة من الأ على إلى الأ سفلى ذات أربعة أسطر نصها:

[١] بَلَّغَ عَرَضًا وَقِرَاءَةً [عبارة غير مقروءة لأنَّ شريطاً من الورقة مقطوع]

[٢] من [٩] سى [٩] سيدنا المصنف

[٣] لِهَذَا الْكِتَابِ رَضِيَ اللَّهُ [عبارة غير مقروءة لأنَّ شريطاً من الورقة مقطوع]

[٤] وَكَتَبَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ تَحْرِيْرًا [الكلمة الأخيرة شبه ممسوحة]

الملحقات 412

ملحق ١: تعليقات دا خل المخطوط

ملحق ٢: تحقيق في مسألة الذبيح

ملحق ٣: تحقيق في خالد بن سنان

ملحق ٤: تخريج حديث التحول

ملحق ١: تعليقات دا خل 413

المخطوط

تعليقات على الصفحة التي تسبق [١ وجه] ولونها أبيض مغاير لبقية

صفحات المخطوط:

[١] سما [٩] أسماء الأحوال ومسماتها العين وهي للحق بعينه ...

[٢] السميع البصير وأنت السميع البصير محال السمع والبصير [ر] ...

[٣] [١] الحسنى [٩]؛ فإنها هو. ونحن نحن، فلنا آلات، ونحن له آلات ...

[٤] مار [٩]، أعياها كتقلب الواحد في مراتب الأعداد، لإظهار أعياها [٩] ...

[٥] [ع] عدد وفصل العدد الواحد في المراتب العددية، يلوح ذلك.

[٦] [...] مما في نفسي أن أسأل عنه سيدي أيده الله تعالى إذا قدر [٩] الأحد

...

[٧] ما معنى تحقق الإنسان بحيوانيته المسح [٩] الأحوال البرزخية كالأحوال

الموتى [٩] ...

[٨] وهل هذا الا طلاع الخاص من خصا ئص هذا الحال بمعنى أنه لا يحصل دو نه
أو ...

[٩] وكذا لك التحقق با لرو حا نية وما لكشف الخاص أيضًا المتوقف حصوله على
الحـ...

[١٠] 414 [١٠] رو حا نيته كما عبّر عمّا تقدّم ذكره، وهل ذا نك مما يُكتسب وإذا حصل يكون
[٩] عن [٩] مو...

[١١] شرح كليات من الا صطلاح المذكور في كتاب مواقع النجوم
[١٢] موقع النجم هو ظهور أول الخاطر التوفيقي في الباطن فعند ما يستقر ويكسوه
العبد حُلّة عملية يصيرها ...

[١٣] فإن كان دا خلًا إلى ربه كان هلال ارتقاب محاق، وإن كان خار جًا إلى الخلق
كان هلال ارتقاب وسد ...

[١٤] سيدي أيضًا لم قدّم هلال المحاق على هلال الارتقاب فقال رضي الله عنه
لأن الناس إنما يرقبوا [٩]

[١٥] [كلمة غير مقروءة] أخرج به الدا خل على الله تعا لى فكان هلال المحاق وهو
الأصل لأولية لقاء الله تعا لى.

[١٦] ومن ذلك

[١٧] النجم لعالم الشهادة والهلاليّن أحدهما لعالم البرزخ وهو للوسط عالم
الجبروت وهو المقام للأسماء الحسنـ[ى] ...

[١٨] والهلاليّن الآخر لعالم الرحموت، وهو عالم المعاني. والعلم أن للإنسان مراتب
فهو في مرتبة إسلامه نجـ[م]

[١٩] يبقى [٩] في عالم الشهادة وهو في مرتبة إيمان به هلال، وفي مرتبة إحسانه قطبا
هكذا [يُحي ويُميت]

[٢٠] 415 [٢٠] فالإسلام الانقياد الظاهر، والإيمان الانقياد الباطن، والإحسان العبادة على

المشا هدة، وأعلـ[م] ...

[٢١] أن مَعْقِلَ الأُنس هي الحضرة التي يَسْتَمِدُّ منها القطبُ من كونه قطبًا أو أي

مرتبة كما نَت للمستمد منها [كلمة غير مقروؤة]

[٢٢] مَعْقِلُ أُنس لَدِ لك المستمد من تلك الحضرة، أي حضرة كاتبة إحسانية أو

إيمانية أو إسلامية و[كلمة غير مقروؤة]

[٢٣] ومن فوا ئد الشيخ أحمد [؟] سعد الدين الحموي رضى الله عنه ونفع به

والعلم به أمدته [كلمة غير مقروؤة] ...

[٢٤] وقد سألته عن أنفع وصية يوصي بها الإنسان مما ينفعه لا ستحضاره [كلمة

غير مقروؤة]

[٢٥] يقول، رضى الله عنه: يوصي بالحرية والعفة في الحرية. فسألته: ما الحرية

وما العفة؟ فقال: لكما له يكون...

[٢٦] عدم الاعتبار بشيء سوى الحق مطلقاً من حيث هو سوى. والعفة في الحرية أن

لا يصدر [؟]

[٢٧] المعتبر الموفي حقّه ولا حق غيره، فعل لأجل نفعه، أو لأجل غيره، بل لله

تعالى عزّ نفعه بمعرفة تامّة [كلمة غير مقروؤة] ...

تعليقات على الصفحة الرئيسية [١ وجه]

[١] تنبيه:

416

[٢] من نفا ئس فوا ئد سيدي رضى الله عنه وعن والده على بعض ما تتضمنه

فاتحة الكتاب العزيز من كليات الفوائد والأسرار.

[٣] قال رضى الله عنه: «سُمِّيَتْ فاتحة الكتاب أي أنها تفتح عليك معاني كتاب

الله تعالى، اسمها عل من فَتَحَ يَفْتَحُ.

[٤] والكتاب ضم الحروف بعضها إلى بعض، وفي انضمامها ضم المعاني التي

تدل عليها هذه الحروف.

[٥] وا لفتحُ الَّذي تُعطيه الفا تحةً، هو فصلُ هذهِ المعاني المتضمنة بعضها من بعض، حتّى يصِر كلُّ معنىً قائماً بنفسه،

[٦] فمعنى فا تحة الكتاب أي: من عَرَفَ ما تدلُّ عليه فقد عِلِمَ جميع ما تضمنه الكتاب العزيز من المعاني. وذَلِكَ أَنَّ الوجود

[٧] منقسم إلى ربٍّ ومر بوبٍ، والرَّبُّ هو الواجبُ لنفسه، والمر بوبٌ هو الممكنُ وهو ما سوى الحق. ولفا تحة

[٨] مشتملة على ربٍّ ومر بوبٍ. فهي تشتمل على الواجبِ وممكن. ثمَّ المحمول على هذين قسمين على [كذا] يليه أقسامٌ: قسمٌ منها

[٩] يختصُّ بالواجبِ لنفسه. وقسمٌ يختصُّ بالممكن. ومنها قسمٌ يقع فيه الاشتراك بين الربِّ والمر بوب. وهذه

[١٠] الأقسام موجودة في فا تحة الكتاب، كما نصَّ الشارع عن السِّرِّ في ذلك، فقال: 417

«قسمتُ الصَّلَاةَ بيني وبين عبي...» فعرَّفَ القسمة الأولى، ثمَّ قال إلى قوله:

﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾، أنّها له. ومن قوله: ﴿أَهْدِنَا...﴾ إلى آخر السورة، أنّها لعبده.

[١١] وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، أنّها بينه وبين عبده. فهذه الثلاثة أقسام

التي ذكرنا ها قد تضمنتها الفا تحة تُسمّى

[١٢] مبهمات الأسماء التي نعتها الحق في كتابه، ونعت ببعضها، ثلاثة ليس إلا.

وما نجد في القرآن لها [نظير؟] أيضاً — رضي الله تعالى عنه

[١٣] ﴿أَلرَّحْمَنِ﴾ —. وهذه مذكورة في الفا تحة فتفتح بها ما تحتها. ثمَّ إنّ العالِمَ

منقسم إلى قسمين شقي وسعيد. ونعرف ذكره آخره الفا تحة،

[١٤] ليصِفَ الواحدُ صراطَ مَنْ أَنْعَمَ عليه. وا لقسم الثاني: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ

عَلَيْهِمْ﴾. ثمَّ تقسيم آخر، وهو أنّ الكونَ ينقسم إلى: آخره ودنيا [كلمات مضمومة]

[١٥] ﴿صِرَاطَ الْمُسْتَقِيمِ﴾، لأنّها دار التَّكْلِيفِ، والآخرة قوله: ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾. ولما

كَانَ الأمرُ منقسماً إلى خيرٍ وشرٍّ، جاء بيوم الدِّين وهو المُجَازَاةُ قَبْلَ [؟]

[١٦] مُجَازَاةُ الشَّرِّ شَرًّا وَعَفْوًا. وَمُجَازَاةُ الْخَيْرِ خَيْرًا. فَتَضَمَّنَتْ الْفَا تَحَةً أَيْضًا مَفَاتِيحَ الْخَيْرَاتِ وَالشُّرُورِ. وَلَمَّا كَانَ الثَّنَاءُ عَلَى اللَّهِ عَلَى قَسَمَيْنِ: ثَنَاءٌ عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، وَثَنَاءٌ عَلَيْهِ بِمَا هُوَ مِنْهُ، وَهُوَ الشُّكْرُ. وَكَانَ الْحَمْدُ يَعُمُّ الثَّنَاءَ بِمَا هُوَ عَلَيْهِ، وَالثَّنَاءُ بِمَا هُوَ مِنْهُ [كلمات غير مقروءة]

418 [١٧] [كلمة غير مقروءة] الشكر لد خول الشكر [كلمة غير مقروءة] ولما كانت الرِّحمة تنقسم إلى مرتبتين: مرتبة يعم فيها المعنى [كلمة غير مقروءة]. ومرتبة يخص [كلمات غير مقروءة]

[١٨] هو في الدار الآخرة، أتى بقوله: ﴿أَلَرَّ حَمْنٍ﴾ في المرتبتين. ﴿أَلَرَّ حِيمٍ﴾ بالموءنين. فإن «فعلان» أعظم من الآخر، فهو [؟] «فعيل» [؟] . . . [كلمات غير مقروءة وشبهه مطمو سة].

[١٩] بما يعطيه من العافية والرزق، والملك والسلطان، عاجلاً فَعَا لِمُ جميع هذا [هكذا] الفعول...

[٢٠] [السطر شبهه مطموس بالكا مل].

[٢١] [السطر شبهه مطموس بالكا مل والورقة مقطوعة من أسفلها].

تابع للمحق ١

هو مش على الصفحة الرئيسية [١ وجه]:

[١] [الكلمة الأولى غير واضحة] والأول من فصوص الحكم

[٢] سر عز يز

[٣] الفرق بين هذه الهوية [كلمة غير مقروءة]

[٤] للأعيان الثابتة [كلمة غير مقروءة]

[٥] الحق يتغلب في الآخرة

[٦] وهي تتغلب عليه

419 [٧] الأحوال

[٨] وهذا [كلمة غير مقروؤة]

[٩] على [كلمة غير مقروؤة]

[١٠] [كلمة غير مقروؤة]

[١١] [كلمة غير مقروؤة]

(تعليق للمحقق): قد يكون الها مش الما ئل المتجه لأ على متمم للسطر رقم

٥ من «تنبيه».

[١] ... الرَّبِّ الَّذِي يَدُلُّ عَلَى هَذِهِ الْمَعَانِي، فَإِنَّهُ الْمَرْبِّيُّ وَالْمُصْلِحُ، وَالْخَالِقُ

وَالْمَلِكُ، وَالسَّيِّدُ وَالنَّاتِبُ

(تعليق آخر للمحقق): والسطر التالي مقلوب:

[٢] وَلَمَّا كَانَ الْأَمْرُ بِالنَّسَبِ الزَّ مَا نِيَّةً يَنْقَسِمُ إِلَى مَا يَخْتَصُّ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، خَصَّ

الذَّكَرَ فِي الْفَاتِحَةِ بِالْيَوْمِ، الَّذِي يَعْمُ النَّهَارَ

(تعليق المحقق): والسطر التالي مقلوب:

[٣] وَاللَّيْلَ. لَمَّا كَانَ الْأَمْرُ يَنْقَسِمُ إِلَى ظَاهِرٍ وَمُضْمَرٍ، أَتَى بِكَافِ الْخَطَابِ، وَأَتَى

بِظَاهِرِ الْأَسْمَاءِ فَتَفْتَحُ أَيْضًا اجْتِمَاعَ لَطْوِ لَهُ...

(تعليق المحقق): ومن هنا اختفى با قي السطر لأنه ملصوق عليه شريط

ورقي.

تعليقات على الصفحة [٧٨ ظهر]

[١] الله الموفق

420

[٢] ذكر الرويا سي [؟] صاحب الكتاب المسمى بالبحر في مذهب الشافعي رضي

الله عنه في

[٣] كتاب آخر له أيضًا سماه حلية المؤمن في حكم الماء إذا وقعت فيه نجاسة،

[٤] قال جماعة من الصحابة والتابعين والفقهاء إلى أن الماء لا يُنجَسُ

[٥] بوقوع النجاسة فيه، قليلًا كان الماء أو كثيرًا، إلا أن يتغير، وبه قال

[٦] علي بن أبي طالب، وعبد الله بن عباس، وحذيفة، وأبو هريرة، والحسن البصري،

[٧] وسعيد بن المسيب، والثوري، وجعفر بن محمد الصادق، وإبراهيم

[٨] النخعي، وعكرمة، وجابر بن يزيد، ولقاسم بن محمد، وعبد الرحمن بن أبي ليلى،

[٩] وما لك، والأوزاعي، وسفيان الثوري، رضي الله عنهم أجمعين، لقوله

[١٠] صلى الله عليه وسلم: «خُلِقَ الْمَاءُ طَهُورًا لَا يَنْجَسُهُ شَيْءٌ إِلَّا مَا غَيَّرَ طَعْمَهُ أَوْ رِيحَهُ».

[١١] وروى جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه بإسناده عن أمير المؤمنين

[١٢] علي المرتضى عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الْمَاءُ يُطَهَّرُ وَلَا يُطَهَّرُ».

[١٣] تمت المسألة. والحمد لله.

[١٤] روي عن أبي ذر الغفاري أنه قال: كَأَنْتَ تَأْخُذُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وسلم غمرة ربما كَانَ

421

[١٥] يقعد معنا، وربما كَانَ يقوم ويدعنا، فسألتُه عن تلك الغمرة قبل وفاته بأربعين يومًا، فقال لي: «يَا أَبَا ذَرٍّ،

[١٦] أَكْتَمْتُهُ فِي حَيَاتِي وَأُبْدِيهِ لِلثَّقَاتِ بَعْدَ وَفَاتِي. يَا أَبَا ذَرٍّ، مَنْ اسْتَوَلَتْ عَلَيْهِ الْحَقِيقَةُ أَخَذَتْ بِنِيَابِ قَلْبِهِ وَمَنْ

[١٧] أَخَذَتْ بِنِيَابِ قَلْبِهِ وَشَغَلَتْهُ عَنْ مَجَالِسَةِ إِخْوَانِهِ» وأظنه قال: «عَنْ مُحَادَثَتِهِمْ».

«يَا أَبَا ذَرٍّ، شُعْبُ الْحَقِيقَةِ أَرْبَعَةٌ:

[١٨] سِرٌّ مُخْبَرٌ، وَسِرٌّ مُؤَنَسٌ، وَسِرٌّ مُوَحِّشٌ، وَسِرٌّ مُنَبِّهٌ. وَأَغْصَانُهَا ثَلَاثٌ: غُصْنٌ فِي الدُّنْيَا، وَغُصْنٌ فِي الْآخِرَةِ،

[١٩] وَغُصْنٌ لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ. وَكَيْفِيَّتُهَا اثْنَتَانِ: وَاحِدَةٌ لَكَ، وَوَاحِدَةٌ

لَهُ، وَحَقِيقَتُهُمَا وَاحِدَةٌ.

[٢٠] وَهِيَ الْجَلْسَةُ فِي كَنْفِهِ».

[خاتم]

أَوْ قَافِ إِسْلَامِيَّةٍ مَوْزُونَةٍ سِي [بخط الثلث]

١٧٣٠.

الصفحة [٧٩ وجه] : الصفحة فارغة.

تعليقات على الصفحة [٨٠ ظهر]

[بخط شكسته نستعليق نفيس]:

[١] بِأَسْمِهِ سَبَّحَاهُ تَعَالَى.

[٢] اسْتَنْسَخْتُ مِنْ هَذِهِ النُّسخَةِ الشَّرِيفَةِ نَسَخَتَيْنِ: نَسَخَةً لِلْأَخِ فِي اللَّهِ سَلِيمَانَ دَدَهُ

أَفَنْدِي الشَّيْخِ فِي زَاوِيَةِ بَشْكَدَاشِ [Beşiktaş] هَذَا اسْمٌ حَيٌّ فِي إِسْطَنْبُولِ،

[٣] وَنَسَخَةً لِلشَّيْخِ قَاسِمِ الْمَثْنَوِيِّ خَوَانٍ فِي التَّرْبَةِ الْجَلَالِيَّةِ. وَأَنَا الْفَقِيرُ مُحَمَّدُ

الْخُلُوتِي الْخَطِيبُ وَالْوَاظِفُ فِي جَامِعِ أَبِي الْفَضْلِ،

[٤] فِي تَارِيخِ سَنَةِ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَأَلْفَ [١٠٧١ هـ]

[٥] مِنْ هِجْرَةٍ مَنْ لَهُ الْعِزُّ

[٦] وَالشَّرَفُ.

[بخط مغاير للخط السابق]:

[٧] وَكُتِبَتْ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ الشَّرِيفِ بَخْطِي، وَأَنَا السَّيِّدُ الْحُسَيْنِيُّ

[٨] سَلِيمَانُ الْبَخَارِيُّ الْبَلْخِيُّ الْقَنْدُوزِيُّ فِي شَهْرِ صَفَرِ

[٩] سَنَةِ خَمْسَةِ وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ وَأَلْفَ [١٢٧٥ هـ] مِنْ الْهِجْرَةِ الْمُبَارَكَةِ

[١٠] الْمَقْدُوسَةِ عَلَى صَاحِبِهَا وَأَلْفَ أَلْفِ تَصْلِيَةٍ وَتَسْلِيمَةٍ

[١١] فِي كُلِّ وَقْتٍ وَحِينَ كَلَّمَا ذَكَرَهُ الْكَرُونُ وَغَفَلَ عَنْ ذِكْرِهِ الْغَافِلُونَ.

[١٢] وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

[١] لما يسر لي الربّ تعالى زيارة قبر حضرة الشيخ صدر الدين القونوي ورأيتُ كتبه الموقوفة

[٢] عنده تبركتُ بهذا الكتاب وأخذته معي أياً ما لما رأيتُهُ متفرقة [هكذا] الأوراق،

فجمعتها وجددتُ جلده الذي

424

[٣] عليه لِيَسْتَمْد بقاء أثر حضرة الشيخين المؤلف والكتاب بخطه الشريف، رجاء

الدعاء ممن نظروا وطأ لَع فيه

[٤] والله الهادي نهج فهم كلمته الحكيمية. وقد وَقَعَ ذَلِكَ في شهر ربيع الأول لسنة

اثنتين وخمسين وألف [١٠٥٢ هـ]

[٥] وكتبه العبد الفقير محمد شرحي السفر الحصري مولداً، الأسكداري موطناً،

المبتلى بقضاء قيصرية،

[٦] الماء مور بتحرير قرآن عفا الله عنه لما صدر من السهو والنقصان والخطأ

والنقصان، آمين.

[٧] بحرمة الأولياء والصالحين.

ملحق ٢: تحقيق في مسألة الذبيح

425

ومن المسائل التي انفرد بها الشيخ الأكبر في فصوصه، مسألة الذبيح

فإنّ فحوى الكلام في الفصل الإسحاقى يدلّ على أنّ إسحاق — وهو ابنه

الأصغر — ذبيح الله. بيد أنّ آيات القرآن دالة على أنّ إسماعيل — الابن

الأكبر لإبراهيم — هو الذبيح. فلقد جاء في القرآن الكريم أنّ إبراهيم عليه

السلام، بُشِّرَ بغلامٍ حلِيم، وأنّه بعد أن كَبُرَ، أمره الله سبحانه تعالى في

المنام أن يذبحه. وامتثل إبراهيم عليه السلام لأمر مولاه، ففداه بذبح

عظيم. ثم وُصف إبراهيم عليه السلام بأنّه من عباد الله المؤمنين والأنبياء

الصالحين. وبعد كل هذا، بُشِّرَ بإسحاق، وأنّه نبي من الصالحين [سورة

رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشِّرْهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾
 فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذُبُحَكَ
 فَأَنْظُرُ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ
 مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَدَّ يَنْهُ أَنْ
 يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا إِنَّا كَذًا لَّكَ نَجْرَى الْمُحْسِنِينَ
 ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَقَدْ يَنْهَىٰ بِذِبحٍ عَظِيمٍ
 ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكَنَا عَلَيْهِ فِي آلَا خَرٍ يَنْ ﴿١٠٨﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ
 ﴿١٠٩﴾ كَذًا لَّكَ نَجْرَى الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ
 ﴿١١١﴾ وَبَشِّرْهُ نَهًا بِسُحُوقِ نَبِيٍّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَرَكَنَا عَلَيْهِ
 وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾

هذا، ولم ترد آية عبارة صريحة في أي فص من الفصوص تدل على

كون إسحاق ذبيحاً، بل استخدم الشيخ الأكبر عند حديثه عن الذبيح في

الفصل الإسحاقية: «قال لا بنه»، و«ابن إبراهيم» — مرتان — و«ولده»،

و«إنه ابنك»، و«ابنه»، و«ولده». ولم يصرح باسم «إسحاق» إلا في

عنوان الفصل: ﴿فص حكمة حقية في كلمة إسحاقية﴾.

وأما شروح فصوص الحكم، فأهمها الفوك لصدر الدين القونوي

(ت. ٦٧٢ هـ/ ١٢٧٤ م)، التلميذ المباشر للمؤلف، وشرح مؤيد الدين الجندري

(ت. ٦٩١ هـ/ ١٢٩٢ م)، تلميذ القونوي، وشرح عبد الرزاق الكاشاني (ت.

٧٣٠ هـ/ ١٣٣٠ م)، تلميذ الجندري، وشرح داود القيصري (٧٥١ هـ/ ١٣٥٠ م)،

تلميذ الكاشاني. وعرضنا آراء أو لئك الأفاضل ملخصاً في ما يلي:

١- وصرح القونوي كون إسحاق ذبيحاً. قال في الفوك، تحقيق

محمد خواجوي، طهران: انتشارات مولی، ١٤١٣ هـ، ص ١٧٢:

«وَأَمَّا هَذَا الْفَصُّ الْإِسْحَاقِيُّ: فَمَحْتَدُهُ عَا لَمْ الْخِيَالُ الصَّحِيحُ الْمَطَابِقُ الْمُنَاسِبُ
لِلْمَعْنَى الَّذِي يَتَجَسَّدُ بِهِ وَفِيهِ؛ وَاسْتَنَّادُ مَبْدِئِيَّةِ حَالِ إِسْحَاقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
إِلَى عَا لَمْ الْمَثَالِ الْمُقَيَّدِ هُوَ: لَمَّا كَانَ أَخْصَصَ أَحْكَامَ الصِّفَاتِ السَّلْبِيَّةِ سَلْبَ
الْكَثْرَةِ عَنْ وَحْدَةِ الْحَقِّ، كَمَا نَتِ الْمَوْجُودَاتِ الصَّادِرَةِ عَنْ الْحَقِّ مِنْ حَيْثُ
الصِّفَاتِ السَّلْبِيَّةِ الْبَدِيَّةِ أَقْرَبَ بِهَا نِسْبَةً إِلَى الْوَحْدَةِ وَأَبْعَدَهَا مِنْ مَرْتَبَةِ الظُّهُورِ،
وَهِيَ الْأَرْوَاحُ. بِخِلَافِ الصِّفَاتِ الثَّبُوتِيَّةِ، فَإِنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْمَوْجُودَاتِ
الصَّادِرَةِ عَنْ الْحَقِّ مِنْ حَيْثُوتِهَا أَقْرَبَ نِسْبَةً إِلَى الظُّهُورِ وَأَتَمَّ تَحَقُّقًا بِهِ.
وَقَدْ بَيَّنَّا أَنَّ أَوَّلَ حَالٍ مِلَّ وَظَاهِرٍ بِأَحْكَامِ الصِّفَاتِ الثَّبُوتِيَّةِ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ،
فَلَزِمَ أَنْ يَظْهَرَ فِي حَالِ وَلَدِهِ الَّذِي هُوَ النِّيْجَةُ حَكَمَ عَا لَمْ الْخِيَالِ وَصِفَتِهِ، لِأَنَّ
عَا لَمْ الْمَثَالِ الْمَطْلُوقَ مَرَّتَبَتَهُ بَيْنَ عَا لَمْ الْأَرْوَاحِ وَعَا لَمْ الْأَجْسَامِ».

٢- وَأَمَّا الْجَنْدِيُّ، فَلَمْ نَجِدْ فِي شَرْحِهِ عِبَارَةَ صَرِيحَةَ تَقْيِيدِ بِكُونِ إِسْحَاقَ
ذَبِيحًا.

٣- وَأَمَّا الْكَاشَانِيُّ، فَإِنَّهُ صَرَّحَ بِكُونِ إِسْحَاقَ ذَبِيحًا. قَالَ فِي شَرْحِ
فُصُوصِ الْحُكْمِ، تَحْقِيقُ مَجِيدِ هَادِي زَادِهِ ص ٢٠٨:

«اعْلَمْ — أَيْدِنا اللهُ وَإِيَّاكَ — أَنَّ إِبْرَاهِيمَ (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) قَالَ
لَا بَنِي: ﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ [سُورَةُ الصَّافَاتِ: ١٠٢]؛

و﴿أَلْمَنَامُ﴾ حُضْرَةُ الْخِيَالِ فَلَمْ يَعْبَرْهَا، وَكَانَ كَبِشُ ظَهَرَ فِي صُورَةِ ابْنِ
إِبْرَاهِيمَ فِي الْمَنَامِ، فَصَدَّقَ إِبْرَاهِيمَ الرَّؤْيَا. أَي: لَمْ يَعْبَرْهَا، لَمَّا تَعَوَّدَ بِهِ مِنْ
الْأَخْذِ عَنْ عَا لَمْ الْمَثَالِ، فَلَمَّا رَقَّاهُ اللهُ تَعَالَى عَنْ عَا لَمْ الْمَثَالِ — لِيَجْعَلَ
قَلْبَهُ مَحَلًّا لِاسْتَوَاءِ الرَّحْمَانِ — أَخَذَ خِيَالَهُ الْمَعْنَى مِنْ قَلْبِهِ الْمَجْرَدِ،
وَتَصَرَّفَتْ الْقُوَّةُ الْمُتَصَرِّفَةُ فِي تَصْوِيرِهِ، فَصَوَّرَتْ مَعْنَى الْكَبِشِ بِصُورَةِ
إِسْحَاقَ — لَمَّا ذَكَرَ مِنْ كَوْنِهِ الْأَصْلَ — فَلَمْ يَعْبَرْهَا وَصَدَّقَهَا فِي أَنَّ ذَلِكَ
إِسْحَاقُ، وَكَانَ عِنْدَ اللهِ الذَّبْحُ الْعَظِيمُ...».

٤- وقال الكاشاني أيضًا، في ص ٢١٠:

«...فلو صدق في رؤيا ما رآه، لما كان — عند الله — إلا إسحاق،
ولذبحه...».

٥- وقال القيصري في شرح فصوص الحكم، تحقيق السيد جلال الدين

أشثيا ني، ط ٣، طهران: شركت انتشارات علمي وفر هنگي، ١٣٨٦ هجري شمسي، ص ٦٠٦-٦٠٧:

«وا علم أنَّ ظاهراً القرآن يدلُّ على أنَّ الفداء عن إسماعيل؛ وهو الذي رآه
إبراهيم أنَّه يذبحه. وإليه ذهب أكثر المفسرين. وذهب بعضهم إلى أنَّه
إسحاق. والشيخ (رض) معذور فيما ذهب إليه، لأنَّه ما مور كما قال في
أول الكتاب».

وهنا نقل السيد جلال الدين أشثيا ني (ت. ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥ م) تعليقين: أو لها
لأستاذة السيد روح الله الخميني (ت. ١٤١٠ هـ/ ١٩٨٩ م)، والثاني لآقا ميرزا
أبي الحسن بن محمد الطباطبائي المشتهر بـ«جلوه» (ت. ١٢٧٥ هـ/
١٨٩٦ م). ونقلناهما بالنص فيما يلي:

٦- تعليق السيد روح الله الخميني:

«قال شيخنا العارف الكامل [يقصد شيخه محمد علي الشاه باري
(١٢٩٢ هـ - ١٣٦٩ هـ)]، دام ظلّه العالی:

إنَّ الشَّيْخَ بحسب كشفه في عالم الكاشفة، رأى في العين الثَّابِتة

إلا سحابة اقتضاء هذا المعنى الذي ظهر في إسماعيل، عليه

السَّلام، في عالم الملك من العبودية التَّامة ولفناء التَّام؛ فأخبر عمَّا

ظهر عليه من العين الثَّابِتة. وهذه الكاشفة صحيحة؛ إلا أنَّ عدم

الظُّهور في عالم الملك، لقوَّة العين الثَّابِتة إلا سحابة عيَّة أو لما نع آخر.

هذا، وقد استشكلت عليه بأنَّ الظَّاهر من كلام الشَّيْخ وقوعه بالنسبة إلى

إِسْحَاقُ فِي عَا لَمْ الْمَلِكُ. فَصَدَّقَ ذَلِكَ. وَقَالَ، دَامَ ظِلُّهُ:

يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ كَشْفُهُ صَحِيحًا؛ إِلَّا أَنَّ خِيَا لَهُ لَمَّا كَانَ مَشُوبًا، تَمَثَّلَ لَهُ

الْمَعْنَى الْمَجْرَدُ عَنِ اللَّبَاسِ فِي عَا لَمْ خِيَا لَهُ بِصُورَةِ إِسْحَاقَ، عَلَيْهِ

السَّلَامُ. فَإِنَّ الْمَكَاشِفَاتِ تَقَعُ مَجْرَدَةً عَنِ الصُّورَةِ؛ وَلَكِنَّ الْخِيَالَ

يُمَثِّلُهَا بِزَيِّ صُورَةٍ شَاءَ بِمَجْرَدٍ مَنَا سَبَةٍ. وَالْغَالِبُ دَخَالَ الْمَانُوسَاتِ

وَالْمَعْتَقَدَاتِ فِي ذَلِكَ التَّمَثُّلِ». هَذَا مَا أَفَادَ، دَامَ ظِلُّهُ. [انتهى تعليق

السَّيِّدِ رُوحِ اللَّهِ الْخُمَيْنِيِّ].

٧- تعليق آقَا مِيرْزَا أَبِي الْحَسَنِ جَلُوه:

وَاعْلَمْ أَنَّ الْكَشْفَ الصَّرِيحَ الْمَحْمُودِيَّ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْفِدَاءَ عَنْ إِسْمَاعِيلَ. وَقَدْ

أَطْبَقَ أَمْتُنَا وَسَادَاتُنَا، الْوَارِثِينَ [هَكَذَا] لِلْعُلُومِ وَالْأَحْوَالِ وَالْمَقَامَاتِ الْمَحْمُودِيَّةِ،

عَلَى أَنَّ الْفِدَاءَ عَنْ ذَبِيحِ اللَّهِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ. وَعَلَيْهِ جُلُّ

أَرْبَابِ التَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ مِنَ الْعَامَّةِ [يَقْصِدُ أَهْلَ السَّنَةِ]. وَأَمَّا مَا قِيلَ: «إِنَّ

الشَّيْخَ مَأْمُورًا، وَالْمَأْمُورَ مَعْذُورًا»، كَلَامٌ خَالٍ عَنِ التَّحْصِيلِ، وَلَا يُعْبَأُ بِهِ. وَمَا

قِيلَ: «إِنَّ الشَّيْخَ رَأَى فِي حَضْرَةِ الْأَرْتَسَامِ أَنَّ الْفِدَاءَ عَنْ إِسْمَاعِيلَ؛ وَلَمَّا تَنَزَّلَ

مَا شَهِدَهُ فِي الْخِيَالِ، ذَهَبَ وَهَمُّهُ إِلَى إِسْحَاقَ، مِنْ جِهَةِ كَمَالِ الْمَنَا سَبَةِ بَيْنَ عَيْنِ

الْإِسْمَاعِيلِ وَالْإِسْحَاقِ». وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ فِي كِتَابِ الْفُصُوصِ مَا ضَعَّ نَقْضَ

وِاسْتِكَالَ، لَا يُمْكِنُ تَوْجِيهَهَا وَتَصْحِيحُهَا. وَالْقَوْلُ بِأَنَّ الشَّيْخَ مَأْمُورَ مَعْذُورٍ،

لَيْسَ إِلَّا اسْتِنَادُ الْخَبْرِ وَالْإِسْتِبَاهُ إِلَى اللَّهِ أَوْ إِلَى الرَّسُولِ! لِأَنَّ الْمُؤَلِّفَ قَدْ

صَرَّحَ فِي أَوَّلِ كِتَابِهِ أَنَّ الْمُؤَلِّقِيَّ عَلَى خِيَا لَهُ، أَوْ قَلْبِهِ، هُوَ الرَّسُولُ أَوْ اللَّهُ. وَأَمَّا

وَجْهَ تَسْمِيَةِ الْفَصْلِ الْإِسْحَاقِيَّ بِالْحِكْمَةِ الْحَقِيقِيَّةِ، أَنَّهُ لَمَّا كَانَ أَخْصَّ أَحْكَامِ

الصِّفَاتِ السَّلْبِيَّةِ، سَلَبَ الْكَثْرَةَ عَنْ وَحْدَةِ الْحَقِّ، كَانَتْ الْمَوْجُودَاتُ الصَّادِرَةُ

عَنِ الْحَقِّ مِنْ حَيْثِيَّةِ الصِّفَاتِ السَّلْبِيَّةِ التَّنْزِيهِيَّةِ، أَقْرَبُ بِهَا نِسْبَةً إِلَى الْوَحْدَةِ،

وَأَبْعَدُهَا مِنْ مَرْتَبَةِ الظُّهُورِ. وَهِيَ لِلْأَرْوَاحِ، بِخِلَافِ الصِّفَاتِ الثَّبُوتِيَّةِ. وَقَدْ سَبَقَ

أَنَّ أَوَّلَ حَالٍ وَظَاهِرٍ بِأَحْكَامِ الصِّفَاتِ الثَّبُوتِيَّةِ، الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فَلَزِمَ أَنْ يَظْهَرَ فِي وَلَدِهِ — الَّذِي هُوَ نَتِيجَتُهُ — حُكْمُ عَالِمِ الْمَثَالِ، الَّذِي أَعْتَبِرَ مَطَابَقَتَهُ لِلْوَاقِعِ يُسَمَّى حَقًّا. [انتهى تعليق آقا ميرزا أبي الحسن جلوه].

ملحق ٣: تحقيق في خا لد بن سنان 430

عَنْوَنَ الشَّيْخِ الْأَكْبَرِ الْفَصِّ السَّادِسِ عَشَرَ مِنْ فَصُوصِهِ بِ﴿فَصَّ كَلِمَةً صَمَدِيَّةً فِي كَلِمَةِ خَا لَدِيَّةً﴾. وَفَصَّهُ أَصْغَرَ الْفُصُوصِ، فَإِنَّهُ أَخَذَ ١٩ سَطْرًا فَقَطَّ فِي مَخْطُوطِ قَوْنِيَّةٍ.

وهو خا لد بن سنان بن غيث العبّسي. ويقال أنّه نبي من أنبياء الفترة، أي الحَقبة الزمنية بين عيسى بن مريم عليهما السلام ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم. واختلف العلماء في نبوته. راجع المصادر الآتية:

El, "K̥halid b. Siñan," : (Charles Pellat).

El, "Haṇzala b. Safwān," : (Charles Pellat).

Gerald T. Elmore, "The 'Millennial' Motif in Ibn al-ʿArabī's
"Book of the Fabulous Gryphon,"" The Journal of Religion
— at —. (July) .

Gerald T. Elmore, Islamic Sainthood in the Fullness of
Time. Ibn al-ʿArabī's Book of the Fabulous Gryphon,
Leiden: E. J. Brill, .

ولم يقترب معظم الشارحين المتقدمين لفصوص الحكم ممّا ورد في
خا لد بن سنان في كتب الأحياء الشريفة، فنقلنا في ما يلي ما وجدنا في
أشهر المجامع الحديثة السنية والشيوعية.

١- الإصابتة في تمييز الصحابة لا بن حجر العسقلاني، القسم ٢، ص

٣٦٩ إلى ٣٧٤، رقم الترجمة ٢٣٥٧: 431

خالد بن سنان العبسي

ذكره أبو موسى عن عبدان، وقال: ليست له صحبة، ولا أدرك النبي صلى الله عليه وآله. فقال: نبي ضيعة قومه.

ووفدت ابنته على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقالت: وقد سمعته يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، كان أبي يقول هذا.

قال ابن الأثير: لا أدري لم ذكره مع اعتراؤه بأن لا صحبة له؟

قلت: ولو كان كل من يذكره النبي صلى الله عليه وآله وسلم يكون صحابياً لا ستر كنا عليه خلقاً كثيراً.

وقد نسب ابن الكلبي خالداً لهذا فقال: خالد بن سنان بن غيث بن مريطة بن مخزوم بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس العبسي.

وذكر المسعودي في مروج الذهب من طريق سعيد بن كثير بن عفير المصري، عن أبيه، عن جده، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن الله خلق طائراً في الزمان الأول، يقال له: «العنقاء». فكثر نسله في بلاد الحجاز، فكانت تخطف الصبيان، فشكوا ذلك لخالد بن سنان، وهو نبي ظهر بعد عيسى من بني عبس، فدعا عليها أن يقطع نسلها، فبقيت صورتها في البسط. وبه قال ابن عباس.

وكان خالد بن سنان بُعث مبشراً بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، فلما حضرته الوفاة، قال: إذا أنا مت، فادفنوني في حَقْفٍ من هذه الأحقاف، فذكر نحو ما تقدم. وبه إلى ابن عباس، قال: ووردت ابنة له عجوز على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فتلقها بخير وأكرمها، وقال لها: مرحباً بابنة نبي ضيعة قومه، فأسلمت. وفي ذلك يقول شاعر من بني عبس، فذكر شعراً.

وأصح ما وقف عليه في ذلك مع إرسائه ما قرأت على أبي المعالي الأزهري، عن زينب بنت أحمد المقدسية، عن إبراهيم بن محمود، قال: قرأ على خديجة بنت

النهرها نبي ونحن نسمع عن الحسين بن أحمد بن طلحة سما عاً،
 أنبأنا أبو الحسين بن بشران في الجزء الثاني من الرابع من أمالي عبد الرزاق، عن
 إسما عيل الصفار سما عا. أنبأنا عبد الرزاق إملاءً، حد ثنا سفيان، عن سما لم الأ فطس، عن
 سعيد بن جبير، قال: جاءت ابنة خا لد بن سنان العبسي إلى النبي صلى الله عليه وآله
 وسلم. فقال: مر حباً با بنة نبي ضيعه قومها. ور جا له ثقات إلا أنه مر سل.
 وقال الكلبي في تفسيره، عن أبي صالح، عن ابن عباس: دخلت ابنة خا لد بن
 سنان على النبي صلى الله عليه وآله وسلم. فقال: مر حباً با بنة نبي ضيعه قومها.
 قال الفضل بن موسى الشيباني: دخلت على أبي جمر السكري. فحدثته بهذا عن
 الكلبي، فقال: أستغفر الله، أستغفر الله. أخرجه الحاكم في تاريخ نيسابور.
 ورواه أبو محمد بن زبر، عن الخضر بن أبان، عن عمرو بن محمد، عن سفيان
 الثوري. عن سما لم نحوه.
 وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتاب الأراء والجماع: خا لد بن سنان أحد
 بني مخزوم بن مالك العبسي لم يكن في بني إسما عيل نبي غيره قبل محمد صلى الله
 عليه وآله وسلم. وهو الذي أطفأ نار الحرّة.
 وكانت حرّة ببلاد بني عبس يستضاء بنارها من مسيرة ثلاثة أيام، وربما سطعت
 منها عنق فاشتعلت في البلاد، فلا تمر على شيء إلا أهلكته، فإذا كان النهار فأنما هي
 دخان يفور.
 فبعث الله خا لد بن سنان العبسي فاحتقر لها سرباً ثم أدخلها فيه، والناس ينظرون،
 ثم اقتحم فيها حتى غيَّبها، فسمع بعض القوم وهو يقول: هلك الرجل. فقال خا لد بن
 سنان: كذب ابن راعية المعزى. وخرج يرشح جبينه عرفاً، وهو يقول: عودي بُدّاً، كُلُّ
 شيءٍ يُؤدّي، لا خُرْجَنَ منها وجسدي يندى. فلما حضرته الوفاة، قال لقومه: إذا أنا متُّ
 فاحفروا قبوري بعد ثلاث، فإنكم ترون عيراً يطوف بقبري، وإذا رأيتم ذلك فإنني أخبركم
 بما هو كما نُنْ إلى يوم القيامة.

فا جتمعوا، فلمّا رأوا العَيْرَ أرادوا نَبْشَهُ. فقال ابنه عبد الله بن خا لد بن سنان: لا تنبشوه، ولا أدْ عَى ابن المنبوش أبداً. فا فتر قوا فر قتين، فتر كوه.

وقد مَت ابنته على النبي صَلَّى الله عليه وسلم، فبسط لها رداءه وأجلسها عليه، وقال: ابنة نبي ضيعه قومه.

وقال القا ضي عِيَاضُ في الشفاء في سياق من اختلف في نبوته: وخا لد بن سنان المذكور، يقال أنه نبي أهل الرّسّ.

وقد روى الحاكم، وأبو يعلى، والطبراني، من طريق مَعْلَى بن مهدي، عن أبي عوانة، عن أبي يونس، عن عكرمة، عن ابن عباس أن رجلاً من بني عَبَسَ يقال له خا لد بن سنان قال لقومه: إني أُطْفِيءُ عنكم نار الحد ثان، فقال له عمارة بن زياد، رجل من قومه: والله ما قلت لنا يا خا لد قَطُّ إِلَّا حقاً، فما شَأْنُكَ وشَأْنُ نار الحد ثان، تزعم أنك تطفئها؟

قال: انطلق. فا نطَلَقَ معه عمارة في ثلاثين من قومه حتّى أتوها، وهي تخرج من شِقِّ جبل من حرّة، يقال لها حرة أشجع. فخطّ لهم خا لد خَطَّةً، فأجلسهم فيها. وقال: أبطأت عليكم فلا تدعونني باسمي، قال: فخرجت كأَنَّها جبل سَعْرٍ، يتبع بعضها بعضاً، واستقبلها خا لد، فضر بها بعصاه، حتّى دخل معها الشَّقُّ، وهو يقول: بدّاً بدّاً بدّاً، كل هَدْيٍ يُؤدِّي، زعم ابن ربيعة المعزّي أنني لا أخرج منها، وثيا بي تندى. حتّى دخل معها الشق.

قال: فأبطأ عليهم، فقال عمارة بت زيد: والله لو كان صابركم حيّاً لقد خرج منها. فقالوا: إنه قد نهانا أن ندعوها باسمه. قال: فدعوها باسمه، فخرج إليهم، وقد أخذ برأسه، فقال: ألم أنهكم أن تدعونني باسمي؟ قد والله قتلتموني، فإذا مِتُّ فادفنوني، فإذا مرّت بكم عانة حمر فا نبشوا تي، فإنكم ستجدونني حيّاً فأخبركم بما يكون.

فدفنوه، فمرت بهم الحمر فيها حمار أبتر، فقالوا انبشوه، فإنّه قد أمرنا أن ننبشه.

فقال لهم عمارة بن زياد: تحدّث مَضْرُ أن ننبش موتانا، والله لا تنبشوه أبداً، وقد كان

خا لد أخبر هم أن في عُنْ امرأ ته لو حين، فإذا أَشْكَلَ عليكم أمر فا نظروا فيهما؛ فإن نكم سترون ما تسأ لون عنه. وقال: لا تمسهما حا نض.

فلما رجعوا إلى امرأ ته سأ لو ها عنهما فا خر جتهما وهي حا نض، فذ هب ما كان فيهما من علم.

قال أبو يونس: قال سماك بن حرب: سئل عنه النبي صَلَّى الله عليه وسلم، فقال: ذاك نبي ضيعه قومه. وأن ابنته أمت النبي صَلَّى الله عليه وسلم، فقال مر حبا با بنة أخي. قال الحا كم: هذا حد يث صحيح. فإن أبا يونس هو حا تم بن أبي صغيرة.

قلت: لكن معلى بن مهدي ضعفه أبو حا تم الرازي. قال الحا كم: قد سمعت أبا الإصبع عبد الملك بن نصر وغيره يذكرون أن بينهم وبين القيروان بحراً في وسط جبل لا يصعده أحد، وإنَّ طريقها في البحر على الجبل، وأنهم رأوا في أعلى الجبل في غار هت = ناك رجلاً عليه صوف أبيض وهو مُحْتَبٍ في صوف أبيض ورأوه على يد يه كأ نه نا ثم لم يتغير منه شيء، وأن جماعة أهل تلك الناحية يشهون أنه خا لد بن شنان. قلت: وشهادة أهل تلك الناحية بذ لك مردودة، فأين بلاد بني عبس من جبال

المغرب؟ 434

وأخرجه البزاز والطبراني من طريق قيس بن الربيع، عن ساس لم موصولاً بذكر بن عباس، قال: ذكر خا لد بن سنان عند النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم. فقال: ذاك نبي ضيعه قومه.

وزاد الطبراني: وجاءت بنت خا لد إلى النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم. فسأ لها قومه.. الحد يث.

وقيس ضعيف من قبل حفظه. وسيأتي له ذكر في ترجمة سباع بن زيد العبسي.

وذكر المسعودي في مروج الذهب من طريق محمد بن عمر: حد ثني علي بن مسلم الليثي، عن المقبري، عن أبي هريرة، قال: قدم ثلاثة نفر من بني عبس على رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم فقالوا: إنَّه قدم علينا قرأنا وأخبرونا أنه لا إسلام لمن لا

هجرة له. ولنا أموال ومواش هي معا شنا، فإن كان لا إسلام لمن لا هجرة له، بعنا ها
وها جر نا. فقال: اتقوا الله حيث كنتم فلن يَلتكم من أَعما لكم شيئاً ولو كنتم بصدر جازان.
وسأ لهم عن خا لد بن سنان، فقا لوا لا عقب له. فقال: نبي ضيعه قومه. ثم أنشأ يحدث
أصحا به حد يث خا لد بن سنان.

وأخرج ابن شا هين في الصحابة من طريق الحسين بن محمد. حد ثنا عا نذ بن
حبيب، عن أبيه. حد ثني مشيخة من بني عبس، عن سباع بن زيد أنهم وفدوا على رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكروا له قصة خا لد بن سنان فقال: ذاك نبي ضيعه قومه.

٢- ميزان الاعتدال للذهبي، القسم ٣، ص ٣٩٦، ترجمة رقم ٦٩١١: قيس

بن الربيع الأسدي الكوفي

محمد بن الصلت، عن قيس، عن سالم الأقطس، عن سعيد بن الجبير، عن
ابن عباس قال: جاءت بنت خا لد بن سنان إلى النبي صلى الله عليه وسلم
فبسط لها ثوبه، وقال: «مَرْحَبًا بِابْنَةِ نَبِيِّ ضَيْعِهِ قَوْمُهُ».

٣- بحار الأنوار، لمحمد باقر المجلسي، قصص الأنبياء، باب ٣٠ قصة

خا لد بن سنان العباسي عليه السلام، ج ١٤، ص ٤٤٨ إلى ٤٥١:

١- كا: [الكافي] علي بن إبراهيم، عن أبيه وأحمد بن محمد الكوفي، عن

علي بن عمرو بن أعين جميعاً، عن محسن بن أحمد بن معاذ، عن أبان بن

عثمان، عن بشير النبال، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: بينا رسول الله

435

صلى الله عليه وآله جلس إذ جاءته امرأة فرحب بها وأخذ بيدها وأقعدها، ثم

قال: ابنة نبي ضيعه قومه، خا لد بن سنان، دعاهم فأبوا أن يؤمنوا وكان نار

يقال لها نار الحد ثان، تأتاهم كل سنة فتأكل بعضهم، وكان تخرج في وقت

معلوم، فقال لهم: إن رددتها عنكم تؤمنون؟ قالوا: نعم، قال: فجاءت

فاستقبلها بثوبه فردها ثم تبعها حتى دخلت كهفها ودخل معها، وجلسوا على

باب الكهف وهم يرون أن لا يخرج أبداً، فخرج وهو يقول: هذا هذا، وكل

هذا من ذا، زعمت بنو عبس أنني لا أخرج وجبيني يندى، ثم قال: تؤ منون بي؟ قالوا: لا. قال: فإني ميت يوم كذا وكذا، فإذا أنا مت فادفنوني فإنه سيحيي عانة من حمر يقدها غير أبتري حتى يقف على قبري فانبشوني وسلوني عما شئتم، فلما مات دفنوه، وكان ذلك اليوم إذ جاءت العانة اجتمعوا وجاءوا يريدون نبشه، فقالوا: ما آمنتم به في حياتي، فكيف تؤ منون به بعد وفاتي؟! ولئن نبشتموه لىكونن سبة عليكم، فأتروهم فتر كوه.

٢- ص: [قصص الأنبياء عليهم السلام] الصدوق، عن ابن الوليد، عن الصَّفَّار، عن البرقي، عن أبيه، عن علي بن شجرة، عن عمه، عن بشير النبال، عن الصادق عليه السلام قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وآله جالس إذا امرأة أقبلت تمشي حتى انتهت إليه فقال لها: مرحباً بابنة نبي ضيعه قوم أخيه خالد ابن سنان العبسي، ثم قال: إن خالداً دعا قومَه فأبوا أن يجيبوه، وكان نار تخرج في كل يوم فتأكل ما تليها من مواشيهم وما أدركت لهم، فقال لقومه: أرايتم إن ردتها عنكم أتؤمنون بي وتصدقونني؟ قالوا: نعم، فاستقبلها فردها بقوة حتى أدخلها غاراً وهم ينظرون، فدخل معها فمكثت حتى طال ذلك عليهم، فقالوا: إننا لنراها قد أكلته فخرج منها، فقال: أتجيبونني وتؤمنون بي؟ قالوا: نار خرجت ودخلت لوقت، فأبوا أن يجيبوه فقال لهم: إني ميت بعد كذا فإذا أنا مت فادفنوني، ثم دعوني أياً ما فانبشوني، ثم سلوني أخبركم بما كان وما يكون إلى يوم القيامة، فلما كان الوقت جاء ما قال فقال بعضهم: لم نصدقه حياً نصدقه ميتاً؟ فتر كوه، وإنه كان بين النبي صلى الله عليه وآله وعيسى عليه السلام ولم يكن بينهما فترة.

٣- ك: [كمال الدين وتمام النعمة] ابن الوليد، عن محمد بن الوليد الخزاز والسندي بن محمد معاً، عن ابن أبي عمير، عن أبان بن عثمان الأحمري، عن بشير النبال، عن أبي جعفر الباقر وأبي عبد الله الصادق عليهما السلام قال:

جاءت ابنة خا لد بن سنان العبسي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لها: مرحباً يا بنت أخي، وصا فحها وأدناها وبسط لها رداءه، ثم أجلسها عليه إلى جنبه، ثم قال: هذه ابنة نبي ضيعه قومه خا لد بن سنان العبسي، وكانت اسمها مُحَيَّاة ابنة خا لد بن سنان.

٤ - ج: [الا حتجاج] قال الصادق عليه السلام في أسئلة الزنديق الذي سأله عن مسائل، فكان فيما سأله: أخبرني عن المجوس، هل بُعث إليهم خا لد بن سنان؟ قال عليه السلام: إن خا لدًا كان عربياً بدوياً وما كان نبياً، وإنما ذلكي يقول له الناس.

٤- وأما ابنته فهي مُحَيَّاة بنت خا لد بن سنان العبسي كما وردت في الإصا بة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، القسم ٨، ص ١١٦، رقم الترجمة ١١٧٤٣: مُحَيَّاة بنت خا لد بن سنان العبسي:

ذكرها أبو موسى في الذيل، وساق من طريق محمد بن عمر الرازي الحافظ، عن عمرو بن إسحاق بن العلاء، عن إبراهيم بن العلاء، حدثنا أبو محمد القرشي الهاشمي، عن هشام بن عروة، عن ابن عمارة، عن أبيه عمارة بن حزن بن شيطان، بقصة خا لد بن سنان؛ قال: فلما بعث الله محمداً، أتته مُحَيَّاة بنت خا لد، فانتهبت له. فبسط لها رداءه، وأجلسها عليه. وقال: ابنة أخي، نبي ضيعه قومه.

ووردت تسميتها أيضاً فيما ذكره ابن الكلبي؛ قال: قال أبي: وأخبرني ابن أبي عمارة، قال: أتنا خا لد بن سنان، فقال: يا معشر بني عبس، إن الله أمرني بإطفاء هذه النار. قال أبي: فكان أبي هو الذي ذهب معه، فذكر القصة مطولة.

وفي آخر الحديث، قال هشام بن محمد: فقدت مُحَيَّاة بنت خا لد بن سنان على النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد ذُكرت - في ترجمة خا لد بن سنان - لقصته في طيفي النار، طرقات كثيرة.

ملحق ٤: تخريج حديث التحول

من الاصطلاحات الكبيرة الشائعة في فصوص الحكم قول المؤلف
 «إِلَهُ الْمُعْتَقِدِ»، و«إِلَهُ الْمُعْتَقَدَاتِ»، و«صُورُ الْمُعْتَقَدَاتِ»، و«صُورَةُ
 مُعْتَقِدِهِ» وما شابهها من العبارات. وفي جميع تلك المواضع من كتاب
 الفصوص، قصد المؤلف فحوى حديث طويل معروف عند أرباب التصوف
 بـ«حديث التحول»، ورد في الصحيحين وسنن النسائي. وفيما يلي تخريج
 الحديث ونصه كما ورد في البخاري عن أبي هريرة.

تخريج الحديث

رواه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأذان، باب فضل السجود، ج
 ١، ص ١٥٣ إلى ١٥٥، رقم الحديث ٨١٤ عن أبي هريرة، وكتاب التفسير،
 باب إن الله لا يظلم مثقال ذرة، ج ٢، ص ٩٢٠ إلى ٩٢١، رقم الحديث
 ٤٦٢٤ عن أبي سعيد الخدري وكتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم، ج
 ٣، ص ١٣٣٠ إلى ١٣٣١، رقم الحديث ٦٦٥٣ عن أبي هريرة و٦٦٥٤ عن
 أبي سعيد الخدري، وكتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ
 نَاظِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، ج ٣، ص ١٥٠ إلى ١٥٠٣ رقم الحديث ٧٥٢٧
 و٧٥٢٨ كلاهما عن أبي هريرة، و٧٥٢٩ عن أبي سعيد الخدري.
 ورواه مسلم، الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية،
 ج ١، ص ٩٢ إلى ٩٦، رقم الحديث ٤٦٩ و٤٧٠ كلاهما عن أبي هريرة؛ ورقم
 الحديث ٤٧٢ إلى ٤٧٤ جميعاً عن أبي سعيد الخدري.

ورواه النسائي، السنن، كتاب التطبيق، باب موضع السجود، ج ١، ص
 ١٨٤ إلى ١٨٥، رقم الحديث ١١٤٨؛ «...عن عطاء بن يزيد قال: كنتُ
 جالساً إلى أبي هريرة وأبي سعيد، فحدث أحدهما...» الحديث.

نص الحديث

رواه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأذان، باب فضل السجود، ج

١، ص ١٥٣ إلى ١٥٥، رقم الحديث ٨١٤ عن أبي هريرة:

حدّ ثنا أبو اليمان، قال: أخبرنا شعيب عن الزهري، قال: أخبرني سعيد بن المسيب وعطاء بن يزيد الليثي، أنّ أبا هريرة أخبرهما أنّ الناس قالوا: «يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟»

قال: «هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحب؟»
قالوا: «لا يا رسول الله».

قال: «فهل تمارون في الشمس ليس دونه سحب؟»
قالوا: «لا».

قال: «فإنكم ترونه، كذا لك. يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». فيقول من كان يعبد شيئاً فَلْيَتَّبِعْ؛ فمنهم مَنْ يَتَّبِعُ الشَّمْسَ، ومنهم مَنْ يَتَّبِعُ الْقَمَرَ، ومنهم مَنْ يَتَّبِعُ الطَّوَاغِيتَ، وتبقى هذه الأُمَّة، فيها منا فقوها.

فيأتيتهم الله، فيقول: «أنا ربكم».

فيقولون: «هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا؟ فإذا جاء ربنا عرفناه».

فيأتيتهم الله فيقول: «أنا ربكم».

فيقولون: «أنت ربنا...».